حوار الحضارات



منصور الحلو

توزيع منشأه المعارف

إسم الكتاب : حوار الحضارات

إسم المؤلف : د/ أحمد منصور الحلو

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٢٣٢٢٨

الترقيم الدولى : 3 -1429 -03 -977

الناشر : منشأة المعارف

الطباعة والتجليد : شركة الجلال للطباعة

التجهيزات الفنية

كتابة كمبيوتر : مكتب سروات للكمبيوتر

طباعة : شركة الجلال للطباعة ت : ٤٤٩١٢٤٤ / ٠٣

حوار الحضارات

دكتور
منصور الحلو

2007

توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

مُقَدِّمَةٌ مُتَوَاضِعَةٌ

للدكتور منير سلطان
الأستاذ بجامعة عين شمس
كلية البنات – قسم اللغة العربية

الحوارُ مع الآخَر

الحوار مع الآخر : عِلمٌ وفنٌّ وخِبرة .
هو : تَقبُّلِ الآخر، واحترام عقيدته، وإدراك دوافعه.
هو : دراسة ثقافته، ومنهج تفكيره، ووسيلة إقناعه.
وليس : تحقيراً، أو تجريحاً أو مغالطة.
ولا : معركةٍ فيها المنتصر والمنهزم.
ولا : مَنْ ليس معنا فهو علينا.

الحوارُ مع الآخر يقوم على المودَّة والتسامحُ، ألَمْ يَقُل سبحانه وتعالى : ﴿**وَجَادِلهُم بِالتِي هِي أَحسَنُ**﴾ (النحل /١٢٥).

ويؤسفنى أن أعترفَ أنه ليس فى ثقافتنا ولا فى أصول تربيتنا – نحن العرب– إجابة عن سؤال : **كيف نُحاور الآخر ؟**.

وعندما يكون هذا الآخر واقعاً تحت مؤثرات دعائية مَسْمومة، وأبواق عقائدية خبيثة، وثقافة عنصرية مُغْرضة، ويكون الموضوع «**حوار مع العقيدة الدينية**» يتحول إلى مشكلة محورية تتساقط أمامها الثقافةُ التقليدية، والتربيةُ العقيمةُ، وضيقُ الأُفق، ويحلُّ الصراخُ محل المنطق، والضجيجُ محلَّ الفَهْم، ويظل كلا

المتحاورين، كل منهما في مكانه لا يريد أن يخطو خطوة إلى الآخر، عناداً، وإصراراً على الإظلام، فيضيع الهدف من الحوار، الذى لم يقم أصلاً.

وقد آل الأستاذ منصور الحلو على نفسه أن يخوض أرض الأشواك، ويطأ الألغام، ويحاور الآخر الغربى فى عقيدته الدينية، لا ليقول له: أنت على خطأ ونحن على صواب، فهو يدرك تماماً أن الخطأ نسبى، والصواب نسبى، والمطلق هو الله سبحانه وتعالى، بل، ليقول. هيّا بنا نطرح عقيدتك وعقيدتى على مائدة الحوار، بصدق، وموضوعية، وندع العقيدة نفسها تتكلم عن نفسها، وتشرح بنودها، وحقيقة تعاليمها. وليس هدفنا أن نجعل اليهودى مسلماً، ولا المسيحىّ مُوَحّداً، ولا أن نجعل المسلم مستسلماً لبعض الأفكار السلبية عن عقيدته، أو عقيدة الآخر.

والشّعار الوحيد الذى رفعه الأستاذ منصور الحلو في محاورته هو «دَعْ النُّصوصَ تتكلّم» ثم حَدِّدْ موقفك منها، أيّا كان هذا الموقف قُرْباً أو بُعْداً، قبولاً أو رفضاً لعقيدتك.

ولكن أى نصوص هذه التى سنسمح لها بأن تتكلم؟. هى النصوص الدينية الصحيحة، التى لم تُحَرَّفْ، ولم يتم التّعْتيم عليها، فالدين لله، والكتبُ السماوية مِلْكُه، والموت حقٌّ، والبعث حقٌ والجنة حقٌ والنار حقٌ، والوحدانية لله خالصةً له، والاحترام والإجلال لكتبه ورُسُله جميعاً لا نفرّق بين أحد من رسله، ونحن له مسلمون.

أراد الأستاذ منصور الحُلْو – مشكوراً – أن يَدْرُسَ الأديان السماوية، وتلك التى لها علاقة وطيدة بروح هذه الأديان، ثم يعقد مقارنة بينها. فبدأ عرضَه بالديانات المبكرة عند قدماء المصريين، والهنود، والصينيين، حتى وصل إلى اليهودية فالمسيحية فالإسلام، متتبعاً العمود الفِقَرىّ لهذه الديانات وهو «تحقيق إنسانية الإنسان»، بتعريفه واجباته.

وكان الأستاذ منصور الحُلْو حريصاً على أن يقدم للقارئ الغربى الحقائق

الدامغة على تحريف التوراة، ودسّ أحْبار اليهود فكرة التثليث فى الديانة المسيحية، معتمداً على كتبهم، ودراساتهم، وآراء المتنوّرين منهم، بلا انفعال، ولا ضجيج، ولا خطابة منبَرية، وحاول دَحْضَ المفتريات التى افتراها بعض المستشرقين المشبوهين على القرآن الكريم. ووقف طويلاً أمام أدعاء الغرب وإعلامه أن الإرهاب إسلاميٌ. وأوضح لهم بالحجة الدامغة أن الإرهاب «صناعة غربية»، إخراج أحْبار اليهود، ومتعصبى النصارى، والطامعين فى كعكة الشرق الأوسط. وليس معنى ذلك أن الإسلام قد نجا من عبث الجاهلين، والمتشددين، والمتفيهقين، لا. فقد تعرّض الإسلام لعنت شديد على يد بعضٍ من أبنائه، وشرح الأستاذ منصور الحَلْو أصولَ هذا العبث وأسبابه الظاهرة والباطنة، ودوافعه الخفية والجلية، وانتهى إلى أن الأديان السماوية - كلها - فى جوهرها: طُهرٌ، وسموٌ، وعدالةٌ، وتهدف - كلها - إلى رقى خليفة الله فى الأرض وهو الإنسان، أياً كان فى أىّ زمان أو مكان.

وأصَرّ الأستاذ منصور الحَلْو أن يخوض فى الفرق الإسلامية. التى فرّقت المسلمين شيعةً وخوارجَ وصوفيةً، ومن كل منها تفرعت الفروع، وتعدّدت الأسماء، بالإضافة إلى الغثاء المسمىٌ «البهائية» و«القاديانية».. إلخ، وصار السؤال المُلحُ على كل لسان: أين الإسلام؟، فتأتى الإجابة من القرآن **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّ لَهُ لَحافظُون﴾** (الحجر/٩)، لقد احتاج الأستاذ منصور الحَلْو أن يحاور هذه الشُعَب المَرْجَانية التى تعوّق سفينة الإسلام أن تسعى إلى الأمام، وذلك أن وجه الإسلام ناصع، وما هُمْ إلاّ بُثُورٌ فى هذا الوجه الصبيح، وذلك من خلال شعاره «دَعْ النّصوص تتكلّم».

لقد قرأت هذا الكتاب القيّم، القيّم فى موضوعه، والقيّم فى موضوعيته، والقيّم فى هدوئه، وفى تناوله للنصوص، وفهمها واستنباط الأحكام منها، وأعجبتنى جداً محاولة الأستاذ منصور تنوير العقول اليهودية والمسيحية والإسلامية، ببراءة الإسلام من عبث الإنسان، الذى أعْمَتْه المصالح الدنيوية، فراح يتخبط فى دياجير التعصُب والتشدُّد فخاب ما يصنعون، وبقى نور الإسلام يعُمُّ الأرضَ ومَنْ عليها.

ومن حَقّ الأستاذ منصور علينا، أن نُشيد بما صنَع، وأن نقدم له تحيةً من الأعماق، ونشُدّ على يديه، ولكنْ من حق البحث العلمي الموضوعي أن يقول رأيه في هذا الجهد الطيب.

١- لقد وقع المؤلف في عيب «الإطالة» و«التكرار»، وعذره أنه وضع القارئ الغربي نُصْب عينيه، وساق إليه الكثيرَ من النصوص والشواهد، ونَسِيَ أن القارئ الغربي الذي يهتم بقراءة مثل هذا الموضوع عنده من الخلفية الثقافية ما يُغنيه، أو أنه ليس بحاجة إلى كل هذا الكمّ من النصوص، وخير الكلام ما قَلّ ودَلّ.

٢- أن إعجابه بالشيخ الغزالي - ونحن نشاركه هذا الإعجاب - دفع به إلى جعله المصدر المعتمد لديه، وفي تنويع المصادر ثراء يضاف إلى البحث.

٣- أن الفرِق الإسلامية التي فرّقت المسلمين أغرت المؤلف أن يتوقف عندها طويلاً، ويذهب معها بعيداً، حتى يكاد القارئ أن ينسى موضوع المقارنة، ويغرق في عرض تاريخي لا حاجة ماسّةً إليه.

٤- بُعْدُ المؤلف لسنوات طويلة في الأرض الأُسترالية، جعلت أسلوبه العربي - أحياناً - يفقد نصاعته، ويهبط إلى مستوى اللغة العامية. وناهيك عن الأخطاء النحوية، على قِلّتها.

٥- بعد نفاد الطبعة الأولى من هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى- أرجو من الأستاذ الفاضل منصور الحلْو، أن يضع في المقدمة ما يلي:

أ- الهدف من وضع هذه الدراسة.

ب- المنهج الذي التزم به.

جـ- أهم المصادر والمراجع التي رجع إليها.

د- الفهرست العام للموضوعات.

وفي آخر الكتاب يضع الفهرست التفصيلي الذي يساعد القارئ على

الوصول إلى بغيته فى أسرع وقت. ثم ثَبَتَ المصادر والمراجع وتاريخ طبعتها ومكان نشرها، والأهم من ذلك إذا كان له موقع على الإنترنت عليه أن يذكره لِيَسْهُلَ الردُّ عليه فيما ورد فى الكتاب.

وأخيراً، أهدى هذا الكتاب النَّفيسَ للقارئ العربى والغربى، ولمختلف وسائل الإعلام، ولكل المواقع على شبكة الإنترنت، وكُلِّى ثقة أنه سينال الإعجاب، وسيولِّد لدى القارئ سؤالاً محورياً: أين أنا - بدينى الذى ارتضيت - من الإسلام الصحيح؟، مع احترامنا لكل الأديان فلْنملكْ شجاعةَ المواجهة، ومناقشة ما نحن فيه. ولْنجددْ خطابنا الدينى. يهوداً كُنَّا أو مَسيحيين. أو مسلمين. ولْنتذكر دائماً: إن الدين مسئولية المتديِّن، ولا عُذْر للجهل به، أو التعصُّب له، ولنقرأ قول الله تعالى: **﴿كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِه، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاه مَنْشُوراً، اقْرَأْ كِتَابَكَ، كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾** (الإسراء/١٣). صدق الله العظيم.

وتحيةً للناشر الكريم، الأستاذ جلال حزَّى، صاحب أعرق مُنْشَأَة للنشر فى العالم العربى، وللأستاذ الفاضل/ هانى حزَّى، الذى تحمَّسَ كثيراً لنشر وترجمته إلى الإنجليزية، وللآنسة/ وفاء مطاوع التى قامت بالتدقيق اللغوى، والحمد لله الذى هَدانا لهذا وما كُنَّا لِنَهتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدانا الله.

تمهيد

إنّ الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب والحضارات المختلفة فى ظل الظروف الراهنة أصبح ضرورة ملحة إذا أردنا تجنب العالم أخطاراً لا يحمد عقباها، ومن مقومات نجاح الحوار مع الآخر هو الاقتراب بما يكنه الإسلام من احترام واعتراف بالأديان الأخرى، ففيه دعوة صريحة إلى وجوب الإيمان بالرسل والرسالات السماوية، وهو يمثل أسلوباً ومبدأً منذ بدء الرسالة المحمدية، فالإسلام يقوم على اعتراف كامل وصريح بأصحاب العقائد السماوية الأخرى ويضع أنبياءها فى أعلى درجات التقديس والاحترام. وفى القرآن الكريم إلزام بالاعتراف وقبول الأخر ويعلمنا أن التعددية هى سنة إلهية، نور قد تناثر بين آياته يحث المسلم على قبول الآخر مهما كانت عقيدته.. أن سماحة الإسلام هى الدعامة الأساسية فى الحوار مع الآخرين وهى المنهج الأمثل فى مجال الدعوة إلى الله والتنوير الذى هو ركن أساسى فى الدعوة إلى الإسلام. إنّ القرآن يؤكد منهج الوسطية الذى بنى عليه الدين وهو الاعتدال والاتزان، ونحن لا نواجه إلا عودة إلى قرون المواجهة، ولابد من النقد الذاتى لأنفسنا وترتيب أوضاعنا والتوجه الحقيقى نحو الاعتدال والعودة إلى صحيح الإسلام وسماحته وعلينا فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا توظيف كل أدواتنا لتقديم الإسلام فى صورته الصحيحة ومصارحة أنفسنا والتعرف على أوجه القصور لتصحيح مسارنا، فعظمة كل ثقافة إنسانية تكمن فى قدرتها على نقد ذاتها ومراجعة عيوبها واكتشاف مواطن التحلل والضعف فيها. لقد حملنا منذ القدم شعلة التنوير، وعلينا أن نستعيد مواقعنا بتعريف العالم بالإسلام وقيمه الرائعة وإزالة سوء الفهم لدى الآخر.

يقول الدكتور عبدالمعطى بيومى عميد كلية أصول الدين سابقاً : «إنّ مائدة الخطاب الدينى يجب أن لا تخلو من موقف الإسلام من الثقافات الأخرى». وهذا يعنى وضع معايير توضح المفاهيم والحضارة الإسلامية باللغة التى يفهمها الغرب مع قبول وتقبل حضارته ومعتقداته .. إن التجديد فى الخطاب الدينى

مطلب ووعد من رسول الله ﷺ الذى قال : إنّ الله يبعث على رأس هذه الأمة كل مائة عام من يجدد لها دينها. وهناك العديد من المؤلفات عن التجديد فى الخطاب الدينى واجتهادات تطالب بالنظر فى مستجدات العصر ومتغيرات الزمان وتغيير الأسلوب – شكل الخطاب – ولترغيب وجذب الآخر بالقبول المتبادل وشرح المنظومة الإسلامية وعظمتها وشموليتها. ولكن من المؤسف أن نتائج الحوارات وتوصيات المؤتمرات هو انعكاس ما يجرى على السفح – دبلوماسية دينية – وما يقال فى قاعة المؤتمرات غير الذى يقال فوق المنابر؟! كل منبر يروج لبضاعته على حساب الحقائق والمقاصد الإلهية. حيث أنّ بعض الدعاة يعتقد أن عقيدته لا تستقيم إلا إذا بعث بالآخرين إلى الجحيم!. ونحن نعلم أن أهل الكتاب يرفضون الاعتراف بالإسلام ويصنفونه على هامش الديانات والثقافات الوضعية والاساءة إليه، سوء فهم ونية وضيق بصيرة وتعصب. وهذا يفرض علينا مزيداً من الحوار، لا تقليصه، وتعزيز الحوار مع الأديان الأخرى ونتقى الله فيهم وإن لم يتقوا هم الله فينا، وننزع المخاوف والهواجس من الأرواح القلقة التى تبحث عن قدر من اليقين فى عالم بات يحطم كل شئ بشعارات باطلة وحوّل نعمة الله نقمة والإيمان لعنة تطارد الجميع، وتلقى بهم فى أتون صراع باسم الدين. انظر الآية ٢٨ من سورة إبراهيم ، فهناك استراتيجية لإحداث نزاعات وخلخلة الاستقرار فى دول العالم الاسلامى ومشروع مارشال فكرى لإعادة تأهيل المسلمين بحملات إعلامية ثقافية تهدف إلى تحويل المسلمين من الدين إلى العلمانية الغربية وتنقذهم وتخرجهم من حالة الضياع والوهن الذى يعيشها المسلمون!! كيف ؟ بإلصاق كل نقيصه بالإسلام، وتشويه كل حقيقة فيه ورمى أتباعه بالتعصب والتطرف والإرهاب، إنّ قضية التحدى بين الإسلام والغرب يغلفها سوء فهم وضباب كثيف ولَغَط وضجيج تبثه أجهزة الإعلام – أمور صهيونية – عن سوء فهم ونية. ولا يمكن كبح جماح وتصفية الجو الفكرى والثقافى والدينى والصراع الزائف مع الغرب وإعلامه والتصدى للضغوط والهجمات التى تشن علينا والتى الهدف منها أن نفقد هويتنا ومعالمنا إلا أن نتمسك بالثوابت الدينية

ومكوناتها وطرح الحوار على مائدة البحث العلمى فى دراسة ترتكز على أسس التفاهم والقبول المتبادل المشترك لكى نصل إلى نتائج حاسمة ومجدية، فالنزاهة العلمية تقتضى من الجميع إثبات الرأى والرأى الآخر ولكى نقتلع جذور التعاليم الدينية الخاطئة من الديانات وبناء الجسور والتفاهم، فإذا عرض الإسلام عرضاً رائقاً طيباً مشوقاً بأسلوب العرض الحديث ما رفضه أحد.

إنَّ الحكمة والموعظة الحسنة يجب أن تكون هى أسلوبنا للدعوة ليكون هناك اعتراف متبادل ولكى ينجح الحوار أيضاً لابد من الشجاعة فى مواجهة الذات نقداً وتحليلا وإعادة نظر فى صياغة مشروع الخطاب الدينى مع الآخر لضمان الحد الأمثل من التواصل المعرفى والتلاقى معه.

يجب أن نكف عن إظهار محاسننا ونقد الغير وتكفيره، إن ديننا يعلمنا أن الناس جميعا خلقوا من أصل واحد وأن الاختلاف بينهم يجب أن يؤدى إلى التعاون والتعارف لا إلى الصدام والصراع لكى نصل إلى مجتمع إنسانى أفضل وفق منهج إسلامى صحيح فى ظل ما يمر به العالم الإسلامى من عواصف عاتية ولكى يعلم الآخر أن الإسلام دين سمح واسع الصدر لا يضيق بغيره ولا بمخالفيه. إنَّ سبب ضيق الآخر بنا واتهامنا بكل أنواع الافتراءات هو غياب الداعية الرشيد. ونحن هنا ندعو أصحاب الفكر الإسلامى والدعاة الذين حان الحين لإداء دورهم لترشيد الخطاب الدينى والوصول بفكرهم إلى حقيقة ما حث عليه الشرع وشرح سبب الظواهر السلبية والمرضية من تطرف وتعصب والفراغ الدينى حتى يبرأ المجتمع الإسلامى منها. إن الأزهر بمؤسساته المختلفة الدعوية والشرعية فى العالم الإسلامى هى المناط بها والإشراف على التبليغ والدعوة وإخراج المفاهيم الخاطئة ومتابعة بحوث الاستشراق وتصحيح أخطائها.. ونجد فى كتاب «طبائع الاستبداد» لعبدالرحمن الكواكبى أحد زعماء الإصلاح فى العصر الحديث والمجدد لعرض دينه عرضاً محبوباً مستجيباً لحقوق الضمير ناصراً الحق بالحق لأنه دائرة معارف لكل المعارف كما قال الأستاذ العقاد، يقول فيه : «ما أحوج الشرقيين أجمعين من بوذيين وإسرائيليين، مسيحيين، ومسلمين وغيرهم

إلى حكماء لا يبالون بغوغاء العلماء المرائين الأغبياء والرؤساء القساة الجهلاء فيجددون النظر فى الدين» ، نظر من لا يعقل بغير الحق الصحيح يعيدون النواقص المعطلة فى الدين ويهذبونه من الزوائد الباطلة. ويقول أيضاً فى كتابه عن كفاية الأدعياء الذين فسروا الدين حسب الهوى فضلّوا وأضلّوا وأصبح فكرهم استبداداً بالعقول : «ونحن فى حاجة إلى مسئولين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع تحملهم المسئولية كاملة أمام الله». ويشيع الكواكبى فيما كتب بإيقاظ الوعى الإنسانى فى حريته وكرامته، ويقول : «أن السبب المباشر فى ضياع الأمم هو الاستبداد الفكرى للذين يعرضون الدين عرضاً مشوشاً» ..

منصور الحلو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[1]

إنَّ الإنسان لا يبدأ فى التعلُّم إلاَّ حين يبدأ فى التعجب، فلا يصبح متعلّماً فى حقيقة أمره بقدر علمه وإنما بقدر ما يدرك جهله.

« هذا الكتاب»

محاولة لترسيخ وتعميق وتوسيع العلاقة الإنسانية مع الآخر .. واستمرار الحوار الصادق المخلص بين الإسلام وغيره من الأديان السماوية على أساس من قول الله تعالى ﴿ لِكُلٍ جَعَلْنَا شِرْعَةً ومِنْهَاجاً ﴾[2] . وعلى أساس من أن الناس جميعاً من أصل واحد والرسل جميعاً دعوا إلى عقيدة واحدة .. هى عقيدة التوحيد.

مقارنة الأديان

بالحـق والبرهـان

إن علم مقارنة الأديان يسهم بلا ريب فى تعميق الشعور بالتنوع وقبول الاختلاف وعدم الإكراه فى العقائد وقبول الآخر، والتواصل، والتعارف معهم، فحضارة الإسلام إبان ازدهارها قد أشاعت مناخاً من التسامح والانفتاح وقبول التعددية كسنة إلهية.. ومن المؤكد أن كثيراً من المشكلات والحساسيات التى تُثار حول الأديان من البعض غالبا سببها الجهل بالذات أو بالآخر أو بالاثنين معاً. ومن هنا تصبح المعرفة هدفاً نبيلاً يجب أن ينشده الناس جميعاً ويتركوا التعصب، والتشدد فيما لا مبرر له. فالسماحة، والسلام هما مفتاح الحب والوُدّ، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .. يقول مصطفى لطفى المنفلوطى :- «إن الفرق بين الدين الخالص والدين المشوب أن الأول يتسع صدره لكل شىء حتى لمخالفيه، ومحاربيه. وأنَّ الثانى يضيق صدره

(١) سورة البقرة. آية ٢٨٦.

(٢) سورة المائدة. آية ٤٨.

بكل شيء حتى بنفسه، وأن الله عزّ وجلّ أوسع رحمةً وأعلى حكمةً من أنْ يسدّ في وجوه عباده كل طريق للوصول إليه إلا طريق الغضب والنار، وأن هذه الأحقاد الدنيئة التي تلتهب في صدور الناس التهاباً لا تؤجّجها الأديان نفسها، بل رؤساء الأديان الذين يستخدمونها ويتاجرون بها في أسواق الغباوة والجهل».
إنّ الانفتاح على الآخر وعدم الانكفاء على الذات، وإحياء الحوار الإيجابي معه هو لصالح التفاهم المشترك، فمهما كان من اختلاف في الرؤية والفهم فهناك رقعة مشتركة واسعة بين الأديان الثلاثة الكبرى، فالرؤية الأخلاقية والنسق القيمي مشترك بينهم، وهذه السنة النبوية هي مسألة ما تمّ في الحيلولة دون ظهور خلاف. إن مفهوم المساواة في الإسلام بين البشر - لا فرق بين عربيّ ولا أعجميّ إلا بالتقوى - يتجاوز هذا المفهوم ذلك المفهوم العنصري القائم على تفوّق جنس على جنس آخر. هذا ما يجب تخليص العقول المؤمنة بالأديان منه. والواقع أن الأديان تشكل منظومة متناغمة يكمل بعضها البعض وصولاً إلى التعايش الأمثل على الأرض وتكوين الإنسان المثالي، وتحسين سلوكياته، والارتقاء بالحياة البشرية.

«الديـن»

لقد لخص الأستاذ «أبو عليّ المودودي» - رحمه الله - المعاني اللغوية لهذه الكلمة بأربعة معانٍ هي:-

١- القهر والسلطة والحكم والإكراه على الطاعة.
٢- الإطاعة، والعبودية، والخدمة، وقبول الذلة، والخضوع.
٣- الشرع، والقانون، والطريقة، والمذهب، والملة، والعادة، والتقليد.
٤- الجزاء، والمكافأة، والقضاء، والحساب.

ثم يذكر الأستاذ «المودودي»:- أن القرآن الكريم استعمل كلمة «الدين» بمعنى جامع شامل. يراد به نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها الاعتقادية، والفكرية، والخلقية، والعملية. ومن ذلك قوله تعالى: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**(١).

---
(١) التوبـة ٢٩.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عندَ اللَّهُ الإسْلاَمُ﴾(١).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينـاً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾(٢).

ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ المُنَافقينَ فِـي الـدَّرْك الأَسْفَلِ منَ الـنَّارِ وَلَن تَجدَ لَهُمْ نَصيـراً، إلاَّ الَّذين تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ باللَّه وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ للَّه فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمنينَ، وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمنينَ أَجْراً عَظِيماً﴾(٣).

فيأهل الكتاب، يأهل الذمة، يا مَنْ تؤمنون بالله واليوم الآخر وتعملون الصالحات ولم تؤمنوا بالرسالة الخاتمة لكل الرسالات .. أبشروا.. أبشروا، بالدرك الأسفل من الجنة؟!.

لقد اخترتم هذه الدرجة لأنفسكم ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾. (آل عمران ٨٥)

يقول الرسول (ﷺ):- «**الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**». انظر سورة الإسراء - آية ٥٥.

ويقول الله تعالى في سورة آل عمران الآية ١٦٣: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّه وَاللَّه بَصِيرٌ بمَا يَعْمَلُونَ﴾. وانظر سورة الأنعام الآيات «٨٣- ١٣٢»، والتوبة «الآية ٢٠» ويقول سبحانه وتعالى في سورة النساء الآيات «٩٥و ٩٦» ﴿لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ منَ الْمُؤْمنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً. دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

ويقول جلَّ شأنه في سورة الإسراء «الآية ٢١»: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾.

---

(١) آل عمران ١٩.

(٢) آل عمران ٨٥.

(٣) النساء ١٤٥و ١٤٦.

ويقول عزّ وجلّ في سورة المجادلة «الآية ١١»: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.. وانظر أيضاً «الآية ١٠» من سورة الحديد، وفي سورة البقرة «الآية ٢٥٣» ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾.. حتى الرسل.

«تمهيد لموضوع الكتاب»

- لقد وُلدت فكرة هذا الكتاب بعد حوار ساخن مع صديق عن أهل الكتاب. والواقع أن المفكر في أمور الدين كثيراً ما يصاب باليأس، ويرى في مطلبه طموح المتعامل مع المستحيل، فهو يأخذ صفة المفكر المتمرد الذى يدخل حصن الذات الواعية بعيداً عن التخمينات الفقهية، ولكن يرى نفسه في النهاية يسقط جريح الخروج عن السائد، ثم يبدأ من جديد؛ وعلى هذا فإننى قد تهيبت كثيراً قبل أن أخوض هذه التجربة لجلال، وعظمة مصدرها.. بيد أنى استعنت بالله وعقدت العزم على أن أبذل غاية الجهد من أجل الوصول إلى الغاية المبتغاة.

«حوار ساخن»

- فى طريق عودتنا من أداء فريضة الحج عام ١٩٩٢م والطائرة تحلق فى سماء مدينة سيدنى أنهيت حديثى الذى بدأ فى مطار جدة مع رفيق الحج بقولى:

لا يكتمل إيمان اليهود حتى يؤمنوا بالمسيحية والإسلام، ولا يكتمل إيمان النصارى حتى يؤمنوا بالإسلام والرسالة المحمدية، ولا يكتمل إيمان المسلمين حتى يؤمنوا بأنّ رحمة الله تسبق عقيدة وأعمال بنى آدم إلى الجنة التى تسع كل المؤمنين بالله واليوم الآخر.

وأنهى صديقى حديثه رافعاً صوته ويده:- إن الجنة حرمت على غير المسلمين. إن الدين عند الله الإسلام[١]. ومَن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين[٢]. وإن اليهود والنصارى كفاراً ومشركين لا ينطقون بالشهادتين فلا أمل لهم فى الجنة.

(١) آل عمران ١٩. (٢) آل عمران ٨٥.

- ثم تعددت اللقاءات مع رفيق الحج، وكان فى كل لقاء يدور حوارنا حول أهل الكتاب، وفى أحد اللقاءات أخرج صديقى قائمة اتهام من آيات القرآن الكريم ضد أهل الكتاب، ومن حسن الحظ كنت قد فعلت نفس الشىء وأخرجت قائمة دفاع عن أهل الكتاب من القرآن الكريم..

بدأ صديقى حديثه قائلاً:- إنَّ الفقهاء يقولون لكى تكون مؤهلاً لدخول الجنة يشترط أن تدين بالإسلام، وتعتنق المذهب السنى، وتنتمى سلالياً إلى العنصر السامى - الحامى.. هذا ما يقوله رجال ديننا الإسلامى الحنيف.. قلت: إن رجال الدين اليهودى والمسيحى يقولون كلاماً يحمل نفس هذا المعنى لصالح دينهم فأين الجديد؟..

قال: القرآن يشهد بالحق. ولقد جاء فى الآيات «١١١ و١١٢» من سورة البقرة مايلى: **﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.**

وفى سورة النساء الآيات «٤٨ و٤٩» يقول الله تعالى:-

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ. وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

ومن سورة المائدة الآية ٧٢ يقول الله تعالى:-

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

وفى نفس السورة الآية ٧٨- يقول الله تعالى:-

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾.

توقف صديقى عن الكلام ليفسح لى المجال للرد على حجته التى لا تقبل الجدل فهى من القرآن..

قلت: إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل لكل ملَّةٍ شريعةً ومنهجاً. وكل إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويؤمن بأن كل الأمور تَسير بيد الله فهو مسلم. هكذا علمنا القرآن الكريم، ولقد فهم هذه الحقيقة الشاعر الألمانى الكبير «جوهان جوته» المتوفى فى عام ١٨٣٢م فقد قال فى بعض أشعار الحكمة من ديوانه:

من حماقة الإنسان فى دنياه	أن يتعصب كُلّ منَّا لما يراه

وإذا الإسلام كان معناه التسليم لله	فإننا أجمعين نحيا ونموت مسلمين

- ولقد علَّمنا ربُّنا فى القرآن الكريم أيضاً وفصَّل لنا درجات الكفر والإيمان.. فأعلى درجات الكفر هى الكفر بالله ورسله واليوم الآخر، وليس لهذا النوع من الكفر درجات، ولكنه العذاب فى نار جهنم والعياذ بالله..

وليس الكفر بعقيدة الآخرين مثل الكفر بالله..

- أما دعائم الإيمان فهى الإيمان بالله واليوم الآخر والرسل أجمعين وما عدا ذلك فهى فروع، مثل الالتزام بالعبادة، والأعمال الصالحة هى التى ترفع صاحبها درجات..

يقول الله تعالى فى سورة الشورى «الآية ١٣»:-

﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدين مَا وَصَّى به نُوحاً والَّذى أَوْحَيْنَا إِلَيكَ وَمَا وَصَّيْنَا به إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمواْ الدِّينَ ولاَ تَتَفرَّقُواْ فِيه﴾.

فالأديان السماوية متفقة فى جوهرها، والمؤمنون من أهل الكتاب يمكن تسميتهم - مسلمة أهل الكتاب -.

يقول الله تعالى فى سورة الممتحنة «الآية ٨»:-

﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الذِّينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُم وتُقْسِطُوا إِلَيهِم إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

ويقول عز وجل فى سورة آل عمران «الآية ١١٣ إلى ١١٥»:-

﴿لَيْسُواْ سَوَاءً، مِنْ أَهْلِ الكتَاب أُمَّةٌ قَائمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّه آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ويَأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكرِ

ويُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

والآيات التى تحمل هذا المعنى كثيرة..

قال صديقى: يا أخى أنت تزكى على الله قوماً نعتهم الله بالكفر، ولك أن تقرأ ما بدأناه من سورة المائدة عند «الآية ٧٢» يقول الله تعالى:-

﴿لَقَدْ كفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ ثَالثُ ثَلاثَة ومَا منْ إلَه إلاَّ إلَهٌ وَاحدٌ. وَإن لَمْ ينتَهُوا عمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَ الذينَ كَفَرُوا منهم عذَابٌ أَليمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعبُدُونَ من دُون اللَّه مَا لاَ يمْلكُ لَكُمْ ضَرًّا ولاَ نَفْعاً واللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ..﴾.

قلت: حاشى لله أن أزكى عليه أحداً ولكن أُحسن الظن به سبحانه وتعالى وأعتقد أنى أحسن فهم آياته عزَّ وجلَّ.. والذى نفهمه من الآيات سالفة الذكر أنها موجهة إلى خاصة أهل الكتاب الذين حملوا راية المسيحية بعد المسيح عليه السلام وأسسوا قواعدها على التثليث.

وأيضاً علماء الدين من بعدهم وإلى يومنا هذا الذين يعرفون الحق عن دينهم، وديننا ويتسترون عليه، ولا يستوى الذين يعرفون الحق ويتسترون عليه، والذين لا يعلمون غير ما علموا، أى لا يستوى الراعى ورعيته إذا أضلهم فالمسئولية تقع عليه؟. لذلك يقول الله تعالى فى سورة البقرة «الآية ٦٢»:-

﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والنَّصَارَى والصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّه واليَوْمِ الآخرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.. وتتكرر نفس هذه الآيات فى سورة المائدة «الآية ٦٩»- وفى سورة الحج «الآية ١٧» ليؤكد لنا الله عزَّ وجلَّ معانى هذه الآيات الكريمة.

وكذلك فى سورة المائدة «الآية ٨٢ إلى ٨٥» يقول عز وجل:-

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً للذِّينَ آمَنُوا اليَّهُود والذين أشركُوا ولتَجدنَّ أَقْرَبهُمْ مَوَدَّةً للذينَ آمَنُواْ الذِّين قَالُوا إنَّا نَصَارَى. ذَلكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ... إلى آخر الآية﴾.

وعلى هذا. فإنَّ الله عز وجل لم يأمرنا بتكفيرهم، ولكن أمرنا أن نجادل

العامة منهم بالتى هى أحسن، ونذكّر الخاصة منهم بالحق من كتابنا وكتابهم.

وبعد ساعات من الدوران فى حلقة مفرغة تطور النقاش إلى صياح المتعصبين، والذى قيل أعدنا قوله، وبعد هذا اللقاء كان القرار بأن أقوم ببحث وعمل دراسة كاملة، وشاملة فى موضوع مقارنة الأديان. فالإنسان كثيراً ما يخدع فيتصور أنَّ ما يعرفه هو الحقيقة. بينما هو ليس كذلك، فعلى الإنسان أن يستخدم علمه وذكاءه فى مثل هذه القضايا الحيوية، كما يجب أن يلجأ إلى الراسخين فى العلم ليتحرى الدقة عندهم حينما يغمض علينا أمر من الأمور فلا يجب أن يجعل الإنسان من نفسه فقيهاً ويبرر كل أمر بمفرده وقبل كل شىء يجب أن نلجأ إلى القرآن، والسنة حيث إن أهم مصادر القيم الإسلامية السامية تنبع منهما وأنهما المعيار، والنجاح لمن يلتزم بهما..

- أما الهدف الأساسى من هذا الكتاب فهو مواكبة من يدعون إلى تجديد الفكر الدينى الذى هو طوق النجاة للحضارة الإسلامية فهذا ما يطالب به علماء الدين، والمفكرون فى كل لقاء أو مناسبة تجمعهم فيدعون إلى تحقيق المصالحة بين العلوم الإسلامية، وعلوم الثقافة الغربية وبين علوم السلف الذى تربينا عليها وعلى منهجها الأصولى الدقيق..

- إنَّ العالم الإسلامى يموج بتيارات عديدة، ومتباينة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بما فى ذلك دعوات الإصلاح، ودعوات السلفية، ودعوات العلمانية. وفى هذا المناخ من المتغيرات التى يشهدها العالم اليوم، والنكبات، والأزمات التى يتعرض لها العالم الإسلامى تجعلنا فى أشد الحاجة لاستلهام روح التجديد فى الفكر الدينى الذى ناضل من أجله الكثيرون فلم يكن التجديد عندهم إلا حماية للمجتمع من الجمود والعوامل المفسدة..

إنَّ كون الاجتهاد أصلاً فى الدين ليس إلا تعبيراً عن الحاجة الماسة لمواكبة الدين للتطور وتعبيراً عن خلود الرسالة الخاصة..

- ولنا فى الدور الريادى الذى لعبه الشيخ أمين الخولى عبرة ومثالاً فى التجديد، يظهر فيه التوثب الطامح للعقل فكان بحق شيخ الأصوليين فى التجديد وشيخ المجددين فى الأصولية. رفع شعاره الشهير والسديد:- «التجديد

بقتل القديم فهماً وبحثاً ودراسةً» ليبث أصول التجديد فى كل المجالات من اللغة ونحوها إلى النقد فى التفسير، والفكر الدينى. فالتجديد ينفصل تماماً عن مجرد إحياء ما اندثر أو إعادة قديم كان، بل الاهتداء والاجتهاد لاستخراج جديد لم يكن..

– وقد كان التجديد عند الشيخ الخولى جذرياً، جذريةً جعلته ينادى بالتجديد فى أصول الدين وفى العقائد ذاتها، وهذا أهم وأخطر ما فى تراث الخولى دعوته للتجديد فى أصول العقائد ذاتها. يقول الخولى فى كتابه «المجددون فى الإسلام»:– التجديد هو تطور والتطور الدينى نهاية التجديد الحق.. ويقول أيضاً: إنَّ التطور سنة شاملة والقرآن يقرر أنه بالتغير يعامل المتغير، ويستند الخولى على الحديث الشريف:– **«أن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»**.

إنَّ الاجتهاد فى تجديد الفكر الدينى هو الذى دفع الالمانى مارتن لوثر الذى أسس المذهب البروتستانتى متأثراً بابن عربى والغزالى وابن رشد، وهو الذى مارس ضغوطاً لطبع القرآن – فى «بازل» – بعد ترجمته بخمسة قرون فى عام ١١٤٤ إلى اللاتينية. ولكن الترجمة ظلت حبيسة، ومحظورة حتى جاء مارتن لوثر وطبع القرآن فى ألمانيا عام ١٥٤٣ ولقد رفض مارتن لوثر جبروت، وهيمنة الكنيسة، والتعصب الدينى، وممارسة الوثنية...

«مقدمة»

«العقيدة وأسلوب الدعوة»

إنَّ كلمة الدعوة تمثل الحركة التى يقوم بها الدعاة المسلمون خارج نطاق الحياة الإسلامية من أجل إدخال الآخرين إلى الإسلام الذى لا نلتمس حقيقته فى غير القرآن الكريم، فهو كتاب الدعوة الشامل وذلك بما احتواه من آثارها وأهدافها العامة بالمنهج الذى رسمه للداعية المسلم فى مجال الدعوة وتنظيم علاقات الإنسان مع أبناء جنسه حيث إن الدعوة تمثل تلك العلاقة التي تربطنا مع الآخرين والتي تقوم على أساس التسامح والعدل. ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[1] ..

ويقول الله تعالى فى سورة الحديد «الآية ٢٥»: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

- ويوجه رسول الإسلام محمد (ﷺ) المسلم إلى أن مدار العلاقات بين الناس إنَّما يكون بالحب والرحمة مراعاةً للرابطة الإنسانية ومدخلاً طبيعياً لقلوب الآخرين وفيه تماسك للنسيج البشرى وتآزر القلوب، وعلى هذا فعلى الداعى أن يستمد دعوته من القرآن والسنة، فالأسلوب هو الذى يجعلنا نتقبل الفكرة من شخص ونرفض نفس الفكرة من شخص آخر؟!.. فبينما يحسن شخص الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ بأسلوبٍ وفكرةٍ واضحة وحجةٍ دافعة نجد شخصاً آخر يسيء إلى الدين والدعوة بتعصب أعمى، إنْ كان بحسن نية وحباً فى الدين إلاَ أنه ينفر ولا ييسر كما جاء فى المصادر الصافية للقرآن والسنة، فالأسلوب الواجب اتباعه مع أهل الكتاب ليس البحث عن خصائص الافتراق بل الأسلوب العلمى الذى يحاول أن يبحث عن نقاط الالتقاء ويتلمسها ليدعو الآخرين للالتقاء على أساسها كقاعدة للانطلاق للبحث عن التفاصيل التى قد تكون مصدراً للخلاف فيحدث التحول عند المدعو، وهو تحول يكون بعد لحظة صدمة أو لحظة تأمل أو استبصار كتلك التى تهدى العلماء لنظريتهم أو المفكرين إلى أفكارهم.

---

(١) سورة النساء. الآية ٥٨.

إنَّ دراسة تاريخ الأنبياء فى دعوتهم إلى الله عزَّ وجلَّ وشريعته تمثل لنا التجارب الدينية الرائدة فى أسلوبها الواقعى، فنراها تنسجم إلى أبعد حد وتلتقى مع الخط العام لإسلوب الإسلام فى الدعوة. فلا نجد أمامنا العنف والشدة بل الرفق والتسامح والرحمة. ولك أن تقرأ قصة نوح - عليه السلام - مع قومه وإبراهيم وقومه فتجد أسلوباً يحاول إرجاع الإنسان إلى فطرته السليمة وهى الإيمان والتوحيد. وهذا هو الأسلوب القرآنى الذى وضع أمام الناس قضيةً أساسيةً فى مجال هدايتهم، ودعوتهم إلى الدين الحق وهى: أنَّ على الداعى أن ينطلق فى أسلوبه مع الأسلوب الذى يفتح قلوب الآخرين وأفكارهم على كلمة التوحيد.. فالإيمان بوحدانية الله عزَّ وجلَّ واليوم الآخر هما القاسم المشترك بين الأديان والرسالات جميعاً. إنَّ دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة تعنى الكلمة الواضحة المشبعة بالوضوح والأسلوب الهادئ الذى يوحى بالثقة ويدعو للتفكير الهادئ ويبعد عن الكلمة القاسية والأسلوب المتشنج الذى يوحى بالقلق، ويدفع إلى التحدى والمجادلة العقيمة..

يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِى الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادفَع بِالتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذِّىَ بيْنَكَ وَبينَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾(١)..

ويقول الرسول (ﷺ):- «يسروا ولا تُعسروا وبشروا ولا تنفروا».

ويقول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: المرء عدو ما يجهل..

- إذن فدور الداعى للمخاطب معه هو دور الرفيق به الناصح له الباحث عما ينفعه ويسعده. فالرفق فى الموعظة كثيراً ما يهدى القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ويأتى بخير من الزجر والتأنيب ويشعر الإنسان بإنسانيته ويشعره بأنه أمام دعوة تفيض بالحب والحياة النابضة والإيمان الخير..

- وعلى ضوء هذا نجد أن أسلوب الدعوة للسلوك الأحسن فى مجالات الدعوة هو جزء من الأسلوب العام للسلوك الإنسانى الذى شرعه الإسلام فى الحياة الاجتماعية، فمهمة الداعية هى تبليغ رسالات ربه للناس. هذا ما توحى به آيات القرآن الكريم ودوره هو دور المبشر والنذير الذى يبشرهم بثواب الله ويحذرهم من عقابه عزَّ وجلَّ. ويتركهم بعد ذلك فى التفكير فيما دعاهم إليه

(١) سورة فصلت. الآية ٣٤.

والتأمل فيما يشرهم به.. هذه هى مهمة الداعية الذى حصرها الله فى نطاق التبليغ، وهى من أروع الأساليب التى حددت للداعية مسئوليته المحددة، وليس من مسئوليته التكفير والتنفير. يقول الله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَىِّ..﴾(١).

لقد عنف أحد الدعاة الخليفة المأمون فقال له المأمون: يا رجل أرفق فقد بعث الله من هو خير منك موسى، وهارون إلى من هو شرٌّ منى – فرعون – وأمرهما بالرفق. فقال تعالى: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(٢)..

– وبهذا تكون هذه الآيات الكريمة توجيهاً إلى كل المسلمين فى كل العصور ويصبح لزاماً على كل داعية مسلم أن يحذر وسائل الإكراه، لا إجبار ولا قهر على أحد ليعتنق هذا الدين الواضح، وهو دين ليس فى حاجة إلى أسلوب الدعوة التعسفى المتسم بالإكراه لأن فى ذلك تعارضاً مع حمل الأمانة التى قبلها الإنسان عندما عرضها عليه ربُّه سبحانه وتعالى ليكون حراً فى إرادته وتفكيره.. فالإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين وإنما يأتى بمنافقين.

– كان الرسول (ﷺ) قد استنكر أن يقتل أحد الصحابة رجلاً بعد أن شهد ألاَّ إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. بحجة أن الرجل ينافق وأنه ما نطق الشهادتين إلا خوفاً من القتل. وقال المصطفى بحكمة من علَّمه ربنا وألهمه، مستنكراً: هلاَّ شققت عن قلبه؟! ولا يملك تلك القدرة إلا الله.. ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ﴾(٣)..

لقد كان هناك مبدأ يؤخذ به فى العصور الوسطى، وهو أن الجميع يُؤْخَذُون بذنوب الجميع، وهذا مناخ ينتفى فيه مبادئ حرية الضمير والمسئولية الفردية وتلك هى المبادئ التى أقام عليها الله تعالى فى كتابه الكريم نظامه للثواب والعقاب ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ﴾(٤) من تفسير ابن حزم والزمخشرى فلا شأن لأى كان بما بين العبد وربه ولا شأن لأى محتسب بكيفية إيمان الإنسان طالما أعلن عن إيمانه بالله واليوم الآخر. هذا هو نظام حرية الضمير ومسئولية الفرد أمام خالقه عن ضميره وهذا مبدأ الشريعة

(١) سورة البقرة. آية ٢٥٦.
(٢) سورة طه. آية ٤٤.
(٣) سورة غافر. آية ١٩.
(٤) سورة الإسراء. آية ١٣.

السمحاء. فالإيمان الصحيح كالعقل الصحيح سواء بسواء لا يزدهر إلا فى مناخ حرية التفكير، والتعبير، والبحث؛ والايمان الصحيح لا يتحقق بالتكفير، فالله تعالى وحده هو القادر على الشق عن القلوب. لذلك كان محور عمل الرسول (ﷺ) هو تحرير الإنسان من أغلال جمود التفكير، وتحريره من تقاليد العصبية ومعتقداتها وقيمها..

وقد جاء عنه (ﷺ): أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم وإنَّما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم. فنحن ننظر إلى القشرة والله ينظر إلى اللُّب.. وإنَّ طريق الدعوة نفسه، كان الرسول (ﷺ) يسير فيه معصوماً، وكل من يسير فى الدعوة على نسقه إنَّما يسير معصوماً بعصمة الرسول (ﷺ) التى منحها الله إياه، **﴿قُلْ هَذه سَبيلِي أدعُوْ إِلَى اللَّه عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبعَنَى﴾**(١)..

إنَّ الخطة للإسلام هى أن يشرح منهجه للعالم كله، وأن يقرأ كتابه، وأن يدع الناس بعد هذا البيان بكل حرية فى أخذه أو تركه. فالإقناع المجرد كان هو وسيلة الدعوة المحمدية وعلى هذا يكون الحوار بين الأديان بدل الصراع بينها هو مبدأ العقلاء والمتزنين يقول الله تعالى: **﴿وَلاَ تُجَادلُوا أَهْلَ الكتَاب إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**(٢).

هذا هو منهج الإسلام الذى يستمدُّ من القرآن المقروء، والكون وهو القرآن المنظور، والرسول (ﷺ) وهو القرآن الناطق الذى يدب على قدمين..

«أيديولوجيات وعقائد»

حول موضوع علم مقارنة الأديان الذى يعرف عند الغربيين باسم Comparative Religion جمعت المراجع التى رأيت أنها سوف تعينني على إثبات وجهة نظرى التى لا نرجو من ورائها بعث مجادلات دينية لا طائل تحتها وإنَّما لتتبع إحدى نواحى التفكير الدينى فى الثقافة العربية التى لم تبتعد عما دعا إليه الإسلام من توكيد مبدأ التسامح، وتوثيق مشاعر الألفة بين المسلمين والمسيحيين وإن كان بها بعض الثغرات سوف نحاول الإشارة إليها فى هذا البحث..

---

(١) سورة يوسف. آية ١٠٨.

(٢) سورة العنكبوت. آية ٤٦.

– ونشير الآن إلى أن آفاق البحث العلمى يجب أن تظل بمنأى عن الصراعات الطائفية. وأنّ هذه المجادلات كانت تجرى فى القديم بين المسلمين وأهل الذمة فى جو من السماحة، وحسن المعاشرة فيما بينهم، والذى يطالع القرآن الكريم، والسنة النبوية يجد من خلالهما دعوة للمودة الحانية على أهل الكتاب. وذلك كقوله تعالى:

﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم. وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُم وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

وقول نبى الإسلام (ﷺ): «من ظلم معاهداً أو كلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه».

وانطلاقاً من هذه التعاليم ازدهر علم مقارنة الأديان وألف فيه علماؤنا الأجلاء كتباً نضّرت وجه التاريخ.

– ومن أقدم الرسائل التى كتبت فى هذا المجال رسالة للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ أسماها «الرد على النصارى» وأيضاً المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ فقد أورد مبحثاً عن المسيحية فى كتابه الموسوم «بالتنبيه والإشراف».. ومن الكتّاب الإسلاميين الذين عرفوا بالدقة فى حكاية مقالات النصارى – أبو الريحان البيرونى الخوارزمى المتوفى سنة ٤٤٠هـ فقد قدم لنا معلومات مستفيضة فى كتابه: «الآثار الباقية عن القرون الخالية». يحدثنا فيه عن فرقة آريوس الذى كان رأيه فى المسيح أقرب إلى ما عليه أهل الإسلام وأبعد ما يقول به كافة النصارى على حد تعبيره.

– أما موسوعة القلقشندى التى تغرف «بصبح الأعشى» فلا ريب أنها تحتوى على كثير من المعلومات القيمة عن الديانة النصرانية.

– وهناك أيضاً رسالة الإمام أبى حامد الغزالى «الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل».

– وهناك كتاب مفقود للإمام أبى الحسن الأشعرى يدعى كتاب «الفصول» رد فيه – الأشعرى – على اليهود والنصارى.

---

(١) سورة العنكبوت. آية ٤٦.

– ومن الكتب القيمة أيضاً «الأجوبة الفاخرة» لأحمد بن إدريس القرافى المالكى المتوفى سنة ٦٨٤هـ. وكتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لتقىّ الدين أحمد بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

– وكتاب «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى» لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ. و«البدء والتاريخ» للمقدسى..

– ومن الرسائل الأخرى القصيرة التى كتبها الأندلسيون رسالة كتبها أبو القاسم القيسى فى الرد على النصارى. وهناك كتاب آخر لابن أبى عبيدة الأنصارى الخزرجى المتوفى سنة ٥٨٢هـ رد فيه على بعض القِسِّيسِين فى طليطلة أسماه «مقامع الصلبان فى الرد على عبدة الأوثان»..

فإذا ولينا وجهنا شطر الكتب الحديثة وجدنا العديد من المؤلفات التى تتحدث عن النصرانية، وتناقش عقائدها، وتؤرخ لها.. ولكن وسط الخضم الهائل من هذه المؤلفات يمكن أن نشير إلى الدراسة الجادة التى قدمها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه «محاضرات فى النصرانية»، وللمتخصصين كتاب العلامة رحمة الله الهندى «إظهار الحق» فهو من أحفل الكتب وأجلها التى ألفت فى عالمنا العصرى.، وما من باحث أو دارس إلا رجع إليه واستقى من فيض علمه وبحر معارفه..

– وفى الواقع إنَّ الخلاف فى مفهوم الدين عند أصحاب الديانات الثلاثة الكبرى ذات المنبع الواحد تصيب المفكر فى أمور الدين بما يشبه اليأس من إثبات أن الله عزَّ وجلَّ لم يَخْتَره ولم يفضل قوماً على قومٍ إلا بالإيمان والتقوى، فهناك تصور بدائى عند الكثيرين لمعنى الدين يشيع مفهوم خاطئ عنه، فالدين فى جوهره يحمل للناس كافة منهجاً إلاهياً شاملاً يقودهم إلى معارج النور والهداية، ومنابع الأسرار التى تدور حولها الحياة. يقول الله تعالى فى سورة لقمان «الآية ٢٨»: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

– ولكن من المؤسف أن كل فئة من أصحاب الديانات الثلاثة الكبرى تضفى هالات من التقديس، والمغالات غير الضرورية على عقيدتها بالإضافة إلى كثير من عقد الماضى، وقضاياه التى حولت الجميع إلى شراذم متناحرة فغاب

عنهم أن الحق المتطهر من التعصب، والتكبر والمغالات إنَّما ينبع من العلم والوعى الصحيح..

إنَّ الفجوة بين الأديان وحدود الإنسان، وأعماقه التى لا تزال بعد فى معظمها مغلقة على الفهم فى حاجة ماسة إلى فرز الرؤية الصحيحة لمفهوم العقائد الدينية، فنحن نرى أن كل النزعات المتطرفة الأصولية سواء كانت مسيحية أو إسلامية أو علمانية سببها سوء الفهم، وأحياناً سوء النية؟!.. والحقُّ أحقٌّ أن يتبع.

– وفى الواقع أن الحق واحد وأن الاختلاف فيه إنَّما هو من جهة السلوك إليه. على حد قول «ابن الهيثم».. والوصول إلى الحق لا يتحقق إلا بالعلم والفكر والتفكير، والملاحظات، والاستنتاجات، والبحث، والاستدلال. هذه هى الوسيلة لإزالة الظلمة المتكاثفة على العقل والاهتداء إلى نور الحق..

إنَّ الجدل، والمناظرات، والألفاظ المبهمة الغامضة لم توقظ العقول من غفلتها بل جعلت الحقيقة تبدو عزيزة المنال..

وإنَّ العقل وإنْ عجز عن اختراق حجب الغيب فإنه مع ذلك هو الأداة التى ترشدنا إلى وجه الحق فيما يتعرض لنا من أمور، ويستمد منه الهداية إلى الطريق المستقيم، ويفتح أبواب اليقين، وما فيه من حقائق، ووقائع تدل على قدرة الله عزَّ وجلَّ فى خلقه ويوصد كل أبواب الشك أمامه. والعقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس على حد قول «ديكارت». والعلم عطاء من الله لبنى الإنسان وهو من ثمار العقل الذى ميز الله به بنى آدم على سائر المخلوقات، والعلم بمفهومه الشاملْ هو معرفة الأشياء والسنن الكونية على الوجه الصحيح، وبمقتضى هذا الفهم ذكر القرآن الكريم هذه الآيات: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**(١) و**﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**(٢).

إنَّ ثلث آيات القرآن الكريم تدعو إلى العلم، والتفكر حتى أنَّ استخدام المنهج العلمى بل التجريبى هو شرط لأداء العبادات فى الإسلام، وفى عصرنا هذا يمثل العلم بناءً كاملاً منظماً يغطى مجالات واسعة من المعارف

(١) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

والمعلومات، فالعلم يشهد ثورةً علميةً وتكنولوجيةً فى كافة المجالات مثل الاكتشافات المذهلة فى أعماق الكون، والعالم المثير داخل نواة الذرة والتطبيقات العديدة لأشعة الليزر... إلخ. إنَّها قائمة بلا نهاية من العلوم تتجاوز قدرات وإمكانات البصيرة الإنسانية المحدودة.

– وقد فهم بعض الفقهاء مثل «ابن تيمية وأحمد بن حنبل» معنى العلم فى آيات القرآن الكريم وهو ما يقتصر على فقه الدين والشريعة والسنة، بل ذهبوا إلى أن أى استعمال آخر له هو من قبيل التجديف والكفر؟!..

– ولك أن تتصور مدى خطأ فهمهم لكلمة العلم فى الآيات القرآنية التى أشارت إلى حقائق، ومعارف باهرة فيما يعرف الآن بالإعجاز العلمى فيها، ونحن لا نذكر هذا انتقاصاً من قدر علماء أجلاء ندين لهم بالفضل، والعرفان، فقد وصف علماء الإسلام علم «ابن تيمية» ببحرٍ لا ساحل له وكنزٍ ليس له نظير. ولكن أردنا أن نقول إن موكب العلم لا يجب أن يتوقف عند شخص أو عصر امتثالاً لتعاليم القرآن الكريم الذى يحث على ارتياد آفاق العلم، ويضع العلماء فى أعلى منزلة.

– ولم يعرض علينا ربُّنا الاقتداء بأحد إلا برسوله البشير النذير (ﷺ) وما عداه فيؤخذ منهم ويرد عليهم، «وابن تيمية» نفسه القائل:– من تعصب لواحد من الأئمة بعينه فهو أشبه بأهل الأهواء ثم أن غاية التعصب لواحد منهم أن يكون جاهلاً بقدره فى العلم، والدين، وبقدر الآخرين فيكون جاهلاً ظالماً والله يأمر بالعدل، وينهى عن الجهل والظلم، وهو فى ذلك يمقت التعصب لرأى اجتهادى لأىّ من الأئمة ويوضح أضرار ذلك ومخاطره ويقول:– إنَّ الأحكام الأخروية الحكم فيها لله تعالى عند فصل القضاء يوم القيامة، ويوضح فى كتابه «الفتاوى» منهج الإسلام فى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر دون عنف أو إكراه أو افتئات على حق أحد، ونبه إلى أن السلفية لا تعنى أن تأخذ بأقوال السلفَ وإنَّما تعنى أن تأخذ بمنهج السلف ولذلك فقد كان «ابن تيمية» سلفياً وفى نفس الوقت هو إمام المجددين لأنه اختلف مع شيخه «أحمد بن حنبل»..

هذا هو الفقيه «ابن تيمية» نأخذ منه ونرد عليه عملاً بنصائحه. فالخروج

من هذا المعين الثابت الذى تركه لنا الأسلاف فريضةً واجبةً على كل مفكر مؤمن فهم ليسو أوصياء على الدين، ونحن لسنا قاصرين عاجزين عن الاجتهاد مثلهم:- كما قال «أمين الخولى» - شيخ الأصوليين - فى التجديد:- لهم عصرهم ولنا عصرنا نتعلم منهم ولا نحذو حذوهم النعل بالنعل..

- ويقول فرنسيس بيكون «١٥٦١ - ١٦٢٦» وهو أبو المنهج التجريبى العلمى الذى مهد له بالتحذير من أربعة أنواع من الأخطاء أو الضلالات المتربصة بالعقل البشرى لتحول بينه وبين سلامة الاستدلال المنهجى. أسماها بيكون «الأوثان الأربعة» والنوع الرابع هو الافتتان بأعلام الفكر السابقين.

- فالسلفية فى العقائد اليهودية والمسيحية والإسلامية أضفى عليها عند الجميع قداسة غير مستحقة لها والذى يتصل بها تعصب مقيت لبعض علماء السلف يوجد فيها تحيز أيديولوجى بلون دينى يهدف إلى تشويه الحقائق يأخذ بها أصحاب الثقافة الدينية الهامشية التى لا تفرق بين ما هو أساسى حقيقى وبين ما هو فرعى زائف ويعتبرون الذين كتبوا التراث معصومين.

- وعلى سبيل المثال، ففى تراثنا الإسلامى توجد ثنائية منابر الفكر الدينى، ونعنى بذلك الذين يعتقدون بصحة الديانة اليهودية والمسيحية يشيرون إلى ما أصابها من تحريف ولا يقولون ببطلانها، وهم فقهاء معتدلون فكرهم قائم بالقرآن والسنة..

- وهناك الذين يقولون ببطلان هذه الديانات ونسخها بالإسلام. وبين هذين اللونين من الفكر الدينى غاب المفهوم المتكامل، والتبسيط السمح للإسلام الذى يتجه إلى البشرية كلها ولا يركّز على شعب مختار وآخر لم يختره الله؟!..

إننا لا نفتقر إلى تمام امتلاك تلك الحقيقة فهى توجد فى القرآن الكريم والسنة الشريفة، ومن ثمّ تظل القضية علينا متمثلة فى السؤال التالى:- ما الطريقة المثلى التى تمكننا من إثبات تلك الحقيقة للآخرين وإقناعهم بها دون أن ننجرف إلى مزالق يهون إلّى جانبها تواضع معرفتنا باليقين، والحقيقة المطلقة التى تقع فى علم الله عز وجل؟

– الواقع أن ثمة مسلمات ينبغى أن تحكم الأمر بتمامه دينياً وعقائدياً وتجاهل أىّ منها لا يصادم الإيمان فحسب وإنّما لا يصدر إلا عن اضطراب فقهى يؤدى إنْ عفواً وإنْ قصداً إلى الإضرار بعقل المؤمن ووجدانه. «المسلّمة الأولى» التى نرى أنها ينبغى أن تحكم الأمر كله هى مفهوم الإيمان. وتلك المسلمة بمثابة لب اللُباب والجوهر الذى يتعين أن نتخذ بالقياس إليه موقفاً من صاحبه.

– فالدين والايمان بالله واليوم الآخر وجهان لوجود الإنسان، وهما ليسا مجريات أو مطلقات وإنّما يتجسدان فى الكتب السماوية، وعلوم التاريخ، والتراث الذى يتبلور فى كل جوانب الفكر الدينى. هذا فضلاً عما يترسخ عبر الزمن فى كيان بيئته من معارف أو أيديولوجيات.

– ففى الوقت الذى نؤمن ونقرّ فيه بالوحدانية لله عزّ وجلّ وبأهمية التوحيد فى جميع العقائد الدينية. لا نقرّ ولا نؤمن بنسخ الديانات لبعضها البعض، ولا يخفى على المتأمل ما فى ذلك النمط الفقهى من شطط عن جادة صواب حقيقة الدين بما لا يضفى إلا الخسران المبين. فالمحصّلة المنظورة لذلك أن يتشكك المؤمن فى إيمانه، وفصله عن جذوره، ومكونات كيانه حين نحول إيمانه إلى كفر بدلاً من أن نمد جسور الإيمان بين الجميع. وبدلاً من عوامل المسخ والتصدع والاستلاب العقائدى يكون نمط تصحيح الخطأ القائم على التفاهم دون تجنب الأصل أو يطغى الإقناع على الإيمان وهو الجوهر والهدف.

– «والمسلّمة الثانية» هى أنه على الرغم مما بين الأديان من فروقات أساسية، وثانوية فإن بينها فى الوقت نفسه قدراً من التشابهات والعوامل المشتركة يتيح للمؤمن أن يطلع، ويستوعب. وهو أمر ينفى أى تنافر بين ترسيخ أسس العقيدة الأصلية وبين هضم واستيعاب عقيدة الآخرين، على أن المحك الأهم فى الأمر كله هو الحرص البالغ على الإيمان بالله واليوم الآخر يقول الله تعالى فى سورة النساء «الآية ٩٤»: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾..

«مصادر عربية»

إنَّ معرفة الوحى الإلهى هى أساس، وأسس مصادر المعرفة، وهى مصدر فريد لا يصل إليه الإنسان بالتعليم واكتساب المعرفة. وهذا النوع من المعرفة يتميز باليقين الذى لا يحتمل الشك أو التغير ولا شأن له بالعلوم المادية، وهذه هى هبة من الله عزَّ وجلَّ يمنحها، ويخص بها من يشاء من عباده.. إذاً فالعقيدة الدينية لا ترتكز على الحواس والعقل فحسب فهما لا يكفيان للوصول إلى الحقيقة الإلهية الكبرى والسبيل إلى معرفة هذه الحقيقة الإلهية هى الوعى الذى يجعلنا نحيا وننفذ إلى أعماق هذه الحقيقة..

– والوعى هو أن يكون جهاز الاستقبال عندنا مفتوحاً دائماً. تقول الآية الكريمة من سورة «يس الآية ٧٠»: **﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**.. أى الاتصال بالعقل الفعال كما يقول «الفارابى» – صاحب نظرية «المعرفة الإشراقية» – أن يصبح الإنسان فى حالة تقبل للمعلومات الجزئية الغيبية وتكون النفس بمثابة المرآة ينعكس عليها كل ما عند الملأ الأعلى أو ما فى نفوس الملائكة، فيكون ذلك الشخص بما يفيض من العقل الفعال إلى عقله المنفعل حكيماً أو فيلسوفاً، ويقول «الفارابى»:– إنَّ العقل الفعال هو «جبريل عليه السلام».

«قضايا عقائدية»

إنَّ البحث الذى نقدمه هنا يحدد عدة محاور تستند على المبادئ الواقعية لمفهوم الدين والعقيدة فى الكتب السماوية أول هذه المحاور:

١– أن الانسان سوف يحاسب أمام الله عزَّ وجلَّ على أعماله، وبغض النظر عن عرقه أو جنسه أو لونه أو دينه ويقول الله تعالى فى «سورة الكهف الآية ٧»: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**. ويقول تعالى فى «سورة الملك الآية ٢»: **﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ والْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾**. ويقول عز وجل فى «سورة يس الآية ٥٤»: **﴿فَالْيَومَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**.. والآيات التى تحمل هذا المعنى كثيرة فى القرآن الكريم، ويرتبط بهذا المحور مفهوم

تفاضل الناس بعضهم على بعض ونبذ العنصرية، فالدين ينظر بعين المساواة إلى الجميع ويرفض كل أشكال التعصب بين بنى البشر، والبعد عن الصلف، والغرور، والغلو فى العقيدة الدينية فشجرة البشرية أصلها آدم عليه السلام والجميع فروعها نسيجاً واحداً من صنعة الله تعالى الذى يقول لنا فى «سورة لقمان الآية ٢٨»: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَة. إنَّ اللَّه سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. فالتفرقة، والتميز، والتمزق فى هذا النسيج ناتج عن الأيديولوجيات الوضعية وسوء فهم العقائد الدينية التى جاءت لتؤلف بين الأجناس البشرية المتنافرة، وتعلمهم حق المساواة فالناس جميعاً سواسية ولهم حق الحرية الدينية لكل شخص حرية الاعتقاد والعبادة وفقاً لمعتقده.

٢- المحور الثانى هو اهتمام الإسلام بالإنسان وبكل ما حوله من الكون ونظم كل جوانب الإنسانية وعلاقاته تنظيماً دقيقاً مثالياً لم ترق إليه النظم، والمبادئ التى وضعها البشر سواء ما كان منها متصلاً بمجال علاقة الأفراد بعضهم ببعض أو بين القواعد الكلية التى يمكن أن يندرج تحت حكمها ما لا يحصى من الوقائع، والجزئيات التى تجد، وتشترك معها فى علة حكمها، ولم يترك الإسلام جانباً إلا بينه إما ببيان من القرآن الكريم وإما بالسنة النبوية الشريفة.

ولقد خلق الله عزّ وجلّ الانسان وكرمه، وجعله خليفته فى الأرض، ولكن الإنسان لا يقدِّر هذا التكريم ولا يرى أنَّ له حقاً على أخيه الإنسان فهو يجرده من إنسانيته ويجعله فرداً بلا قيمة إذا اختلفت عقيدته مع عقيدة أخيه فى الإنسانية، ونحن لا نرى أن علم مقارنة الأديان، والمناظرات التى تمت بين علماء الدين قد غيرت كثيراً أو قليلاً فى وجهة نظر أو عقيدة الطرف الآخر، حيث يدخل كل مناظر المناظرة، والافتراء والتطاول عدته وأدواته يبرر ويعلل مبادئ عقيدته بافتراءات يشيب لها الولدان، فمن عجب العجاب أن يستشهد رجل الدين المسيحى بالقرآن والسنة ليثبت وجهة نظره وهو لا يؤمن لا بالقرآن ولا بالسنة ولو آمن لأسلم؟!..

- ونفس الشيء ينطبق على رجال الدين والباحثين المسلمين فهم يؤمنون بالتوراة والإنجيل التى أنزلت على «موسى وعيسى» - عليهما السلام -

ويعتبرون النسخ المتداولة الآن باطلة محرفة نسخت بنزول القرآن، ورغم هذا يستشهدون بها لإثبات وجهة نظرهم؟!.

- والحقيقة التى نجدها فى روح الثقافة الهندية البرهمانية تعاليم للوصول بالوجود الإنسانى إلى أرقى مستوياته، وهى التعاليم التى امتزج فيها تراث فيدا ويوذا وبرهيما، وهى تعاليم لم تتخل عن العنصر الإلهى أو الروحى كما يعتقد العامة من الناس ولكنها تنطوى على رؤية سامية للوجود الإنسانى ومعناه وهدفه، ولكن ما حدث لهذه الديانات من تدخل بشرى أفسد منبعها الأصلى كما سوف نرى..

- إننا فيما نتحدث عن العقائد الدينية يجب أن نقول حقاً وصدقاً ونشهد عدلاً وإنصافاً شهادةً مجردةً من الأحقاد أو الأباطيل، والافتراءات، والكذب على الله والناس، يجب أن ننظر إلى الأديان السماوية جميعاً بكل الاحترام والتوقير والإخاء الإنسانى كما أمرنا الله عزّ وجلّ ورسوله (ﷺ).

- أما حين تحيد المقارنة والمناظرة عن أمر الله وسنة رسوله فإننا لا نملك ولا نستطيع السكوت على المغالاة والزيغ عن الحق فى الدين، ونحن نتعرض لهذه القضية حرصاً منّا على سلامة العقيدة، والحق ولا نريد أن ننأى عن الحق ونترك المحجة البيضاء، ونتبع الطرق المتشعبة، والمسالك الوعرة، ونعمل بقول الله تعالى فى «سورة آل عمران الآية ١٠٤»: **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**.

- إذاً لا يجب أن نسمح لأنفسنا بتكفير أهل الكتاب - أهل الذمة - ووضعهم فى مصاف الملحدين الذين طبع الله على قلوبهم، وأسماعهم فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر منها خلاص، وجعل على أبصارهم غطاءً فلا يبصرون سبيل الهدى، وشتان بين الملحدين وبين المؤمنين بالله واليوم الآخر ويخافون الله ويسارعون بالخيرات..

- والواجب هو معالجة هذه القضية بحكمةٍ وإدراكٍ مستنير، والإحاطة الكاملة بما هو حق وما هو باطل، ونبذ العصبيات الضيقة بالثوابت ونقدها بنزاهة، وبعيداً عن المجازفة، والانفعال، والعنف، والإشفاق.

- لقد أثبت علماء مقارنة الأديان أن التوراة والإنجيل بهما أخطاء

وتحريف، وهذه حقيقةٌ نقرُّ ونعترف بها، ولكن لماذا لا ينصف علماؤنا أهل الكتاب، ويظهرون كل ما فى التوراة والإنجيل من حق، وصدق، وصواب وما يتفق مع تعاليم ديننا الحنيف؟.

- إنَّه من الخطأ الفادح أن نعتقد أن رسالات «موسى وعيسى» - عليهما السلام - قد أخفقت تماماً، وأن الإسلام جاء لنسخها إنَّ هذا غير وارد فى القرآن ولا فى السنة النبوية، ولكنه وارد فى عرف بعض الباحثين فى مقارنة الأديان..

- إنَّ الذى أرسل محمد (ﷺ) بدين الحق يعلم أن الإسلام سوف لا يدخل قلوب وعقول أهل الكتاب جميعاً. لذلك كانت تعاليم السماء لخاتم النبيين (ﷺ) عدم إكراه أهل الكتاب على الدخول فى هذا الدين القيِّم بعد ما تبين لهم فى قرآنه الرشد من الغيِّ وقال لهم:- ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ «الكهف الآية ٢٩»..

إنَّ حرية العقيدة الدينية قد تقررت منذ البعثة المحمدية التى أوضحت أن الدخول فيما يجب أن يكون عن رضا واقتناع واختيار ولكنها لا تقر الإلحاد لتنافيه مع الفطرة الإنسانية وأن التعليمات الحاسمة فى الإسلام هى أن الرومىَّ والفارسىَّ والزنجىَّ والعربىَّ لا يتفاضل بشىء فالله واحد، وجميع البشر خلقه، وعبيده وأنهم سواسية لا فرق بين إنسان وآخر فلا فضل لعربىٍّ على عجمى إلا بالتقوى وأن شجرة آدم - عليه السلام - هى أصلنا الذى انبثقنا منه، وفرعنا الذى نمتد معه، بهذا المفهوم وحده يجب علينا أن نخرج من دائرة الدفاع الجدلىِّ وتزييف الحقائق ونتخذ سبيلنا إلى التميز الحقيقى بين التعصب للعقيدة وواقع ما جاء فى الكتب السماوية.. إننا نتوجه بهذا الحديث إلى كل متعصب لعقيدته الدينية فالتعصب هو آفة الأديان يجب استئصال شأفته أما الاعتدال فهو شيمة أولى الألباب الذين يزنون الحق بعقلٍ منصفٍ، ونظرٍ ثاقبٍ، فالعقول الذكية وحدها هى التى تستطيع اختراق أسرار الكون ومعرفة آيات الله عزَّ وجلَّ فى شتى الأمكنة والأزمنة. يقول الله تعالى فى «سورة البقرة الآية ٢٦٩»:- ﴿يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾..

- إذن فالواجب المنوط بالعقل أن يمحّص كل ما يعرض عليه من أفكار، وآراء وكل موقف يشل سلطان العقل عن النفاذ إلى الغاية العليا واليقين ... اليقين الذى تنتفى معه الظنون، و يظهر الأدلة الحاسمة وأن طبيعة القرآن نفسه اشتملت على دواعى التفكير العقلى الإنسانى حتى صارت من ضروريات العبادة فى الإسلام..

- إنَّ كاتب هذه السطور لا يلتمس الأعذار لأهل الكتاب ولا يزكيهم على خالقهم ولا يلتمس للمذنبين الثواب ولكنه يقدم - نقداً ذاتياً - لكى لا نغالى ولا نتفاضل ولا نتعالى بديننا على الناس كما يفعل البعض من أهل الكتاب.

- إننا نعلم أن التوحيد هو جوهر الإسلام، ومظهره ودعامة التعاليم التى جاء بها، ومعقد أصوله وفروعه، ونعلم أيضاً أن رسل الله - قاطبةً - بعثوا بهذا الإيمان الخالص وجمعوا الناس عليه، وحذروهم من كل شائبة تعكر صفوه وتطفئ رونقه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ «الأنبياء ٢٥».. غير أنَّ جماهير غفيرةً من البشر أبت إلا أن تزيغ عن هذا الصراط فظلموا رسالتهم الجليلة بما شابوا به عقيدة التوحيد، وبما أقحموه عليها من بدع وخرافات والله جلَّ شأنه يقول:- ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ﴾ «البقرة ١٦٣».. وهؤلاء الذين قال الله عزَّ وجلَّ فيهم فى «سورة إبراهيم الآيات ٢٨ إلى ٣٠»:- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ. وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ. قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

- ونحن لا نملك لهم بعد كلام الله البليغ فيهم إلا أن نجادلهم بالحكمة، والموعظة الحسنة، فبالكلمة الطيبة سوف يدخل الإسلام كل بيت وتقام دولة الخلافة، وليس بالسبِّ والتكفير ينتشر الإسلام يقول الله تعالى فى «سورة إبراهيم الآيات ٢٤ - ٢٥»:- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا. وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

هذا كلام الله، أما كلام رجال الدين فهو لا يرضى الله ولقد سمعت في يوم واحد حديث لواعظ مسيحى يغالى فى دينه ويقول:- إنَّ ديننا متميز فهو ليس كالبوذية والإسلام؟!.. وقد سوى فضيلته بين عقيدة وضعية، ودين منَّزل على رسولٍ كريمٍ، ولا يصدر هذا الكلام إلا عن جهلٍ بالرسالة الخاتمة للرسالات السماوية، فاستغفرت الله لى وله..

وفى نفس اليوم سمعت من شيخ فاضلٍ يشرح الآية الأخيرة من سورة الفاتحة ويقول: أما المغضوب عليهم فهم اليهود والضالين هم المسيحيون؟. وقد سوّى فضيلته بين الصالح والطالح من أهل الكتاب، وهذا مثل واحد من الافتراءات التى يعتبرونها رجال الدين، والدين منهما براء حيث إنها لا تجلب غير العدواة والبغضاء بين الناس كالشجرة الخبيثة ما لها من قرارٍ.

يقول فضيلة الشيخ الغزالى: أن الوحىٌ الآلهىٌ يشبه المطر النازل من السماء نقياً من عند الله فإذا شقَّ طريقه فى الأرض اختلطت به الأتربة والأقذار.. فشتان بين تعاليم السماء وشرح رجال الدين لهذه التعاليم.. إننا نجد فى كل دين رجالٍ صدقوا ما عاهدوا الله عليه. ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ «سورة النور. آية ٣٧».

﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ «سورة الأنبياء الآيات ٢٨، ٢٩».

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «سورة السجدة الآيات ١٦، ١٧»..

«جذور العقائد»

إنَّ العقيدة الدينية تضرب بجذورها فى أعماق الإنسان نفسياً، واجتماعياً، وتاريخياً، وعليه يجب أن يدرك بوعى العلاقة العميقة بين الإنسان وعقيدته، وما بها من خصائص وخصوصية، وتأثير البيئة عليه.

- فالأسرة التى ينشأ فى ظلالها الإنسان تملى عليه عقيدته سواء كانت

صحيحةً أم باطلةً، وتنقل إليه موروثات الآباء والأجداد والأهل جميعاً.. إنه إرث يرثه الإنسان عن والديه وتقاليد البيئة، يؤدى طقوسهم، وشعائرهم مترسماً خطى أجداده. إنه إطار أيديولوجى يدور داخله صاحب العقيدة محاولاً تجاوزه إيثاراً لنمط أيديولوجى آخر لا يرضى عقله، ولا قلبه، ولا يستطيع أن يتقبله بسهولة.

إنَّ العقائد لا تنتزع من النفوس انتزاعاً ولا تستل من القلوب لأنها تستمكن منها وتستقر فى ثنايا النفس لأن العقائد تتصل بالنفوس، والأرواح فمحاولة الإقناع والتأثير بالحجة لا تجدى إلا إذا أرادت النفس من داخلها ذلك التغيير. إنَّ الأحوال لا تتغير فجأةً بل إنها كما يقول لنا ابن خلدون فى مقدمته:— «إذا تبدلت جملةً فكأنما قد تبدل الخلق من أصله، وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد»، وهذا ينطبق على الفرد، والأسرة، والمجتمع.

— ويرى علماء الأديان أن الدين الإلهىّ غير الوضعى له خصائص.. منها الثبات وعدم القابلية للتغير، ولا تصنعه الجماعة، فالإنسان فى نظر علماء الأديان يوصف بالثوابت الفطرية.

— ويتفق هذا التحليل العلمى للنفس البشرية مع قول الله تعالى فى «سورة هود الآية ١١٨»: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً. وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

وأيضاً فى «سورة يوسف الآيات ١٠٣ و١٠٦»: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.. ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾..

— والعقيدة كما نعلم ليست كالأشياء الأخرى التى نتعلمها، والخبرات التى نكتسبها فى حياتنا ولكنها شىء يمسُّ الروح ويتمكن من النفس. والنفس الإنسانية — ذات — لا يمكن التأثير عليها بفكرة فتغير ما رسخ فيها منذ الطفولة، ولا يرى علم النفس إمكاناً لتبديلها أو تغيرها جوهرياً، لأن النفس تأخذ شكلها النهائى فى السنوات الخمس الأولى من الطفولة، والنفس تستخفى وتتنكر بما تطرح فى الظاهر من ردود أفعال سلوكية وهى لا تعطى سرها أبداً حتى صاحبها إذا بدأ يتدبرها فى فكرة أو موضوع محاولاً اقتحام ما رسخ فيها من عقائد استعصت عليه، وتفلت منه بمجموعة من البدائل الخادعة ويظل دائماً بين ما ترى منها فى الظاهر ومن حقيقتها كالفارق الهائل بين الجسد الظاهر والروح التى تسكنه.

- ويخطئ من يتعامل مع النفس الإنسانية على أنها شيء يمكن اقتحامه لذلك نجد النفس تتبع خطةً محتومةً لا تنحرف عنها قط لا يجدى معها جدل أو مناظرة. وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة «يس الآية ١٠»: **﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**.

- وفى حالاتٍ نادرةٍ نجد إنساناً ذا نفسٍ وعقليةٍ محللةٍ تبحث عن الحق فى تجرُّد مطلق بعيداً عن كل المؤثرات المكتسبة طالباً الحق لذاته، ويعود لفطرته. وصدق رسولنا (ﷺ) القائل:- «**كل مولود يولد على الفطرة**» وهذا الصنف من الناس يكون الإيمان عندهم وليد براهين حاسمة لا وليد حدس مريض أو بعض المشاعر الوجدانية الموروثة، ويفهمون أن المعنى الحقيقىّ للدين هو أن يكون الإنسان دائماً فى أرقى وأزكى أحواله له قلبٌ سليمٌ مستقيمٌ، ويفهم بالعقل الذكى الحصيف أن الأديان السماوية كلها من عند الله لا ريب عنده أن هذه الأديان فى أصلها ذات منبع واحدٍ تتلاقى جميعاً على معانى الحق والخير بلا أدنى خلاف، فالتفاضل بين الأديان السماوية هو تفاضل بالكم والكيف لا فى الجوهر. ولقد قضت الفطرة منذ الأزل بأن طبائع النفوس السليمة تحرص على الحكم بالعدل والمساواة بين الأخوة فى الدين والأخوة فى الإنسانية. وهكذا تعلمنا الأديان أن الرحمة والمودة وحسن المعاملة يجب أن تسود بين بنى البشر جميعاً وأن التفرقة بين الناس على أساس العقيدة أو الجنس أو اللون ليس من الدين فى شيء، ولكن التفرقة يجب أن تكون بين أناس تخفى تحت طباعهم الشر ويكونون سبباً فى عذاب الآخرين وتكون التفرقة، والشقاق، والنفاق، وسوء الأخلاق صفاتهم ومبدأهم، وبين أناس صفاتهم الوفاق، والألفة، والمحبة، وكريم الأخلاق تفيض فى قلوبهم الرحمة ويسخّرون عملهم وعلمهم لكل ما هو مفيد.. فهل يستوى أناس أحسنوا إلى البشر وأناس روعوهم وعاثوا فى الأرض فساداً؟.. وهل يشفع لهم دينهم إذا كانوا مفسدين؟..

- وعلى هذا، فعلينا أن نحتكم إلى العقل ومكارم الأخلاق التى تدعو إليها كل الأديان فى جدلنا مع غيرنا من المخالفين فى قضية الوحدانية المبرأة من كل شوائب الشرك الخفى، والجلى، ويجب أن نستنبط وجوه الحكمة عن طريق العقل وأن نخاطب الناس على قدر عقولهم. فالعقول تختلف قوةً وضعفاً

فتصيب وتخطئ، ولكن فى كل الأحوال يجب أن نكون من الذين يتفكرون ويعقلون ويفقهون..

– وعموماً مهما بلغت مدى ثقافة الإنسان واتسعت دائرة معارفه فهو قاصرٌ عن إدراك حقائق الأمور بصورةٍ شموليةٍ ولا يرى ما يراه ويريده الخالق عزّ وجلّ لمخلوقاته. ويستوى فى هذا القصور طالب الحق والمدافع عن باطل؟!..

– ويظهر هذا القصور وافتقاد هذه الشمولية والنظرة الواسعة الكلية فى بحوث مقارنة الأديان، فالكثير من هذه البحوث تحتوى على عَسف فى الأدلة وتزييف فى البراهين، فترى أن كل فريق قد اختاره الله على سائر البشر يكفرون بعضهم البعض ويزكون أنفسهم على خالقهم بحق أو بدون وجه حق، فالسخرية، والتحقير وادعاء الإحاطة بالأدلة على مقارعة الحجّة بالحجّة لا يصدر إلا عَمَّنْ اغتر بالقليل من المعرفة والتذرع بها إلى الزيغ ولا يرغب عن التحنط والتحجر والانغلاق بديلاً، ولا يصدر أيضاً إلا عن سوء فهمٍ للكتب السماوية وعن تخليط سمجٍ لمعنى الدين بتضييق رحاب سماحته الواسعة على المؤمنين بنظرةٍ حبيسةٍ فى نطاق التعصب الأعمى، وإذا كان هذا النقد جارحاً وعنيفاً إلا أنه ليس موجهاً إلى أصحاب عقيدةٍ بعينها ولكنه موجه إلى كل متعصبٍ لعقيدته فى كل الأديان. حيث إن التعصب ليس من الدين فى شىء ولكنه الوجه القبيح للعقائد الدينية.

– ونرى أن البحث فى مقارنة الأديان يجب أن يتم فى حيدةٍ منزهةٍ، وموضوعيةٍ متعمقةٍ وتكون لوحة بانورامية تعكس الحقيقة الكلية المتكاملة للمضمون الذى ترتكز عليه الأديان فى قيمتها ومبادئها وتعاليمها السمحة وتبرئة ساحتها من كل ما ينسب إليها زوراً وبهتاناً فى إطارٍ كاملٍ وشاملٍ شريطة تحاشى التشنج، والانفعال، والرؤية المتقلقلة، والمتحجرة التى كثيراً ما تزيد سيئاتها عن حسناتها لكى لا يكون الدين مع سمو جوهره، وحقيقة مصدره قضايا كلامية لا يبررها منطق، ولا يساندها إيمان، ولا يقبلها عقل، إنّ البحث العلمى لا دين له ولا وطن بمعنى أن الحقيقة يجب أن تفرض نفسها على أى باحثٍ فهو يجب أن يكون منصفاً وموضوعياً تبعاً للحقيقة، ولا يخضع الحقيقة لهواه ينشد الحقيقة لتظل هى الأبقى ونعمل بالحكمة القائلة:– «طوبى لمن

شغلته عيوبه عن عيوب الناس»، ونرى بعين عيوبنا وبالأخرى محاسن الناس. ونعمل بقول الرسول (ﷺ) :- «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»، ونعمل بقول الله تعالى في «سورة الغاشية الآيات ٢١- ٢٢»: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ وفي «سورة ق الآية ٤٥»: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾..

إننا إذا أردنا تقديم الإسلام بديلاً حضارياً يجب أن يوجد على الساحة علماء يستطيعون تقديمه بطريقة عصرية يحتكمون بالضمير المبرء من التعصب، والتحيز، والانفعال. حيث إن تغير الاتجاهات الفكرية يحتاج إلى الحوار العلمى الهادئ والرزانة، وبعيداً عن المجازفة، والعنف، مع الإشفاق على الذين يجهلونه.

إنَّ معرفة الله عزَّ وجلَّ ووحدانيته المستنبطة بدلائل علم الكلام أو أى علم آخر ليست هي المعرفة الكاملة ، ولا تورث الاطمئنان القلبىَّ، فهى علوم ناقصة، ومبتورة بالنسبة لنفسها أمام المعرفة القرآنية..

- أما المعرفة المستقاة من القرآن الكريم فتمنح الحضور القلبىَّ الدائم وتجعل من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية التى نرى فيها أن الأعمال الصالحة التى يسبقها الإيمان بالله، واليوم الآخر هي التى سوف يحاسب عليها الناس -كل الناس - على اختلاف عقائدهم، ويؤتى كل ذى فضل فضله، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، يقول الله تعالى: ﴿**وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(١). ويقول تبارك وتعالى أيضاً: ﴿**وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(٢).. هذا إقرار من الله عزَّ وجلَّ لا مكان فيه للتسامح أو التعصب، وقد قال سيدنا «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه: « والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة».. فعلينا أن ندرك أن الأعمال هى أساس الإيمان، وعلينا أن نترك التصور المنقوص الخاطئ للدين، والاستشهاد ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى غير ما يقصد منها، فحين وضع علماء الحديث أصول علومه حذروا من أصحاب الأهواء. ويحذر

---

(١) سورة النحل. الآية ٩٣.

(٢) سورة الصافات. الآية ٣٩.

الإمام «مالك» من الأخذ عن - صاحب هوىً يدعو إلى بدعة، ويحذر «بيكون» - أبو مناهج البحث العلمى - من السقوط فيما يسميه «أوهام الكهف» فلكل إنسانٍ كهف خاص به يعمل على كسر أضواء الطبيعة وتغير ألوانها، وسوف نرى كيف يتجسد هذا المثل فى سردنا للديانات القديمة. وسوف نرى كيف حوّل رجال الدين فى تلك الديانات عقيدة التوحيد الأولى إلى عقائد شرك، وإلحاد، وجاءوا ببِدعٍ ما أنزل الله بها من سلطان..

«الديانات القديمة»

يقول الله عزّ وجلّ فى سورة «لقمان الآية ٢٨»: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

وهكذا يؤكد لنا القرآن الكريم، والعلم من بعده بأن بنى البشر جميعاً ذات نسيجٍ، وأصلٍ، ومنهجٍ واحد.. فكيف والأمر كذلك أن الذى خلقهم وهو الذى كتب على نفسه العدل والرحمة أن يخص قوماً بنعمة الدين والرسالة السماوية ويحرم قوماً آخر منها؟.

- لقد بسط الله عزّ وجلّ رحمته على عباده منذ فجر التاريخ بأن أرسل إليهم الأنبياء والرسل هداةً يمثلون أسرةً واحدةً. من أخصهم وأعظمهم «آدم، ونوح، وإدريس، وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمد» عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام، تلك الرسل والأنبياء جاءوا ليقيموا منار الهدى، وينعشوا روح التعاليم الإلهية، وينقذوا التوحيد من براثن الشرك، ويبثوا الطمأنينة فى قلوب الناس ونشر الحب والسلام بينهم.

- وغير هؤلاء الرسل والأنبياء فقد ظهر حكماء وضعوا نواميس هى فى عرف أصحاب الديانات الثلاثة الكبرى نواميس وضعية، وفى عرفنا المألوف أنه وحيٌ غير مباشرٍ تنزّل على هؤلاء الحكماء كما سوف نثبت هنا إنْ شاء الله..

وكما يقال:- «كاد الحكماء أن يكونوا أنبياء»، ومن هؤلاء الحكماء «كرشنا، وبوذا، وهرمس، وزوروستر (زردشت)».

- كانت ومازالت تعاليمهم، ومبادئهم قريبة إلى حدٍ كبيرٍ من الديانات

الثلاثة الكبرى.. تعاليم تُرَقِّى الروح إلى معارج التقديس، والتطهير، وتصفيتها مما يشوبها من خبائث الصغائر الأرضية، سوف نحاول هنا أن ننفض عن حقيقة هذه الأديان القديمة غبار السخرية، والازدراء، والافتراء، ونظهر كيف أن ما أصاب هذه الديانات من تحريف، وتخريف هو نفس ما أصاب الديانات الثلاثة الكبرى على أيد كهنتهم.

- المعتقد والمتفق عليه بين العامة، والخاصة من أهل العلم أن هذه الديانات لم تأت إلى أهلها عن طريق رسول أو وحى من السماء ولكن هو النقاء الفطرى الذى فطر عليه الإنسان من توحيد الله عزّ وجلّ وعدم الشرك به، ونحن نعتقد عكس ذلك، فالتعاليم السماوية واضحة فى هذه الديانات وتنطوى على كل مقومات العقائد السماوية، ثم دخلت فى طور الانحدار وما أحدثه الكهنة والقواد الروحانيون من بدع ورموز، وطقوس حوّلت العبادة فيها إلى شركٍ وإشراك، وسوف نتناول هذا الموضوع بتفاصيل أكثر فيما سوف نستقبل من حديثٍ إنْ شاء الله، ولكن ما نحب أن نؤكده هنا ألا دخل ولا علاقة بين ديانة قدماء المصريين، والديانة البرهمية، والبوذية، والوثنية الكلدانية، والفارسية، واليونانية، والرومانية.. فالكلدانيون هم معلمو الوثنية الحقيقية فى الشرق وقد برعوا فى علم الفلك، والسحر، والشعوذة، وقد جعلوا لكل واحد من الكواكب السيارة صنماً أكبرها وأهمها عندهم بعل أو آمون إله الشمس. وعشتروت أو إيزيس إله الجمال، وهورس إله الخصب، والنماء، وهذه الآلهة هى التى حطمها سيدنا إبراهيم عليه السلام..

أما الفارسية أو «المجوسية» فقد عبدوا أول أمرهم قوى الطبيعة كالشمس وآلاف الموجودات التى تتمثل فى مظاهر الطبيعة، ثم تطورت عبادتهم إلى عبادة إلهين «مزدا - إله الخير» و «إهريمان - إله الشر»، ثم تطورت العبادة إلى مجوسية مطلقة تحولت من عبادة مزدا إله النور إلى عبادة النار إهريمان إله الشر..

أما الديانة اليونانية فالقارئ لأشعار هوميروس وهزيود يخرج منها بطبيعة إله اليونانيين.. وكان الفلاسفة من أمثال «طاليس، وفيثاغورس، وسقراط، وأفلاطون» كان هؤلاء الحكماء يعرفون الكثير عن حقيقة العقائد الدينية وتستروا على الكثير منها خوفاً من أن يكون مصيرهم مصير سقراط الذى حكم

عليه بشرب السُّم، ومات شهيد الجهر بالحقيقة، فقد أفشى أسرار الوحدانية وخلود الروح فاعتبروه كافراً بالآلهة؟!..

– أما الديانة الرومانية فهى وليدة الفلسفة اليونانية إلا أنها تغالت فى شأن تأليه الأخلاق، والفضائل، ولم تعترف بوجود إله أو آلهة وإنما كان جلُّ همهم أن يلقنوا أبناءهم الأخلاق، والفضائل منذ نعومة أظفارهم..

– وقبل هؤلاء جميعاً انحرف المصرىُّ القديم فى عبادته تحت تأثير الكهنة والتعاليم المبتدعة. وظل المصريون على مر السنين يستحدثون أسماء وآلهةً وتطورت الديانة المصرية التى أتى بها «إدريس» – عليه السلام – إلى عبادة النار، والنجوم والكواكب، والظواهر الطبيعية.

«ديانة قدماء المصريين»

إنَّ الحقيقة التى نلمسها فى تاريخ كل الأمم والشعوب هى أن رسالة السماء قد وصلت إلى كل بقاع الأرض على يد رسلٍ من البشر ورسلٍ من غير البشر.. يقول الله تعالى فى سورة «المؤمنون الآيات ٤٢ إلى ٤٤» وبعد سرد قصة نوح عليه السلام: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِم قُرُوناً آخَرِينَ. مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا. كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ، فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ، فَبُعْداً لِقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

ويقول الله تعالى فى «سورة النحل الآية ٢»: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

– وإذا كان التاريخ فى بعض الأحيان لا يشير إشارةً واضحةً عن الديانات القديمة. إلا أننا نعرف قوام هذه الديانات من جملة ما يقال عنها، وتشير إليه الآثار..

– فالآثار التى تقص لنا حياة المصرىّ القديم جُلُّها قام على أساس التدين، والاعتقاد بحياة الأرواح، ووجودها الذى لا يبلى. لقد كان الدين عنصراً قوياً فى كل أعمالهم الخاصة والعامة. وحتى الفلسفة نفسها ليست إلا صوراً للعقيدة وأعمالاً للفكر يجعلها منسجمةً مع قضايا العقل لا تنافر بين أجزائها وضعها الفيلسوف المصرى القديم فى وحدةٍ منطقيةٍ وفى إطارٍ فكرى واحد..

– وقد قال شيخ المؤرخين «هيرودوت»:– «إن المصريين أشد البشر تديناً، ولا يعرف شعب بلغ فى التدين درجتهم فيه، فإن صورهم بجملتها تمثل أناساً يصلُّون أمام إله. وكتبهم فى الجملة أسفار عبادة ونسك».

– من أين استوحى المصريُّ القديم هذه التعاليم قبل عصر الأنبياء؟.

– يقول العلامة «ماسبيرو»:– «وكان إله المصريين واحداً، فرداً، كاملاً، عالماً بصيراً لا يدرك بالحس قائماً بنفسه، حياً، له الملك فى السماوات والأرض. لا يحتويه شيء ويوجد فى كل مكانٍ».

كان هذا هو مفهوم المصرى القديم عن الله عزَّ وجلَّ. فهل أتته هذه التعاليم من خواءٍ؟.

اكتشف العلماء فى القرن التاسع عشر الميلادى حقيقة المصريين، ودينهم وشرائعهم، ومدنيتهم، وأدبهم، وتقاليدهم، وذلك بفضل ما عثروا عليه من الوثائق التاريخية التى وجدت مكتوبة على أوراق البردى، ومن الكتابات والنقوش التى وجدت على وجهات المعابد، والهياكل، والقبور، والمسلات، والأعمدة، وأغطية التوابيت، وداخل تلك التوابيت، وقد وجد فى هيكل إيزيس نقش يتضمن كلمات منسوبة للإله جاء فيها:–

«أنا كل شيءٍ كان، وكل شيءٍ كائن، وكل شيءٍ سيكون، ومحال على مَنْ يفنى أن يزيل النقاب الذى ينقب به وجه من لا يفنى».

– وقد ورد فى بعض الأناشيد، والأدعية الواردة فى كتب قدماء المصريين:– «يا مولاى ويا سيدى إنك خلقتنى وصورتنى، وجعلت لى عيناً أبصر بها آثار قدرتك، وآذاناً أسمع بها أناشيد تقديسك».

– كما كانوا يترنمون فى أناشيدهم باسم إلهٍ واحدٍ، وينشدون للخالق المصور الذى له الأسماء الحسنى الذى خلق له عينين وهداه النجدين ووهب له السمع والبصر..

– هكذا كانت عقائد المصريين بادئ ذى بدءٍ هى العقائد التوحيدية، عرفوا أن الله واحد لا شريك له فى الذات والصفات. يؤمنون أن الله قديم أزلى خالق لا بداية له ولا نهاية، يَفنِى ولا يُفْنَى، كل شيءٍ زائلٍ وهو باقٍ..

«نبى الله إدريس عليه السلام»

– لقد جاء فى كتب المؤرخين عن «إدريس» – عليه السلام – أنه ولد بمدينة «ادفو» بمصر وأنه كان يسمى «جورروس» وقيل أن أدريس هو «خانوخ» بالعبرية والذى أطلق عليه باللغة العربية اسم «أخنوخ»، وسمى فى اللغة الهيروغليفية «حورروس» أو «هورروس» وعرف أيضاً بـ «هرماكيس – وهرمس» وسماه البطالسة «أغشاذى مون المصرى» ويسمى فى الكتب المنزلة «إدريس» ونسبه هو «إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن آنوس بن مشيث أبن آدم» – عليه السلام – قال الحافظ «ابن كثير» فى «البداية والنهاية» عن «إدريس عليه السلام»:– «وكان أول بنى آدم أُعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام». وذكر «ابن اسحاق» أنه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من الحياة ثلاثمائة سنة وثمانى سنين.

– وقالوا أنه خرج من مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد إليها، ورفعه الله إليه وذلك بعد اثنين وثمانين سنة من عمره. وقد علّمه الله ٧٢ لساناً فعلّم الناس السياسة المدنية، والحكمة، وعلم النجوم، فقد علمه الله عزّ وجلّ أسرار الفلك، وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيه، وعدد السنين، والحساب، وأقام للأمم سنناً فى كل إقليم سنةً تليق بأهله..

– وقد ذكر المؤرخون أن «إدريس عليه السلام» عاش حياته يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده وتنزيهه عن كل شركٍ.. كما دعا إلى الزهد، والمحبة، والعدل، والإحسان، وأنه أول من عرف العلوم الكونية، والجيولوجيا، والرياضيات، وكثيراً من لغات أهل الأرض حتى قيل عنه أنه كان يملك من الأسرار، والمواهب التى كانت تؤهله لأن يكون الداعى المجاب حيث كان يحدّث كل قومٍ بلغاتهم، ولهجاتهم مما جعل الناس تأنس إليه وتلتف حوله وقد عرفت تعاليم إدريس عليه السلام من الآثار التى اكتشفت، وأخصها خاتمه الذى كان يتمنطق به..

– ومن أقواله التى وجدت مكتوبة على ورق البردى الموجودة الآن فى دور الآثار والمتاحف فى أوربا، فقد وجد مكتوباً على خاتمة «الصبر والإيمان بالله يورثان الظفر». كما وجد على حزامه حكم بالغة، ودروس قيمة منها «حِفْظُ

فروض الشريعة من تمام الدين، وتمام الدين من كمال المروءة، والمروءة خاصة من خواص الإنسان المتقى»، وقد عثر ضمن آثاره على فراشٍ كان يصلى عليه مصنوع من الحصير، وكان مكتوباً عليه «السعيد من نظر نفسه فى مرآة صلاته وعبادته».. ومن أقواله المأثورة أيضاً «حياة النفس فى الحكمة وموتها فى الجهل»، وقال: «من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يديه أداة الجهل سيئ العمل. كما ترى الصانع الذى يعرف الصنائع كلها إذا أراد "خياطة أخذ آلتها وترك آلة النجارة، فحب الدنيا وحب الآخرة لا يجتمعان فى قلبٍ أبداً».

- وزعم جماعة من العلماء أن جميع العلوم التى ظهرت قبل الطوفان إنَّما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى، وقد قرر العلماء وجوده منذ ستة آلاف سنة..

- وما جاء فى مذكرات العالم الأثرى «مانيتون» يؤكد أن الأنبياء الذين بشروا برسالات الله فى مصر هم الذين دعوا الناس فى الهند، وفى قارة آسيا إلى عبادة الله وتوحيده، وعدم الإشراك به، وأن الدعوة فى مصر سبقت الدعوة فى الهند، وأن نبى المصريين هو «إدريس عليه السلام»، وأنه هو الذى انتقل إلى الهند فبشر برسالته؟..

ومن الآثار التى عُثرت لنبى الله «إدريس عليه السلام» نعرف أن دعوة التوحيد الخالص بعبادة إلهٍ واحدٍ فردٍ صمدٍ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد - قد تواردت على المصرى القديم فى فجر حضارته بدعوة من رسولٍ مبين..

- ولم يخلُ المصريون فى كل عصورهم من دعوات إلى التوحيد نعلم منها يقيناً دعوة «يوسف وموسى» عليهما السلام، وقد ورد فى بعض الآثار أن «إبراهيم» عليه السلام قد زار مصر فلابد أن يكون قد دعا المصريين إلى عقيدة التوحيد.

بيد أنه يعتقد بأن انحراف الكهنة المصريين بدأ منذ البداية..

- ويقول العلامة «ماسبيرو»:- «تدلنا الآثار على أنه كان لكل من الرهبان من أزمان الأسرة الأولى آلهته الخاصة، وهذه الآلهة مقسمة إلى ثلاثة فرق متباينة الأحوال (آلهة الموتى، وألهة العناصر، والآلهة الشمسية)»..

- وفى الواقع أن الدارس الذى يريد أن يجافى الشطط يجب عليه ألا يحكم بأن الحضارة المصرية بدأت بالعلم، والتوحيد، والخرافة فى آنٍ واحدٍ؟!.. ولكن الانتقال من حالٍ إلى حالٍ ومن غايةٍ إلى أخرى والتحول والتدرج من عبادة إلهٍ واحدٍ إلى عبادة ما أنتجه خيالهم من ألوهية زعموها لبعض الأشياء والحيوان حدثت بعد قرون طويلة من عهدها الأول..

ومن المؤسف أن علم الاجتماع قد عجز عن الكشف عن تاريخ موضوعى للأديان ومسار تطورها وما تأثرت به من خارجها، وكيف تبدلت عناصرها الأولى إلى أساطير خرافية فى تسلسل تاريخى يمكن الرجوع إليه..

ومن المؤكد والشئ الذى لا ريب فيه أن الحضارة المصرية بدأت برسالةٍ سماوية. والمعروف أن الديانات السماوية يعلوها التحريف، والتغير، والتبديل وتفهم على غير حقيقتها عندما يكون الناس على فترةٍ من الرسل..

أما فى أى عصرٍ بدأ التحريف، والتخريف على يد الكهنة وهم الفلاسفة أيضاً فهذا لا يستطيع أن يحدده أحد.

- فربما بدأ مع بداية التناحر بين الوجه القبلىّ، والوجه البحرىّ والحروب المستمرة بينهما، ومحاولة الكهنة أن يجمعوا شعب مصر العليا، والسفلى تحت لواءٍ عقائدىّ واحد فاخترعوا فلسفة دينية، وعددوا الآلهة حتى جاء مينا الأول فجمع فى سلطانه حكم مصر العليا، والسفلى، وأعلن أن الآلهة أو الإلهين «حورس وست» قد حلا فى جسده، ومن ثَمّ ابتدأت عقيدة تأليه الملك..

- ولقد أخذت الفلسفة الدينية من ذلك الحين تعمل على التوفيق بين خلود الألوهية وفناء الجثمانية، لأن فرعون يموت والله باقٍ، فكيف يحل الباقى فى الفانى!، فدفعتهم الرغبة الملحة فى التوفيق بين ما يوحى وما يعتقدون فأوحى إليهم شيطانهم باختراع الثالوث فقالوا:- «أن روح الله حورس ذات ثلاث شعب أولاها الروح الدنيا وهى التى تحل فى فرعون الزمان، ثم تنتقل إلى من يليه. وتفيض عليه بقدسيتها. والثانية الروح العليا الحاكمة فى السماوات والأرضين. والثالثة روح تفنى فى جسد فرعون الميت، وتقوم بالنصح لفرعون الحى..

- ولم يستمر فرعون موضع القداسة لحلول حورس خليفة أوزيريس فى

الألوهية، بل ارتقى وصار يحل فيه راعى كبير الآلهة. وعلا عن سلطان اوزيريس عندما حالت العقيدة من ثالوث إلى تاسوع، وبدأ التخريف الحقيقى!

وأصبحت العقيدة قائمةً على تقديس ثالوث مكون من (أوزيريس «الأب» وحورس «الابن» وإيزيس «الام») والجميع يرجع إلى واحد؟!.

والثالوث الثانى (آتون، و - رع، و - آمون) والثالوث الثالث (تيت، و -نوت، و - شو) وهذه الأسماء تظهر قوى الطبيعة الظاهرة المؤثرة فى تحولات الأشياء ماءً وهواءً وشمساً. وقد أعطى الكهنة هذه الأشياء صفة الألوهية وأضفوا عليها صفات التقديس لتقدم لها القرابين؟!!.

- كما كانت آلهة ثانوية مثل (رب الأرباب - توم، و- مأت - ابنة رع - وهى إلهة الحقيقة والعدل -، و بتاح - إله القدر، و - معت - إله الحكمة) الخ..

- وكثرت البركة للناس والقرابين للكهنة وكان الجميع سعداء؟!!.

- والواقع أن الفلسفة المصرية قد امتزجت بالدين، فكان الكاهن هو الفيلسوف، والعالم وكان الفلاسفة الكهان يضيفون معلومات فلسفية إلى الدين، ويدعون الناس إليه فيعتنقها العامة والخاصة، وتصبح جزءاً من عقائدهم.

- ولقد قال بعض العلماء:- «إن هذا التاسوع أفكار فلسفية علمية أراد الكهنة أن يبينوها للعامة فلم يجدوا طريقاً لتثبيتها فى قلوبهم إلا أن يرفعوها إلى مرتبة الآلهة»، ولكن الذى حدث لهذه الفلسفة العلمية أنها انحرفت بالناس من عبادة إله واحد إلى الإشراك بالله عزّ وجلّ وأصبحت صلاة المصريين موجهة إلى التاسوع الذى اخترعه الكهنة، وكانت دعواتهم، وأناشيدهم تنادى قوى الطبيعة على أنها آلهة فتأصل الشرك والوثنية فى قلوب الناس، وظلوا يستحدثون على مر السنين أسماء آلهة ويقيمون لها تماثيل حتى ظن المصريون المتأخرون الذين أعقبوا حكم الكهنة أن تلك التماثيل الرمزية آلهة فعبدوها، فكانت المدن مليئة بتلك الآلهة ولكل مدينة آلهتها التى تقدسها دون الآلهة الأخرى، فقد كان موطن أوزيريس فى أبيدوس، وآمون فى طيبة، وحورس فى إدفو.

- أما عن تقديس الحيوان عند قدماء المصريين، فقد اختلفت عبارات المؤرخين فى الأمر الذى حفزهم على ذلك، ويذكر «هيرودوت» أنه شاهد نيران

قد شبت في مصر. فوجد السكان جميعاً قد اتجهوا إلى إنقاذ القطط قبل أن يتجهوا إلى إطفاء النيران لكى لا يمس معبودهم بأذى..

ويقول بعض المؤرخين:- «إن الحيوانات ما كانت تُعْبد لأنها آلهة ولكن لأنها رمز للآلهة، فكان لكل إلهٍ من آلهتهم رمز خاص به، فيرمز لتوت برأس أبى قردان، ويرمز لآمون إله طيبة برأس كبش، وبتاح فى منفيس برأس عجل، وقد يكون الحيوان مقدساً فى مكان بينما هو غير مقدس فى غيره، فالتمساح الذى كان يُعْبد فى طيبة كان يطارد، ويقتل فى غيرها..

- أما عند بعض العامة فكان الحيوان فى صف الآلهة وليس رمزاً لها فكانوا يعبدوها..

ويرجح بعض المؤرخين أن علماء الدين من المصريين الأقدمين كانوا يعتقدون بحلول الآلهة فى الأجسام. بل إنهم ما كانوا يتصورون عالماً روحانياً ومجرداً من الجثمانية، فالروح لا بد لها من جثمان تحلّ فيه حتى أنها عند الموت لا تفارق الجسم إلا على عودة سريعة إليه. فأحلوا آلهتهم أحياناً فى ثور، وأحياناً فى قط إلخ.. وصاروا يعبدون هذه الحيوانات على أنها أوعية قد حلت فيها الآلهة، فقوام عبادة الحيوان على هذا الرأى الراجح هو أعتقاد الحلول عند قدماء المصريين.

- ولقد دفعتهم عقيدة الحلول هذه إلى اعتقاد أن الحيوانات المقدسة أوتيت علم الغيب والتعريف بالمستقبل، ولهم فى ذلك أساطير، وقصص جاء بها خيال الذين روجوها دفعهم إليها وهمهم الباطل، وخيالهم الفاسد فألبسوا الوهم لبوس الحقيقة والصدق، وهى لا تمت إلى المنطق بنسب ولا يربطها به سبب، حيث إن هذا الانحراف الفكرى الفاسد لا يمت إلى التعاليم الأولى للعقيدة المصرية القديمة التى كانت تدعو إلى عبادة إلهٍ واحدٍ والإيمان باليوم الآخر يوم الحساب.

- فتجد فى التعاليم القديمة عندهم، أن هذه الحياة الفانية ليست إلا ممرّ إلى حياة آجلة لها أمد غير محدود، وأن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه البشر والخير والبار والفاجر، فمن العدالة الإلهية أن يكون هناك يوم آخر يحاسب المسيىء على إساءته ويكافأ المحسن بإحسانه.

- في هذه العدالة الإلهية التي تسود الأكوان آمن المصريُّ القديم أنه لابد من حياة أخرى فيها النعيم المقيم للأخيار، والعذاب الأليم للأشرار في يومٍ يحاسب فيه الناس أمام المحكمة الإلهية حتى إذا انتهى الحساب أمر المحاسب أن يمر على الصراط فإذا أسقط من فوقه انتهى إلى وادٍ فيه العذاب ينال الجزاء الأوفى على ما قدمت يداه، وإذا اجتازه الشخص نجا وارتقى إلى مرتبة الملائكة، وهذا الاعتقاد لم يأتهم من خواءٍ، ولكنه أتى على يد رسلٍ كرامٍ مبعوثون من لدن الرحمن الرحيم، جاءوا إليهم بكتابٍ -كتاب الموتى- مشتمل على الصلوات، والأدعية، والطقوس الدينية، والكلمات التي تستعمل لعلاج الأمراض، ومشتمل أيضاً على آداب وفضائل، وعلى ما تلقنه الروح لتحسن الإجابة أمام محكمة الحساب. وهو يعدُّ الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين. يتعبدون بتلاوته وهم أحياء، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات..

- ويقف هذا الكتاب على ما حدث منذ البدء «هذا الكتاب خفي، وهو حق لم يعلم به أحد، أنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، أنه لا يراه أحد سواك، ومن علمك إياه فلا تزد عليه شيئاً من خواطرك وخيالك، بل قم بكل ما يدعوك إليه وسط بهو التحنيط. إنه سر لا يصل إليه عامي، إنه غذاء الميت في عالم الدنيا، وقوت روحه في الأرض يجعنه حياً دائماً، فلا يعلو عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وفي الكتاب فصل قيم بما ينبغي أن تقوله الروح أمام المحكمة الإلهية في اليوم الآخر، وجاء فيه أيضاً ما تقوله المحكمة عن الميت الذي تزكيه أعماله، ويقولون إن أحد الآلهة - الملائكة - قد كتب هذا الكتاب بيده»..

يقول «جوستاف لوبون» في تعليقه على كتاب الموتى الفرعوني:

ألا يظن من يقرأ هذا الكلام أنه يسمع صوت قرون سحيقة تتكلم من قبل بوذا والمسيح، معلنةً قانونها اللطيف للإحسان والنفع العام؟.

- أما عن كلمة «آلهة» التي استعملها المصريُّ القديم في اعتقادنا أنه استعملها مجازاً عن كلمة رسل أو ملائكة، حيث إنهم كانوا يقومون بأعمالٍ خارقةٍ لا قبل للآدميين بفعلها، وقد أثبت علم الآثار عن الأساطير والتعاليم الفرعونية، والهندوسية، والإغريقية، والاكتشافات الأركيولوجية اتفقت جميعاً

على أنه كان هناك كائنات غير آدمية تعيش بين أبناء البشر، قامت هذه الكائنات بتعليم الكائن البشرى أمور دينه ودنياه، وفى التوراة والقرآن ما يثبت هذا الاعتقاد.. (انظر كتابنا الحقيقة المطلقة).

- وفى الواقع أن الديانة المصرية القديمة، والآداب التى اشتملت عليها، والفضائل التى تدعو إليها كانت معيناً خصباً اقتيست منه حكمة الحكماء، ومازال فيها خير يقتبس وحكمة تقتنص إلى يومنا هذا..

- أما الأوهام والعقائد الفاسدة والطريق الأعوج الذى سار فيه الكهنة وما استحدثوا على مر السنين من أسماء وآلهة ما أنزل الله بها من سلطان إنما نبعت من الأنانية، والتسلط وحب السلطان. ولا يستطيع إنسان أن يقول فيهم قولاً أبلغ من قول الله تعالى فى سورة «إبراهيم الآيات ٢٨ إلى ٣٠»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ. وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ، قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

ولقد قام اخناتون بثورته المشهورة ودعوته للتوحيد وعبادة إله واحد وترك عبادة الآلهة المتعددة، وقد كاد أن يكتب لهذه الدعوة النصر لولا مؤامرات الكهنة وقيامهم فى وجهه..

- وهكذا ظلت الديانة المصرية تنتقل من طور إلى طور آخر تنازلياً، فتطورت من عبادة إله واحد إلى عبادة آلهة ثلاثة ثم آلهة تسعة، ثم تطور التاسوع إلى ضعف عدده ثم ظل عدد الآلهة يأخذ فى الازدياد حتى بلغ ما يقرب من المائة بين اسم لفلك وصفة لكوكب، وعظمة لظاهرة طبيعية، وتقديس لطير أو حيوان، وكثيراً ما كانت بعض المدن تعبد ملوكها يقيمون لهم الصلوات، ويقدمون لهم القرابين، ويرفعون لهم البخور..

- وظل المصريون على هذه الحالة من الوثنية والشرك حتى هاجم الفرس، واليونانيون مصر، وأغاروا عليها. فهدموا المعابد، وخربوا الهياكل، وحطموا التماثيل، وحاربوا الكهنة أينما كانوا، وعندما أفتتح الرومان مصر هدموا بقية الهياكل، وأزالوا كثيراً من المعابد، وأبطلوا كثيراً من العبادات، وكانت الخاتمة أن أمر الامبراطور «ثيودور» الرومانى بإبطال الديانة المصرية، واعتبار النصرانية ديناً لمصر..

انتهى عصر الوثنية إلى الأبد، ولكن ظلت آثاره عالقةً بالنفوس لتؤثر على الديانات السماوية، وتبث فيها ظلمات عصور الكهنة الذين تسربلوا بالتراث الديني، واتخذوه قناعاً صنعوه من الفلسفة الدينية انتزعوا به عقيدة التوحيد من سياقها الذى أراده الله لها، وضللوا به الخاصة قبل العامة فأوهموا الفراعنة بأنهم آلهة حتى بعث الله فيهم «موسى عليه السلام».. يقول الحق تبارك وتعالى في «سورة غافر الآية ٢٣»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

– ويقول عزّ وجلّ فى نفس السورة «الآية ٣٤»: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

– وقد جاء على لسان «يوسف عليه السلام» في السورة التي تحمل اسمه «الآية ٤٠»: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ، أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

ونرى فيما سبق ذكره أن إبليس حقق وعده على أيد كهنة مصر كما جاء فى القرآن الكريم «الآية ١١٨ من سورة النساء»: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ إلى قوله فى نفس السورة «الآية ١٢٠»: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ، وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً. أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾.

– هكذا توعد عدو الله، والناس أن يفتن الإنسان ويصرفه عن الإيمان الحق والتوحيد المطلق لله عزّ وجلّ.. وظن إبليس أنه أفسد عقيدة التوحيد، ولكن الله متم نوره ولو كره إبليس ومن اتبعه..

– لقد اتضحت لنا هوية مفسد الأديان والأسلوب الذى يتبعه من آيات القرآن الكريم، فنجد أنه يرتكب جريمته بنفس الأسلوب، ويبث سمومه بنفس الطريقة فى كل الأديان، فرداؤه الكفر، والتستر على الحق، وعقيدته الشرك وتعدد الآلهة، وفريسته المفضلة رجال الدين، فإذا فسد المعلم فسدت وضلت التلاميذ

«انظر فى التوراة – حز ٢٨: ١٣–١٥ – اس ١٤: ١٢»، وسوف نتتبع بإذن الله جرائم عدو الله، والناس فى الأديان السماوية والأديان التى يعتقد خطأ أنها وضعية حيث إن التعاليم الإلهية فيها تتجلى للباحث بصورة واضحة لا مجال فيها للشك، وسوف نرى كيف أن هذه الأديان هى وحىٌ من السماء أصابها ما أصاب دعوة (إدريس، ونوح، وابراهيم عليهم السلام)، فقد أخبرنا العلىُّ القدير أنه لم يترك قوماً بدون رسول يدعوهم إلى الهدى، ودين الحق. يقول الله عزّ وجلّ فى سورة «الحِجْر الآية ٤»: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ صدق الله العظيم..

«الديانة البراهمية»

– تظل فلسفات وأديان الشرق بركنيه الأقصى، والأدنى فضاءً يستوعب إعادة الوعى لها، والفهم منها فى ظل تطورات العصر، والتكنولوجيا وانعكاساتها على الإنسان الذى يفضل أحياناً الاستراحة فى هذا الفضاء، وحينما يرجع الإنسان إلى هذه الفلسفات أو الديانات تكشف له عن المحتوى الحقيقى، والأبعاد المهمة فى حفريات الحضارة الهندو إيرانية أو الهندو صينية عن قداسة الخير والعدالة والصلاح والصدق.

– إن هناك اعتقاداً عاماً عند العامة من الناس بأن الديانات القديمة مثل (البراهمية، والبوذية، والكونفوشيوسية) هى ديانات وثنية بحتة وضعها فلاسفة الهند والصين.. أما عند الخاصة من الباحثين فى شئون الأديان وعلماء التاريخ، والآثار فلم نسمع من أحدهم قولاً يفيد فى حقيقة هذه الأديان، وما إذا كانت هى من وحى السماء أم أنها نبعت من قريحة الحكماء والفلاسفة؟

– والمشكلة التى تواجه الباحثين، والعلماء فى هذا الصدد هى ما تنطوى عليه هذه الأديان من حق وباطل، غث وسمين، وتعاليم تبدو سماوية محرفة وأيضاً عدم وجود تاريخ ثابت مسجل لبداية الدعوة والعصر الذى حرفت فيه، فجاء تلقينهم لطالب هذه العلوم غير يقينية يشوبها الريبة، والشكوك..

– وسوف نحاول هنا أن نجد بداية خيط يصل بنا إلى حقيقة هذه الأديان بين هذا الكم الهائل مما قيل فيها، وما تنطوى عليه من المعقول، واللامعقول.. نقول وبالله التوفيق:

- إنَّ الشيء الذى نفهمه مما سبق ذكره عن «إدريس عليه السلام» أنه ينتمى إلى الجيل الخامس من بعد آدم عليه السلام، وعليه تكون دعوته هذه أقدم الدعوات فى تاريخ العصر المقروء وأنه عليه السلام انتقل بدعوته إلى قارة آسيا كما ذكر العالم الأثرى «مانيتون» وبعد ما رأينا ما حدث لدعوته فى مصر وما أصابها من تغير وتبديل على يد الكهنة خلال أكثر من أربعين قرناً من تاريخ مصر الفرعونية، فلماذا لا تتكرر هذه المأساة الدينية على أيدى الكهنة فى آسيا؟!..

- ومن المعروف أن للهند حضارةً زاهيةً، ومدنيةً ساميةً قديمةً توغل فى القدم إلى أبعد أغوار التاريخ معظمه لم يكشف عنه التاريخ بعد، والشيء الذى نعلمه من تاريخهم ذلك الذى ابتدأ بالغزو «الآرى» على الرغم من أن النقوش وما تنطق به الأحجار والآثار تسير إلى أن فى طياتها آثار لا تزال مبهمة ولم يتبين البحث عن كنهها، وحقيقتها..

- أما عن الغزو الآرى، فإن التاريخ يروى أن قبيلة آرية غزت الهند حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وفرضت على الهند مدنيتها وحضارتها وديانتها، فطمسوا حضارة الهند، وقوّضوا دعائمها، ومسخوا آلهتهم، واستبدوا بعقيدتهم.. أما عن مقام العنصر الآرى الأول فتختلف كلمة المؤرخين فيه، فيرى البعض أنها أوربا، والبعض الآخر يقول أن مقامهم الأول فى التركستان، ومنها انسابوا فى بعض بلاد آسيا كفارس والهند واستغرق كل أوربا، وهذا ما يتفق عليه معظم العلماء..

- إذاً فالديانة البراهمية يرجع أصولها إلى ديانة هؤلاء الفاتحين لبلاد الهند الغزاة الآريين.. أما الديانة القديمة فى تلك البلاد فإن التاريخ لا يشير إليها إشارةً واضحةً. ولكن الآثار تشير إلى أن قوام هذه الديانة عبارة عن النيران، وكان لها إله، وآلهة أخرى منها الشمس، وبعض الحيوانات المخيفة، وقد استمرت تلك الديانة حتى جاءت ديانة الفاتحين، وكان لهذه الديانة كهنة هم سدنة معابد النيران مهمتهم القيام بما يقتضيه التقديس من طقوس، ورسوم، وتلقى القرابين.. ولابد أن تكون هذه الديانة قد انحرفت عن مقامها الأول كما حدث للديانة المصرية التى انحرفت ووصلت إلى عبادة النار، والكواكب والنجوم، وما إلى ذلك من الظواهر الطبيعية التى تاه فى عرضها المصريون..

«كتب الديانة الهندية أو البراهمية»

– الفيدا، أقدم كتب الديانة البراهمية، ولم يعرف المؤرخون عصر كتابتها على وجه التحديد. والفيدا مجموعة من الأشعار ليس فى كلام الناس ما يماثلها وأن البشر يعجزون عن أن يأتوا بأمثالها فقد صرفهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك صرفاً. هكذا تقول جماهيرهم..

– والفيدا أربع مجموعات أو كتب مكتوبة باللغة السنسكرتية لكل واحد منها منهاج فى القراءة، وتلحين خاص فى الإلقاء. وهى منسوبة إلى وحى نزل من السماء على «براهما» وهذه الكتب هى: (ساما، و –رج، ياجور، و–آثارفا) تصور الكون نسيجاً متطوراً مع كيان الله، كما تجعل امتزاج الفرد مع الله صورة لامتزاج النفس مع الروح، وهى مؤسسة على خلود الروح والإيمان بإله واحد، والسماء التى تصعد إليها الأعمال الصالحة يتلقاها «ياما» الذى يرفعها إلى الجنة حيث تنعم بكل اللذائذ الأرضية التى تكون قد اكتملت، وأصبحت أبدية بعد العودة إلى التجسد أو رجعة الروح، ونعتقد أن التجسد اعتقاداً دخيلاً على هذه الديانة.

– وقد وصف أحد هذه الكتب السماء الفيدية بأنها المقام المقدس، والمقام النهائى للآلهة الخالدة «الملائكة» وموطن الضوء الخالد الذى هو الأصل والقاعدة فى كل ما هو كائن، وحيث تتحقق الرغبات بمجرد أن تشاء.

– والديانة البراهمية خاصة بالحقائق الصحيحة الكثيرة فى حياتها الأرضية والسماوية، وبالنصائح الخلقية التى يؤدى أتباعها إلى استحقاق النعيم فى عالم الملكوت. كما تؤمن بأن الروح الإنسانية نفحة الإلهية وأن الموت يعطى الروح جسداً شفافاً نورانياً ينتقل إلى الملأ الأعلى، وهو جسد أرقى من أجسادنا الفانية..

– وهناك كتب غير الفيدا تسمى البراهمات؛ وهى كتب من منثور القول غير منظومة كالفيدا، وهى أقسام كثيرة وموضوعاتها مختلفة. فمنها ما فيه أحكام شرعية وفقه ملّتهم من حث على الخلاص وترغيب فى فداء الروح بالجسد وغير ذلك، ومَنها ما هو خاص بالمطالعات التى يطالعها الناسك أو النساك الذين ينسابون فى الأحراش، ويرغبون فى التخلص بالفعل من المادة

لينعموا بحرية الروح، فيطالعوا تلك الكتب لتقوى عزائمهم ويستحفظونها ليعطوا العلم الباطنى بالروح الأكبر، وتربط نفوسهم بالموجود الأعظم، ومنها كتب فى أصول عقائدهم قد ذكرت فيها نشأة العالم وكيف ظهرت آلهتهم - رسلهم من الملائكة - وكيف وجدت المخلوقات وكيف وجد الإنسان وكيف كانت خواصه، وكيف تكون المعرفة وغير ذلك من المعلومات التى تتصل بالإنسان ونفسه وعلاقته بالآلهة، الرسل، والكون..

- يقول المؤرخ «ڤيكتور كوسان» :- أنت حينما نطالع بإمعان فلسفة الشرق وخصوصاً الهندية منها فإننا نقف على كثير من الحقائق العويصة التى تكرهنا على أن ننحنى إجلالاً للفلسفة الشرقية، ونرى فى هذا المهد للجنس البشرى موطناً لأسمى ضروب الفلسفة..

- ويقول «شبيجال» :- إن أسس فلسفة أوروبية وهى مثالية التفكير كما وضعها الإغريق تبدو متى قورنت بالحياة والنشاط الزاخرين للفلسفة الشرقية المثالية كبصيص ضوءٍ مقابل فيضٍ كاملٍ من ضوء الشمس..

- والواقع أن هذه ليست فلسفة نشأت فى تلك الأزمنة السحيقة، ولكنها تعاليم، ووحى من السماء أتى هؤلاء القوم من مصدر علوى مفارق لقدرتهم المحدودة فى تلك العصور ويؤكد هذا ما جاء فى كتب فيدا، وكتاب الموتى الفرعونى، وما نقل إلينا عن حكماء الاغريق عن حقيقة الدين وطبيعة الآلهة؟ (انظر كتابنا الحقيقة المطلقة).

- لقد مكثت فلسفة الشرق هندية وصينية كنزاً مدفوناً فى أحقاب التاريخ لا يعرف الغربيون ومن داناهم شيئاً منه، وما كان ذلك الخفاء إلا لصعوبة الوصول إلى تعرف أصول اللغة فهى عسيرة ليس من السهل معرفتها والتراجم عنها ليست كاملة الصحة، ولكن إرادة ودأب العلماء وحرصهم على طلب المعرفة كشفت أن لهذه الأمم فلسفة، ولوناً خاصاً من ألوان الفكر الإنسانى ومنهجاً خاصاً من مناهج السلوك لبلوغ الغاية السامية فى طريق الخير.. إنّ أخص ما امتازت به تلك المناهج هو تحويل النظريات الخلقية إلى أخلاق عملية تقوم على السلوك القويم للإنسان.

لقد رأى العالم الآراء الدينية على أكمل وجوهها عند الساميين.

والتصوف على أكمل صورة عند الهنود، والفلسفة النظرية عند الإغريق، أما الفلسفة العملية فهى تبدو فى أكمل مناحيها فى الصين، فهى تبتدئ بنظريات الأخلاق الفاضلة وأسس لقواعد الخير والشر، ولا تلبث حتى تبسط وتسهل وتصير أخلاقاً عامة للشعب.. فالجانب العملى له العناية الأولى لديه ولهذا بلغت الأخلاق عند الصينين درجة من السمو أدهشت العلماء وشده المبشرون عندما علموا ما عند الصينين من حكم موروثة ووصايا وآراء خلقية سامية، ولذا قرروا أن الصينيين لابد أنه قد بعث فيهم رسول وأخذوا يوازنون بين التوراة، والكتب الصينية فى الأخلاق، والحكم، والوصايا.. وليس عندنا ما يمنع هذا الرأى بل نحن أقرب إلى اعتقاده.. لأن الله سبحانه وتعالى وهو الحكيم العليم الرءوف الرحيم لا يترك أولئك الجماعات الكبيرة من البشر من غير هادٍ يهديهم ولا رسول مبين يدعوهم بدعاية الله عزّ وجلّ، وإنْ كنا لا نعرف رسولاً من هؤلاء الرسل. ولا عصراً لرسول، وليس جهلنا هذا نافياً للوقوع ولا دليلاً على عدم الحصول لأن عدم المعرفة لا يستلزم عدم الوقوع..

ولم يبين القرآن الكريم كل الرسل السابقين، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾ (الآية ١٦٤ من سورة النساء).

– ولذلك نحن لا نقف موقف السلب من دعوى المسيحيين من أن رسلاً بعثوا فى الصين، بل نحن نقبله برغم عدم وجود خبر يقينى برسولٍ معينٍ بعث فيهم، حيث إن هناك أكثر من دليلٍ يدعونا إلى الإيمان بهذا الخبر سوف نسوقه فى ما سوف نستقبل من حديث..

– هذا والذى نلاحظه على الفلسفة الصينية أنها اتصلت بالدين، وامتزجت به امتزاجاً تاماً حيث أن التأملات الفلسفية، والتدين منبعهما من نفسٍ واحدة، وينبعان من مكانٍ واحدٍ فى الوجدان، غير أن أحدهما يعتمد على العقل المطلق والآخر يعتمد على النقل فى أغلب نواحيه، وخير القضايا الفلسفية ما كان موافقاً للدين الحق، لأن الدين الحق لا يأتى بشىء يتنافى مع العقل القويم على حد تعبير «الإمام أبو زهرة».

– وقد يحدث أن تنحرف الفلسفة، ولا تتقيد بقواعد العقل فتصير أوهاماً

وأحلاماً وتخيلات. لا نظرات صائبة، وتأملات روحية، وعندئذ تنحرف عن سمتها فلا يدانيها الدين الحق. بل يكون بينهما ما يكونُ بين النقيض والنقيض..

– وهذا ما حدث لدين التوحيد والعقيدة الخالصة لله عزّ وجلّ التى أتى بها «براهما» على أيد فلسفة الكهنة ورجال الدين، فإذا نظرنا إلى جوهر الدين فى عصره الأول والفلسفة فى الهند والصين تراها لا تتجافى عنه ولم تنأ عن الدين فهى قائمة على الأخلاق القويمة الفاضلة وتنظيم السلوك الإنسانى وإصلاح الأخلاق العملية، تراها تسير سيراً متزناً محكماً معه، حولت فلسفة الكهنة، والقائمين على شئون الدين هذا الاتزان إلى عقائد لا تمت إلى الحق، والمنطق بنسب ولا يتصل به بسبب. لقد حولوا الديانة البراهمية ديانة التوحيد إلى عقيدة وثنية، فقد عبدوا الأصنام وزعموا أن أرواح الآلهة حلّت بها، وعددوا الآلهة حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلهاً، ثم عرا عقائدهم التغيير والتبديل حتى انحصرت الآلهة فى ثلاثة أقانيم، وذلك لأنهم توهموا أن للعالم ثلاثة آلهة..

إنّك تجد فى كتبهم نصوصاً، وعبارات تفيد وتعبر عن وحدة الإله المسيطر فتصف الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلى. من غير انتهاء ولا ابتداء المختار فى فعله، القادر الحكيم المحيى المدبر، المنفرد فى ملكوته عند الأضداد والأنداد لا يشبهه شىء.. ثم تجد ما يفيد التثليث والحلول، ويظهر الانحراف عن مسلك تلك الكتب..

ولْنورد هنا شيئاً من أحد كتبهم لإثبات هذا الانحراف:

«قال «السائل» فى كتاب «باتنجل»:– مَنْ هذا المعبود الذى ينال التوفيق بعبادته؟. قال المجيب:

– هو المستغنى بأزليته ووحدانيته عن فعل، لمكافأة عليه براحة تؤمل وترجى، أو شدة تخاف وتتقى، والبرئ عن الأفكار لتعاليه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة، والعالم بذاته سرمداً، إذ العلم الطارئ يكون لما لم يكن بمعلومٍ، وليس الجهل بمتجه عليه فى وقت ما أو حالٍ.

ثم يقول السائل بعد ذلك: فهل له من الصفات غير ما ذكرت؟ فيقول المجيب: العلو التام فى القدر لا المكان. فإنه يجل عن التمكن، وهو الخبير

المحصن التام يشتاقه كل موجود، وهو العلم الخالص عن دنس الهوى والجهل» قال السائل: أفتصفه بالكلام أم لا؟. قال المجيب:

– إذا كان عالماً فهو لا محالة متكلم.. قال السائل: فإن كان متكلماً لأجل علمه، فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل عالمهم؟

قال المجيب: الفرق بينهم هو الزمان فإنهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين، ونقلوا بكلامهم علومهم إلى غيرهم، فكلامهم وإفادتهم فى زمان، إذ ليس للأمور الإلهية بالزمان اتصال. فالله سبحانه وتعالى عالم متكلم فى الأزل، وهو الذى كلّم براهم، وغيره من الأوائل على أنحاءٍ شتى، فمنهم من ألقى إليه كتاباً، ومنهم من فتح الواسطة بابا، ومنهم من أوحى إليه فنال بالفكر ما أفاض عليه..

قال السائل: فمن أين له هذا العلم؟

قال المجيب: علمه على حاله فى الأزل، وإذ لم يجهل قط فذاته عالمة، لم تكتسب علماً لم يكن له، كما قال فى بيذ الذى أنزل على براهم: احمدوا وامدحوا من تكلم ببيذ، وكان قبل بيذ..

قال السائل: كيف تعبد من لم يلحقه الإحساس؟. قال المجيب: تسميته تثبت أنيته فالخبر لا يكون إلا عن شىءٍ. والاسم لا يكون إلاّ لمسمى. وهو إن غاب عن الحواس فلم تدركه. فقد عقلته النفس، وأحاطت بصفاته الفكرة..

وهذه هى عبادته الخالصة، وبالمواظبة عليها تنال السعادة..

– وكما ترى عزيزى القارئ، لا توجد أى صورة من صور الشرك فى كتاب «باتنجل» بل وحدانية مطلقة لله عزّ وجلّ.

– والنفس فى الديانة البراهمية جوهرٌ خالدٌ صافٍ عالمٌ مدركٌ تمام العلم والإدراك ما دام منفصلاً عن الجسد، فإذا فاض على الجسد واتصل به اعتكر صفاؤه ونقص علمه.. يقول «باسديو»:– إذا تجردت النفس عن المادة كانت عالمةً، فإذا تلبست بها كانت بكدورتها جاهلةً، وظنت أنها الفاعلة، وأن أعمال الدنيا معدة لأجلها، فتمسكت بها، وانطبعت المحسوسات فيها فإذا فارقت البدن كانت آثار المحسوسات باقيةً، فلم تنفصل عنها بالتمام، وحنت إليها وعادت نحوها..

ويقول «باسديو» أيضاً لـ «أرجن» وهو يحرضه على القتال وهما بين الصفين:-

- كيف يذكر القتل والموت من عرف إن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة. ولا إلى تلفٍ وعدمٍ، بل هى ثابتة قائمة، لا سيف يقطعها، ولا نارٍ تحرقها ولا ماءٍ يغصها، ولا ريحٍ توبسها، لكنها تنتقل من بدنها نحو آخر كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق، فما عملك لنفسٍ لا تريد، وهو يعنى هنا تناسخ الأرواح والذى نعتقد أنه دخيل على الديانة البراهمية ولنا عودة لهذا الموضوع بعد قليل..

إنَّ الدارس للديانة البراهمية التى دخلت الهند مع غزاة فاتحين آريين فى حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، يجد أن هذه الديانة بدأت بالتوحيد والعبادة الخالصة لله عزّ وجلّ وحده، ثم يجدها تنحرف لتخلط الإيمان بالوثنية والتوحيد بالشرك..

ومنشأ الوثنية فى الديانة البراهمية بدأت بتقديسهم للقوة المؤثرة فى الكون، ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى، وصنعوا لها أصناماً وضلل الكهنة العوام من الناس وأوهموهم بأن تلك القوى حلت فى هذه الأصنام فعبدوها.. وتعددت هذه الآلهة حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلهاً، ثم إنحصرت فيما بعد إلى ثلاثة أقانيم وجعلوا للعالم ثلاثة آلهة، هى:-

١- براهما، وهو الإله الخالق مانح الحياة، القوى الذى صدرت عنه جميع الأشياء والذى يرجو لطفه، وكرمه جميع الأحياء. وينسبون إليه الشمس التى بها يكون الدفء، والحياة للأحياء.

٢- سيفا، وهو الإله المضرب المغنى الذى تصفر به الأوراق الخضراء، ويأبى الهرم بعد الشباب، وتفنى مياه الأنهار فى لجج البحار، وينسبون إليه النار، لأنها عنصر مدمر مخرب، إن تأجج لا يبقى ولا يذر.

٣- ويشنو، وهو الإله الذى يحلُّ فى المخلوقات ليقى العالم من الفناء التام.

يقول «باسيديو» فى الكتاب المعروف بكيتا: أما عند التحقيق فجميع الأشياء إلهية، لأن (بش) جعل نفسه أرضاً ليستقر الحيوان عليها، وجعلها ماءً ليغذيهم، وجعلها ناراً وريحاً لينسيهم وينشئهم، وجعلها قلباً لكل واحدٍ منهم،

ومنح الذكر والعلم وضديهما، وإن كل معانى الخير والسمو من فيض ويشنو، وكل الحكماء والصالحين يقومون بالعدل والإصلاح والفضيلة وينصرون الأخيار على الأشرار بفيض من ويشنو.

– وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم لإله واحد، هو الروح الأعظم واسمه بلغتهم «أتما» لأن براهما هو الرسول الذى أُوحى إليه كتابهم الفيدا وتعاليم التوحيد المطلق.. فكيف ولماذا ألهّوا براهما وجعلوا لله عزّ وجلّ إقانيم؟. ولا نجد جواباً لهذا السؤال، إلا أن شيطانهم زينّ لهم الإشراك وعبادة الأوثان فأطاعوه.

– لقد أوهم الكهنة العامة من الناس أن عبادة تلك الأصنام هو تقرباً إلى الله زلفى؛ وطلبوا منهم تقديم القرابين لها، وهم وحدهم المستفيدون من تلك القرابين.. وصدق قول الله تعالى فيهم في سورة «التوبة الآية ٣٤»: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

– إن الفلاسفة، والكهنة من خواص نحلتهم انحرفوا عن مسلك التعاليم الأولى للديانة البراهمية، وأوهموا العوام بما لم ينزل الله به من سلطان ليسودوا ويصبح لهم النفوذ والسلطان على الناس، واتخذوا من العقيدة طريقاً للتجارة بالأديان. فقد أنشأ الكهنة قاعدة جعلت الكاهن نائباً لله، والملك ظلّ الله فى أرضه، بل ألّهوا الكهنة أنفسهم تأليهاً تاماً وطالبوا شعوبهم بعبادتهم.

– ففى البداية كان الله واحداً، ثم الإله ممثلاً فى قوى الطبيعة ومظاهرها ثم حلّ الإله فى الكهنة والملوك أحياءً وأمواتاً..

– لقد استغل الكهنة سذاجة الناس وجعلوهم يعظمون الصور، والتماثيل وربطوا كل تصرفاتهم التعبدية بالمعبد والكاهن، فلم يكن لهم أن يبرموا أمراً من أمور الدين أو الدنيا دون أن يكون الهيكل، وكاهنه صاحبى الأمر والشورى والكلمة الأخيرة فى هذا الرأى، حتى أصبح المتعبد وكأن المعبد لازمة من لوازم حياته العقائدية، حيث لا تتم له عبادة، ولا يستقيم له أمر، ولا يصح له وصل، ولا يملك شفاعةً عند الآلهة ولا تستجاب له دعوة دون الكاهن.

ومن افتراءات الكهنة على الديانة البراهمية، تناسخ الأرواح، يقول «البرونى»:– «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين والتثليث

علامة النصرانية، والأسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النّحلِ الهندية، مَنْ لم ينتحله لم يكن منها.

– وقد قامت عقيدة التناسخ عندهم على ثلاثة دعائم:–

١– الدعامة الأولى: اعتقادهم في خلود الروح.

٢– الدعامة الثانية: اعتقادهم أن الروح بعد مغادرة الجسد تكون في حنانٍ دافعٍ إلى الأجسام، لما انطبع فيها من المحسوسات وأثر فيها من الماديات. وأنّ كلّ ذلك التأثير قد عكر صفاءها وكدّر نقاءها.

٣– الدعامة الثالثة: أن النفس في بقائها في الجسم تحيط علماً بالجزئيات وإن كان علمها بالصورة الكلية ثابتاً لها، وهي في تنقلها من جسمٍ إلى جسمٍ تستفيد من كل جسمٍ علماً جديداً بجزئيات لم تكن تعلمها. حتى يحصل لها في كل تجربةٍ جديداً في المعرفة، ويقول «البيروني» في كتابه «ما للهند من مقولة»:– «هكذا تنتقل الأرواح في الأجسام متدرجةً في الرقي من جسمٍ إلى جسمٍ حتى تصل إلى الكمال المطلق وتكون في صف الروحانيات المتجردة، وهي الملائكة وتكون غير محجوبةٍ عن التصرف في السموات والأرض وتدبير الكون».

– وإذا كانت الروح قد ارتكبت خطايا في أثناء حلولها في أحد الأجسام أُركست في حيوان دون الذى كانت فيه لتكفر عن خطاياها وتطهر من سيئاتها، ثم تسير قدماً إلى الرقي حتى تصل إلى الملكوت الأعلى مع الملائكة، وقد يكون تدرجها إلى أدنى فتهوي إلى جهنم على حسب الأقوال عندهم.

– وليس هناك جهنم واحدة بل لكل صنفٍ من الآثمين جهنم بمقدار يتناسب مع ذنبهم، ومقدار ما فيهم من فسقٍ عن الدين والخروج من حظيرته.

– ومنهم من يرى أن الجنة نزلها دائم وأن الجحيم كذلك، ومنهم من يرى أن طريق الاكتساب هي الإنسانية وحدها، وأن التردد فيها مكافأة مقصورة على درجة الثواب والعقاب الأخروى. أما الجنة فإنها في علوها تكون للنعيم الذى يستحقه من قدم عملاً حسناً ويكون البقاء فيها إلى أمد محدودٍ، وإذا كان العمل الإنساني إثماً وخطيئة ترد روح الشخص في حيوانٍ أو نباتٍ عقاباً

لها على ما اجترحت من سيئات. وليس جهنم إلا هذا التردى عند هؤلاء، فالجنة والجحيم ليستا أبديتين عندهم تصعد الروح درجةً إلى العالم العلوّى أو تنزل إلى المرتبة الإنسانية. والمتفق عليه عند الرأيين أن البعث فى العالم الأخروى إنّما هو للأرواح لا للأجساد..

وهذه عقيدة خاطئة كما نفهم من القرآن الكريم فى الآيات التالية:-

يقول الله تعالى فى سورة «البقرة الآية ١٦٧»:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا، كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ، وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

وأيضاً فى سورة «الأنعام الآية ٢٨» يقول عزّ وجلّ:-

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى فى سورة «المؤمنون الآيات ٩٩ و١٠٠»:-

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ، كَلَّا، إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا، وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وانظر أيضاً سورة «فاطر الآية ٣٧»، وسورة «يس الآية ٥٠»، وسورة «الزمر الآيات ٥٨ – ٥٩».

وقد ذكر «كتاب الموتى الفرعونى»:- الذين يذهبون إلى حيث الراحة التى ينشدها الجميع، والجنة التى وعد بها الكهنة. هناك تذهب الروح ولا تعود.

«ديانة كرشنه»

ويقول أصحاب عقيدة التناسخ من الهنود أن بعض آلهتهم حلّت فى إنسان اسمه «كرشنه» والتقى فيه الإنسان بالإله، أو حلّ اللاهوت فى الناسوت فى كرشنه كما يعبر المسيحيون عن «المسيح عليه السلام»، ويصفونه بأنه البطل الوديع المملوء ألوهية، لأنه قدّم شخصه فداءً للخليقة عن ذنبها الأول، ويقولون أن عمله لا يقدر عليه أحد سواه، ويعتقدون أن الإله «وشنو» الابن وثانى الأقانيم قد حلّ فيه.

- ومن الغريب والعجيب أنهم يذكرون حول كرشنه من المعجزات، والأساطير ما يشبه ما جاء بالأناجيل عن السيد المسيح!

- فكرشنه ولد من عذراء مخطوبة اسمها «ديفاكى»، ويصفونه بأنه الإله فالأرض سبّحت، وظهر نجمه فى السماء، وترنمت الأرواح فرحاً وطرباً ورتل السحاب بأنغامٍ مطربةٍ، وقد ولدته أمه فى غارٍ فأضاء عند ولادته بنورٍ عظيمٍ، وصار وجه أمه يرسل أشعة نورٍ ومجدٍ.

- ويقولون أنه كان لأمه قبيل ولادته خطيب قد خطبها لتكون زوجةً له، كما هو الحال عند النصارى أن «مريم» كان لها خطيب هو «يوسف النجار». وخلاصة القول أن الهنود يعتقدون فى كرشنه ما يعتقده المسيحيون فى «المسيح عليه السلام» من أن كرشنه المولود البكر الذى هو نفس الإله «وشنو» الذى تحرك حنوا لكى يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه.

- وقد صور كرشنه فى كتاب الهنود مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين، وعلى قميصه صورة قلب الإنسان معلقاً، ووجدت له صورة مصلوباً، وعلى رأسه إكليلٍ من الذهب بدلاً من إكليل الشوك الذى على رأس السيد المسيح.

- ويقول «هورينو ليمس» فى كتابه «الهنود» صفحة ٣٦:- ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية ومما يدل على ذلك ما جاء فى مناجاتهم، وتوسلاتهم التى يتوسلون بها بعد «الكياترى» وهو: إنىّ مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتى شريرة وحملتنى أمى بالإثم فخلصنى يا ذا العين الحندقوقية ما خلص الخاطئين من الآثام والذنوب.

وقد عقد صاحب كتاب «العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية» موازنةً بين أقوال الهنود فى كرشنه وأقوال المسيحيين فى السيد المسيح فتقارب الاعتقادان حتى أوشكا أن يتطابقا، وإذا كانت البراهمية أسبق من النصرانية فهل نفهم من ذلك أن النصرانية مشتقة من البراهمية؟. وأن البراهمية هى الأصل والمسيحية هى الفرع؟. إذا قلنا هذا فنحن نكون قد كذبنا على الله وعلى أنفسنا لأننا نجهل أكثر مما نعلم عن الديانات القديمة وخاصة الديانة البراهمية. والذى يجب أن يقال هو:-

أن التشابه ليس دليلاً على أصلٍ وفرعٍ، ولكنه دليل على وحدة مصدر الوحى، أنها قصة كتب لها - سيناريو - واحد وتعددت جنسية أبطالها، ويوجد فى التوراة من التنبؤات عن المسيح ٣٠٠ ربما اقتبس الكهنة بعضها.

- فبعض ما جاء عن قصة حياة كرشنه فى كتبهم يتفق وما جاء فى الكتب السماوية (علامات ظهوره) معجزة الميلاد من عذراء، التحدث فى المهد، الوصايا) إلخ.. وأما الانحراف والشطط فى هذه العقيدة فهو من أعمال الشيطان، فكما أن دعوة الرسل والأنبياء واحدة أصلها ولُبُّها التوحيد، كذلك الشيطان دعوته التعدد والإشراك، وقد جاء فى صحيح مسلم، كتاب الجنة: أن رسول الله (ﷺ) قال فيما يرويه عن ربه:-

«إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين وحرَّمت عليهم ما أحللت، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً».

- إنَّ عقيدة كرشنه وتعاليمه نبعت من الديانة والكتب البراهمية، وقد جاء كرشنه على فترة من براهما عندما انحرف الناس عن طريق الحق يقول الله تعالى فى سورة «فاطر الآية ٢٤»:-

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾.. وتاريخ الرسل فى القرآن الكريم يدل على أن الله عَزَّ وَجلَّ لَمْ يترك البَشرية وهم يجمعون على الضلال والكفر بل يرسل رسله لتهدى الإنسان الذى خلقه الله سوياً مؤهلاً لعبادته وحده ولا يشرك به شيئاً..

ولم يدعِ كرشنه أو بوذا أو غيرهم بأنهم أنبياء مرسلين، ولم يخبرنا ربنا بأنه اختص شخصاً ومثله بآدم عليه السلام غير السيد المسيح، وعليه يكون المسيح عليه السلام فى منزلة خاصة عند ربه برغم تشابه قصته مع غيره من البشر.

- وعلى هذا أيضاً يكون حكماء الهند والصين مَنْ وصفهم «ابن سينا» بقوله:- «النفس الطاهرة هى النفس العاقلة لدى الأنبياء الأجلاء. وهى تدرك المعقولات دونما معلم أو كتاب، وذلك عن طريق الحدث العقلى وباتحادها بعالم الملائكة، وهى التى برؤيتها وتيقظها ترتفع إلى عالم الغيب وتتلقى منه الوحى.

- والوحى هو الصلة ما بين الملائكة والنفس البشرية وهو الفاعل فى مادة العلم لتحقيق المعجزات، وتلك هى المرتبة الأعلى فى مراتب الإنسانية.

وهكذا فإنَّ مثل هذا الكائن الذى يملك مثل تلك النفس هو خليفة الله على الأرض، ووجوده يتوافق مع العقل، وضرورى لخلود الجنس البشرى».

– أما المثاليون فيؤمنون بأن الفرد الواحد من بنى الإنسان ليس فى الحقيقة فرداً منفصلاً بذاته. بل هو العضو المنتدب من قبل الروح المطلق الذى نحن جميعاً ممثلوه وأن الله يدخل إلى كل فردٍ من بابٍ خاصٍ، والتفكير كالوحى يهبط على الرجل التقى. (انظر كتابنا الحقيقة المطلقة).

– إننا فى الخلق الفنى والإبداع الفكرىّ لا نأتى بشىء من عندنا ومن ناتج عملنا إنما كل شىء من الله وأن هناك حقاً مطلقاً يهبط على البشر كالوحى ينزل على الفرد بقدرٍ، وفى حين الحاجة العامة له.

– إن فى كيان الإنسان الطبيعىّ هذا الإيمان بأن معرفته الداخلية صورة من عالم خارجى موجود، وأن ما هو ممكن أكثر جداً مما هو كائن بالفعل.

– ونحن نرى أن الحكمة من وراء هذا التشابه الذى جاء فى أديان الشرق الأقصى، والأدنى، والمسيحية هو قول الله تعالى فى سورة «العنكبوت الآيات ١-٢» : **﴿آلـم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾**.. صدق الله العظيم.. والفتنة هى الثغرة التى يلج منها إبليس ليبث سمومه بين الناس.

«عقيدة بوذا»

يقول الباحثون:– لقد سكتت الأناجيل عن المسيح من عهد أن كانت سنُّه اثنتى عشر سنة إلى أن بلغ تسعا وعشرين، فأين كان يسوع فى هذه المدة وهى سبع عشرة سنة؟.. يقولون إنه ذهب إلى الهند وتلقى تعاليم بوذا وآداب البوذية، ولما عاد إلى وطنه وأخذ فى التعليم، والوعظ كانت تعاليمه محاذية لتعاليم بوذا فى الحث على تكميل النفس وتهذيبها؟! غير أنهم يقولون إن مقارنة تعاليم المسيح بتعاليم بوذا تبين أن تعاليم بوذا كانت سلبية بالحث على تجريد النفس من الشرور. وأما تعاليم المسيح فكانت إيجابية تحث النفس على البذل وفعل الخير للأعداد والأوداء إلى آخره.

– ولقد بنى هذا الاعتقاد على ما يروى، وما يقرأ عن البوذيين فى بوذا

فهو أكثر انطباقاً على ما يرويه الناصرى عن المسيح من جميع الوجوه، فهم يسمون بوذا المسيح، والمولود الوحيد، ومخلّص العالم، ويقولون أنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت، وأنه قدم نفسه ذبيحةً ليكفرً ذنوب البشر ويخلّصهم من ذنبهم فلا يعاقبون عليها، ويجعلهم وارثين لملكوت السماوات.

- بيّن الكثير من علماء الغرب هذه المقارنة منهم «بيلى» فى كتابه «تاريخ بوذا»، «وهوك» فى «رحلته»، «ومولر» فى كتابه «تاريخ الآداب السنسكريتيه» وغيرهم.

- وكما بينّا أن هذا الاعتقاد لا ينطوى على أى أساس من الصحة أو المعقولية، فلا المسيح - عليه السلام - هاجر من الشرق الأوسط إلى الشرق الأقصى، ولا بوذا ادّعى أنه إله، ولكنه فكر الكهنة الذين كرروا فعلتهم التى فعلوها مع «كرشنه» وهى تأليههم لبوذا أو جعله ابناً لله سبحانه وتعالى عما يصفون.

- والواقع أن بوذا هو أحد المصلحين، ويمكن بدون تزكيته على الله أن نضعه فى مصاف الأولياء والقديسين، جاء لإزالة ما أحدثته الوثنية فى الديانة البراهمية من تفريق بين الناس، وإشراكٍ بعد توحيد توارثه الناس خلفاً عن سلف، والحقيقة أن البوذية ليست فى نفسها ديانةً سماويةً أو دين وضعىً ولكنها مذهب فلسفى مشتق من ديانةٍ سماويةٍ أى الديانة البراهمية مع إدخال تعديلات لبعض القواعد.

«مكر الكهنة»

- ولد جوتاما - بوذا - مؤسس المذهبَ البوذىً فى منتصف السنة الستمائة قبل الميلاد فى بلدةٍ على حدود نيبال، وكان من أسرة نبيلة وكان أبوه أميراً يسمى «كابيلا فاستو» وسمى «سيزاراسا»، وعاش بوذا عيشةً ناعمةً وتزوج فى سن التاسعة عشر، حتى إذا بلغ التاسعة والعشرين من عمره انصرف إلى الزهد والتأمل، وهجر زوجته، وخرج هائماً فى الأحراش والغابات راغباً عن الدنيا تاركاً ملاذها غير معنىً إلا بما وصل إليه بنى قومه من الذلة والمسكنة نتيجة نظام الطبقات الذى أحدثه كهنة البراهمة، بغية إبقاء الشعب على حالٍ من الجهل، والغفلة ليتوصلوا بهذه الوسائل للإمساك بزمام الشعب، والاستعلاء

عليه عن طريق العقيدة وغيرها، مما أدى إلى انحطاط الشعب الهندى فعكف على ذلته يعبد الأشخاص والتماثيل والحيوانات.

– لقد وضع الكهنة للشعب الهندىّ نظام الطبقات. فقسموهم إلى أربع طبقات من حيث مهنهم، وأصولهم، وأنسابهم:–

– الطبقة الأولى: وهى طبقة البراهمة وهم رجال الدين، ويزعمون أنهم خلقوا من رأس الإله براهما، لذلك كانوا أعلى الناس وخلاصة الجنس البشرى، وعقله المفكر، ورأسه المدبر.

– والطبقة الثانية: طبقة الجند، ويزعمون أنهم خلقوا من مناكب براهما ويديه، ولهذا فهم الحماة والغزاة، والقوة «الكشتر».

– والطبقة الثالثة: طبقة الزراع والتجار وهم مخلوقون من ركبتى الإله براهما، والمسافة بينهم وبين الطبقة التى تسبقهم كبيرة جداً وقريبة من الطبقة التى تليهم «البيسن».

– الطبقة الرابعة: وهى طبقة الخدم والأسارى، وهؤلاء خلقوا فيما يزعمون من قدمىّ الإله براهما «الشودر».

– وقد وضع الكهنة آداب، وواجبات لكل طبقة لا يجب أن تنتقل عما عهد إليها إلى طبقة أخرى، وإلا كان الشخص الذى يفعل ذلك آثماً بالتحدى فى الأمر، وإذا التزم نال الخير إذا كان غير مقصرٍ فى عبادة الله غير ناسٍ ذكره فى جلّ أعماله.

– وكل طبقة تورث من شخص إلى غير من عقبه، فالزراع لا يصح أن يكونوا من التجار، والجند لا يرتقون إلى درجة الكهنة، وهكذا..

– وهناك دون هذه الطبقات الأربع: المحرمون، وأبناء الزنى، والذين يتناولون الأعمال القذرة فى المدن، ويسمون من ليسوا من الهنود «أمليج» ومعناها أنجا وبراهمى الطبقة الأولى له الحق أن يقرأ كتبهم المقدسة ويتعلمها ويعلمها للناس. والمحاربون لهم فقط أن يقرؤها ويتعلموها وليس لهم أن يعلموها. والزراع والتجار والخدم ليس لهم أن يقرءوا كتبهم ولا أن يتعلموها، بل إن ثبت أنهم فعلوا شيئاً من ذلك رفعت البراهمة الأمر إلى الوالى فقطع لسان من فعل، وكل الطبقات غير ممنوعة من تقديم القرابين؟.

– لاشك أن هذا الظلم ،والتعسف من قبل الكهنة هو الذى دفع بوذا على أن يهيم على وجه فى الجبال والأحراش متفكَراً فى طريقة للخلاص، ورغبةً فى الإصلاح، انزوى يستهدى الفكر ويهذب الروح ويستطلع الغيب، ويصهر جسمه الذى أخذ على النعومة فى بوتقة الشفاء الجسمانىِّ، والرياضة الروحية.

– وأقام على ذلك ست سنين دأبا لا يضعف ولا ينى، حتى إذا بلغ السادسة والثلاثين من عمره أحس بأن نوعاً من المعرفة قد أشرق فى نفسه وقذف بنورٍ فى قلبه، ويرى أنه بينما كان «جوتا» جالساً فى ليلة من الليالى تحت ظل شجرة تين، تجلى له نور وأنكث عنه الغطاء، وعرف كثيراً من الأسرار، وبذلك أطلق عليه لقب «بوذا العالم المستنير »، ثم عاد إلى بنى قومه بعد انقطاع ست عشر سنة ينشر دعوته ومبادئه على الشعب، فالتف به الأتباع وصار له تلاميذ يدعون بدعايته بعد أن آمنوا بمذهبه، وبمبادئه وانبعثوا فى الأفاق دعاة مرشدين، «وبوذا» من ورائهم ومعهم لا يكلُّ ولا يملُّ حتى مات فى الثمانين من عمره فكأن مدة دعايته مكثت على ذلك أربعاً وأربعين سنةً أو تزيد.

– لم يكن بوذا معنياً بتأليف الكتب بل كان معنياً بكثرة الوصايا والإرث العمليّ، وقد جمع التلاميذ أقواله من أفواه المتحدثين، والرواة، والمؤرخين وكتبت لهم بلغة «بالى» لان اللغة السنسكريتية المنقولة كتباً دينية لها القداسة، والحرمة المعطاة لكتب الفيدا عند البراهمة.. حتى إن الفيدا بأشعارها لم تعد لها عن أتباع بوذا أىُّ مرتبة من السمو الروحىِّ من بعد تعاليمه.

«عقائد وتعاليم الديانة البوذية»

– تتلخص التعاليم البوذية الظاهرة للكهنة، والخفية عن الأتباع إلا التلاميذ المشتركين فى الأسرار فيما يلى:

١- لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسول الفقير، إذن لا فرق بين روحيهما فكل منهما مستعد لإدراك الحقيقة والانتفاع بها.

٢- يدعو بوذا إلى سلوك الممر الأوسط بين التلذذ والزهد الخالص فى الدنيا.

٣- للعمر الأوسط ثمانى شعبٍ هى: النظر الصحيح، واللفظ الصحيح،

والإلهام الصحيح، والتفكير الصحيح، والسير الصحيح، والحياة الصحية، والجهد الصحيح، والسرور الصحيح..

– وهذا يعنى أن لو سلك الانسان الممر الأوسط فى تلك الأمور توصل إلى حياة سعيدة خالية من الآلام خلوها من دواعيها، وهى الشهوات، واللذات، ويصنع بوذا للحقيقة أركاناً أربعة هى:–

١– الرغبة غير المدركة تؤلم.. ٢– الشهوة أصل الألم ..

٣– لاستقبال الألم يجب نبذ الرغبة..

٤– لأجل منع الألم يقتضى اتباع الممر الوسط..

قواعد الديانة البوذية:–

– تقوم الديانة البوذية على دعائم تعتبر القواعد الأساسية للديانة. والأركان التى تعتبر خطوطاً عريضة يتخذ منها التفسيرات، والشروح. بحيث لا تخرج عن هذه الدعائم الأساسية هى:–

١– الألم من لوازم الوجود.

٢– الرجوع إلى هذه الدنيا مرةً أخرى سببه اتباع الشهوات، والنقائص فى الحياة السابقة «عقيدة التناسخ» ولشىء فى نفسى أعتقد أن هذه العقيدة دخيلة على تعاليم بوذا «المؤلف».

٣– الخلاص من الشرور والنقائص هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة للأرض فى تقمُّص جديد بعد الموت.

٤– التخلص من العقبات التى توقف حركة الخلاص من الشهوات.

٥– التسامح، والطيبة، والشفقة، والحب، ولين الجانب، والإقلاع عن الرغبات الباهظة، والإضراب عن الضروريات المهمة. وأشدهم درجات الزهد فى الحياة نفسها متى كانت مبذولة فى سبيل تخليص الغير.

٦– الأغراض فى الانكماش والترهيب.

– وإذا كان فى ما سبق من إرشاداتٍ شىء من الخير فهو فى مقاربته فى بعض نواحيه إلى ما يرمى إليه الكتب المقدسة وإن كانت معانيها أسمى، وأدق، وأحكم.

وقد ذكر فى كتب البوذية عشر رذائل جاءت فى صورة وصايا وهى:-

١- لا تقتل أحداً ولا تَقْضِ على حياة حى.

٢- لا تأخذ مالاً يقدَّم إليك. لا تسرق ولا تغتصب.

٣- لا تكذب ولا تقل قولاً غير صحيح.

٤- لا تشرب خمراً ولا تتناول مسكراً ما.

٥- لا تزّنِ ولا تأت أى أمرٍ يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرماً.

٦- لا تأكل طعاماً نضج فى غير أوانه.

٧- لا تتخذ طيباً ولا تكلل رأسك بالزهور.

٨- لا ترقص، ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء.

٩- لا تقتن فراشاً وثيراً ولا أرائك فخمةً ولا وسائد ولا حشايا وثيرة.

١٠- لا تأخذ ذهباً ولا فضةً.

- وبهذه القواعد، والتعاليم يمكن للإنسان المطبّق لها تطبيقاً صحيحاً أن يصل إلى «النرفانا» وهى فى عرف البوذيين عبارة عن بلوغ النفس والكمال الأسمى وانطلاقها من أسر المادة ويفنى الإنسان فى الروحانية البوذية الكاملة والمحبة التى هى أحد دعائم هذه العقيدة.

- إنَّ ما تقدَّم هو لُب الفضائل البوذية، وما تدعو إليه من مجاهدة الذات وبواعثها ورياضة الإرادة على تركها جملة، فالرزائل عند البوذيين منشؤها هو الذات، والانهماك فيها وما تدعو إليه.، فالذات فى عقبها آلام، وإنْ تطلعت النفس إليها، وتمنتها كان فى الحرمان منها آلام أيضاً، لذلك كان لابدِ لمحوِ الآلام من القضاء على أصلها. والنبعة التى نبعت فيها ولا يتم هذا إلا إذا روّض الشخص إرادته على هجر اللذات، ومجاهدة النفس بسلوك الممر الأوسط.

- لقد نشأت الديانة البوذية بالهند وأكثر معتنقيها فى الصين، واليابان وكان منشؤها براهيما «لذلك قلنا إن عقيدة التناسخ دخيلة عليها» جاءت لتصحيح الوضع الذى آلت إليه هذه الديانة..

- والثابت عن بوذا أنه كان عاكفاً على دراسة واحدة هى التى جعلها عماد نظره، وقوام بحثه، والأساس الذى بنى عليه ديانته، أو بعبارةٍ أدقِ مذهبه

الخلقىّ الذى يهدف إلى تخفيف ويلات الإنسانية، والقضاء على شقائها.. لذلك نجد العقيدة البوذية لا تتدخل كثيراً فى الإلهيات ولا تشير صراحةً إلى إلهٍ خالقٍ سوى – النرفانا – ومعناها الإطلاق الطبيعى أو المتساوى، وكان بوذا يؤمن بروح عامٍ متغلغل فى كل شيء.

ولكن قوماً من الباحثين ادعوا إنه أنكر الألوهية لقوله:–

– وما الإله؟ أهو العناصر نفسها؟ لئن كان ذلك ما كان فى الأمر جديدٌ غير وضع اسم على شيء.. ونعتقد أنهم مخطئون. وإن الذى نعتقده أن بوذا لم يتعرض للبحث فى الألوهية بسلبٍ أو إيجابٍ لأن أولاً عقيدته هى امتداد للديانة البراهمية، وهى ديانة سماوية تدعو إلى عبادة إلهٍ واحدٍ، وثانياً أن مذهبه إصلاحىٌّ اجتماعىٌّ خلقىٌّ أكثر منه دينّى، ولذا لم يتعرض للاهوت. والعبارة التى وردت عنه هى عبارة مفكر متحيرّ لا عبارة منكر جاحد.

– والمعروف أن بوذا لم يدّع يوماً أنه إله أو ابن إله، ولكن مبالغة أتباعه هى التى جعلت من بوذا إلهاً. ومن مذهبه الإصلاحىّ الفلسفىّ ديناً. وليس هناك دليل يظن معه أنه أنكر الإله، بل على العكس فإنّ تعاليمه تشير إلى قوةٍ مهيمنةٍ مسيطرةٍ على الكون، ولكن العماد الذى أقام عليه بوذا مذهبه هو السلوك القويم للإنسان وأن عليه أن يجاهد الشهوات، ويروض الشخص إرادته، ويترك اللذات ويصبر على الحرمان فلا يكون ألم، وتخف ويلات الحياة.

– لقد نجحت الدعوة البوذية فى المجتمع التى نشأت فيه، فألغيت نظام الطبقات، وتساوى الناس فى الحقوق، لا فرق بين شخصٍ وآخر بنسبه أو طبقته ولكن الفرق بينهما بالموهبة والقدرة والعمل، محا بوذا إذاً الفرقة بين الطبقات، وتلاقى الناس فى مذهبه عند الوحدة الإنسانية من غير اعتبار للاختلاف العنصرىّ ولا فضل لأحدٍ إلا بالمعرفة وسيطرة الإرادة الإنسانية.

– نجحت البوذية فى طمس معالم القهر الكهنوتى السابق عليها، ولكنها خفقت فى توحيد البوذية مع البراهمية. فإن البراهمية كانت فيها العناية الكبرى بالجانب الإلهىّ، والتقرب للمعبود والفناء فيه، وكل ما فيها من نسك فهو لهذه الغاية إعطاء المعبود ما يستحق من عبادة.

–ولا يوجد دليل على أن بوذا أراد بمذهبه أن يفصل بين الإنسان وعقيدته

الدينية، ولكن غايته وكل عنايته كانت منصبةً على إنقاذ الإنسانية من آلامها وظلم الكهنة للناس، فمنشأ مذهبه كان براهميا جاء لتصحيح ولم يأت للتغير ومثله فى ذلك هو مثل الأنبياء الذين جاء ذكرهم فى التوراة مثل «أشعيا»، «أرميا»، «حزقيال»، «زكريا» جاءوا منذرين ومبشرين سائرين على منهج التوراة وشريعة «موسى عليه السلام» ولم يغيروها، والدليل القاطع على ذلك هى كتبهم فهى ليست منزّلة وهم لا يدعون ذلك، بل هم لا ينسبون ما فيها إلى جانب إلهىّ، وكل ما فيها هى عبارات منسوبة إلى بوذا أو حكاية لأفعاله أو نقل لما أقرّه من أعمالٍ، ونصوص تلك الكتب مختلفة بسبب انقسام البوذية فى نحلهم، فبوذيو الشمال فى التبت لديهم نصوص ليست عند أهل الجنوب. وأكثرها اشتملت على أوهامٍ كثيرةٍ تتعلق ببوذا، ونصوص بوذيى الجنوب هى الأصح نسباً والأصدق قولاً والأبعد عن الأوهام، وهى التى يعتمد على بيانها.

– وتنقسم تلك الكتب على ثلاثة أنواع، أولها: يشتمل على مجموعة قوانين البوذية ومسالكها. وقد جمعت تلك المجموعة سنة ٣٥٠ قبل الميلاد، وثانيها: مجموعة الخطب التى ألقاها بوذا ووصاياه، ثالثها: الكتاب الذى يحتوى أصل المذهب والفكرة التى نبع منها وفيه مواضيع تدور حول الخير والشر، واللذة والألم.

– وفى الجملة ترى فى كتب البوذية كلاماً خصباً قيِّماً فيه بيان الأخلاق، والسلوك القويم.

– كانت دعوة بوذا صادقةً صريحةً خالية من الأوهام، ولكن يأبى الذين جاءوا من بعده إلا أن يحيطوها بشتى الأساطير التى أوحت بها الأوهام الشيطانية كما أوحت للذين من قبلهم، فقد زعموا أن حياة بوذا كلها قد أحيطت بالمعجزات وأنه هو المنقذ المعزى والذى قدّم نفسه فداءً للخليقة من الخطايا.

وكما ترى أيها القارئ العزيز أنهم شكلوا نفس الخط غير المستقيم الذى سلكه المنحرفون من قبلهم، هل هى الصدف فى أن يتطابق المخطط الشيطانى منذ عصر «إدريس» – عليه السلام – إلى بوذا؟ أم هى لعنة الله عليه بأفساد العقائد الدينية؟

– يقول الله تعالى فى سورة «الأنعام الآيات ١١٢ و ١١٣»:–

﴿وَكَذَلكَ جعَلْنَا لكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِن يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ، فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُقْتَرِفُونَ﴾.

إنَّها الفتنة أو امتحان الله عزَّ وجلَّ لقوة الإيمان عند الكهنة الذين اشتروا متاع الدنيا ونسوا الآخرة، وفكروا، ودبروا في الخفاء، ومكر الله وفوت على الكهنة وشيطانيهم سوء عملهم وجعل رحمته عز وجل وعمل بنى آدم يسبق عقيدته الدينية. تذكر هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم نذكر منها على سبيل المثال الآيات التالية:

فى سورة النساء «الآيات ١٢٣و١٢٤»: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ، مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً. وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾.

وفى سورة «الكهف الآية ٧»: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

وفى سورة «الملك الآية ٢»: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

– لقد كان أبو بكر محيى الدين بن عربى «٦٣٨– ٥٦٠هـ» شيخ المتصوفة فى وقته، وكان يطلق عليه «الشيخ الكبير، والعارف بالله» وكان يقول بوحدة الأديان حتى غير السماوية منها، وكما بيّنا فنحن نؤمن بهذا القول، ولا نؤمن بالكثير من أفكار وآراء، ومذهب ابن عربى، ولنا معه موعد هنا بعد حين إن شاء الله.

إنَّ المثل الأعلى لمن يطلب الحكمة يتمثل فى الكشف عن الإله ثم الاتصال به كما عبر عن ذلك أفلوطين فى دقة، وعمق بالغين.. وتعدُّ الحكمة أو الفلسفة الهندية فلسفة كاملة لأنها حققت الكشف عن الإله ثم الاتصال به. وقد صور «ابن طفيل» فى رسالته «حى بن يقظان» الطريق الكامل المشتمل على طريق العقل، والحكمة معاً.. بينما أخفق الفلاسفة العقليون لأن هؤلاء لم يقطعوا إلا نصف الطريق.

«الكونفوشيوسية»

– لقد رأينا كيف اتصلت الفلسفة الهندية، والصينية بالدين وامتزجت به امتزاجاً تاماً، فقد كانت هذه الفلسفة موافقة للدين الحق، والدين الحق لا يتنافى مع العقل القويم، بيد أن الكهنة حولوا مسار دين الحق دين التوحيد إلى دينٍ قائمٍ على الشرك، ولكنهم تلاقوا مع الفلسفة القائمة على الأخلاق القويمة وساروا معها سيراً متزناً محكماً حيث إن الفلسفة تدعو إلى حسن المعاملة بين الناس، وإصلاح الأخلاق العملية وتنظيم السلوك الإنسانيّ، فليس بينها وبين الدين نقيض.

– وبهذا تقاربت فلسفتهم ودينهم على إقامة بنيانٍ قويّ من الأخلاق، والسلوك القويم على حساب أصل الدين القويم وصراطه المستقيم.

– ولقد اتضح هذا المزج والمركب الكهنوتى على أتم وضوح فى الكونفوشيوسية وصاحبها «كونفوشيوس» أو «كونغ فوتس» أى فوتس الحكيم، وُلِدَ ذلك الحكيم عام ٥٥١ قبل الميلاد فى أحد قرى مقاطعة «لو» من أعمال ولَاية شانتنج بالصين، وكانت أسرته تمت فى نسبها إلى فرع ملكى ولقد كان أبوه قائداً عظيماً وحاكماً لأحد المدن، ولكن الطفل فقد أباه وهو فى الثالثة من عمره ولم يترك له من حطام الدنيا شيئاً.

– تزوج كونغ قبل أن يبلغ العشرين من عمره ولكنه لم يجد فى زوجته الرفيقة التى تشاركه أفكاره، وطموحاته ففارقها بعد سنين معدودة، ولكن بعد أن أنجب منها صبياً وجارية صارا له قرة عينٍ.

– نشأ عنده حب التأمل والتفكير وصار منزله منتدى طلاب العلم، ومقصدهِ، فقد وضع كونغ مذهبه الذى ضمنه تعاليمه، وآراءه وأخذ يبثها فى شبيبةٍ كان له منهم صحب يشبهون الحواريين للنبيين فى التمسك بفكرته والإخلاص لدعوته التى دان لها وآمن بها كثير من أهل الصين.

– كان كونغ يعلم ويتعلم، وكان على اتصال بالفيلسوف «لوتس» صاحب النحلة الصينية التى تعرف فى الصين «بالطاوية» وكان يكبر كونغ بأكثر من خمسين سنةً وله كتاب جمعت فيه أحاديثه وآراءه يسمى «كتاب الأخلاق»، وهو يدعو إلى القناعة، والزهد، والتسامح المطلق. ومقابلة السيئة بالحسنة، أما

كونغ فكان يؤمن بعكس ذلك، ويدعو إلى طريقٍ لا إفراط ولا تفريط ومقابلة السيئة بسيئةٍ مثلها، ولم يتفق الحكيمان فى جدال أبداً.

– ويقول كونفوشيوس عن نفسه فى كتاب «المحاورات» :– «انصرفت إلى طلب العلم وأنا فى الخامسة عشرة، وفى الثلاثين التزمت جادة الفضيلة. وفى الأربعين لم يكن فى نفسى أى ريب فى حقائق الأشياء. وعلمت القضاء والقدر وأنا في الخمسين. وأصغت أذنى إلى كل الحق عارفاً فاهماً وأنا فى الستين، ولم أتجاوز حدود السلوك القويم وأنا فى السبعين».

– كان كونغ يخص وهو يطوف مقاطعات الصين الأمراء بإرشاده لأن فى صلاحهم يكون صلاح العامة. وكان يقول:–

«السياسة هى الاصلاح، فإن جعلت نفسك أسوةً حسنةً لرعيتك فمن الذى يجترئ على الفساد؟»، ويقول أيضاً:–

«إنَّ أخلاق الرؤساء كالريح، وأخلاق المرء كالعشب، وإلى أية جهةٍ هبت الريح مال العشب».

– وحينما استقر كونغ فى ولايته عين حاكماً لأحد مدنها، فصارت تلك المدينة فاضلة ونموذجاً يحاكى مثالاً يحتذى، فرفعه أمير المقاطعة إلى مرتبة نائباً، ثم ولاه وزارة العدل، وفى حكمه ساد السلام واطمأن الناس وأظلت الفضيلة الجميع، وكان هذا مثلاً صالحاً لحكم الفلاسفة سبق أحلام الكثيرين غيره من المثاليين.

اعتزل كونغ فيما بعد الحكم، وعاد إلى الطواف فى الأقاليم، ثم عاد إلى مقاطعة «لو» فعكف الحكيم على مدارسة أصدقائه، ثم تنزّل به وهو فى السبعين من عمره ما حزّ فى قلبه، فقد مات اثنان كلاهما مهجة نفسه وقطعة منه أولهما وحيده، وثانيهما تلميذه «هووى» الأثير عنده الحبيب لديه، فأظلمت الدنيا فى وجهه، ولكنه لم يقعد عن العمل، بل أخذ يلخص الكتب القديمة ويرتبها، وبذلك خلق لنفسه عملاً آخر جليلاً.

– هذا موجز لحياة فيلسوف الصين العظيم، وقد ترك كونغ بعد موته تلاميذ أخذو على عاتقهم بث دعوته حتى صارت مذهباً رسمياً لتلك البلاد المترامية الأطراف. واستمر كذلك من آخر القرن الثانى قبل الميلاد إلى القرن العشرين بعده.

– لم يكن كونغ مدعياً لرسالة ولم يقل إنه رسولٌ مبعوث، بل كان حكيماً فيلسوفاً يبشر بمذهب الأخلاق والسلوك القويم.

– أما عقيدته فهى ما كان يعتقده الصينيون القدماء. وأساس هذه العقيدة هى عبادة السماء والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء – الملائكة – وأرواح الآباء.

– أما السماء المعبودة فلا يقصدون بها تلك القبة الزرقاء بل يقصدون الأفلاك ومداراتها، والقوة المسيطرة على السماء والأرض.

– وهم يعتقدون أن كل ما فى العالم من قوى مسّيرةٍ إنما هو خاضع لسلطان السماء فى نظامٍ دقيقٍ محكمٍ.

– والسماء لها السيطرة العليا على المادة والأشياء جميعها، ولكن المُنْشأ لديهم من ذات المُنْشىء، كما كان يسود الفلسفة الأيونية التى كان قوامها العنصر الأول الذى تكونت منه الأشياء. ومع ذلك فهم يؤمنون بالقضاء، والقدر وأن كلٌ الحوادث مقدرة فى السماء من قبل وقوعها.

– أما عبادتهم القوى المسيطرة على الأشياء الموكلة بها، فلأنهم كانوا يعتقدون أن لكل شىء قوةً تسيطر عليه وتسيِّره، وهى كثيرة مثل الشمس والقمر، والسحب، والمطر، والجبال، والانهار وكل الكواكب.

– ومن عقائد الصينيين أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى فى الدنيا مع أسرتهم، ولذلك يعبدون أرواح الآباء تقديساً لهم ووفاءً لعهدهم، وشكراً لهم على ما أسدوا من نعم لأبنائهم، ويقدمون لهم القرابين، وعبادتهم غناء ورقص وموسيقى، وكأنهم يشركون آلهتهم وأمواتهم فى أفراحهم وسرورهم.

– ولم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار، ولا عقاب ولا ثواب.. ولقد أخذ كونفوشيوس بكل هذه العقائد، ولم يزد عليها والتى نرى فيها خليطاً من تعاليم سماوية، وخرافة كهنوتية. فلم يؤمن كونغ باليوم الآخر ولم يفكر فى الحياة بعد الموت، بل كان كل همه فى إصلاح الحياة الدنيا، وقد قال فى أحد المناسبات:– إننا لا نعلم الحياة فكيف نعلم الممات؟!، وكان يقدِّم القرابين

ويقوم بواجب العبادة التى يقوم بها كل صينى، بل كان من الناحية الدينية ساذجاً يتشاءم من هزيم الرعد، ويرتجف وترتعد فرائصه عندما يسمعه، ويقرأ التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة من بيته. وفى الجملة كانت عقيدته ساذجةً يؤمن بالخرافات والأوهام والأساطير التى اخترعها الكهنة، ولكن عبقريته بدت فى آرائه فى السلوك الإنسانى والخلق القويم ورياضة النفس عليه، وما ادعى أنه أتى بجديدٍ ولكنه أحيا المقبور من آراء سابقيه من أمثال لوتس، وغيره الذين حاولوا إصلاح المجتمع الصينى الذى انحدر فى طريق الرذيلة، والانحلال الخلقىّ وتفشى فيه الداء بسبب الأسرة الحاكمة فى القرن السابع قبل الميلاد والتى ارتكبت من الظلم ،والاستبداد برعاياها ما أوقع الشعب فى الفوضى، والاضطراب، والانحلال الخلقىّ.

– لقد اعتقد الصينيون منذ أقدم العصور أن الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التى تسود الناس وملوكهم. فكلما كان الاعتدال، والانسجام، والفضائل يسودان المعاملة بين الناس، ويربطان العلاقات بينهم برباط المودة والرحمة، فالكون سائر فى فلكه من غير أى اضطراب، ولكن إذا حاد الإنسان عن سمات الحق والسلوك القويم والفضيلة، اضطرب بعض ما فى الكون لمخالفة القانون الأخلاقىّ.. وما الزلازل وخسف الأرض، وكسوف الشمس، وخسوف القمر إلا أمارات لفسادٍ خلقىّ، وإذا كان السلوك غير القويم يحدث الاضطراب والقحط. فالسلوك القويم يجلب الخير والبركات، ويجعل كل ما فى الكون يجيىء على رغبة الإنسان.

– وطريق الخير هو الاعتدال والاقتصاد فى كل أفعال النفس وسجاياها. فالقناعة مع الجد من غير استسلامٍ فضيلة، واللين من غير ضعفٍ فضيلة، والراحة مع العدل المسيئ فضيلة أيضاً، وكذلك الإفراط والتفريط رذيلة. فالفضيلة طريق السعادة والرذيلة طريق الشقاء.

– وقد ابتدأ كونغ نظراته الفلسفية بتعيين المعنى، واللفظ للأشياء والمسميات وهى النظرية التى ابتدأ بها أيضاً سقراط من بعد كونفوشيوس، وذلك لما تشابهت فيه أحوال العصريين «اضطراب خلقى وتلاعب فى نظام الحكم وعبثٍ بمصالح الدولة واللعب بالألفاظ لتوهين الأخلاق».

- فكان لابد من العمل على تعيين المعانى الدالة على الألفاظ ليثبت المعنى مستقيماً، وكذلك فعل سقراط مع السوفسطائيين الذين اتخذوا من اللعب بالألفاظ طريقاً لحل أخلاق الشباب الأثينى وإفساد إعتقاده والعبث بكل ما هو فاضل لديه، ولذا كان أول ما دعا إليه سقراط ألاً يؤخذ ببريق اللفظ حتى لا يفسد الاستدلال، والتفكير.

يقول كونغ فى كتابه «الحوار» :- إذا لم تكن الأسماء صحيحةً لا يوافق الكلام حقائق الأشياء ويقع الخلط وتفسد الأمور، ويقول:- إن الرجل الكامل الخلق لا يستهين بكلامه، ولا يهمل فى تعبيره وهو على تمام المعرفة بنفسه، وبحقائق الأشياء.

- ويقول أيضاً:- مَنْ تعلّم من غير تفكيرٍ، وتدبيرٍ فهو فى حيرةٍ. ومن فكر من غير تعلُّمٍ فهو على خطر الضلال، ويرى كونغ أن المعرفة طريق الفضيلة، وليست هى الفضيلة كما يقول سقراط، فأمارات المعرفة عنده ثلاث:-

١- معرفة للحق مجردة. ٢- وشوق إلى الحق ومحبة له. ٣- وعمل به وارتياح النفس إلى العمل به مهما يكتنفها فى العمل به من صعابٍ وشدائدٍ.

ثم يقسِّم الناس فِى المعرفة إلى أربع درجات: الدرجة الأولى درجة رجل وهبته السماء المعرفة وأُتِى الإلهام وهى أعلى الدرجات.

- والثانية: درجة رجلٍ لم يؤتَ إلهاماً، ولكنه فيه ذكاء فتعلم ووصل إلى أقصى ما يتعلمه من لم يؤتَ إلهاماً.

- والدرجة الثالثة: درجة الرجل الذى لم يؤتَ ذكاء بل فيه غباء، ويطلب المعرفة وينال منها بمقدار طاقته.

- وللدرجة الدنيا: وهى الدرك الأسفل رجلٌ حائرٌ بائرٌ فيه غباء وبلادة فلم يعرف ولم يحاول معرفةً.

- ويقول:- إن معرفة الإنسان لا يمكنها أن تصل إلى الغايات من الأشياء بل أقصى ما يمكنِ أن تصل إليه هو معرفة ما يمكن أن تعرفة، وهو النواميس، والقوانين التى تسيِّر الكون أو الأكوان على مقتضاها، فإن العالم فى نظره محكوم بقوانين لا تقبل التخلف. قوامها التآلف، والانسجام بين أجزائه.

فالسماء والأرض والإنسان قد ارتبط ثلاثتهما بنظام محكم وبقوانينَ مؤلفةٍ بينها، وأن ذلك النظام قد يمكن أن يعرفه الإنسان، ولا يمكن أن يعرف علته الغائبة ولا مبعثه ودوافعه، وأن الشر كل الشر أن يكون فى تصرفات الإنسان ما يحيد به عن النظام المطلوب بين الإنسان والأكوان، وذلك بأن يرتكب من الشر ما يكون سبباً أن تنزل السماء عذاباً.

– ويقول كونغ فى الحوار:– لو ارتكبت ما لا يليق غضبت السماء، وكان يعتقد أن النفس ينابيع صافية المواد للخير، وفيها استعداد للشر فالأصل للنفس الخير والشر عارض وانحراف عن الفطرة، فالحكيم إذن من عمل على إحياء الفضيلة وتصفية النفس من كدور اللذة.. وعلى ذلك يطلب الإنسان الفضيلة لا رجاء منفعةٍ، ولا دفعاً لمضرةٍ، ولكن يطلبها لأنها كمال إنسانىٌ بها التآلف، والانسجام بين الإنسان والعالم من حوله.

– ويقول كونغ أيضاً فى كتاب «الحوار»:– الرجل غير الفاضل لا يستطيع أن يبقى فى الفاقه أو الثروة طويلاً، أما ذو الفضيلة فهو مستريح من فضيلته حريص عليها، ويقول أيضاً:– ذو الفضيلة يستبشر الجارى، والجبل الراسى، نشيط، رزين. معمر. والفضيلة عنده روضة فيها الروح والريحان، الستر والاطمئنان، أما ذو الرذيلة فهو فى شقاءٍ وبلبالٍ مستمرٍ، وينزل عليه غضب السماء جزاء ما قدمت يداه، واقترفت نفسه.

– ويفهم من حواره مع تلاميذه، ومن مجموع آثاره أنه يوجب على الشخص أن يراقب نفسه، ويلاحظ البواعث التى تبعثه على الأعمال، ولذلك يقول عند الحكم على الأشخاص أهم إلى هدى أم إلى ضلال انظر إلى أعمال الناس، وراقب بواعثها ولاحظ ما إليه يستريحون فأين يخفى الناس سرائرهم؟! أين يخفى الناس سرائرهم؟!

– وأخشى ما يخشاه كونفوشيوس على الفطرة، اللذات من أن تطفىء نورها وهداها، ولذا كان يحث على الخشونة فى العيش، وتكون اللذات آفةً للشخص ولا تكون مسيداً له مسيطرة عليه، ويقول:– ثمرة الآداب حسن العشرة، فهو يرى أن الأخلاق تبتدئ من الفرد، وتنتقل إلى إصلاح الجماعة، فالرجل الفاضل لا يتحير، والرجل الفاضل لا يتعصب، لا مغالبة ولا تنازع..

وقد دعا كونغ إلى احترام الآباء والعناية بشدة إلى تماسك الأسرة، وجعل ذلك أساساً من أسس الكمال فى نظره.. هذه بعض آراء كونغ الخلقية، أما آراؤه السياسية فيرى أن السياسة الحكيمة هى ما تقوم على الأخلاق القويمة. وأن القادة يؤثرون بأخلاقهم أكثر مما يؤثرون بقوانينهم، وأن العامة يسيرون على أخلاق حكامهم ويقول:-

إنْ كان سلوك الرئيس مستقيماً أطاعه المرءوسون من غير أن يأمرهم، وإنْ كان غير مستقيم لم يطيعوه ولو أمرهم، وإنْ كان صالحاً صلحوا، وإنْ كان معوجاً فسدوا، وإن أطاع الناس رهبةً وخوفاً انقطع الحبل الموصل بين الحاكم والمحكوم.

ويقول كونغ: آمن بالحق، وأحب العلم واتبع الفطرة ولا تقم فى مملكة سادتها الفوضى، فمنَ العار أن تفتقر وتبتعد والبلاد تحت سياسة عادلة، ومن العار أن تغنى وتعتز والبلاد تحت سياسة غاشمة، ولتكن عنايتك فى القيام بالواجب لذات الواجب. فالإخلاص للواجب هو الأمر الذى يجب أن يعنى به صاحب المنصب.

– هذا هو الفيلسوف الحكيم الذى لا تزال الصين تجله على اختلاف مللها ونحلها. وهذه إشارة موجزة إلى آرائه الخلقية التى لا تزال فى الصين نبراساً يهتدى به الكثرة الغالبة منهم، فقد دعا أهل الصين للعلم والعمل والعبادة، وبث فيهم روح الفضيلة، والتآخى، والحب، والطهر، والنقاء، والصبر، والعزة، والكرامة، والتزود من المعرفة.

– وأصبحت الكتب التى تركها بعد موته كتباً مقدسة، لها من القداسة ما لأىِّ كتبٍ سماويةٍ عندهم، حتى عُدَّتْ فيما بعد دستوراً للصين، وهذه الكتب الثلاثة هى:-

– «مختارات كونفوشيوس – تعاليم البالغين – الاعتدال».

وله مؤلفات أخرى وهى تلخيصات، وشروح للكتب المقدسة القديمة، وقد كانت شروحه وتعليقاته متضمنة منهجه وآراءه فى الدين والاخلاق والسلوك القويم.

- ومن الطبيعى ومن وحى ما تقدم عن تعسف وافتراء الكهنة. وفى هذه المرة كهنة الكونفوشيوسية أن يتحول هذا الرجل المصلح إلى إله يعبد، فقد أجمع الكهنة على عبادته وتقديس تعاليمه وحكمه، فوضعوا ثالوثاً إلهياً على غرار الثالوث الهندى «براهما، فشنوا، سيفا» فقد تحول كل العبادات فى الصين من كونها عبادة لإله السماء أو عظيم السماء الإله غير المنظور كما جاء فى أصل العقيدة، والكتب البراهمية إلى أن أصبحت ثالوثاً وضعه فيلسوف صينى يدعى «فوفى» وهذا الثالوث حسب العقيدة الكونفوشوسية هو:

١- «تى ين» أو الإله المجهول غير المنظور.

٢- «تشانج» أرواح الآباء والحكماء والملوك.

٣- «نى سنر» الشمس والكواكب السيارة.

- وتجد فى معابدهم مذبحين الأول والثانى مخصصان لعبادة الأقنومين الأولين من الثالوث تقام حولهم الأصنام والتماثيل التى ترمز إلى صورة الآباء والحكماء والملوك، وتماثيل أخرى ترمز إلى الطبيعة فتجد الخاصة والعامة منهم يقفون أمامها خاشعين يرغبون رحمتها ورضاها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن الصين انتقلت هذه المبادئ إلى اليابان حتى أصبحت العائلة المالكة فى اليابان آلهة وأعظم الآلهة الامبراطور.

- ومرة أخرى ينجح المخطط الشيطانى فى استقطاب أكثر من ألف مليون من بنى البشر ليشركوا بالله ويتحولوا عن عبادة الله الواحد الأحد إلى عبادة الأصنام وتقديس البقر والعياذ بالله؟!.

- تحولت الديانة البراهمية التى كانت بمثابة المدد لفلسفة كونغ عن معناها السليم وقصدها المستقيم على يد كهنة الكونفوشيوسية إلى قصص، وأساطيرَ، وخيالٍ دينىّ ما أنزل الله به من سلطانٍ.

- ولم يترك هذا المخطط الشيطانى عقيدة دينية إلا أصابها بآفة الشرك، وهذه هى مهمة إبليس على الأرض ووعده الذى أخذه على عاتقه، ولتنظر إلى قول الله تعالى فى سورة «سبأ الآيات ٢٠- ٢١»:

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لَهُ

عَلَيْهِم مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ، وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.

ويحذرنا ربنا من إبليس فى سورة «البقرة فى الآيات ١٦٨- ١٦٩» فيقول الله عزّ وجلّ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ويقول سبحانه وتعالى فى سورة «الأعراف الآية ٢٧»:

﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

يقول «باسديو» فى طلب الخلاص:- إن كان العقل هو الذى سوّى، فالجهل هو الذى فصّل وفضّل، ونحن لا نجهل أن التراجديا الشيطانية التى بدأت فى مصر، وشوهت رسالة التوحيد التى جاء بها «إدريس» - عليه السلام- للشعب المصرىّ تكررت فى الهند، والصين، وشوهت رسالة التوحيد البراهمية، وعقيدة من ساروا على هديها.

- الحبكة الشيطانية نفسها أصابت كل الأديان إلا من حفظ الله، وكأنك ترى تراجديا شكسبيرية متكررة؟!.. التثليث، والحلول، والإشراك بالله عزّ وجلّ بعد التوحيد الخالص التى بدأت به هذه الرسالات، فترى هذه الرسالات وقد أصابها تطور عكسى، فبدلاً من الصعود، والسمو بها إلى الكمال فى التقديس، والعبادة الخالصة لله عزّ وجلّ، تجدها تنحدر إلى أدنى مستوى وثنى فتقدس البقر والأصنام؟!.. عمل شيطانى يحير ويتوه فيه أولوا الألباب؟..

- وهذا ما حدث «لأبى الريحان البيرونى» فقد قسم الهنود بالنسبة لاعتقادهم فى الديانة البراهمية خاصة وعامة. ويفرض أن الخاصة موحدون، وغيرهم وثنيون، وهو يقول فى هذا المقام:- «إنّما اختلف اعتقاد الخاصة لأن طباعها تنازع المعقول، وتقصد التحقيق فى الأصول، وطباع العامة تقف عند المحسوس وتقنع بالفروع، ولا تروم التدقيق، وخاصة فيما افتتنت فيه الآراء ولم تنفعه عليه الأهواء».

إلى هذا الحد يمكن أن يلتبس الأمر على المفكرين حينما لا يجيدون تعليلاً معقولاً لوجود نقيضين فى كتابٍ مقدسٍ واحدٍ، توحيد وإشراك.

وقد نسى البيرونى رحمه الله أن العامة فرض عليهم هذا الاعتقاد وحرموا من الاطلاع على كتبهم المقدسة، وأوهموهم بأن القوى حلت فى الأصنام وأجبروهم على عبادتها وتقديم القرابين لها أو لهم؟!. ووضعوا لها نظام الطبقات من تعداها عدّ آثماً وحلّ عليه العقاب وكثير من هذا التعسف الذى سبق ذكره، وضعه الكهنة الذين بدلوا نعمة الله كفرا، وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار فمن سنّ سنةً حسنةً كان له أجرها وأجر من اتبعها، ومن سنّ سنةً سيئةً كان عليه جرمها وجرم من اتبعها، وهكذا علّمنا ديننا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

إنّ المطلع على كتبهم يجد فى كثيرٍ من نصوصها ما يدعو إلى الإيمان بأنها وحى السماء، وما بها من نصوص وثنيةٍ هى دخيلة على الديانة البراهمية، وإذا وزنا بميزان الحق، والعدل ما انتهى إلينا من معلومات عن هذه الأديان نجد الذين نصفهم بالفلاسفة هم فى حقيقة الأمر أنبياء لم يأتنا نبأهم.. لقول الله تعالى فى سورة «النساء الآية ١٦٤»: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾.

وأيضاً فى صورة فاطر الآية ٢٤: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

– وعلى ضوء ما تقدم نفهم معنى الآيات القرآنية التى وعد الله عزّ وجلّ فيها الصابئين من آمن بالله، واليوم الآخر، وعمل صالحاً بأن لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هو وعد حق من ربّ العالمين، أما الكهنة الذين أضلوهم وتاجروا فى الدين فحسابهم عند الله عسير، والله أعلم.

---

(١) مراجع أقوال الوثنيين فى «بوذا، وكرشنا» ومقارنته بقول النصارى فى يسوع المسيح يوجد فى الكتب التالية:–

The Sources of Christianity- Khwaja Kamal- ud- Din.

The Life of Buddah- Dward Thounas.

Bifle Mythologic- R. W. Doane.

أمّا الذين لا يوافقوننا فى وجهة نظرنا هذه، ويعتقدون بأن ليس للسماء صلة بهذه العقائد، ويقولون بإنها حلقة فى تطور الأديان. نقول إن فكرة تطور الأديان هى فكرة ملحدة يراد بها التضليل، والتستر على قوانين السماء.. فقد أجمع مؤرخو الأديان على أنه ليست هناك جماعة إنسانية أو أمة كبيرة ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر فى مبدأ الإنسان، ومصيره وفى تعليل ظواهر الكون وأحداثه ودون أن يكون لها فيه رأى سواء أكان يقيناً أم ظناً قول العلماء، وقولنا أنه الوحى الذى أنزل على رسلٍ منهم يعلموهم أمور الدين والدنيا.

فالإنسانية الأولى استطاعت أن تحفظ لنا صوراً من حياتها فى قبائلٍ متعددةٍ منتشرةٍ فى استراليا وأمريكا وأفريقيا وآسيا، العلماء من مختلف الدوائر منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى الآن تحاول الوقوف على حقيقة الأديان، وأهم هذه النظريات هو المذهب التطورى الذى يقول:- إنّ الدين بدأ بصورةٍ ساذجةٍ هى صورة الوثنية والخرافة التى ابتدعتها، وأخذ الإنسان يترقى فى دينه على مدى الأجيال، حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد، كما تدرج نحو الكمال فى علومه وصناعاته.

- وهذه النظرية نادى بها أنصار مذهب - التطور التقدمى - الذى ساد أوربا فى القرن التاسع عشر فى أكثر من فرعٍ من فروع العلوم، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عدد من الباحثين منهم «سبنسر، وتايلور، وفريزر، ودوركايم».

- والتطوريون حلوا المشكلة فى ضوء تحليلهم لتطور الحياة الإنسانية نفسها من الأدنى إلى الأسمى.

- ومن العجيب، والغريب أن كثير من المسلمين قد تأثروا بهذه النظرية ووضعوا كتباً يؤيدون فيها فكرة التطور هذه، ومن هؤلاء «عباس محمود العقاد» الذى يقول فى كتابه - الله - «ترقىّ الإنسان فى العقائد كما ترقىّ فى العلوم والصناعة، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى، فليست أوائل العلوم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات».

- وقد أورد العقاد ما قاله أصحاب المذهب التطورى من أن البشرية مرت فى اعتقادها بثلاثة أطوار هى:- «التعدد والتمييز، والترجيح، والوحدانية»،

ويقول:– إن ديانة الشمس كانت هى القنطرة الكبرى بين عُدوة التعديد وعُدوة التوحيد.

إنَّ مفهوم التطور التقدمى مخالف لمفهوم الإسلام وتعاليمه، فدين الله الذى نادى بعقيدة التوحيد عرفته البشرية منذ بدايتها على يد أبيها الأول «آدم» عليه السلام. هذا ما أجمعت عليه الرسالات السماوية.. كما أن التاريخ نفسه يفند هذه النظرية، ويكفى الرجوع إلى ديانة «إدريس» عليه السلام، وكتب الموتى الفرعونى، وكتب الفيدا، وعقيدة التوحيد الخالص الذى جاء بها «إبراهيم» عليه السلام قبل «المسيح» بألفين وخمسمائة سنة لتجد أن هناك تطوراً عكسياً قد حدث من الأسمى إلى الأدنى؟.

– أما مؤرخو الديانات فيعترفون بأن الآثار الخاصة بديانة العصر الحجرى وما قبله لا تزال مجهولة لنا جهلاً تاماً، فلا سبيل للخوض فيها إلا بضرب من التهكن والرجم بالغيب.

والشىء المؤكد الذى أثبته التاريخ هو أن الخرافات القديمة نتيجة تحلل وتحريف لديانات صحيحة سابقة، ولقد أنصف العلامة «هوفدنج» حين قال:– «إنه يبعد كل البعد أنَّ ينجح تاريخ الأديان فى حل مشكلة بزوغ الدين فى النوع الإنسانىّ، فإن التاريخ لا يصور لنا هذه البداية فى موضع ما..» فالعلوم الاستنتاجية أو الاستقرائية مرتكزة على فرضيات فى عصورٍ غامضةٍ، ومع كل هذا فقد وجدنا من الباحثين فى هذا المضمار من توصلوا إلى نتائج توافق ما ذهبت إليه الرسالات السماوية، فأصحاب مذهب «فطرية التوحيد» توصلوا إلى أن عقيدة الإله الأعلى هى أقدم ديانة ظهرت عند البشر، وانتصر لهذا الرأى جمهور من علماء الأجناس وعلماء النفس، ومن أشهر مشاهيرهم «لانج» الذى أثبت وجود عقيدة الإله الأعلى عند القبائل الهمجية فى استراليا وأفريقيا وأمريكا، يقول لانج:–

«إن الإنسانية عاشت فترة من حياة دينية مليئة بأسمى المعانى، ولكنَّ تحللاً قد حدث بعد ذلك فى عهد من العهود البدائية».

وقد وافق «لانج» كثير من الباحثين الذين قدموا أبحاثاً متعددة عن أقدم القبائل فى أمريكا الشمالية وأواسط أفريقيا، وأثبتوا وجود فكرة الإله الأعلى

عندهم، كما وافقه «بروكلمان» الذى أثبت الفكرة عند الساميين قبل الإسلام.

- لقد وجد هؤلاء الباحثون فكرة «الله» لدى كافة المجتمعات البدائية وأنكروا نظرية التطور مستندين علي بحثٍ واقعيٍّ من أدق الأبحاث، دعموه بوثائق ممتازةٍ عن الحياة البدائية الأولي، وقام بحثهم على الواقع من ناحية، وعلى ما ندركه في نفوسنا من ناحيةٍ أخرى نحو الفكرة النبيلة «الله».

- لقد أخذ مؤرخو الأديان فكرة - التطور التقدمى - من نظرية التطور المتمثل فى القدرة على البقاء والانتشار والتوازن مع الظروف المحيطة والتكيف معها، والجديد فى دراسات التطور يحكى لنا عن «التعاون من أجل البقاء» وليس الصراع من أجل البقاء، فالبشر نوع واحد قسمته الأوهام العرقية، والنزاعات الطائفية، والاطماع السياسية أنواعاً ايديولوجيةٍ فاقدة القدرة على التكيُّف الإيجابى ومتمرسة وراء أطرٍ فكريةٍ جامدةٍ.

- وإذا كانت نظرية التطور قد بدأت بمفهوم التغيير التدريجى، أى النماء، والانتشار، والتفاعل إلى الأمام والأفضل - فهل التطور الدينى تطور أخلاقياً واجتماعياً ونشر رسالة التوحيد التى بدأها الرسل من أقدم العصور؟.

- الجواب هو أننا نرى كسر فى التكيُّف الإيجابى، قد أحدث انقسامات وتكيُّفاً سلبياً فى بيئةٍ محيطةٍ بالصراعات العبثية من تعصبٍ عرقيٍّ وطائفيٍّ، ودينيٍّ وطبقيٍّ، والدعاوى المزيفة والمضللة عن التفويض الإلهى، والتفوق العنصرى، ناهيك عن التحزب، والتحيز، والتشرذم.

وقد آن الأوان لإعطاء بذور الخير المتراكمة عبر التعاليم الدينية أن تنبت ويجنى الجميع ثمارها إذا ما تمت رعايتها بالتقوى والإخلاص لكى يستكمل الإنسان مسيرة التجاوز إلى الأفضل، والأفضل هو الإيمان المطلق بوحدانية الله عزَّ وجلَّ، واليوم الآخر وهما عماد الدين، كل دينٍ منزَّلٍ من عند الله سبحانه وتعالى.

«الديانة اليهودية»

إنَّ الشريعة الأصلية «لموسى عليه السلام» قد دونت فى التوراة وهى عبارة عن أسفارٍ دونها الأحبار والكهنة بعد موسى عليه السلام فمنها ما ناله التحريف والتبديل والتغير، ومنها ما ضاع فى أثناء التيه. وقد قسمت التوراة أسفاراً مقدسة نسبوها إلى موسى بوحى من الله، وأسفاراً نسبوها إلى الأحبار والعلماء.

(١) سِفْر التكوين، ويحوى الخليقة وقصص الأنبياء من آدم عليه السلام وخروجه من الجنة إلى إسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام.

(٢) سِفْر الخروج، ويقصّ التاريخ ابتداءً من موت يوسف إلى خروج بنى إسرائيل من مصر ونزول الوصايا العشرة.

(٣) سِفْر الاوِدين، وهو النظام التشريعى وبه تفصيل عن تقديم الذبائح والمحروقات والقرابين ورسم الكهنة.

(٤) سِفْر العدد، ويحوى عدد بنى إسرائيل، وأنسابهم وشجرة القبائل الإسرائيلية. كما يروى قصة التيه فى الصحراء إلى الوصول إلى أرض مصر ثم أرض الميعاد.

(٥) سِفْر التثنيه، ويحوى كلمات موسى الأخيرة وخبر وفاته ووصيته.

نسبت هذه الأسفار إلى موسى وبها كثير من الحقائق بدعمٍ من القرآن الكريم. أما باقى الأسفار وعددها أربعة وثلاثون سفراً وكلها بين نشيد وترتيل قد بينت تاريخ ضلال بنى إسرائيل، وخروجهم من شريعة موسى عليه السلام على لسان أنبيائهم المتعاقبين الذين كانوا دائماً يوجهونهم إلى عبادة الله الواحد ربّ الجنود «يهوه» ولكنهم جعلوه إلهاً محلياً لا يخصّ سوى بنى إسرائيل!.

وقد وصف الله تعالى التوراة في «سورة المائدة الآية ٤٤» بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

كما ورد فى الحديث الشريف فى صحيح مسلمٍ أن الله كتب التوراة قبل أن يخلق آدم بأربعين سنة..

– وقد ورد ذكر التوراة فى القرآن الكريم فى عدة مواضع. ووصفت بأنها هدى ونور وذكر، وأن الله أمر بنى إسرائيل أنْ يأخذوا بأحسنها، ويأخذوها بقوةٍ،

ويقيموا أحكامها وألاً يشتروا بها ثمناً قليلاً، وأن لا يحرفوا كلامها عن مواضعه.

– غير أن اليهود لم يلتزموا بهذه الأوامر فلقد حرّفوا وبدلوا وأضافوا وحذفوا حسب أهوائهم.

– ويقول الشيخ «الهراس» فى كتابه دعوة التوحيد:– ومع كل هذه التحريفات فلقد بقيت التوراة دعوةً صريحةً فى كثيرٍ من نصوصها إلى التوحيد، والمتتبع لأسفارها يجد آيات كثيرة، تصرح بتوحيد الله وتنفى عنه الشرك، كما أنها جاءت بتفاصيل العبادة التى لا تبغى إلا الله، وفيها تحذير واضح من الشرك والوثنية.

– يروى سفر الخروج مجموعة وصايا أوصى الله بها نبيه موسى عليه السلام حينما كلمه على جبل سيناء، فيقول:– **«تكلّم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من تحت الأرض، ولا تسجد لهن، ولا تعبدهن، لأنى أنا الرب إلهك، ولا إله غيرى»** الخروج: ٢٠/١–٥.

– ويرد فى الإصحاح الثالث والعشرين من نفس السفر التحذير من السجود لآلهة الوثنيين: **«لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم بل تبيدهم، وتكسر أنصابهم وتعبدون الرب إلهكم»** ٢٤–٥.

– وفى الإصحاح السادس من سفر التثنية نجد وصية جامعة لإسرائيل وهو «يعقوب عليه السلام»، يقرر الله له فيها وحدانيته، ويأمره أن يعلمها لأبنائه، ويجعلها شعاره فيقول:– **«اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصّها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك، وحين تمشى فى الطريق، وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة فى يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى هل هى «أثوابك»؟»** ٤ – ٩.

وفـى هذا الإصحاح تذكير لإسرائيل وشعبـه أن لا ينسى ربه ويقول:-
«لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم».

– أما الإصحاح الثالث عشر فيشن حملةً مشددةً على المرتدين من بنى إسرائيل الذين تستهويهم عبادة الأصنام، ويبين عقوبة هؤلاء المرتدين فيقول:- **«ولا تشفق عينك عليه، ولا ترق له، ولا تستره بل قتلاً تقتله، ترجمه بالحجارة حتى يموت، لأنه التمس أن يطرحك عن الرب إلهك»**. ٦-١٠.

– وأسفار العهد القديم مليئةّ بأمثال هذه النصوص التى تدل صراحة على وحدانية الله تعالى وعدم جواز عبادة غيره.

ولكن الذى حدث أن انقسم المجتمع اليهودى فرقاً ذهبت مذاهب شتى وحرفت شريعة الله التى جاء بها موسى، ويصف لنا «جيمس هاستنكر» فى Encyclopaedia of Religian and Ethics Vo 117 P. 508 - James Hastings فيقول:-

«إن المجتمع اليهودى بدأ ينفلت من تطبيق القوانين والتشريعات التى جاءت بها التوراة وإن طقوس المعبد قد قوطعت بواسطة الوثنيين غير اليهود المسيطرين، وأن المدينة المقدسة قد وقعت تحت الحكم الأجنبى، وانقطع الإحساس بالانتماء إلى «يهوه» هذا بالإضافة إلى أن الكثيرين لازالوا يتطلعون إلى تلك الساعة التى تتحقق فيها الأحلام والرؤى القديمة، ويعود إسرائيل، ليأخذ الإنصاف كشعب الله المختار، وقيام مملكة الله المنتظرة».

– وسبب هذا الانقسام «سبى بابل ٥٨٦ ق.م»، فقد كانوا قد اطلعوا على عادات أهل بابل وتقاليدهم، وعلى أديانهم، ومعتقداتهم، ولما رجعوا إلى بلادهم جلبوا معهم هذه الروح الجديدة، وظلوا على اتصالٍ وثيقٍ بإخوانهم الذين استقروا بمملكة بابل. وتأثر الجميع بمعتقدات بلاد بابل وبلاد فارس.

– ويقول رائد علم مقارنة الأديان الإمام «ابن حزم الاندلسى» فى الفصل فى الملل والأهواء والنّحل ١/١٤٧ :-

إنّ بنى إسرائيل منذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام ارتدوا سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وجاهروا بالكفر وعبادة الأوثان. ويحدد ابن حزم بكل دقةٍ أنهم بقوا فى الردة الأولى ثمانية أعوام، والثانية ثمانية عشر عاماً،

والثالثة عشرين عاماً، والرابعة سبعة أعوام، والخامسة ثلاثة أعوام، والسادسة ثمانية عشر عاماً، والسابعة أربعين عاماً.. ويقول:-

- ولقد فشا فيهم الكفر وانتشر بين ملوك بني سليمان وملوك الأسباط العشر منهم «رحبعام بن سليمان» الذى ولى سبعة عشر عاماً، فأعلن الكفر طول ولايته وعبد الأوثان جهاراً هو وجميع رعيته وجنده، ولم يكتف أكثر ملوك بنى سليمان بعبادة الأوثان بل قتلوا أنبياء الله ورسله، كما فعل «يوآس بن أخزيا» الذى قتل زكريا النبى عليه السلام بالحجارة، واستمرت ولايته على الكفر وعبادة الأوثان أربعين عاماً..

- كما قُتل أيضاً «عاموص» النبي الداودى فى عهد «عزيا بن أميصا»، وفى عهد «منسى بن حزقيا» قتل «أشعيا» النبى، وقد استمر على ضلاله وكفره خمساً وخمسين سنة.

- ويهو أحاز بن يوشيا - الملك الداودى المالك لجميع بنى إسرائيل يشطب من التوراة أسماء الله تعالى وألحق فيها أسماء الأوثان، وأخاه الوالى بعده وهو «الياقيم بن يوشيا» أحرق التوراة بالجملة وقطع أثرها.

- واستمر أكثر هؤلاء الملوك فى إعلان الكفر وعصيان الله، وقتل رسله حتى أغار عليهم «بخت نصر» عام ٥٨٦ ق.م فهدم البيت واستأصل جميع بنى إسرائيل وأخلى البلد منهم، وحملهم مسبيين إلى بلاد بابل.

- أما ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه!!.. بل كانوا كلهم معنيين بعبادة الأوثان مخيفين للأنبياء مانعين القصد إلى بيت المقدس.

- وقد أورد ابن حزم أسماء هؤلاء الملوك ملكاً ملكاً، مبيناً حالهم من الكفر وعبادة الأوثان وعصيان الله ورسله، وكيف أن التوراة طول هذه المدة لم يكن لها عندهم ذكر ولا رسم ولا أثر، ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلاً، إنَّما كانت فقط فى التابوت عند الكاهن الأكبر وحده، وبقوا على ذلك نحو ألف ومائتى عام لا يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه، وما كان هكذا لا يتداوله إلاَّ واحد فمضمون عليه التبديل، والتغير والتحريف والزيادة والنقصان، كما أنه مقرون بأن «عزرا» الذى كتبها لهم من حفظه بعد انقطاع أثرها.

ويقول ابن حزم أن «عزرا» كان وراقاً ولم يكن نبياً، إلا أن طائفة منهم قالت فيه إنه ابن الله، وقد بادت هذه الطائفة وانقطعت.

ونعطى هنا لمحة عابرة عن الأطوار التى مر بها بنو إسرائيل: فقد تغلبت المادية على الروحية عندهم. ثم أصبح الدين قضايا كلامية، وآراء فلسفية، فتركوا الأصل وتمسكوا بالفروع وأولوها بما تشتهى أنفسهم، واختلطوا بغيرهم من الأمم وأخذوا عنهم كثيراً من العلوم والآداب واكتسبوا طرقاً جديدة للتفكير، وعبدوا آلهةً متعددةً مثل آلهة الآراميين، والكلدانيين، والموآبيين أمثال البعْل، والبعليم، والعشتاروت.

ترتب على هذه النزعات انقسام اليهود ممثلين فى أحبارهم وعلمائهم قسمين هما «الفريسيون» الذين يقال عنهم «الربانيون» عرفوا بذلك لأنهم كانوا متشددين فى الحفاظ على الناموس وعلى تقاليد الشيوخ وشريعة السبت، فكانوا يأنفون من معاشرة الذين يخالفون الناموس ولا سيما الوثنيين الذين كانوا بنظرهم بخسين، ولكن هؤلاء الكهنة والعلماء الفريسيين أوغلوا فى التظاهر بالتقوى حتى أصبح الرياء والنفاق من صفاتهم، وقد وبخهم السيد المسيح على ذلك.

– أما الصادقيون فهم المشهورون باسم «اسكنازى» وينتسبون إلى الكاهن «صادق» الذى جعله «سليمان» كبير الكهنة فى أورشليم، وكان الارستقراطيون من اليهود يدعمونهم فى سياستهم الموالية للرومان، وكانوا يرفضون تقاليد الشيوخ وينكرون قيامة الموتى.. وهم الذين جاء ذكرهم فى سورة «الدخان الآية ٣٥»: **﴿إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ. إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾**.

– وهكذا، فقد تمسك الفريسيون بحفظ الشرائع والتنفيذ الحرفى للأصول، وتشددوا فى التقاليد، وأخذوا فى تفسير الكتب المقدسة مأخذ السلف الصالح، كما اعتقدوا أن حرية اليهود وكيانهم لا يحفظ إلا بالتمسك بالشريعة، وأن عظمتهم لا تسترد إلا بالدين.

أما الصادقيون. فكانوا يقولون إن الله خلق الإنسان كفئاً ليتولى إدارة شئون نفسه بنفسه، وإن من العبث انتظار إرادة الله فى حين أن الإنسان خلق مختاراً،

ويجب أن يحل مشكلاته بنفسه، وما يعرفون شريعة ولا يتمسكون بسنة، ولا يعترفون بتقاليد أو عادات، كما يقولون إن آثار موسى ليس فيها ما يؤيد التمسك بالشريعة، وبذلك ينافون الحقيقة فى قولهم.

كما استحدث رهبان، وعلماء اليهود كتاباً مقدساً يختلف عن التوراة وهى التلمود ومعناه «المفسر» وهو مجموع كلى يطلق اليهود على بعضه «الجومارا» وتعنى «التام» وأطلقوا على بعضه الآخر اسم «المثناة» أى الثانى. وهو يتكون من ستة أسفار تعدُّ قاموساً فى الزراعة، والأعياد، والزواج، والدية، والذبائح، والقرابين، والطهارة.. وقد جمع التلمود من أصلين أحدهما يسمى الأورشليمى والآخر النابلسى، والأول عندهم أقوم من الثانى، ظهر فى القرون الأولى للميلاد.

– وظل الخلاف خفيفاً وخفياً بينهم حتى آخر عهد سليمان، وفى أول حكم «رحبعام ابن سليمان» احتدم الخلاف، وانقسم اليهود مملكتين هما يهوذا وإسرائيل، ثم قضت يهوذا على إسرائيل أو دولة إسرائيل وعاشت بعدها حوالى خمسمائة سنة.

– ثم انقسم اليهود طوائف وفرق متعددة، ولا يزال منهم فى عصرنا هذا الربانيون، ويكونون السواد الأعظم من اليهود، وهم يقدسون التوراه والتلمود معاً ويعتبرون التلمود موحى به.

– كما يوجد فى عصرنا الحالى فرقة «القرّاءون» والقرّاءون لا يقدسون غير التوراة، أما التلمود عندهم فهو آراء المفكرين القدامى يجب الأئتناس به فى بعض الأحوال، والقرّاءون يعدون الربانيين ضالين فى معتقدهم، فقد ضلوا سواء السبيل وخرجوا عن الجادة، فأقاموا الهياكل مثل الشعوب الوثنية وجعلوا الأوثان فيها وفى بيوتهم وسموها «الطرافين» وعبدوا البعل وغيره ووضعوها فى هيكل سليمان.

– وخلاصة القول أن الحال التى صارت إليها عقيدة التوحيد والتنزيه عن بعض الفئات منهم قد وقعت على قلوب امتلأت بالمنافع والحرص على الدنيا واستحلال المحرمات لأنه لا يوجد فى نفوسهم وعقولهم إلا المادة وما يتفرع منها.

ولكن كيف لم تصب هؤلاء القوم آفة الشرك ولم يعبودوا إله مثلث الأقانيم مثل وثنيي الهند، ومصر، وفارس، وبابل وغيرهم ولم يحرفوا كلمة التوحيد فى التوراة؟.

– وهذا السؤال موجه إلى الذين انحرفوا منهم عن سواء السبيل، ونحن نحذر هنا من التعميم، وننهج المنهج القرآنى الذى كان يخاطب كل طائفة حسب معتقداتها، ويحذر الرهبان والعلماء منهم من تحريف كلام الله ووضع المناهج الخاطئة وتضليل العامة لتحقيق مصالح شخصية، وآراء لم ينزل الله بها من سلطانٍ، سؤالنا موجه إلى كهنة وعلماء سلفهم ومعاصريهم الذين يعرفون الحق ويتسترون ويصرون عليه ظلماً وعلواً.

– والجواب هو أن هؤلاء هم الذين عصوا الله فأضلهم الشيطان واختارهم ليكونوا له جنداً يفسدون فى الأرض فأمرهم أن يحملوا آفة الشرك التى كانت عالقة فى أنفسهم إلى المسيحية فأطاعوه.

– لقد كان لليهود أثرٌ بارزٌ فى انحراف المسيحية عن التوحيد، ووصولها إلى ما آلت إليه من انحراف فى عقيدتها.. فقد حاول أحبار اليهود من البداية اجتثاث الدعوة من جذورها إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك، فلجأوا إلى أسلوب الدس والتحريف ليصرفوا رسالة المسيح – عليه السلام – عن القصد الأساسى الذى جاءت به، ويجعلوا المسيحية دعوةً عالميةً. وكأنه الأمر لا يخصهم حتى يبقوا الشعب المتميز المختار.

– والدليل على ذلك ما ورد فى إنجيل «برنابا» ما نصه: **«وحدث فى هذا الزمن اضطراب عظيم فى اليهودية كلها لأجل يسوع، لأن الجنود الرومانية أثارت (بعمل الشيطان) العبرانيين قائلين: إن يسوع هو الله قد جاء لينقذهم فحدثت بذلك فتنة كبرى حتى إن اليهودية كلها تدججت بالسلاح مدة الأربعين يوماً لأن فريقاً قال:– إن يسوع هو الله قد جاء للعالم، وقال فريق آخر:– كلا بلٍ هو ابن الله، وقال آخرون: كلا لأنه ليس لله شبه بشرى، لذلك لا يلد بل إنْ يسوع الناصرى نبى الله»** برنابا: ٩١/١–٦.

– ووقف عيسى خطيباً ليخمد هذه الفتنة فقال:– **«أشهد أمام السماء وأشهد كل شىء على الأرض أنى برىء من كل ما قد قلتم لأنى إنسان مولود من امرأةٍ فانيةٍ بشريةٍ وعرضة لحكم الله»** برنابا: ٩٣/٩–١٠.

والسبب الذى جعل أحبار اليهود يفكرون فى تشكيك الناس فى رسالة عيسى بطريقة تشوش على العقيدة من أساسها، هو أن الله عزّ وجلّ قد أعطاهم النبوة والكتاب، وأرشدهم بقدوم المسيح ومن بعده نبياً من ذرية إسماعيل عليه السلام، ولما علموا أن زمنه قد اقترب، وأنه إذا جاء سيكون به النفوذ عليهم فاختلقوا فرية التثليث فى المسيحية، وحاولوا تشكيك الناس فى اسم النبى وبلده ونسبه وأوصافه وزمن مجيئه.

وهكذا وضع أحبار اليهود أساس هذه العقيدة المنحرفة - التثليث - مستمدين أفكارها من الوثنية فى بابل وفارس، ومتأثرين بما ينتشر حوله من فلسفات يونانية رومانية، ووجدت دعوتهم هذه آذاناً مصغيةً من الوثنيين الذين يعيشون فى الدولة الرومانية، لأن هذه الأفكار ليست بعيدة عن أذهانهم فهم يعايشون الوثنية، ويعرفون تصوراتها وما العقيدة ببعيدة عنها - علماً بأن مختلف آراء «بولس» هى آراء الفكر الوثنى اليونانى الذى تطور على أيدى «أفلوطين» ثم «فيلون» اليهودى وهذا قول بعض العلماء.

- وهناك وثائق كثيرة تثبت أن اليهود قد تدخلوا فى تحريف كتب النصارى منذ البداية، وقلبوا المسيحية سافلها عاليها.

- ومن هذه الوثائق ما جاء فى الخطاب المفتوح إلى نصارى العالم، والذى نشرته مجلة - Century - الأمريكية فى عدد كانون الثانى - شباط ١٩٢٨ بقلم الكاتب اليهودى- ماركوس إيللى رافاج - وهذه مقتطفات منه:

«إنكم تثيرون الصخب حول النفوذ اليهودى الذى تقولون إنه لا مبرر له فى مسارحكم ودور السينما عندكم، ولكن ما قيمة النفوذ إذا ما قورن بنفوذنا الماحق فى كنائسكم، فى مدارسكم، فى قوانينكم، فى قلب حكوماتكم، بل فى الأفكار التى تتداولونها خلال يومكم، لم تبدأوا بعد بإدراك العمق الحقيقى لإثمنا، نحن متطفلون دخلاء، نحن مدمرون، لقد شوهنا عالمكم السوى، ومثلكم العليا ومصيركم فعلّنا العبث بها جميعاً تدميراً وتخريباً!.. فهل من عجب أن تستاءوا منا!.. لمَ لا تستاءون منا وقد وضعنا العوائق فى طريق أقدامكم، وفرضنا عليكم كتاباً وديناً غريبين عنكم، لا تستطيعون هضمهما وبلعهما، فهما يتعارضان كليةً مع روحكم الأصلية، فشتتنا أرواحكم تماماً، وجعلنا سبل تطوراتكم مرتبكة وشللنا تطلعاتكم».

ومما نشرته المجلة الأمريكية أيضاً من تلك الوثيقة:

«إنكم أيها المسيحيون لا تنقمون على اليهود لأنهم صلبوا المسيح بل لأنهم أنجبوه.. إن نزاعكم الحقيقى مع اليهود، ليس لأنهم لم يتقبلوا المسيحية، بل لأنهم فرضوها عليكم. فهل من عجب أن تستاءوا منا؟.

- أنكم أيها المسيحيون تتهموننا بإشعال نار الثورة البلشفية التى لا تعد إلاّ نقطة فى بحر الثورة التى أشعلها - بولس اليهودى - فى روما».

- وقد نشرت مجلة «كاثوليك غازيت - عدد شباط -فبراير- ١٩٣٦م» شيئاً من الخطابات التى ألقيت فى مؤتمر - مجمع البناى بريث - اليهودى الذى انعقد فى باريس. ومما جاء فى الخطابات:

«دعونا نوضح لكم كيف مضينا فى سبيل الإسراع بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية فاستطعنا التسرب إلى دخائلها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيتها - كهنتها الداخليين - ليكونوا رواداً فى حركتنا، ويعملون من أجلنا، أمرنا عدداً من أبنائنا بالدخول فى جسم الكاثوليكية مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قِبَلِها.

- ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود الذى أوصانا بحكمةٍ بالغةٍ: دعوا بعض أبنائكم يكونون كهنة ورعاة أبرشيات فيهدمون كنائسهم.

- ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الدينى المسيحية، فـ (كلفن) كان واحداً من أولادنا يهودى الأصل، أمر بحمل الأمانة فنفذ مخطط الإصلاح الدينى، كما أذعن (مارتن لوثر) لإيحاءات أصدقائه اليهود. وهنا أيضاً نجح برنامجه ضد الكنيسة الكاثوليكية بإرادة المسؤولين اليهود وتمويلهم».

ولقد قدر لليهود أن يتغلغل نفوذهم اليوم فى كل ناحيةٍ من نواحى حياة المسيحيين فى الغرب حتى المؤسسات التعليمية منها..

- وتستطيع أن ترى أثر التوجيه اليهودىّ الذى نبع من تعاليم أحبارهم وحكمائهم فى الفلسفات العبثية والمادية والإباحية، وكذلك فى المذاهب الدينية. ونشهد هذا الأثر واضح فى (الماسونية)، والتى تكمن فى الرموز وكلمات السر فيها.

والماسونية تدعى فى البداية احترام الأديان والقوميات وتضع المصاحف والأناجيل إلى جوار التوراة ليقبلها الأتباع، وإذا سأل المسيحى عن الرقم ٣ قالوا له هو «الأب والابن والروح القدس». وإذا سأل المسلم قالوا هو «الله ومحمد والقرآن»، وإذا سأل الهندوسى قالوا هو «إبراهيم وسيفا وفشنو».. يخاطبون كل واحدٍ حسب عقيدته.

– وحينما يترقى الطالب ويبلغ أعلى الدرجات، ويتم ترويضه ترفع المصاحف والأناجيل ولا تبقى إلا التوراة، ويلقن الطالب المواثيق الغليظة، ويقسم وعلى عنقه السيف بأن يقطع الروابط، والصلات بالأرحام، والأديان، ويحلف بالطاعة أولاً وأخيراً للأخوة الماسون، ويناصرهم حتى لو أتوا منكراً.

– وفى درجة أعلى يلقن قسماً أشد فيقول:– أقسم على التوراة التى آمنت بها وبأنها الكتاب الإلهى الذى لا قبله ولا بعده، وأقسم بجلال النور الذى تجلى على جبل الطور أن أبذل آخر قطرة فى دمى فى سبيل بناء دولة موسى الكبرى، وأعمل لهم جميع العقائد الأخرى التى فرضها الغاصبون من الأمم، وأوقع هذا العهد بدمى إلى الرؤساء الجالوتيين الحاضرين.

– وتحاول الماسونية دائماً استقطاب القادة والزعماء والامراء والفنانين والكتاب وذوى النفوذ لتستخدمهم فى تنفيذ مخططها.

– وتبدأ الدرجات الماسونية من الواحد وهو الطالب المبتدئ إلى ١٨ وهو الفارس الحكيم إلى العارف إلى القدوس حتى الدرجة ٣٣ وهو «الرفيع» وليس بعدها درجة إلا «الملك» وهى الدرجة التى بلغها هيلاسلاس وقد زعموا له أنه من سلالة «رحبعام بن سليمان»، ولا يعلو تلك الدرجة إلا المحفل الكونى من ١٢ هم الأسباط الأثنا عشر أو الأقطاب، أقطاب الجلال كما يسمون أنفسهم ومكانهم تل أبيب وهم الذين يوجهون عالم العميان والحيوانات الناطقة من غير اليهود؟!..

– وفى الديانة «البهائية» تجد أثراً لهذا التوجيه ومصدره المريب، فتجد بين سطور كتاب البهائية: أكثر فلاسفة اليونان تعلموا الحكمة من بنى إسرائيل..

رسالة عبد البهاء هي توحيد المسلمين والنصارى واليهود وجمعهم على أصل نواميس موسى.

عمل موسى لا يساويه عمل في التاريخ وسوف يأتي يوم لا يجد الناس كتاباً ينقذهم غير نواميس موسى.

وقد افترى عبد البهاء على الإسلام والمسيحية أشد افتراءٍ ولهذا أقبل أقطاب الجلال على البهائية منذ تأسيسها وحملوا رايتها.

وقد منح عبد البهاء وساماً يعبر عن شكر الامبراطورية البريطانية في حيفا عام ١٩١٧؟!.

وعبد البهاء يؤمن بالتجسيد وزعم بأنه إلهٌ متجسِّدٌ؟!..

– وتلتمس أيضاً تلك الآثار في جمعية السبتيين، والمورمون، وقديسى الأيام الأخيرة، والخمسينين.

– أما جماعة شهود «يهوه» فقد بدأت في أمريكا باسم جمعية جلعاد، ثم جمعية تلاميذ التوراة، ثم انتشرت في العالم باسم جمعية شهود يهوه.. ومن أبرز أعضائها – تيودور هرتزل – مؤسس الصهيونية. وتقول الجمعية:– إن العالم منذ ستة آلاف سنة في خلاف مع «يهوه» – الله – وأنه قد حلَّ الألف السابع وجاء دور الملكوت وهي الحياة في وفاق مع الله.

وسوف يساعد يهوه الذين اختارهم منذ الأزل ليسحق بأيديهم الأنظمة المنظورة ليقيم مملكة تخلد بخلود الأرض ويجعل الأرض فردوساً ويدمر جميع الأسلحة بعد معركة «هرمجدون» وهي كلمة ذكرها يوحنا اللاهوتي في سفر الرؤيا وأعدَّها شهود يهوه رمزاً لمعركةٍ فاصلةٍ تقوم بعدها مملكة اليهود المعدومة الجيران؟.

– وهم لا يؤمنون بقيامة الإنسان بعد موته ولا قيامة إلا قيام مملكة إسرائيل ولا بعث إلا بعثها، أما خلود الروح فهي خرافة روجتها بابل الزانية، ومن الطبيعي أن تؤيد وتدعم الطوائف اليهودية التي لا تؤمن باليوم الآخر يوم الحساب هذا المذهب، فاللاهوت اليهودي لا يؤمن بآخرة، فالبعث والنشور لا وجود لهم في التوراة فقد شطبوا كل ما جاء عنها.. والقيامة عندهم هي قيام دولتهم في فلسطين.. ويوم الحساب هو اليوم الذي يحاسبون فيه كل الأمم يوم

يعود المسيح ويباركهم ويختارهم نواباً له فى حكم العالم وإقامة ملكوت الله على الأرض - وهذا مذهب الصادقيون منهم.

لقد كفر اليهود بالمسيح حينما جاء أول مرة، ثم أعلنوا أيمانهم بعودته ليجعلهم رؤساء وحكاماً للعالم إلى الأبد؟!.

- لقد حطم أحبار اليهود، وحكماؤهم العقيدة اليهودية من أساسها، وجعلوها تنهار على رؤوسهم بكفرهم باليوم الآخر الذى هو أساس العقائد السماوية جميعاً، فالإيمان بالله واليوم الآخر هو الشرط الأول لصفات المؤمن، فالذى لا يؤمن بأنه سوف يبعث، ويقف أمام محكمة إلهية سوف يفعل فى حياته ما يحلو له ويرتكب من الجرائم أحطها وأبشعها.

- أن للآخرة وأحوالها وأمورها حديث ذو شأنٍ عظيمٍ فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف بدءاً بالتزهيد فى الدنيا والتحذير منها والدعوة إلى مراقبة الله عزّ وجلّ وترقب الموت والعمل لما بعده والتذكير بمعاناة سكراته وما يتبع ذلك من سؤال القبر ووحشته وحياة البرزخ، وانطلاقة أرواح المؤمنين، وانكسار نفوس الكافرين ثم فناء الدنيا وبقاء وجه الله ذى الجلال والأكرام، ثم ما يكون من البعث والنشور والحساب والجزاء والثواب والعقاب والجنة والنار، والمقصود من ذكر هذه النصوص فى القرآن هو تنبيه للعقل والفكر وإثارة المشاعر المرتبطة بالموت ليؤكد أنه مرحلة انتقالية بين الدنيا والآخرة، ويدعو إلى الزهد فى الدنيا وتحقيرها والتهوين من شأنها حتى لا تكون هى القصد والغاية والبداية والنهاية وإنما لتكون دار عمل متواصل وسعىٍ دءوبٍ من أجل عبادة الله وطاعته وإعمار الكون وتحقيق الخير العميم والنعيم المقيم والسعادة الأبدية.

- لقد وضع القرآن الكريم كما وضعت السنة النبوية المطهرة أمام العيون كل العيون حقائقَ شاهقةً مرئيةً حيةً متحركةً مُحَسَّةً ومصوَّرةً تصويراً مثيراً للأفكار والخواطر نابضة نبضاً قوياً بالأحاسيس والمشاعر ومؤيدة تأيداً علمياً بالشواهد والظواهر لأن الإنسان فى تطلعه الدائم إلى المجهول، وسعيه الدائم خلف الغيب وإلحاقه المتواصل للتعرف على ما وراء الكون يظل فى حاجة إلى المزيد من العلم والمعرفة وإلى من يكشف له عن أسرار الحياة الآخرة وما يتمثل فيها من هذا المجهول.

وفى هذا الإطار كان للإشارات والرموز، ولغة الإيحاء والإيقاع مجال رحب فسيح للتأثير المثير على نحو ما نرى من تصوير القرآن الكريم لأحوال الناس يوم القيامة ومشاهد العذاب ومحاورات المشركين من مثل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج ١-٢.

وعلى نحو ما تنبئ عنه أحداث الإسراء والمعراج فى الحديث النبوى الشريف وما رآه النبى (ﷺ) من مشاهد يوم القيامة والتقائه بأخوانه من النبيين، والمرسلين مما كان له أثره البالغ فى الإبداع الأدبى على نحو ما نرى فى المقامة الإيليسية «لبديع الزمان الهمذانى»، و«رسالة الغفران» «لأبى العلاء المعرى»، و«الفتوحات الملكية» «لابن عربى»، وقد امتد هذا التأثير إلى الآداب الأوربية على نحو ما نرى فى - الكوميديا الإلهية لدانتى الايطالى - وهى مكونة من مئة نشيد فى وصف الجحيم والأعراف والجنة..[1].

إن يوم القيامة هو: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «المطففين الآية ٦»، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ «إبراهيم الآية ٤٨».

فالله سبحانه وتعالى فى هذه الدنيا غيب وراءه أسبابه الظاهرة ولا شىء يحجب القلب عن الوجود والهيمنة والعظمة الإلهية إلا غفلة الإنسان عن المنهج والقوانين والحكمة الإلهية.. فأثر البيئة هو الذى يحجب القلب بفطرته السليمة عند صفاء الإدراك والاهتداء إلى المنهج الحق، حيث إن الله عزّ وجلّ وضع لنا منهجاً لتعاملنا مع بعضنا البعض هو أن نعطى كل ذى حق حقه وأن ننصر الضعيف على القوى، ونمنع ظلم جبار على الناس لأنه اعتداء على حقوق الله فى كونه ونكشف ضلال المضللين.

والله سبحانه وتعالى بعدله كفل لكل منا حقاً متساوياً دون تمييز بين جنسٍ أو لونٍ أو عقيدةٍ، فكلنا أمام الله متساوون لا فرق بيننا إلا بالتقوى.

---

(١) د. عبد الله حسين - كلية الدراسات الإسلامية - الإسكندرية.

والله عزّ وجلّ قادر على حماية خلقه وحماية الحقوق التى أعطاها لهم بعدل ومن هنا فإن عدله يقتضى القصاص، فالذى أفسد وظلم وعبث فى كون هو من خلق الله متحدياً منهجه بالكذب والتضليل حق عليه العذاب.

– وتجد صورةً واضحةً للعبث والكذب والتضليل فى الوصايا التى تفيض بها صفحات التلمود والبروتوكولات تجدها قد خلقت تراثاً مخرباً هداماً لكل القيم والمبادئ، وتقيم عقيدتهم على مفهوم أن الله قد اختارهم ولم يختر غيرهم إلا ليكونوا عبيداً وخدماً لهم، فقد جاء فى هذه الوصايا:

* كل ما عدا اليهود حيوانات ناطقة سخرها الله فى خدمة اليهود..

* تذكروا أن الشعب الذى لا يهلك غيره يهلك نفسه.

* الجماهير عمياء فاشتروها بالمال وسوقوها كبالهائم إلى أهدافكم.

* ادفعوا الجماهير العمياء إلى الثورة وسلموهم مقاليد الحكم ليحكموا فى غوغائية وغباء.

* علينا أن نشعل حرباً بين الشعوب ونضرب الدول بعضها ببعض. ارفعوا شعار الحرية، واهدموا بها الأخلاق، والاسرة، والوطنية، والقومية.

* ارفعوا شعار العلم واهدموا به الدين..

هذه لمحة عابرة لما تنطوى عليه تعاليم أحبار وحكماء بنى إسرائيل الذين أوحوا إلى قومهم أن الله لم يخلق الناس جميعاً إلا ليسخرها لهم؟!. والفكر اليهودى يلقى غلالة من الأسرار والطلاسم والكتمان والغموض على كل شىء، وكانت وسيلة الضالين منهم لهدم الكتب السماوية هى تفسيرها بالتأويل، وذلك برفض المعانى الظاهرة واختراع معانٍ باطنية تهدم الغرض الدينى وتفسد هدفه.

– والسؤال الذى يطرح نفسه بعد كل ما ذكر عن أحبار وحكماء بنى إسرائيل هو: هل هذا مبدأ أناس شهدوا لربهم بالألوهية والوحدانية، وأقرُّوا له بالطاعة والعبودية؟.. وهل قدّم الأحبار والحكماء لأتباعهم مجموعة من الفضائل النبيلة. ونموا فى نفوسهم عناصر الخير الكامنة فيها، وهل علموهم كل ما يتعلق بالأخلاق، كالصدق والأمانة والإحسان والرحمة والعدل

والإخلاص وحب الخير للناس وعدم الإيذاء ونبذ الكراهية والحقد وغير ذلك كثير؟.

- وبطبيعة الحال نستطيع أن نقول، كلا.. فالذى نراه فى الأحبار والحكماء أنهم أناس خالفوا ضمائرهم، واتبعوا أهواءهم وقادتهم نفوسهم الأمّارة بالسوء حتى أوقعتهم فى مستنقعات الشرور وارتكاب الآثام بما زين لهم شياطينهم وسوّلت لهم أنفسهم بتغير فطرتهم بضلالات الشيطان وغوايته وتحريضه لهم فلحق أنفسهم الفساد وفعل المنكرات، فحولوا أنفسهم من شعب الله المختار إلى أعوان لأبليس الذى سلّطهم على أنفسهم وعلى بنى آدم لغوايتهم واضلالهم.. عصوا الله فطردهم من رحمته وسخرهم الشيطان للتربص بعباد الرحمن يتآمرون على الفضائل ويعترضون على حكم الله وسننه فى خلقه فى كل زمان ومكان، وتخريب وتدمير كل ما هو على غير عقيدتهم، استباحة الشرور وتخريب الضمائر والعقول.. وصدق قول الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿**فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾.. «الصف الآية ٥». ويقول عز وجل فى سورة «الأعراف الآية ٣٠»: ﴿**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾.. وعن تكذيبهم بيوم القيامة يقول سبحانه وتعالى فى نفس السورة «الآية ١٤٧»: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾.

وأما عن تطور أيديولوجيات أحبار وحكماء اليهود منذ السبى البابلى إلى تبنى فكرة الاستنارة - الهسكلاه - التى شاعت مبادئه بين المجتمعات اليهودية الأوربية فى القرن التاسع عشر وإلى تجمع الشعب فى دولة عام ١٩٤٨- نقول:

تتفق المراجع المتخصصة، عامةً، على تقسيم هذا التطور إلى المراحل الثلاثة الرئيسية الآتية:-

«المرحلة التوراتية- مرحلة الهسكلاه - المرحلة الصهيونية».

وتمثل التوراة فى المرحلة الأولى، عقيدة الشعب الخالصة منذ حلت به لعنة الرّب بالشتات، وحتى بشرت حركة الاستنارة بانعتاقه، منطويةً، أى التوراتية، على خمسة مبادئ جوهرية.. هى كما يلى فى متتالية متداخلة:

الدمج بين الدين والقومية: فالدين لليهودى قوميته، أينما كان مكان نفيه وبذا يغدو الشعب فى مجموعه، أمة مقدسة.

– **الدور التاريخ لليهود**، كشعب عهد إليه الله أن يكشف عظمته، بصفته شعب الله المختار، عليه أن يؤسس على الأرض، «مملكة الله الخالدة».

– **وحدة الوجود اليهودى**، المنبثقة من حلول الله فى الشعب، وتاريخه وأرضه بقدر ما يتميز اليهودى بدينه، ويعلو به عن غيره، بقدر ما تذوب فرديته داخل جماعته.

– **مثلما عاقب الرب شعبه بنفيه، فقد وعده بالعودة إلى أرض الميعاد**، والله محقق مشيئته.

– وهناك الكثير غير ما ذكر لا يخص موضوعنا هنا، ولكن الشىء الذى يجب أن ندركه هو أن الفكرة الصهيونية هى حركة تهدف إلى تحويل الديانة اليهودية إلى مشروع سياسىّ استيطانىّ، فالأيديولوجية التى وضعها حكماء صهيون تستند فى مبدئها إلى منتهاها على الوجود والحدود، وعدم الاعتراف بعقائد الآخرين ولزوم زوالهم.

– وهذه هى أيديولوجية هائلة متعددة الروافد.. تقابلها أيديولوجية إسلامية هائلة قائمة على القرآن والسنة، والتى تقول بأن الإسلام لابد أن يسود، وأن الإسلام هو المهيمن على كل الأديان.

يقول الله تعالى فى سورة «التوبة الآيات ٣٢– ٣٣»: **﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**..

وكذلك الآيات «١٩ و٨٥ من سورة آل عمران»: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾**.. و**﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**.. وهناك آيات كثيرة تحمل هذا المعنى، نرى أهمها «الآية ٢٨ من سورة سبأ» يقول تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**.. ويقول الله تعالى فى وصف القرآن فى سورة القلم: **﴿وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾**.

أما أرض الميعاد فتضم القدس وفى القدس المسجد الأقصى قبلة الصلاة ومركز لتوجه الوحى إلى الله تعالى قبل الهجرة، وقد أسرى بالرسول (ﷺ) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليؤم الأنبياء جميعاً فى صلاة جامعة قبل عروجه (ﷺ) إلى السماء..

– وقد جاء فى كتب السيرة أن الأنبياء ائتمنوا هذه المدينة المقدسة عند الرسول (ﷺ) وبهذا فهى أمانة فى عنق كل مسلم..

ويشير الفقه الإسلامى إلى أن الإسراء فى جانب مهم من جوانبه هو إعلان بانتقال النبوة من بنى إسحاق ويعقوب وأسباطه إلى بنى إسماعيل وأبنائه استجابةً لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام. قال الله تعالى على لسان إبراهيم:–

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .. البقرة ١٢٩ .

فعلى الأرض المقدسة تلقى الرسول (ﷺ) راية النبوة من الأنبياء وحمل وصيتهم، كما أشار قول الله سبحانه وتعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾** الأنعام ٩ .

وفى السماء نال الرسول (ﷺ) الخلَّةَ والقُرْبَ وفُرِضت عليه الصلاة من فوق سبع سماوات..

فالرسول (ﷺ) هو الإمام المقدَّم على الأنبياء جميعاً، فهو الخاتم الذى خُتمت به سلسلة النبوة وصاحب الوحى الخالد الباقى إلى يوم القيامة. وصاحب الدعوة الشاملة للإنسانية كلها، فكان من الطبيعىّ أن يلقى الأنبياء فى موطن القبلة حينئذ وأن يؤمهم فى صلاة خاشعة لله عز وجل بما يفيد وحدة الرسالة الإلهية.. يقول الله تعالى: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾**.. الشورى ١٣ .

فهذه الصلاة الجامعة تؤكد وحدة الرسالة الإلهية وإن اختلفت الشرائع، وتُظْهِر الأخوة الجامعة بين الأنبياء جميعاً التى كان يحرص عليها الرسول(ﷺ).

وهكذا، فالإسلام يدعو إلى توحيد الله، وتوحيد الصلة بين الرسالات

السماوية جميعاً، وتوحيد الصلة بين الناس أجمعين.. فقد قال الرسول (ﷺ) فى خطبة حجة الوداع: **«أيها الناس إنَّ الأب واحد والرب واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربيّ على عجميّ إلا بالتقوى ..إلخ»**.

وكما أن اليهود هم شعب الله المختار. فقد وصف الله المسلمين بأنهم «خير أمة أخرجت للناس».

وما نريد الوصول إليه هو. أن الإسلام صاحب أيديولوجية هائلة حقيقية كاملة. وأن المسلمين شركاء فى المدينة المقدسة مع اليهود والمسيحيين. شركاء عقيدة وإيمان بالله عزّ وجلّ، أما الأرض فيرثها الله ويورثها لمن يشاء..

- أما فكرة امتلاك أو احتلال أو السيطرة على المدينة المقدسة، فهذا ما لا يصح ويجب ألاَّ يكون.. ولا يصح ويجب ألاَّ تكون القدس أرض الصراعات الأيديولوجية حيث إنها مدينة ذات طابع دينيّ متميز يخرجها من إطار الصراعات العقائدية، والشرائع التى يتبعها أصحاب تلك العقائد هى ملك خاص بهم..

- ولقد ظلت القدس عبر التاريخ مركز الاختبار والابتلاء لروح المؤمنين فى مواجهة التحديات، والمطامع الخارجية حتى لكأنها الرمز والمحك لتلك المواجهات.. لقد تحرَّج عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يصلى فى كنيسة القيامة عندما دخل القدس حتى لا يأتى من يدعى ملكية إسلامية لهذه الكنيسة.. أما الصليبيون الذين احتلوا القدس لأكثر من ثمانين عاماً فإنهم حولوا القدس إلى حمام دم حتى لقد سبحت خيولهم فى دماء المسلمين بمسجد عمر رضى الله عنه. وحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية لأكثر من ثمانين عاماً.

- وهذا درس نتعلم منه أن التعصب الدينى يولد الظلم والطغيان، وبناءً عليه أن ما تعيشه القدس اليوم من محنة وأسر يجب ألاَّ يدوم، والواجب هو فتح القدس حرة لكل الأديان السماوية وخروجها من الأمر الواقع إلى الأمر الحق العادل، ويجب أن يكون أصحاب الديانات السماوية الثلاثة الكبرى أمناء على كل مقدسات القدس.. لا حكم ولا سيطرة على مقدساتها لأصحاب عقيدة واحدة فهذا عدوان لم يأمر به ولم يرضه الله.

يقول الله عزَّ وجلَّ فى سورة «الإسراء»: ﴿وَقَضَيْتُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

– ففى تأويل مرّتىْ الإفساد فى الأرض، والتنكيل بهم عقاباً وردعاً، قيل إن المرة الأولى قتل النبى زكريا، وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله، والأخرى قتل يحيى ابن زكريا، أو ذبح اشعيا، إرضاءً لشهوة غانيةٍ يهوديةٍ راقصةٍ، والتآمر على قتل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وفى تأويل المبعوثين عليهم لقهرهم: قيل إنهم فى المرة الأولى، سنحاريه وجيشه، أو جالوت وجنوده، أو بختنصَّر الذى غزاهم وخرب ديارهم وأسر منهم سبعين ألفا ساقهم إلى بلاده فى – الأسر البابلى – المشهور فى القرن السادس قبل الميلاد.

– ثم حدث أن تزوج ملك بابل امرأةً منهم فأنقض عهد دولته وعاد الأسرى إلى أورشليم، ليفسدوا فى الأرض مرة أخرى، حتى سلط الله عليهم أمة الروم فوطئتهم وطأةً ساحقةً، عقاباً لهم ونكالاً.. وقد اختلفوا فى تحديد الفترة الزمنية بين المرتين، ففى رواية أنها كانت مئتى سنة وعشرا، وفى الثانية أنها كانت سبعين سنة،.. على أن النص القرآنى لم يذكر أسماء وأماكن، تركيزاً على ما هو من جوهر القصة ومناط العبرة.

والعلو فى الآية، داخل فى سياق الإفساد فى الأرض، وليس الرفعة والسيادة والرقى، بل هو من الطغيان والتجبر والتعاظم، فى مثل ما جاء فى سورة «القصص الآية ٤»: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾.

– ونستأنس فى هذا الفهم، بهدى القرآن الكريم فى زجر المفسدين فى الأرض وتأديب من يتعدون حدود الله: الإمهال مرةً ومرةً، ثم الأخذ الشديد والعذاب العظيم، العقاب العاجل فى الدنيا والنكال فى الآخر.

– لقد جلب الأحبار والحكماء على اليهود غضب الله ولعناته وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.. لقد أختار الله عز وجل اليهود لأمانة لم يؤدوها، ولعهد لم يصونوه، ولوعد لم ينجزوه، لقد اختارهم الله تعالى لكى يحفظوا رآية الدين والتوحيد خفاقه عالية ليتسلمها الأنبياء الواحد بعد الآخر من يعقوب عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يصونوا الأمانة وحرفوا الرسالة، وما زالوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار.

والسؤال الحائر هنا هو، هل يعاقب الله حافر الحفرة ومن وقع فيها؟ هل يتحمل الجندىُّ مسئولية الهزيمة، أم يتحملها القائد الذى خطط ودبر للمعركة؟..

يقول الرسول (ﷺ):- **«مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فله أجرُها وأجر من عمل بها، ومن سَنَّ سُنَّةً سيِّئَةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها»**.

– وفى اعتقادنا أن الذين سوف يعاقبون هم العلماء، والحكماء، والأحبار الذين وضعوا وأحكموا تلك الأيديولوجية الكاذبة الخاطئة، والتى ذهب ضحيتها ملايين الأبرياء من اليهود عبر العصور. والله أعلم.

– ومن هنا نفهم معنى «الآية ٦٢ من سورة البقرة»: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾** إلى آخر الآية، وهذا النص يتحدث عن معاملة الله سبحانه وتعالى لكلِّ الفرق والأمم التى آمنت بالله واليوم الآخر، واتبعت نبياً من الأنبياء، هؤلاء جميعاً فى رحمة الله وهم عنده عزَّ وجلَّ سواء فى موضع القبول.

– وقد ورد النص على هذه الحقيقة الكلية لأن قوماً من اليهود والنصارى وغيرهم عدُّوا ديانتهم هى وحدها الديانة الصحيحة، ونظروا لبقية الديانات نظرة شك وانساقوا مع هواهم العنصرىِّ وحكموا به.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ. وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[1].

ويقول الشيخ «محمد عبده» فى هذا الصدد:- أن الله تعالى يقول أن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس. وعمل يصلح به حال الناس، ولذلك نفى أن يكون الأمر عند الله بحسب أمانىِّ المسلمين أو أمانىِّ أهل الكتاب من النصارى واليهود.. يقول الله تعالى فى «سورة النساء الآية ١٢٣»: **﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِىِّ أَهْلِ الْكِتَابِ، مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾**.

ومن سورة «الإسراء الآية ٧١»: **﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾**.

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٣.

والحديث الشريف يقول:- «**ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدَّقه العمل**» (ﷺ).

ويقول الله تعالى فى الذين آمنوا واستقاموا منهم فى سورة «الأعراف الآية ١٥٩»: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾.

ويقول فى الذين يسعون فى الأرض الفساد منهم، فى سورة «المائدة الآية٦٤» يقول عزّ وجلّ: ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾.

ويقول تعالى فى سورة «آل عمران الآية ١١٢»: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾.

ويقول عزّ وجلّ فى سورة «المائدة الآية ١٣»: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً. يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

ويقول عزّ وجلّ فى سورة «السجدة الآيات ٢٣ إلى ٢٥»: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ، وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾.

وكما ترى عزيزى القارئ فإن الله يفرق بين الصالح، والطالح من اليهود فهو عزّ وجلّ يخاطب المفسدين وصولاً إلى اقناعهم بفساد سلوكهم، وعملاً على تغير ما جبلوا عليه واعتادوا عليه من تحريف، وكفر بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، ثم يذكر لنا سبحانه وتعالى الذين انطوت قلوبهم على الخير وعقولهم على الذكاء والفطنة والحس الدينى الفطرى فلم تنطلِ عليهم أكاذيب العلماء والكهنة الذين يرسمون حركة الحياة والمنهج الدينىّ حسب أهوائهم.

- وفى كلتا الحالين لم يطلب منا الله عزَّ وجلَّ تكفيرهم ولكن أمرنا سبحانه وتعالى بالصفح والعفو والمجادلة بالتى هى أحسن لأن الله هو الذى يفصل بينهم يوم القيامة.

ونعود إلى الآية «٦٢ من سورة البقرة». فقد ورد فى الحديث أنها نزلت فى أصحاب سلمان الفارسى، لما قدم سلمان على رسول الله (ﷺ) جعل يخبر عن عبادة أصحابه واجتهادهم وقال:- يا رسول الله كانوا يصلون، ويصومون، ويؤمنون بك، ويشهدون أنك تبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال رسول الله (ﷺ): يا سلمان هم من أهل النار، فأنزل الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(١).

وخلاصة القول، إنَّ رسالة الرسول (ﷺ) هى رسالة للناس كافة كما تذكر الآية «٢٨ من سورة سبأ». وعلى الناس كافة أن تتبع الرسالة الخاتمة خاصة من عندهم علم الكتاب الكهنة والأحبار، فهم يعلمون علم اليقين أن محمد رسول الله ولكن خوفاً على بضاعتهم أن تبور تستروا على هذه الحقيقة، كما تستروا على رسالة السيد المسيح من قبل.

- أما بالنسبة للعامة من أهل الكتاب فالعقيدة عندهم هى التمسك بقيم تأصلت فى حياتهم فاستقرت، وأصبحت طاقات ثابتة فى حياة أفرادها، وتحويل هذه الطاقات إلى مفهوم صحيح، يتطلب كثيراً من الإلمام بشئون الأديان والحكمة ثم الموعظة الحسنة، نبين بها إلى أصحاب الأديان الكتابية أن الكهنة، والأحبار شوهوا جلال الدين باعتقادهم أنهم شعب اختاره الله وغيرهم خلق كتبت عليهم اللعنة، وحق عليهم العذاب قبل أن يروا النور بأعينهم لأن الله بارك يعقوب ولعن عيسو وهما ما يزالان جنينان فى بطن أمهما لأن الَّب «يهوه» يفتقد ذنوب الآباء فى الابناء حتى الجيل الثالث، والرابع وهكذا أخرج الدين السماوى الجليل إلى حلبة المنافسات على النبوة والتجارة التعبدية.

- فلابد والأمر كذلك أن لا يترك مصير العباد لافتراء الكهنة، والأحبار

---

(١) سورة البقرة. الآية ٦٢.

على الله ولا إلى حسن أو سوء الأداء للدعاة إلى دين الحق، ولكن لابد أن يكون مصير عباد الله الصالحين بيد الله يحكم بينهم بالحق فهو عزَّ وجلَّ أحكم الحاكمين.

يقول عملاق السوسيولوجيا والفلسفة الوضعية – أوجست كونت – عن تعنت فئات اليهود التى رفضت دعوة الإسلام كشأنها فى رفض الدعوة المسيحية فيقول:– «إن اليهود الرافضين بعد أن فقدوا الأمل الوحيد لهم كفئة مشردة جاء محمد العظيم – النعت بـ عظيم جاء على لسان كونت – ليتيح لهم الفرصة الطيبة للدخول فى حظيرة الدين على أن يسلموا به رسولاً منتظراً كما جاء فى كتبهم السماوية، ولكنهم أبوا كبراً وعناداً وفضلوا الضلالة على الهدى وستر ما جاء فى كتبهم».

– ولقد سبقت التوراة القرآن فى ذم بنى إسرائيل على لسان «موسى عليه السلام» ونعتهم بالفساد والتمرد.. تقول التوراة:–

«فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها، أمر موسى الأويين حاملى تابوت عهد الرّب قائلاً، خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرّب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم. لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة.

هو ذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرّب فكم بالحرى بعد موتى. أجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض. لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون لأنكم تعملون الشر أمام الرّب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم، فنطق موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشد الذى تمامه: أفسد له الذين ليسو أولاده عيبّهم جيل أعوج ملتوٍ، الرّب تكافئون بها يا شعباً غبياً غير حكيم، أليس هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشاك». تثنية ٣١ :٢٤ إلى ٣٠–٣٢: ٥ إلى٧.

– جاء بطريك من الشام إلى الخليفة «عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فقال:– «سمعت فى كتابكم آية عرفت أنها ليست من كلام البشر فجئتك أعلن إسلامى قال عمر ما هى؟. قال البطريك:– بسم الله الرحمن الرحيم..

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانَ وإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ «الآية ٩٠ من سورة النحل». تلك

الآية التى كان الصحابة رضوان الله عليهم يقولون عنها. إنْ لم يُنَزِّل الله غيرها لكفتنا.

– وقد رأينا فيما سلف ذكره أن كهنة وأحبار اليهود فعلوا عكس ما أمرنا الله تعالى فى هذه الآية، فهل آن للأحبار والكهنة أن يكونوا حكماء ويسألوا أنفسهم، لماذا اختارنا الله؟. وهل سألوا أنفسهم إن كان أسلافهم قد أضلوهم بما تركوا لهم من تراث ملتو أعوج فى تلمود وبروتوكولات لم ينزِّل الله بها من سلطان؟. هل سلوكهم تجاه إخوانهم فى الإنسانية أولاد آدم، وحواء كما يؤمنون، هل هو سلوك من وحىٍ الله فى التوراة، أم من وحىٍ إبليس فى عقيدتهم؟.

– لا عجب أن يغضب الله عليهم كما ذكرت «الآية ١١٢ من سورة آل عمران». وغضب الله لا ينزل إلا بذنبٍ ولا يرفع إلا بتوبةٍ كما جاء فى الحديث. فيا أخوتنا فى الإنسانية، توبوا إلى الله وارجعوا عن ضلالتكم يصلح الله لكم أحوالكم.

– ونحن إذ نطلب من أهل الكتاب أن يتوخوا العدل والاعتدال فى سلوكهم فمن واجبنا أن نطبقه على أنفسنا أولاً، فلا نكفر مؤمناً منهم ولا نسوى بين الصالح، والطالح من عباد الله ونعمل بقول الله تعالى فى «سورة المائدة الآية ٨»: **﴿يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ، وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**.

وإذا قال الله لنا أن **﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾**[1].. فيجب ألاَّ نقول غير ما قالَ الله سبحانه وتعالى، ويجب ألاَّ نَعلَمَ أنه قد نزل الله تسع آيات فى القرآن تبرئ يهودياً حينما سرق مسلم درعاً واتهم يهودياً بسرقته وكاد الرسول أن يقيم عليه الحد فنزلت تلك الآية الكريمة، وفى حديث للبخارى عن الرسول (ﷺ): **«إن بغية من بغايا بنى إسرائيل سقت كلباً كاد يقتله العطش فغفر الله لها به»**.

ويقول الله تعالى فى سورة «البقرة الآيات ١١١ – ١١٢»: **﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ**

(١) سورة الأعراف. الآية ١٥٩.

كنتم صادقين. بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ إلى قوله تعالى فى «الآية ١١٣»: ﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ إلى قوله تعالى فى نفس السورة «الآية ١٣٤» وتتكرر بنفس الصيغة فى «الآية ١٣٤»: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾.

– ويقول سبحانه وتعالى فى سورة «آل عمران الآيات ١١٠ و١١٣ إلى ١١٥»: ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ «الآية ١١٠»، ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولائك من الصالحين. وما يفعلوا من خير فلن يكفروه، والله عليم بالمتقين﴾ «الآية ١١٣ إلى ١١٥».

إلى قوله تعالى فى نفس السورة «الآية ١٩٩»: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ولا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب﴾.

ونفهم من هذه الآيات أن الله عزّ وجلّ لا يكفّر من أهل الكتاب مؤمناً آمن بالله واليوم الآخر، ولا يضيع له أجراً، ومن أسلم وجهه لله منهم وهو محسن فهو من – مسلمة أهل الكتاب – كما فهم هذا المعنى الشاعر الألمانى الكبير «جوته» الذى قال:– «إذا كان الاسلام معناه التسليم لله فإننا أجمعين نحيا، ونموت مسلمين».

– وكذلك الفيلسوف واللغوى ومؤرّخ الثقافة الألمانى «نيتشه» الذى يعد الآن أحد مؤسسى تيار رئيسى فى فكر ما بعد الحداثة، قد أدان العداء للسامية برغم ازدرائه لدور اليهود فى التاريخ – كتاب: «عدو المسيح»، وأدان التعصب القوميّ الألمانى كتاب: «حالة فاجنر». والعنصرية القائمة على العرق كتاب: «إرادة القوة»، ويؤمن نيتشه بوحدة الإنسان فى الكون وحاجته برغم ذلك إلى الميتافيزيقيا فى أهم كتبه: «هكذا تكلم زرادشت». وهو يرى أن هناك علاقة رئيسية بين الإنسان والعالم، وبين العقل والحياة.

ونرى أنه قد عمل «بالآية ٨ من سورة المائدة» سابقة الذكر، وحكم على الأمور بالعدل، والعدل يقتضى أن لا نخلط بين الأيديولوجيات السياسية والعقائد الدينية لكى لا نقع فى المكاره وما يغضب الله وهو الزيغ عن الحق، والعدل.

أما مهمتنا فتنحصر فى التنبيه الشديد إلى ما يُحَاكُ للبشرية من مكرٍ، وكيد الحركات المخربة الممثلة فى المنظمات سالفة الذكر، ومهمتنا محاربة العبث بالعقائد الدينية والخرافات والبدع، ولا نحاربهم فى عقائدهم وتكفيرهم فنستوى معهم فى الإثم الذى يرتكبونه ضدنا بعدم اعترافهم بغير دينهم، واجبنا الزود عن العقائد التى تؤمن بالله واليوم الآخر، وتتخذ من سيرة الأنبياء المثل والقدوة، فقد تحملوا فى سبيل الدعوة من العناء والمكابدة ما تنوء بحمله العصبة أولو القوة وبلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة بالحكمة، والموعظة الحسنة، وليس بالتعصب والتكفير والافتراء على الناس بغير الحق.

ونتساءل هنا، لماذا أخفقت الجهود الضخمة التى بذلها الأنبياء والمصلحون فى سبيل رتق فتوق العقيدة، وتقويم اعوجاجها عند بعض الناس ونذكر قول «أبى العلاء» فى لزومياته:-

كم وعظ الواعظون منا وقام فى الأرض أنبياء

فانصرفوا والبلاء باقٍ ولم يزل داءَك العياء

- يعلل بعض الفقهاء هذا إلى فساد الطبيعة الإنسانية وتعصّيها على الإصلاح والتهذيب، فهم يجبلون على الشر ولا طباب لدائهم، فالإصلاح من وجهة نظرهم محاولة عقيمة غير مجدية وجهود ضائعة وهذه نظرة شوبنهاورية متشائمة، ولكن المصلحون والفرد التنويرى يؤرقه سلوك هذه الجمعات فلا يحيا إلا لتعرف طرائق الإصلاح والوعظ والارشاد والهداية إلى الصراط المستقيم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

- يقول الامام «علىّ رضى الله عنه»:- **«رحم اللهُ امرأً رأى حقاً فأعان عليه أو رأى جوراً فرده وكان عوناً بالحق على صاحبه»**.

ويقول أيضاً:- **«الفقيه مَنْ لم يُقْنطْ الناس من رحمة الله»**

ويقول رضى الله عنه:- **«حاسب نفسك لنفسك فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك»**.

ونذكر قول الشاعر العربيّ في هذا الصدد قوله:-

أقْبلْ من الناس ما تيَسّرْ ودع من الناس ما تعثّرْ

فإنَّما الناس من زجـاجٍ إنْ لم ترفق به تكسّرْ!!

ويقول الإمام «عليٌّ» كرم الله وجهه في الذين يغالون في عقائدهم: **«إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال على غير دين الله. فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى»**.

- ويعجب «عليّ» رضى الله عنه من هذه الفرق ويقول:- **«يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف عندهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا كأن كل أمرئ منهم إمام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعرىً ثقات وأسباب محكمات. أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة، فهم صنفان:- محبٌ مفرطٌ يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرطٌ يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس حالاً النمط الأوسط»**.

- ويشير هنا الإمام «عليّ رضى الله عنه» إلى الغلو بشقيه. الغلو الدينيّ والغلو العرقيّ. وترى هذا في الشعوبية الحاقدة والمذاهب الفاسدة، وتحريض الطوائف ضد بعضها. وتراه أيضاً في اجتهادٍ خاطئٍ وتنافسٍ سيىءٍ وحماسٍ طائشٍ يقصد به خدمة العقيدة بالغلو وهذه مقاصد خاطئة. يقول ابن المبارك:-

وهل أفسدَ الدينَ إلا الملوكَ وأحـبارَ السُّوءِ ورهبانَهـا

- يقول الله تعالى في سورة «الاسراء الآية ١٥»: **﴿مَنْ اهْتَدَى فَإنماَ يهْتَدى لنَفْسه وَمَنْ ضَلَّ فَإنماَ يَضلُّ عَلَيْهاَ، وَلاَ تَزر وَازرَةٌ وزْرَ أُخْرَى﴾**.. ويقول عزّ وجلّ في سورة «المدثر الآية ٣٨»: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِماَ كَسَبَتْ رَهينَـةٌ﴾**.. ويقول الحق تبارك وتعالى في سورة «الجاثية الآية ٢٢»: **﴿وَخلَقَ اللَّهُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقّ وَلتُجزى كُلُّ نَفْسٍ بِماَ كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾**.

- وفي وصايا الميراث يقول عزّ وجلّ في سورة «البقرة الآية ١٨١»: **﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمعَهُ فَإنَّمـاَ إثْمُهُ عَلَى الَّذين يُبَدلُونَهُ. إنَّ اللَّهَ سَميعٌ عَليمٌ﴾**. وفي نفس السورة «الآية ٢٨٦»: **﴿لاَ يُكَلّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهاَ، لَهاَ ماَ كَسَبَتْ وَعَلَيْها ماَ اكْتَسَبَتْ﴾**.

– وهذا يوجب ألا لا يؤخذ أحدٌ بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب.. ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ «إبراهيم الآيات ٢٨-٢٩». الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون سوف يتحملون وزر أعمالهم بما حرفوا كلام الله، وإنشائهم المؤسسات السرية، والحركات التخريبية بدعوة أنهم شعب الله المختار، والله لا يختار المفسدين لعمارة الأرض ولكن هذا اختيار شيطانيّ زين لهم نشر الفساد والحقد بين الناس فإذا فسدوا كانت لهم السيادة عليهم، أن الذين حرّفوا الكتاب المقدس أرادوا أن يزرعوا في بني إسرائيل نزعةً عنصريةً وكراهيةً وعداءً بينهم وبين كل من لا ينتمي إلى ملّتهم، لذلك نرى أن إمكان العيش في سلام مع من لا ينتمي إليهم فكرة غير واردة إطلاقاً فشخصية اليهودى المتعصب سببها الأساسى هو تحريف كلام الله فى التوراة وفى سفر واحد هو «اشعيا» نعثر على كم من الغضب الإلهى الذى ينحاز إلى اليهود بشكل مخيف. ففي «إصحاح ٢٦ و٢٩» على سبيل المثال نجد هذه الألفاظ التى تنسب إلى الرب يهوه لأعداء شعبه: «**أحرقهم جميعاً – فمن قاومنى بالحسك والشوك اهجم عليه بالقتال وأحرقهم جميعاً**».. وما نجد فى سفر«اشعيا» نجده فى أسفار أخرى: «حزقيال، والمزامير، وهوشع وغيرها»، ونجد ما يسمى بيوم الظلمات في سفر عاموس الذى لم يستطع أحد الإفلات منه من أعداء بنى إسرائيل، وكلها افتراءات لا تخرج عن المعنى الواحد الذى حرفت من أجله التوراة لخدمة شعب الله المختار التى تصل إلى أقصى درجات التعصب ضد من عداهم من الشعوب، وقد أصابهم ما يعرفه علماء النفس والاجتماع اليوم بـ «بغض الغرباء» Xemphabia وهى الكراهية والعداء إلى درجة الهوس واتخاذ مواقف عدائية يصعب تبريرها منطقياً ضد جماعات أو أفراد مختلفين سياسياً أو أجتماعياً أو دينياً، وإلاّ عادةً ما تكون دينية أو عقائدية. لذلك نجدهم ينتهكون حرمة المسجد الأقصى مسرى الرسول (ﷺ) واستباحة مقدساته وانتقاص حدوده ومحاولات تهويد المدينة المقدسة، بذلك يصطدمون بأقدس مقدسات المسلمين. أولى القبلتين وثالث الحرمين مسرى نبينا (ﷺ) ومجتمع الملائكة الكرام، البيت الذى بارك الله حوله وألزمنا حمايته بصفته القبلة الأولى للمسلمين، وثالث الحرمين، ومهبط الوحيّ والرسالات الإلهية، فحادثة الإسراء أُريد بها أعلان وراثة الرسول (ﷺ) لعقائد التوحيد كلها ومقدسات الرسل قبله، بدءاً من

بعثة «إبراهيم عليه السلام» وانتهاءً ببعثته (ﷺ)، بل أريد بها الربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً. الأمر الذى يجعل هذه الأماكن تخص المسلمين بصفة خاصة. لذلك يقول الرسول (ﷺ): **«لا تشدُّ الرِّحَال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»**، ويقول (ﷺ) عن بيت المقدس أنه ـ أرض المحْشَر والمنشر - أئتوه فَصلُّوا فيه. فإنَّ الصلاة فيه كألف صلاةٍ فى غيره.. وقوله (ﷺ): **«من أراد أن ينظر إلى بقعةٍ من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس»**، ونحن نفهم من التاريخ أن القدس عربية ليس لليهود جذور فيها. إذ المعروف أن اليبوسيين هم الذين بنوها فى عام «٢٠٠٠» قبل الميلاد، وعاشوا فيها ألف سنة قبل أن يجىء «داود عليه السلام» إليها، وأن اليهود جاءوا إلى القدس غزاةً من الخارج دون أن يكون لهم بها صلة.. أما وعد الله لهم بأرض الميعاد، فالله لا يفى بوعدٍ لمن خان عهده.

«العقيدة المسيحية»

- لقد كانت دعوة «المسيح عليه السلام» إلى بنى إسرائيل هى العودة إلى شريعة التوراة، ورسالة «موسى عليه السلام» وتحذرهم من الانهماك فى الدنيا، وتذكرهم باليوم الآخر ويخفف عنهم بعض أحكام التوراة، فرفضوا هذه الدعوة وما آمن معه منهم إلا قليل، وأغروا به الحاكم الرومانىّ ليقتله بعد أن حكم مجلسهم عليه بالقتل، إلا أن الله تعالى أنجاه منهم.

- وقد كره الكهنة، والأحبار أن يجيئ نبى يسلبهم سلطانهم ونفوذهم، فوقفوا فى وجه «المسيح عليه السلام» يعلنون له العداء وهو نبى من أنبيائهم وموقفهم مع أنبيائهم ذكره القرآن فى أكثر من موضع، يقول الله تعالى فى سورة «آل عمران الآية ١١٢»: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ. ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾**.

- ومن المعروف أن التوراة لا تعرف التثليث وإنما نادت بتوحيد الله تعالى ويعلم الصالح، والطالح من اليهود أن الله واحد لا شريك له. ولكن الأحبار مكروا برسالة السيد المسيح ظلماً، وعدواناً على المسيحيين فزينوا لهم عقيدة التثليث. وقد رأينا فيهم طائفة أشركت، وقالت أن العزيز ابن الله. وقد بادت هذه الطائفة كما ذكر ابن حزم.

- وبدافعٍ من غلو النصارى فى تعظيم السيد المسيح، وجهل بعضهم بقدر الله عزَّ وجلَّ انساقوا وراء دسائس الأحبار، وزعموا أن الله ثالث ثلاثة وأن المسيح ابن الله، ولما كان الغلو فى الدين يفضى بأصحابه إلى وصف الله تعالى بما يستحيل اتصافه به حيث قال تعالى فى سورة «النساء الآية ١٧١»: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ أى لا تغلوا فى دينكم ونزهوا الله عن كل باطلٍ.

- وسوف نرى هنا كيف أن هذه العقيدة هى وليدة اختلاف الكهنة بعد سنينٍ طويلةٍ من دعوة السيد المسيح التى جاءت لتنشر السمو الروحىّ وتنزيه الله عزَّ وجلَّ عن الشرك.

- فبعد أن ذهب «عيسى عليه السلام» عن عالمنا بما يقرب من سبعين عامٍ وهو تاريخ كتابه أول الأناجيل الأربعة «مرقص» انبثقت عدة آراء خالف بعضها البعض، وكان محور الخلاف شخصية السيد المسيح. فرأيٍ يراه ذات طبيعةٍ واحدةٍ بمشيئتين، ورأيٍ ثاني يراه ذات طبيعةٍ واحدةٍ بمشيئةٍ واحدةٍ. ورأيٍ ثالثٍ يراه ذات طبيعتين ومشيئتين. من تلك الآراء المختلفة ظهرت فى عالم المسيحية طوائف متباينة الآراء كل طائفة تتبع ما تراه صواباً، وتزعم قيادة الطائفة الأولى الكاهن «أريوس» وسميت طائفة «الأريوسيون» والثانى هو «نسطور» وتسمية طائفته «بالنسطوريين» والثالث هو «يعقوب الإسحاقى» ويعرفون أتباعه «باليعقوبيين» والذين ذابوا فيما بعد فى الطائفتين الجديدتين «الأرثوذكس - والكاثوليك»، أما البروتستانت فقد ظهرت فى عام ١٥٢٩م على يد زعيم المحتجين «مارتن لوثر».

- وقد كان الخلاف فى بادئ الأمر خلافاً فى الرأى ثم تحول فيما بعد إلى خلافٍ طائفيٍ بغيضٍ تعدى حدود الجدل المألوف إلى نصب حبائل المكيدة التى تدبرها كل طائفةٍ للأخرى، وأسباب الخلاف تتلخص فى الآتى:-

(١) لا يعترف آريوس بلاهوت المسيح بحيث يقول إنه مخلوق ليس مولوداً من الأب،وبذلك فإنه لا يسوَّى بالأب فى الجوهر، وأن البنوة مجازية فلا يصح أن تنسب بنوته للإله لأن هذا يخالف العقل والمنطق.

(٢) ويقول نسطور: أن المسيح ابن الله له أقنومان - نور منبثق - أحد الأقنومين إلهىّ والآخر بشرىّ، فهو بالأول ابن الله وبالثانى ابن مريم.

(٣) ويقول يعقوب الإسحاقى: إن المسيح أقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وكل من الطبيعة والمشيئة إلهىّ، ولذلك فهو الله الأب ضابط الكل خالق السماوات والأرض.

- وهكذا تعددت الطرق فى إقامة الشعائر الدينية، وكثرت الطقوس والرموز، وتفرعت العقائد، وتغالى البعض إلى حد التعصب، ونشأت الخلافات المذهبية فى تكتل يشبه الحزبية، ثم انقسمت المسيحية فى العالم إلى طائفتين كبيرتين شرقيةٍ وغربيةٍ ثم إلى ثلاث طوائف كبرى تفرع من هذه الطوائف حوالى سبعين طائفةً منتشرين حول العالم فالأرثوذكسية تمركزت فى الشرق، والكاثوليكية فى الغرب، والأولى معناها الصراط المستقيم، والثانية معناها المنشقون.

- يقول المطران «ثاوفيلس» المرقصى فى مخطوطه «بستان الأزهار فى تفسير الشعار» هذا المخطوط محفوظ بمكتبة الدير المحرق بمصر تحت رقم ١٠٣ من مؤلفات الآباء المرقصيين المتنيحين.

- يقول المطران:- «إنه بعد وفاة المسيح بحوالى سبعين سنة عندما بدأ مرقص الرسول فى كتابه أنجيله، بدأ معه الخلاف فى الرأى، ثم تطور الخلاف حتى بلغ أشدّه سنة «٣٢٥» ميلادية عندما اجتمع مجمع ضم جميع طوائف المسيحية فى الشرق والغرب، واتفق الجميع بعد المدارسة والمناقشة على الخطوط الرئيسية للمسيحية من ناحية العقائد - الكتب المقدسة، واتفقوا على المبادئ الآتية:

(١) الاعتراف بالثالوث الابن والابن والروح القدس شعاراً للمسيحية.

(٢) يؤمن الكل بأن المسيح جاء لتخليص العالم من خطيئة آدم الموروثة.

(٣) «المعمودية»، وهو ركن أساسى للعقيدة المسيحية وذلك نسبه إلى تعمد المسيح على يد يوحنا المعمدان فى بحر الشريعة «نهر الاردن».

(٤) المناولة- وهى أكل القرابين رمزاً لجسد المسيح وشرب الخمر المعتقة إشارة إلى دم المسيح المسفوك، وذلك اعترافاً من المجتمعين بصلب المسيح عليه السلام.

كما اجتمع المجتمعون على الاعتراف بالكتب المقدسة التى يضمها الكتاب المقدس بعهديه القديم، والحديث وهى:

– أسفار العهد القديم، أى التوراة، والعهد الجديد ويضم الأناجيل الأربعة وهى «متّى، مرقص، لوقا، يوحنا»، وهى عبارة عن تاريخ المسيح ومعجزاته، وأيضاً أعمال الرسل فى التبشير والدعوة، والرسائل وهى خطب وعظات ألقاها تلاميذ المسيح فى الأمم المختلفة، وهى أساس علم اللاهوت، وأخيراً رؤيا يوحنا اللاهوتى التى تحوى تنبؤاته.

– وهكذا فقد أجمع المجتمعون على الشرك بالله سبحانه وتعالى بعد ٣٢٥ سنة من رحيل السيد المسيح الذى تبرأ من الذين قالوا عنه أنه الله أو ابن الله، ولم يدع عليه السلام يوماً أنه إله أو ابن إله بل إنه كان ينزه الله دائماً فى مثل قوله: **«كيف تدعونى صالحاً وليس صالحاً إلا الله»**، وأيضاً انظر أنجيل مرقس ٣ : ٣٢ و١٩:٥ و١٧:٧ و٧: ٤٠ وأيضاً فى أنجيل يوحنا ١٢–٤٤.

– أما البروتستانت فقد اعتنقوا رأى آريوس الذى يقول إن الجوهرين لا يتساويان، ورفضوا تنفيذ الأوامر والإرادة البابوية. وقد اهتموا بالمبادئ الأخلاقية من المسيحية قائلين:

– إن الدين ليس فى مجرد الطقوس، وإنَّما هو فى الأخلاق التى هى ثمرة الدين المسيحىّ الحقيقية. ولم يعترفوا لا بالمعمودية ولا بالمناولة ولا بالاعتراف، وإنْ كانوا يعترفون بصلب السيد المسيح.

– إن المسيحية التى جاءت تدعو إلى الفضيلة فى أسمى مراتبها خرج بها الكهنة، ورجال الأكليروس إلى شركٍ يكمن وراء التثليث، والتأليه متى تحولت المسيحية التى جاء بها المسيح لتخليص العالم من تُرّهات اليهود عن طريقها الذى رسمه الله إلى طريقٍ رسمه الكهنة، ورجال الدين الذين جعلوا الإنسان محاسباً بجريرة أصل خلقته. فقد ربطوا بين خطيئة «آدم» – عليه السلام – وذريته إلى يوم القيامة. فأورث الخاطئ بنيه من بعده الذلِ والهوان والبعد عن رحمة الله، فصلبَ المسيح حتى لا يذهب بجريرة آدمِ أبناء الجنس البشرى كله بل الذين اتبعوه فقط.

– ونشير بإيجازٍ إلى فِرِيَّة تخليص «عيسى» – عليه السلام – العالم من

خطيئة آدم الموروثة.. فحينما أكل آدم من الشجرة المحرمة أهبطه الله من الجنة، ويحمّلونه أوزار الوجود الكونى. ويقولون لولا هذه الخطيئة لما هبطنا إلى دار الكفاح والشقاء، والبلاء.

– وهذا وهم لم ينزّل الله به من سلطانٍ ابتدعه الذين غرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون وليس له أثر فى الكتب المنزلة ولا جاء على لسان أحد من أنبياء الله، والنص القرآنى يبطل هذه الفريّة فى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سورة «البقرة الآية ٣».

وهذا يعنى أن آدم عليه السلام خلق ليعيش على الأرض، وليس فى الجنة.

– والخلاف بين المفسرين قديم فى حقيقة هذه الجنة. هل كانت بستاناً فى الأرض أم جنة الخلد؟، ويقول فضيلة الشيخ الشعراوى الأقرب إلى المعقول أنها كانت بستاناً فى الأرض، ويكون الهبوط منها معناه السعى فى الأرض يعمرها آدم وذريته إلى يوم القيامة، ويذكر القرآن الكريم أن آدم قد عصى ربّه، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ سورة طه الآيات ١٢١-١٢٢».

– لقد عصى آدم ربّه قبل أن تأتيه الرسالة، وحينما تبين له فادحة خطيئته دعا ربه ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ «الأعراف الآية ٢٣».

فتابَ عليه ربه واجتباه ليحمل الرسالة لأبنائه وعصمه ربُّه من الخطيئة، والعصمة جاءته مع الرسالة وأصبح بها خليفة الله على الأرض، فلا يمكن لرسولٍ أن يحمل الرسالة والخطيئة فى آنٍ واحدٍ.

– لقد أخذ آدم من ربّه كلمات ورجع إليه، وتاب فتقبل الله منه واصطفاه للنبوة وأعطاه العصمة قدوةً صالحةً وأسوةً مثاليةً لذريته ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة ٣٧.

– فالبشرية لم تبدأ بخطيئةٍ موروثةٍ تحتاج إلى التكفيرِ عنها بصلب نبى أو ابن الله سبحان الله عما يصفون. بل إن كل إنسانٍ مسئول عما اقترفه يحاسب عليه يوم القيامة.

﴿لاَ يَجْزِى والدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالدِهِ شَيْئاً﴾ «لقمان ٣٣».
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ﴾ «الاسراء ١٣».
﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ «فاطر ١٧».

فليس للانسان إلا ما سعى وأنه ليس ضحية لخطيئةٍ موروثةٍ أو جريرةٍ جناها والداه.

– وإذا أصبنا فى فهمنا للجنة التى خلق فيها «آدم عليه السلام» بأنها بستان فى الأرض نفهم أيضاً من قصص القرآن الكريم بأن إبليس، وذريته كانوا يعمروها فلما أراد الله أن يجعل فى الأرض خليفة. ﴿وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ «البقرة ٣».
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ «ص ٧١».

وتلك المادة من طبيعة الأرض أراد الله عزّ وجلّ أن يكون خليفته ومعمرها من نفس طبيعتها. ﴿وبَدَأَ خَلْقَ ٱلإنســان مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ «سورة السجدة. الآيات ٧، ٨» ومن هذه الطبيعة الأرضية وجدت فى الإنسان غرائزه الحيوانية.

أما الروح فهى سرّ الله سبحانه وتعالى فى الإنسان ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِيـنَ﴾ «ص ٧٢». فسجد الملائكة له كلهم أجمعون إلا إبليس الذى أبى، واستكبر فكان من المطرودين.

– لقد أبى إبليس أن يكون له شريك فى بستانه يتميز عليه فى الخلقة، والعلم، والمعرفة ويعمر الأرض بذريته، وينشر كلمة الله وتعاليمه بينهم، وينهى وجود إبليس المقصور على العبادة فقط، أما آدم وذريته كانت لهم مهام أخرى غير العبادة وهى العمل على عمارة الأرض لكى تظهر نعمة الله ظاهرةً وباطنةً يسبحون ويعمرون ويسجدون ويشيدون. فقد اقتضت حكمة الله عزّ وجلّ أن تجعل من آدم قوةٍ إنشائيةٍ من أمداده الروحية جعلته مستعداً لقبول العلم، والمعرفة والتفكير، والتعمير ولم يكن عصيان آدم وخروجه من الجنة بعد إغراء إبليس له عبثاً أو لهواً حدث بدون مخطط إلهى بل هى الإرادة الإلهية التى أوجدت آدم لعمارة الأرض أصلاً، ولكن لماذا جعل الله تعالى لآدم عدواً لدوداً يتربص به ريب المنون؟. والجـواب هو، لو أن آدم سلم من الاعـداء وأخلد إلى الراحـة

والأمن والدعة لترهل وضعف وانقرض. وهذه أحد السُنن الإلهية والقوانين التى تطبق على كل بنى آدم.

فنحن نرى بما أوتينا من علوم الدين، والدنيا أن الله عزّ وجلّ خلق لنا الأشياء وأضدادها، وابتلانا بالتعامل مع هذه المتناقضات بقدر ما أوتينا من علم وحكمة ونستخلص الحق من الباطل، وهذه هى حكمة الله والناموس الذى تسير عليه الأمور على الأرض، فيجب ألاّ نعجب حينما نرى الحق وقد اختلط به الباطل فهو آفته ولكل شيء آفة تعتدى عليه لتصل فى النهاية إلى تحقيق التوازن وبلوغ صراط الله المستقيم والاعتدال وحسن الاختيار.

– يقول الله تعالى فى سورة «البقرة الآية ٢٥١»: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّه النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ويقول عزّ وجلّ فى سورة «الأنعام الآية ١١٢»: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ، فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾. ويقول تعالى فى «سورة فاطر الآية ٤٣»: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾.

وهكذا يظل الإنسان بين كرٍ وفرٍ مع عدوه تارةً ينهزم حينما يزين له عدوه حُبَّ الشهوات، والمعصية فتجذبه طبيعته الأرضية الحيوانية وتارةً أخرى تغلب طبيعته النورانية فيبلغ بها الصراط المستقيم، وتتحقق إرادة الله عزّ وجلّ فيه ميسراً لما خُلِقَ له ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ «سورة الذاريات الآية٥٦».

– إنّ خطيئة آدم لم تكن حادثاً عارضاً أو واقعةً لن تتكرر ولكنها كانت بداية لوعد إبليس بأن يفسد أعمال آدم، وذريته إلى يوم الدين كما جاء فى سورة «الاعراف الآية ١٦»: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

– وإفساد العقيدة الدينية عند إبليس هى شغله الشاغل فلم تنج منه العقائد الدينية جميعاً. فكما قال لآدم ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾ قال لليهود لقد اختاركم الله ولم يختر غيركم؟!، وقالَ للنصارى، لقد اختصكم الله بولده؟! ولم يسلم المسلمون من كيد إبليس كما سوف نرى؟.

– وهنا يبرز هذا السؤال، هل على المسيحى أن يتحمل وزر رجال الكهنوت الذين اجتمعوا على الشرك بالله، ورسموا له الخطوط العريضة للعقيدة المسيحية. أم هم الذين سوف يتحملون وزر أعمالهم؟.

إنّ امتحان الطالب في نهاية عامه الدراسيّ يكون من المناهج التى تلقاها ولقنها له أساتذته فهو لم يأت بشيء من عنده.. يقول الرسول (ﷺ) **«كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»**. وهنا يجيب السؤال عن نفسه بأن الوزر يقع على الذين يعرفون الحق، ويتسترون عليه أو الذين يجادلون فى الله بغير علم.. يقول الله تعالى فى سورة «الحج الآيات ٣ – ٤»: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ. كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**.

إنّ الإشراك بالله الذى أصبح من الخصائص المتميزة، والسمة البارزة وارتكزت عليه العقيدة المسيحية أفرز مؤمنين تجرى هذه العقيدة مجرى الدم فى شراينهم، وقد تلوث ببقعةٍ سوداءٍ لرسالة بيضاء جاء بها السيد المسيح، رسالة لا باطل فيها ولا إشراك.

– ومرةً أخرى نتساءل. هل جاء شيئاً من هذا الافتراء على لسان السيد المسيح أو فى الأناجيل الأربعة؟، ويوجه «اينشتين» هذه النصيحة إلى رجال الدين المسيحيّ فيقول:– «لابد لعلماء الدين أن يتخلوا عن مبدأ العقيدة فى إله له صفة الأشخاص».

«الأناجيل الأربعة»

– ونلقى هنا نظرةً سريعةً على العهد الجديد أو الأناجيل الأربعة، وكلمة إنجيل تعنى – بشرى الخلاص –.

«إنجيل متّى»

– كان متّى عشّاراً يجبى الخراج للدولة الرومانية فى كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين وما حولها.. رآه المسيح جالساً عند مكان الجباية فقال له:– أتبعنى فقام وتبعه.

ويرى المحققون من العلماء أن متّى ليس من حواريّ المسيح. يقول «موريس بوكاى» فى كتابه «الكتب المقدسة» فى ضوء المعارف الحديثة لنقل

صراحةً إنه – أى متّى – لم يعد مقبولاً اليوم أنه أحد حواريىّ المسيح ويؤكد «الجاحظ» فى رسالته التى ألفها فى الرد على النصارى بقوله:– أنهم – أى النصارى – إنما قبلوا دينهم عن أربعة أنفسٍ اثنين منهم من الحواريين بزعمهم «يوحنا ومتى».

وهناك مآخذ ذات بالٍ وجهها العلماء الثقات إلى إنجيل متّى:

– الاعتراض الأول يتوجه إلى هذا الإنجيل من ناحية الإسناد حيث وصل إلينا هذا الإنجيل بطريقة يشوبها اللبس والغموض، فعلماء النصارى يقفون حيارى أمام تحديد الزمن الذى كتب فيه هذا الإنجيل وما قالوه عن تاريخ تدوينه لا يقوم إلا على الظن والتخمين، ولا يعرف شيئاً عن النسخة الأصلية التى كانت بالآرامية. أو العبرية، ومَنْ الذى قام بالترجمة من اللغة الأصلية إلى اليونانية؟.

– ثانياً يوجد فى أنجيل متى فقرة لا يوجد مثيل لها فى الأناجيل الأخرى. الإصحاح «٢٧» الفقرات من ٥١ إلى ٥٣: **فصرخ يسوع أيضاً بصوتٍ عظيمٍ وأسلم الروح وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين وأما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جداً وقالوا: حقاً هذا ابن الله.**

– ولقد جزم العلامة المسيحى «نورتن» بكذب هذه القصة وقال فى تكذيبه هذه الحكاية كاذبة.

وينقل د. موريس نبوكاى عن الأب «كانينجر» استحالة تصديقه لرواية متّى عن قيامة المسيح، وقد عاب بوكاى على متّى أنه يتصرف بحريةٍ خطيرةٍ مع النصوص. ويلاحظ ذلك فيما يتعلق بنسب المسيح الذى يضعه فى بداية إنجيله.

– ويعلق الشيخ محمد الغزالى على النص السابق بقوله:– لعل كثيراً مما فى المتن أصله فى الحاشية ثم نقل خطأً فى المتن، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يكون هذا الكتاب وأشباهه مصدراً لاعتقاد جازم.

– وقد جاء فى إنجيل متّى ٩:٩ – ما يلى: واجتاز يسوع من هنا فرأى

يسوع رجلاً عند مكان الجباية اسمه متّى، فقال يسوع له «متّى» أتبعنى - فقام متّى وتبعه.

وهذا يثبت أنه - أى متّى - لم يكن هو مؤلف أنجيل متّى - قول الباحثين - يقول السيد/ ج.ب فيليبس - أستاذ علم اللاهوت بالكنيسة الانجليزية وهو يمثل الرأى الرسمى للكنيسة:-

«نَسَبَ التراث القديم هذه البشارة إلى الحوارى متّى ولكن معظم علماء اليوم يرفضون هذا الرأى. هذه شهادة أستاذ لعلم اللاهوت.

- كتب هذا الإنجيل متى فى حوالىَ سنة ٣٠ أو ٤٠ ميلادية.

«إنجيل مُرْقُس»

- اسمه يوحنا. ويلقب بمرقس أمه كانت أختاً لبرنابا صاحب الانجيل، لم يكن مرقس من تلاميذ المسيح، ولا حوارييه.. وإنّما كان من الرسل السبعين. ويقول علماء اللاهوت إن المسيح كان يتردد على بيته. وقد رافق مرقس بولس وبرنابا للتبشير بالنصرانية فى أنطاكية وقبرص. ثم إلى بعض جهات آسيا الصغرى «تاريخ الامة القبطية ٦١/٢».

- وعلى يد مرقس دخلت الديانة المسيحية ديار مصر فى القرن الأول للميلاد. مرّ أولاً ببعض بلاد الوجه القبلى ثم انتقل إلى الاسكندرية شمالاً، وأخذ يبشر فيها بدعوة المسيح عليه السلام «مفاتيح كنوز الاسفار ٣٤/٢».

- وقد جاء فى كتاب «مروج الأخبار فى تراجم الأبرار» أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحوارى.

- وفى يوم عيد القيامة الذى وقع فى ٢٦ أبريل سنة ٦٨ ميلادية بينما كان المسيحيون يحتفلون بالعيد فى كنيستهم هجم الوثنيون وقبضوا على مرقس وظلوا يعذبونه حتى مات كما يذكر تاريخ الأمة القبطية.

أما أنجيل مرقس فهو أقصر الأناجيل وأقدمها، وهو على أفضل تقدير كتبه تلميذ لأحد الحواريين كما يقول د. موريس بوكاى، ولا يدرى علماء اللاهوت أيّهما أسبق وجوداً؟ إنجيل متّى أم إنجيل مرقس. فقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس ما يلى:

- ويظن بعض العلماء أن مرقس هو أول الأناجيل التى دونت، وأن متّى

ولوقا استخدما على وجه العموم نفس النقاط الرئيسية التى وضعها مرقس ويظن فريق آخر أن أنجيل متى هو أول الاناجيل تدويناً، ومن المقرر أن أنجيل مرقس كتب باليونانية، وكانت هذه اللغة شائعة عند الرومانيين.

– وقد ذكر مرقس فى إنجيله معجزتين لا يذكرهما غيره، وهما شفاء الأصم وفتح عينى الأعمى الذى كان فى بيت صيدا. كتب هذا الإنجيل حوالى سنة ٦١ ميلادية، وقد حرر مرقس إنجيله دون اهتمام بالتعاقب الزمنى للأحداث، فهو يضع فى بداية روايته – الإصحاح ١ : ١٦– ٢٠ حكاية الصيادين الأربعة الذين يدعوهم المسيح لأن يتبعوه على حين أنهم لا يعرفونه، ولذلك يقول الأب «روجى» بعد دراسة متأنية لهذا الإنجيل إنّ مرقس كاتب غير حاذقٍ وأكثر المبشرين ابتذالاً فهو لا يعرف أبداً كيف يحرر حكاية.

ويقول المؤرخ المسيحى «ابن البطريق» :– وفى عصر القيصر نيرون كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس فى مدينة روميه ونسب إلى مرقس تاريخ ابن البطريق، ويبدو أن هذا الأمر كان مشهوراً عند قدامى المؤرخين لأن «ابن حزم الاندلسىّ» فِي كتابه «الفصَل» يقول:– ويقولون إن «شمعون بطرس» – هو ألفه ثم محا اسمه من أوَله ونسبه إلى تلميذه مرقس.

– وقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس الذى حرره علماء اللاهوت ما يلى:– يلاحظ أن الجزء الأخير من إنجيل – مرقس – ص١٦ : ٩–٢٠ وجد فى بعض المخطوطات القديمة، ولم يوجد فى البعض الآخر مثل المخطوطة السينائية ومخطوطة الفاتيكان.. وهذا يعنى أن خاتمة إنجيل مرقس مشكوك فيها، وأنها لم تكن موجودة فى بعض النسخ القديمة ولكنها عمتها فيما بعد.

«إنجيل لوقا»

– كان مرافقا لبولس فى أسفاره وأعماله. وهو كاتب سفْر أعمال الرب، والإنجيل الذى ينسب إليه يروى أنه استشهد فى حكم نيرونَ، ويقال إنه كان طبيباً.

لم يكن لوقا كاتب هذا الإنجيل من تلاميذ المسيح، وهو لا يدعى أنه شاهد بعينه الأمور التى كتبها، بل يصرح بأنه جمع ما كتبه باجتهادٍ وتدقيق «مرشد الطالبين».

ويقول هورن:- ألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣ أو ٦٤ ميلادية.. يعطى كل من متّى ولوقا أنساباً مختلفةً والتناقض بينهما مهم، وعدم المعقولية كبير من وجهة النظر العلمية، ويقول الأب «كانينجر» عن لوقا: لوقا هو أكثر كتاب الأناجيل الأربعة إرهافاً فى الحس وأكثرهم ميلاً للأدب، لأنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائى الحقيقى.

- وقد جاء فى أنجيله الإصحاح الأول ما يلى:

- إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا، منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة. رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيءٍ من الأول بتدقيقٍ أن اكتب على التوالى إليك أيها العزيز «ثاوفليس-لوقا »١ :١-٣، وثاوفيلس من عظماء الروم كما يقول ابن البطريق.

- ونفهم من حديث لوقا أن الكتابات كثرت عن المسيح وقصته، وأنه رأى أن يقدِّم المعلومات الصحيحة التى وصلته من شهود عيان، فهو ليس منهم أى أنه لم يشاهد المسائل ولا عاصر الوقائع التى كتب عنها.

- ولاحظ أنه حسب ترتيب الإنجيل الحالى فلم يسبقه فى الكتابة إلا متّى، ومرقس، وهذا يعنى أن الكثيرين الذين ذكرهم لوقا قد حذفت واختفت أناجيلهم.

- يقول العالم المسيحى «ج.ب. فيليبس» فى مقدمته لترجمة - بشارة القديس لوقا - قام لوقا بإيمانٍ من نفسه بمقارنة وتنقيح المواد الأدبية المتوافرة. ومن الواضح أنه كانت لديه مصادر إضافية أخرى منها هذه المعلومات.

وهناك اختلافات وقعت بين متّى ولوقا فى نسب المسيح..

«إنجيل يوحنا»

- ينسب إليه الإنجيل الرابع والرسائل الثلاثة التى تدعى باسمه.

ولد فى بيت صيدا، ويقول - إيرونيموس - فى قاموس الكتاب المقدس إنه توفى عام ٩٨ ميلادية..

واختلف علماء اللاهوت فى تاريخ كتابة هذا الإنجيل اختلافاً بيناً، فقال

البعض إنه كتب سنة ٦٨ ميلادية والبعض الآخر يقول إنه كتب سنة ٩٨ ميلادية، وقد كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية – تاريخ الأمة القبطية –.

– يعتقد جمهور النصارى إنَّ كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحوارى ابن زبدى الصياد .. بيد أن المحققين من العلماء أنكروا ذلك وأوردوا من الأدلة التى تدل على أن كاتب هذا الإنجيل ليس يوحنا تلميذ المسيح، من ذلك:

أ– أسلوبه الذى يدل على أن كاتب الإنجيل لم يكتب ما شاهده وعاينه بل ينقل عن غيره.

ب– آخر فقرة منه وهى قوله: هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق. ونلاحظ أن يوحنا ذكر بضمير الغائب وظفر بشيء مما كتبه فحكاه عنه ونقله ضمن إنجيله.

ج– لقد كان الخلاف حول هذا الانجيل وصدق نسبته إلى يوحنا محتدماً فى القرن الثانى على عهد – ارينيوس – تلميذ – بوليكارب – الذى هو تلميذ يوحنا، ولم يذكر «ارينيوس» أنه سمع من بوليكارب أن أستاذه يوحنا هو الكاتب له.

د– يشهد كبار كتاب ومؤرخى المسيحية بأن هذا الإنجيل ليس من تصنيف يوحنا. فقد كتب «أستاذ لن»: إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب مدرسة الاسكندرية بلا ريب، ويعتقد «أ. كولمان» أن الإضافات اللاحقة واضحة فى هذا الإنجيل – يوحنا – مثل الإصحاح ٢١، ويقول إنه من عمل أحد التلاميذ وقد أضاف بعض اللمسات إلى متن الإنجيل..

– ويقول المحقق «مرونيس»: إن هذا الإنجيل كان عشرين باباً فألغت كنيسة أفسس الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا..

– ويقول المحقق «بوطشبندر» أن هذا الإنجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليس من تصنيفه بل صنفها أحد فى القرن الثانى ونسبه إلى يوحنا، والبرهان القاطع على ذلك ما جاء فى دائرة المعارف الكبرى الفرنسية التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه: أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزوّر أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعضٍ. وهما

القديسان يوحنا ومتّى. وقد ادعى هذا الكتاب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علّتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين ما نسبت إليه. وإنا لنرى ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطةٍ هذا الرجل الفلسفيّ الذى ألف هذا الكتابِ فى الجيل الثانى بالحوارى يوحناً الصياد الجليل، فإنّ أعماله تضيع عليهم سدًى لتخبُّطهم على غير هدًى.

يقول جرجس زوين - تلميذ الرهبان اليسوعيين فى ترجمته لإنجيل يوحنا وسبب تأليفه عام ١٨٧٣ ميلادية يقول:-

إنّ شيربنطوس، وأبيسون، وجماعتهما لما كانوا يعلمون بأن المسيح ليس إلا إنساناً، وأنه لم يكن قبل أمه مريم. فلذلك فى سنة ٩٦ ميلادية اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجليون الآخرون، وأن يكتب بنوعٍ خاصٍ لاهوت المسيح فلم يسعه أن ينكر إجابة طلبهم من كتاب الفارق بين المخلوق والخالق.

- ومن تلك النصوص يتبين لنا أن الله سبحانه وتعالى أظهر الحق من فلتات ألسنتهم على أن الطبقة الأولى إلى نهاية القرن الأول كانت تنكر لاهوت المسيح؟. كما أن الأناجيل الثلاثة لم تذكر شيئاً من لاهوته عليه السلام، فالذين ابتدعوا فِرْيَةَ ألوهية المسيح هم بعض أساقفة الطبقة الثانية للمسيحية، فأنجيل يوحنا صَنف بالالتماس، وليس بالإلهام فخالف الطبقة الأولى بمحاولته إثبات ألوهية المسيح فتجد فيه من الأقوال والآراء ما لم يروِه أحد غيره فى هذا الشأن مثل تسميةَ المسيح بالابن الوحيد أو أنا والأب واحد يوحنا ١٠ : ٣- وغير ذلك كثير مما لم تروِه الاناجيل الأخرى..

- لقد تعمد لوقا أن يكون إنجيله كاملاً، وجامعاً لجميع أخبار المسيح وأقواله المهمة إذ قد تتبع كما يقول عن نفسه - ١ : ٣ - كل شيءٍ من الأول بتدقيقٍ، فلا يعقل أن مثل هذا الكاتب المزقق يترك كل أقوال المسيح المهمة فى مبحث ألوهيته ليكملها له يوحنا بعد نصف قرن من الزمان!

إنَّ ما رواه يوحنا عن السيد المسيح لم يَرِدْ فى كتاب من كتب العهد القديم أو الجديد، وما هى إلا فلسفة عصورٍ سحيقةٍ طبقها هذا الرجل على المسيح والمسيح براء مما ينسبه إليه أو يرويه عنه كما هو ظاهر من الأناجيل الأخرى. ولك أن تراجع هذه الإصحاحات:

يو - ٣:١٣ و٨:٥٨ و١٢:٤٥ و١٤:١٠ و١٦:٢٨ و١٧:٥.

ونستخلص مما سبق ذكره الحقائق التالية:

١- ليس كل ما كتب فى الأناجيل كُتب بإلهام حيث إن السيد المسيح لم يكتب ما ذكَّرهم به وما كان يوحى إليه.

٢- دَوَّنَ الحواريون تعاليم المسيح عليه السلام ولم يكن جميعهم شهود عيانٍ، لذلك سماها «سانت جوستين» فى منتصف القرن الثانى: مذكرات الحواريين، فقد أجروا عليها لمساتٍ وتعديلاتٍ لم تكن موجودةً أصلاً.

٣- ما جاء فى الأناجيل هو تاريخٌ مختصرٌ من أقوال، وأفعال السيد المسيح فى أيامٍ معدودةٍ، بدليل قول يوحنا فى آخر إنجيله:-

- هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا، وكتب هذا ونعلم أن شهادته حقٌ وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظنُّ أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين.

وفى هذا إثبات لقول الله تعالى فى سورة «المائدة الآية ١٣»: **﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾**.

٤- تقرير الدراسات أن الكنيسة اعتمدت نُسَخاً معينة من الأناجيل، وأعدمت أو تحفظت على كافة النسخ المخالفة للأناجيل الأربعة الموجودة بين أيدينا الآن.

٥- بدأ تحريف الإنجيل منذ القرن الأول حيث يقول بولس فى رسالته إلى أهل غَلاْطَيَة - ١:٦ : «إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيلٍ آخرٍ»، وبيَّن بولس أن الناس كانوا ينقلبون سريعاً إلى دعاة إنجيل محرَّف محوَّل عن أصله الذى جاء به المسيح، ويصرح أيضاً فى رسالته الثانية إلى أمثل كورنثيوس ١١ : ١٥ قائلاً:

لا مثلَ هؤلاء رُسُلٌ كَذَبَةٌ فَعَلَةٌ ماكرون مغيرون شكلهم إلى رسل المسيح ولا عجبَ لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيماً إذا كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر.

– وفى الفصل الخامس عشر من سفر الأعمال ما يوضح هذه المسألة وهو أن اليهود كانوا ينبثون بين المسيحيين، ويعلمونهم غير ما يعلمهم رسل المسيح. وأن المشايخ والرسل أرسلوا بولس، وبرنابا إلى إنطاكية ليحذروا أهلها من هؤلاء المعلمين الكاذبين.

٦– يجب التسليم فى غير مواربةٍ أن هناك تناقضاً واختلافاً وتحريفاً فى روايات الأناجيل، وقد لوحظت هذه الحالات منذ القرن الأول للمسيح وقررها بولس فى رسالته واعترف بها المنصفون من علماء اللاهوت في القرن العشرين، فالتناقض والاختلاف والتحريف نقص بلا ريب أظهره الله عزَّ وجلَّ للباحثين، فلا يمكن أن يمرَّ الباحث مرَّ الكرام على الاختلافات التى وقعت بين متَّى ولوقا فى نسب المسيح حيث تجد فى إنجيل متَّى وفى صفحة العنوان العبارة التالية:–

«كتاب العهد الجديد لربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح» وفى الصفحة التالية:– «انجيل متَّى. الاصحاح الأول: كتاب ميلاد المسيح ابن داود ابن إبراهيم فكيف يكون المسيح ابن الله والرَّب والمخلص ثم نقرأ فى السطر الأول أنه ابن داود؟! ويستمر الإصحاح فى ذكر أثنين وخمسين جيلاً من إبراهيم حتى المسيح، وقرب آخر الإصحاح تجد ما يلى:

«ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم أمرأتك.. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته».. فتلاحظ أن يوسف ابن داود والمسيح ابن داود، وهذا بحق زعم طائفةٍ من اليهود تقول إن المسيح هو ابن يوسف النجار.

– وما نعلمه بيقين أن المسيح مولود بمعجزةٍ من أمٍ فقط بدون أبٍ على الإطلاق، وما نعلمه أيضاً أن مريم عذراء بتول طاهرة مطهرة لم يمسسها بشر قط ولا يجوز نسبتها إلى رجل تكريماً لسيرتها وتخليداً لأصطفائها على نساء

العالمين ولم يكن هناك داعٍ لنسب المسيح بن مريم من جهة الأب على الإطلاق لأنه مولود بغير أبٍ وهم يؤمنون بذلك جيداً. فكيف يدنسون سيرة أمه بكلمة - ابن يوسف - ؟. والواقع أن يوسف كان كفيلها أو عائلها لا زوجها وقت حملها للمسيح عليه السلام، وليس للمسيح أب بيولوجى فيجب أن يكون النسب من جهة مريم فقط.

- ونحن نجد فى إنجيل متّى ما يلى: «عيسى بن يوسف بن يعقوب» إلخ.. وفي إنجيل لوقا: عيسى بن يوسف بن هالى!!، والأول ينحدر من سليمان بن داود أما الثانى فمن ابن آخر لسليمان اسمه ناثان بن داود.

- ويسجل متّى ستة وعشرين سلفاً فقط، ولكن لوقا يسجل واحداً وأربعين سلفاً لعيسى عليه السلام، وبين هذه الأسماء الموجودة فى القائمتين لا نجد اسماً مشتركاً بينها إلا يوسف..

ولم يسجل سلسلة نسب المسيح غير متّى ولوقا فقط من بين مؤلفى البشارات الأربعة، وهذا من حسن الطالع ؟!.

- وقد اختلفوا الأربعة فى كثيرٍ من الأمور، وأحل بعضهم شيئاً وحرمه آخر منهم، وهذا مبحث يطول استقصاؤه، فقد ذكر الإمام «ابن حزم» فى كتابه - الفصل - عشرات الأمثلة على الأخطاء التى تضمنتها الأناجيل بين جنباتها مما يَدل دلالةً قاطعةً على أنها محرفة.

- وقال «ابن القيم» بعد أن ذكر جملة من تناقض الأناجيل:-

- والمقصود أن هذا الاضطراب فى الإنجيل يشهد بأن التغير وقع فيه قطعاً ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله، بل الاختلاف الكثير الذى فيه يدل على أن ذلك الاختلاف من عند غير الله.. إظهار الحق. ١/١٦٠..

- فهل رغبة الإنجليين فى تطبيق نبوءات اليهود على المسيح أنستهم كل شيءٍ آخر؟.. لا نعتقد هذا، فمن الواضح من هذا الاختلاف فى الأناجيل أنه لم يَقع فى عهد الإنجليين وإلا لراجعوه وما خالف أحدهم الآخر تلك المخالفة التى حيرت المحققين من القدامى والمتأخرين، ولكن الذين أرادوا من بعدهم أن يثبتوا للناس أن عيسى هو المسيح المنتظر، الذى أتى ليخلصهم من عبودية روما ويعيد إليهم مجدهم الضائع هم الذين يحملون وِزر هذا الاختلاف والمخالفة.

فقد تهافت هؤلاء بحسن نية - والله أعلم - على تحريف النصوص، والروايات التى تتحدث عن المسيح المنتظر المخلِّص.

- ولما كانت أكثر النبوءات شيوعاً عن المخلِّص الذى سيرسله الله عزَّ وجلَّ لتحرير إسرائيل أنه سيكون من سلالة داود. من أجل هذا دسوا فى الأناجيل أن عيسى من سلالة داود، ولو كانت مريم من سلالة أو ذرية داود لكانت نسبة عيسى إلى داود أمراً يمكن أن يفهم.

- ولكن عندما نراهم يربطون بين عيسى، وداود عن طريق يوسف النجار تعلو الدهشة وجوهنا، فقد جعلوا من يوسف النجار خطيب مريم أباً لعيسى وأصلاً له. فى الوقت الذى اختار الله لمريم أن تلد أحد معجزات الله. لقد شوهوا من قيمة المعجزة وأساءوا إلى شخص المسيح عليه السلام وفيهم يقول «ابن حزم»:-

- مرة بنص إنجيلهم ابن الله. ومرة هو ابن يوسف، ومرة هو إله يخلق ويرزق، ومرة هو خروف الله، ومرة هو الله والله فيه، ومرة هو الله وقدرته، ومرة لا يحكم على أحد ولا ينفذ إرادته، ومرة هو نبى وغلام الله، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه، ومرة قد انعزل الله له عن الملك وتولاه هو، وصار يعطى مفاتيح السماوات لبطرس، ويولى أصحابه خطة التحريم والتحليل فى السماوات والأرض.

- ومرة يجوع ويطلب ما يأكل، ويعطش ويعرق من الخوف، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تيناً يأكله، ويفشل فيركب حماراً، ويؤخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصبة، ويضرب ظهره بالسياط، وينهال الشُّرط ويتهكمون به، ويسقى الخل فى الخنظلة، ويصلب بين السارقين وتسمر يداه، ومات فى الساعة ودفن ثم يحيا بعد الموت، ولم يكن له إذ جىء بعد الموت وما اجتمع بأصحابه إلا طلب ما يأكل فأطعموه الخبز والحوت المشوى، وسقوه العسل ثم انطلق إلى شغله. هذا كله نص أناجيلهم واقتصروا فى دينهم من هذا كله على أنه إله معبود فقط.. الفصل ٧٣/٢.

«ومن دائرة المعارف الأمريكية ٧٠/٣ - ٧١، وقاموس الكتاب المقدس نقدم هنا الأناجيل غير المعتمدة عند النصارى».

- كان لدى النصارى فى القرنين الأول والثانى الميلاديين أناجيلُ كثيرةٌ غير الأناجيل الأربعة سالفة الذكر.. وكان لكل فرقةٍ من فرقهم إنجيلها أو أناجيلها الخاصة التى تعتمد عليها وترفض ما عداها من أناجيل حاكمةً بزيفها وبطلانها، ومن الأناجيل الكثيرة التى رفضتها الكنيسة:

إنجيل متّى - غير إنجيله السابق ذكره -.
إنجيل برنابا - إنجيل يعقوب - إنجيل توما
إنجيل نيكوديم - إنجيل السبعين - إنجيل الاثنى عشر
إنجيل الناصريين - إنجيل العبريين - إنجيل المصريين
إنجيل أتباع وبصار - إنجيل أتباع فانى - إنجيل مرقيون
إنجيل الأبيونيين - إنجيل التذكرة - إنجيل بطرس - إنجيل أيللس
إنجيل ثاسينس - إنجيل فليب - إنجيل ماتياس - إنجيل مريم
إنجيل برثولماو - إنجيل نيقوديموس - إنجيل عمالائيل - إنجيل الكمال
إنجيل أندرادس - إنجيل الناسيين - إنجيل الصفولية- وهو - إنجيل عربى

- وقد أرادت الكنيسة فى أواخر القرن الثانى الميلادى أو أوائل القرن الثالث أن تختار من بين الأناجيل الكثيرة التى كانت رائجةً أربعة أناجيل، وحكمت ببطلان غيرها وقالوا أنها موضوعة مزيفة، مع أن هذه الأناجيل التى اختارتها الكنيسة أول من أذاع ذكرها - أرينية - سنة ٩٩ ميلادية ثم جاء من بعده - كليمان - الإسكندرى المتوفَّى سنة ٢٢٠م وهو من كبار رجال الكنيسة وفقهائها فى وقته، وقرر فى سنة ٢١٦م أن من واجب المسيحىّ التسليم بصحة هذه الأناجيل الأربعة - الأسفار المقدسة صفحة ٩٤..

«إنجيل برنابا»

- ومن بين الاناجيل التى ترفضها الكنيسة إنجيل برنابا، فقد أثار هذا الإنجيل جدلاً كبيراً بين المؤيدين والمعارضين فى صحة نسبة هذا الإنجيل إلى صاحبه.. لقد جاء ذكر برنابا فى سفر أعمال الرسل - ٤: ٢٦ - ٢٧، ٣٦ - ٣٧- ولا ريب أن الذى يطالع رسالة أعمال الرسل يرى أن فيها من نصوص تضىء صفحة برنابا المشرقة وتشهد له بالخير والفضل، فقد وصف بأنه: كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان، وقد وضع برنابا ما عنده من

مالٍ ومتاعٍ لمعاونة الرسل فى دعوتهم ابتغاء وجه الله وهو الذى عرف بولس إلى الحواريين.

ويقول «شارل جنبير» فى كتابه «المسيحية» صفحة ١٣١:

«ولولا برنابا لما استطاع بولس حتى الاتصال بالمجتمع».

– ولقد اتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل كان فى سنة ١٤٠٩ ميلادية باللغة الايطالية، عثر عليها – كريمر – أحد مستشارى ملك بروسيا.

ويختلف إنجيل برنابا عن الأناجيل الأربعة اختلافاً جوهرياً فى الأمور الآتية:

١– يقرر إنجيل برنابا أن المسيح «عليه الصلاة والسلام» ليس إلا بشراً رسولاً، وأنه ليس إلهاً ولا أبناً لله، فقد جاء فى مقدمة إنجيله:

«أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد أفتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى أتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى أمر به الله دائماً، مجزين كل لحم نجس الذين ضل فى عدادهم أيضاً بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحكم الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع – إنجيل برنابا: المقدمة ٢».

– وجاء فى آخر الفصل الثالث والتسعين وأول الفصل الرابع والتسعين أنه قد قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالى الرومانى هيرودس ملك اليهود فذكر له كبير الكهنة أن فريقاً من الفتنة التى ثارت من أجله، **فقال يسوع: وأنت يا رئيس كهنة اللهَ لماذا لم تخمد الفتنة؟ هل جننت أنت أيضاً؟ هل أمست النبوات وشريعة الله نسياً منسياً أيتها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان – الفقرة ٢ :٢٣..**

ولما قال يسوع هذا عاد فقال: **إنى أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكنٍ على الأرض أنى برئٌ مِن كلٍ ما قال الناس عنى من أنى أعظم من بشر، لأنى بشر مولود من امرأة وعُرضة لحكم الله. الفقرة ١ : ٢ ..**

ويقول فى الفصل السبعين: **فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبريل بالشغب الذى نجم بين العامة قائلاً: ماذا يقول الناس عنى؟ أجاب بطرس: إنك المسيح بن الله، فغضب حينئذ يسوع وأنتهره بغضب قائلاً: اذهب وانصرف عنى لأنك أنت الشيطان** - الفقرة ١ : ٢.

٢- يقرر إنجيل برنابا أن المسيح لم يصلب، ولكنه شبه لهم كما جاء فى سورة النساء الآية ١٥٧ .. ويقول برنابا ما نصه:

ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع، سمع يسوع دُنُوّ جم غفير وانسحب إلى البيت خائفاً، كان الأحد عشر نياماً - الحواريين - فلما رأى الله الخطر على عبده أمر سفراءه جبريل، وميخائيل وروفائيل وأدريل، أن يأخذوا يسوع من العالم. فأخذوه من النافذة المشرفة على الجنوب ووضعوه فى السماء الثالثة مع الملائكة الذين يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون.. ودخل يهوذا بعنف إلى الحجرة التى عرج منها بالمسيح، وكان التلاميذ كلهم نياماً فأتى الله بأمر عجيب، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه وأصبح شبيهاً بيسوع فى كل شيء حتى اعتقدنا أنه يسوع أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفكر لينظر أين هو المعلم - أى المسيح - لذلك تعجب وأجبنا: أنت يا سيدى معلمنا. أنسيتنا الآن؟..

٣- يقرر أن مسْيا أو المسيح المنتظر الذى ورد ذكره فى العهد القديم ليس يسوع بل محمد رسول الله (ﷺ).

٤- يقرر أن المسيح قد بين أن الذبيح الذى تقدم به ابراهيم - عليه صلاة الله وسلامه - للفداء هو إسماعيل وليس إسحاق كما هو مذكور فى توراة اليهود.

٥- ورد فى هذا الإنجيل عدة عبارات بشرت على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام ببعثة النبى الأعظم محمد (ﷺ) وإليك ما جاء فى إنجيل برنابا من تلك البشارات التى قرر القرآن الكريم أنها مكتوبة عند أهل الكتاب فى التوراة والإنجيل:

أ- لستُ أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه - مسْيا - الذى خلق قبلى وسيأتى بعدى - الفصل ٤٢-١٤..

ب- ولما رأيته امتلأتُ عَزاءَ قائلاً: يا محمد ليكن الله معك، وليجعلنى أهلاً أن أحل سير حذائك - الفصل ٤٤ : ٣٠.

جـ- أجاب التلاميذ يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه الذى يأتى إلى العالم؟

- أجاب يسوع بابتهاج قلب إنه محمد رسول الله - الفصل ١٦٣ : ٧-٨.. صفحة ٢٥٢ الترجمة العربية.

- لقد أثار إنجيل برنابا خلافاً شديداً بين علماء اللاهوت، فريقاً يرى أن هذا الإنجيل مزور على القديس برنابا. لا يمت إليه بنسب، وإنما كتبه أحد الأشقياء المسلمين!! ليضرب به الديانة النصرانية ويثير الشك، والقلق بين أبنائها. وفريقاً يرى أن هذا الإنجيل صحيح النسب كل ما جاء فيه يؤكد أن كاتبه برنابا - فهى شهادة حق من رجلٍ كان أميناً على ديانته، له مكانته وقدره عند بنى جلدته.

- وقد تعرضْتُ لذكر إنجيل برنابا أقدمِ وأعرقِ المصادرِ المسيحية وجاءت تسمية إنجيل برنابا فى - إظهار الحق - المجلدَ الأولَ بين قائمة الكتب المفقودة نقلاً عن - أكسيهومو - وجاء الاعتراف بذلك فى مقالة برنابا فى دائرة المعارف الأمريكية جـ٣ صفحة ٢٦٣، وورد هذا الإنجيل فيما ينسب لقدامى رجال الكنيسة من بحوث وقرارات، ومن ذلك القرار الذى أصدره البابا «جلاسيوس الأول» الذى تولى باباوية الكنيسة الكاثوليكية من سنة ٤٩٢ إلى سنة ٤٩٦م، وعدَّدَ فيه الكتب المنْهِىّ عن قراءتها وذكر من بين هذه الكتب إنجيل برنابا.

- وهذا يدل على أن إنجيل برنابا كان معروفاً فى القرن الخامس الميلادى أى قبل بعثة رسولنا محمد (ﷺ) بقرنين. وقد سلم صحة نبوة ذلك كاتب مقال دائرة المعارف الأمريكية. ومن مواطن ارتياب الباحثين من علماء الغرب فى هذا الإنجيل ذكره لخاتم النبيين محمد (ﷺ) صريحاً باسمه - العلم - عند المسلمين - محمد - قائلين: لا يعقل أن يكون ذلك كتب قبل ظهور الإسلام إذ المعهود فى البشارات أن تكون بالكنايات والإشارات؟.

ونحن لا نسلم بأن كل التبشيرات فى الكتب الدينية تلميحٌ، فقد وردت

فى الكتاب المقدس كثير من البشارات بالتصريح فى مثل ما جاء فى المزامير ٢ : ١-٢ : **لماذا ارتجت الأمم. وتفكر الشعوب فى الباطل، قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه.**

وفى سفر دانيل ٩ : ٢٥، ٢٦ جاء ما يلى: فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً يعود ويبنى سوقاً وخليجاً فى ضيق الأزمنة.

– وكذلك جاء فى سفر أشعيا ٨ : ١ – وآرميا ٢٣ : ٢٥ التصريح بأسماء الشخصيات المبعوثة فى آتى الأيام.

– إذن فإن كان المسيح عليه السلام قد صرح باسم سيدنا محمد (ﷺ) فليس هناك ما يدعو للاستغراب والتعجب، فقد قدر الله له أن يكون خاتم سلسلة النبوة المقدسة المباركة، وأن يجعل نبوّته عامة شاملة لكل زمانٍ ومكانٍ، فمما يسيغه العقل والمنطق السليم أن يجيء التبشير بمثل هذا النبىّ الأعظم بالتصريح باسمه بجانب ذكر مواصفاته وسيرته وأخلاقه (ﷺ).

– وقد تناول علماؤنا الأفاضل إنجيل برنابا بالبحث والتمحيص، وأثبتوا أنه خالٍ من أى شبهةٍ وأنه أرقى من الأناجيل الأربعة الأخرى فى العلم الإلهى والثناء على الخالق عزَّ وجلَّ وفى علوم الأخلاق والآداب والفضائل، وأثبتوا أيضاً أن هذا الإنجيل يشتمل على كثيرٍ مما يضاد التصورات الإسلامية، بمعنى أنه ليس عربياً كما زعم بعض المشككين بلا دليل، كذلك فإن «ابن حزم الاندلسىّ»، و«ابن تيمية المشرقىّ» كانا أوسع علماء المسلمين فى الشرق والغرب إطلاعاً ولم يذكر فى ردهما على النصارى إنجيل برنابا؟.

– لقد نقل أحد علمائنا عن رحالة انجليزى أنه رأى فى دار الكتاب البابابوية فى الفاتيكان نسخةً من الانجيل مكتوبة بالقلم الحميرى، قبل بعثة الرسول (ﷺ)، وفيها يقول المسيح: **«ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد»**.. وذلك موافق لنص القرآن الكريم بالحرف.

– ومن المعروف أن فى مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب التى فيها هذه البشارات الصريحة، والتى كانت ممنوعة فى القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهةٍ عن إنجيل برنابا وغيره.

ولا شك أن المجمع المسكونى الذى انعقد فى عام ١٩٦٢ - ١٩٦٥ واعترف بحقيقة الدين الإسلامى قد راجع هذه الأناجيل ثم تستروا على الحقائق التى جاءت فيها خوفاً على سلطانهم ومصالحهم الدنيوية ولم يخافوا يوماً حسابه العسير على المكذبين المضللين. يوم لقاء ربِّهم وسوف يسألون.

- لقد أكدَّ الله عزَّ وجلَّ وحدانيته فى كل ما أنزل فى كتبه، فبأى حقٍ وأى سلطانٍ يشرك المشركون؟.. لقد اتبعوا خطوات الشيطان فكان الشرك والتفرقة، وفيهم الذل والهوان، ونسوا صراط الله المستقيم، الوحدة والتوحيد وفيهم العزة والقوة.. بأى حق بدلوا ديانة التوحيد المسيحية إلى ديانة شركٍ ووثنيةٍ. فهمهم للذات العليا منحرف عن جادة الحق والصواب، وفكرة الألوهيةَ فى عقولهم مضطربة يشوبها كثير من مظاهر النقص، فتصوروا الله تعالى وتقدس فى صورة لا تليق بجلاله وجعلوا له ولداً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ولقد جعلوا بينهم وبين الديانات الوثنية قاسماً مشتركاً فقد ادعى كرشنا أنه ابن الله، وكذلك بوذا حسب قولهم هو ابن الله وكذلك الديانات الوثنية القديمة اشتركت جميعها فى ذكر هذه الفرية كما ذكرنا فى باب الديانات القديمة، ولم يجعلوا ذلك القاسم بينهم وبين الديانة اليهودية والإسلام وهى ديانات سماوية تدعو إلى التوحيد.

إنَّ المسيح عليه السلام وُلد يهودياً، وعاش فى بيئةٍ يهوديةٍ، وبدأ دعوته بينهم فى إقليم الجليل، يواصل عملهم، ويجرى على سننهم، فالمسيحية إذن تنبع من عقيدة التوحيد اليهودية، وما جاء به عيسى عليه السلام ليس إلا تعاليم سامية، جاءت للشعب اليهوديّ الذى استغرق فى المادية، وانحرف عن شريعة «موسى عليه السلام»، ولم يأتِ المسيح بشريعةٍ جديدةٍ، بل كان يعدُّ التوراة شريعته، اللهم إلا بعض التشريعات المعدِّلة التى جاءت تخفيفاً على بنى إسرائيل.

يقول الله تعالى فى سورة «البقرة الآية ٢١٣»: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

يقول الأستاذ الشهيد «سيد قطب» رحمه الله عن هذه الآية: فالقرآن يقرر

أن الناس من أصلٍ واحدٍ وهم أبناء الأسرة الأولى، أسرة آدم وحواء وذريتهما قبل اختلاف التصورات، والاعتقادات.. ثم يقول: كل نبى جاء بهذا الدين الواحد فى أصله يقوم على القاعدة الأصلية قاعدة التوحيد المطلق، ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة وتتراكم الخرافات والأساطير حتى يبعد الناس نهائياً عن كل ذلك الأصل الكبير، وهنا تجىء رسالة جديدة تجدد العقيدة الأصلية. وتنفى ما علق بها من انحرافات.. فى ظلال القرآن ٢١٦/١.

– وتاريخ الرسل فى القرآن الكريم يدل على أن الله تعالى شاء أن تبقى راية التوحيد مرفوعة فى كل عصر. فهو سبحانه وتعالى يرسل الرسل كلما انحرف الناس عن هذه الحقيقة، ويظهر من ذلك أنه لم تمر فترة على البشرية وهم يجمعون على الضلال والكفر، ويقول رسول الله (ﷺ): **«أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة. والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»**.. صحيح البخارى كتاب الأنبياء : ١٤٢/٤.

– ويقول الله تعالى مبيناً إنحراف النصارى عن التوحيد: **﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**.. سورة التوبة الآية ٣١.

– ويبين القرآن الكريم كذلك إن الله تعالى قد أخذ على الآدميين عهداً قبل أن يخرجوا إلى هذه الحياة، يتمثل ذلك العهد بالاعتراف لله تعالى بوحدانيته، وأنه خالقهم وربهم، فيقول جلّ شأنه:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ سورة الأعراف: الآية ١٧٢ .. تفسير الطبرى ١١٠/٩.

وعن الرسول (ﷺ) فيما يرويه عن ربه: **«إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت، وأمرتهم أن يشركوا بما لم أنزل به سلطاناً»**.

وبما أن معرفة الله وتوحيده فطرة فى النفوس. لذلك لما شك الأقوام المكذبون لرسلهم فى الدعوة لتوحيد الله استغرب الرسل هذا الشك فقالوا: **﴿أَفِى اللَّهِ شَكٌّ﴾** سورة ابراهيم الآية ١٠.

إنّ للقرآن أسلوباً فريداً فى الدعوة إلى التوحيد، فلقد دعا إلى وحدانية الله صريحةً منزهةً لا شائبة فيها، كما أن دعوته شملت التوحيد بأنواعه الثلاثة، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ولم يلجأ فى إثبات هذه الحقيقة إلى خوارق العادات أو القوارع التى تخرس الألسنة، وإنما احتكم إلى الفطرة والعقل، يخاطب الفطرة السليمة التى فطرت على الإيمان بإله واحد لهذا الكون، ويخاطب العقل يطلب منه النظر والتدبر فى ملكوت الله ليدرك أنّ هذا الابداع وهذا التناسق فى الكون لابد له من مبدع واحد أحد.. يقول الله تعالى فى سورة «الأنبياء الآية ٢٥»: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحَى إِلَيْهِ، أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

التوحيد فى العهد القديم:

لقد وصف الله تعالى التوراة بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ﴾ سورة «المائدة الآية ٤٤».

كما ورد فى الحديث الشريف أن الله كتب التوراة قبل خلق آدم بأربعين سنة. أنظر صحيح مسلم – القدر: ١٥ : ٢٠٤٣/٤.

– والمتتبع لأسفار العهد القديم يجد آيات كثيرة، تصرح بتوحيد الله وتنفى عنه الشرك، كما أنها جاءت بتفاصيل العبادة التى لا تنبغى إلا لله، وفيها تحذير واضح من الشرك والوثنية.

– يروى سفر الخروج مجموعة وصايا أوصى الله بها نبيه «موسى عليه السلام» حينما كلّمه على جبل سيناء، فيقول: «**تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض، ولا تسجد لهن ولا تعبدهن، لانى أنا الرب إلهك إله غيور**». الخروج ٢٠/١– ٥.

ويرد فى الاصحاح الثالث والعشرين من نفس السفر التحذير من السجود لآلهة الوثنيين: **لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم بل تبيدهم وتكسر أنصابهم، وتعبدون الرب إلهكم.**

وفي سفر الخروج أيضاً ١٠/٨ : **لكي تعرف أن ليس مثل الرب إلهنا.**

وفي نفس السفر ١٠/٢٢ : **من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك.**

وفي سفر اللاويين ٤/١٩ : **لا تلتفتوا إلى الأوثان وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم أنا الرب إلهكم.**

– وفي الاصحاح السادس من سفر التثنيه نجد وصية جامعة لإسرائيل وهو «يعقوب عليه السلام»، يقرر الله له فيها وحدانيته، ويأمره أن يعلمها لأبنائه، ويجعلها شعاره فيقول:–

«اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك، وحين تمشى فى الطريق، وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة فى يدك ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» .. التثنيه: ٦/٤–٩..

– وفي نفس الاصحاح ٦/١٠ – ١٥ : **«فاحترز لئلا تنسى الرب الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، الرب إلهك تتقى وإياه تعبد، وباسمه تحلف، لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم»** وفى الاصحاح السابع من هذا السفر يأمر الله بنى إسرائيل أن يعاملوا الأمم الوثنية بشدة:

«لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم، بنتك لا تُعْطَ لابنه وبنته لا تأخذ لابنك، لانه يرد ابنك من ورائى فيعبد آلهة أخرى تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار».

وجاء فى الإصحاح الثالث عشر من نفس السفر ٦/١٣ – ١٠ :

«إذا أغواك سراً أخوك ابن أمك، أو ابنك أو بنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلاً: نذهب ونعبد آلهة أخرى.. فلا ترض ولا تسمح له، ولا تشفق عينك عليه، ولا ترق له، ولا تستره بل قتلا تقتله.. ترجمه بالحجارة حتى يموت، لأنه التمس أن يطرحك عن الرب إلهك».

ومن نفس السفر ونفس الإصحاح ١٢ – ١٦ :

«إن سمعت عن إحدى مدنك.. قد خرج أناس وطوحوا سكان مدينتهم قائلين: نذهب ونعبد آلهة أخرى، وفصحت وفتشت وسألت الأمر جيداً وإذا الأمر صحيح وأكيد.. فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف.. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة».

أما «نحميا» فيناجي ربه ويقول: **«أنت هو الرب وحدك»** نحميا: ٦/٩.

وفى سفر - أيوب - ١٥/٣١: **أوليس صانعى فى بطن صانعه، وقد صورنا واحد.**

وفى المزمور الأول ١٩/٧١: **يا الله من مثلك.**

وفى سفر أشعيا ٢٠/٣٧. دعوة إلى الله الواحد بتخليصهم من «سنحاريب» ملك آشور: **والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك.**

وأيضاً فى اشعيا ٥/٤٥: **أنا الرب وليس آخر لا إله سواى.**

وفى آرميا ٦/١٠: **لا مثل لكل ربٍ عظيم أنت. وعظيم اسمك فى الجبروت.**

وفى سفر ملاخى ١٠/٢: **أليس أبٌ واحدٌ لكلنا. أليس إلهٌ واحدٌ خلقنا..**

- وأسفار العهد القديم مليئة بأمثال هذه النصوص التى تدل صريحة على وحدانية الله تعالى، وعدم جواز عبادة غيره ومع كل هذا نرى النصارى يعطلون عقولهم عن التفكير، ويسيرون وراء رجال الدين الذين شرعوا لهم ما لم يأذن به الله!.. كما أننا نجد فى الأناجيل نصوصاً كثيرة تصرح بوحدانية الله تعالى نقتصر هنا على نصٍ واحدٍ من كل إنجيل من الأناجيل الأربعة وعلى نصوص من بعض الرسائل.

- لقد ورد فى إنجيل «متّى» أن إبليس طلب من «المسيح عليه السلام» أن يسجد له من دون الله حينئذ قال له المسيح: **«اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»..** متى ١٠/٤.

- وفى إنجيل «مرقص» جاء أحد الكتبة يسأل يسوع عن أول وصيةٍ فى الناموس فأجابه يسوع: **«إن أول كل الوصايا هى: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد»** مرقص: ٢٩/١٢..

- وفى إنجيل «لوقا» يناجى المسيح ربه فيقول:- «**أحمدك أيها الأب رب السماوات والأرض**».. لوقا ٢١/١٠.

وفى إنجيل «يوحنا» فإن المسيح يرفع عينيه نحو السماء فيقول: «**وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقىّ وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته**».. يوحنا ٣/١٧.

- وفى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية «**لأن الله واحد**» روميه: ٣٠/٣ وفى رسالته إلى أهل فلاطية: «**وأما الوسيط فلا يكون لواحدٍ، ولكن الله واحد**».. غلاطية ٢٠/٣.

وفى رسالة يعقوب: «**أنت تؤمن أن الله واحد، حسناً تفعل**».. يعقوب ١٩/٢.

- إن النصارى أنفسهم لا يدركون حقيقة عقيدة التثليث، فهم علاوة على اختلاف فرقهم فى هذا الموضوع، فإنهم لا يدركون هذه العقيدة واحد فى ثلاثة وثلاثة فى واحد. لأنها تصطدم مع العقل البشرى، ولا يستطيع هضمها وإدراكها بالإضافة إلى أنها لا تجد لها سنداً من الوحى، والنصوص الأصلية المنزلة، ومع ذلك فإنهم يؤمنون بها سماعاً وتقليداً لما ورثوه عن آبائهم، بل لا يسمحون لعقولهم بالتعمق فى كنهها.

- ولقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة المسيحية توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله، أو بالأحرى عن ثالوث وحدانيته، فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً. فإذا كان العلماء والفلاسفة قد عجزوا عن فهم الثالوث فما هو موقف البسطاء والعامة إذا ما حاولوا الفهم؟.

- ومع أن عقيدة التثليث تُعَدُّ أهم ركن من أركان النصرانية، ولا يُعَدُّ الشخص نصرانياً إلا إذا آمن بهذا الثالوث، فإن الكتاب المقدس لا يشتمل على لفظ الثالوث أو لفظ الأفانيم، ولكن رجال الدين يحتجون لذلك بأن تعليم الثالوث مطابق لنصرص فى الكتاب المقدس. يقول المعلم «بطرس البستانى» فى دائرة المعارف:- «ومع أن لفظ «ثالوث» لا توجد فى الكتاب المقدس، ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوث، فقد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آياتٍ كثيرةً تشير إلى وجود صورة جمعية فى اللاهوت».

دائرة معارف، المعلم بطرس البستانى: ٣٠٥/٦.. انظر كتب: DR. Alvin Boy khun - the lost light- shadow of the third Century- Who is this king of Glory. وجاء فى دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية: «أن عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة فى كتب العهد الجديد، ولا فى أعمال الآباء الرسوليين، ولا عند تلاميذهم الأقربين، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية، والمذهب البروتستانتى التقليدى يدّعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين فى كل زمان، رغماً عن أدلة التاريخ التى ترينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف نمت، وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك».

– وإن من أهم ما يؤيد ذلك أنك لدى مراجعتك نصوص الكتاب المقدس بعهديه فإنك تجده خلْواً من لفظةٍ واحدةٍ للثالوث أو الأقانيم.. وبرغم هذا فإن رجال الدين مصرون على أن هذه العقيدة جاء بها الكتاب المقدس ويحاولون بكل وسعهم جمع النصوص التى يجدون فيها أمارة إلى هذا الثالوث ولو بطرفٍ خفىّ ليتمكنوا بأية حجة ولو كانت واهية لا تدل على المعنى الذى ينشدونه. ويظهر فى تفسيرهم التكلف الواضح فى لىّ أعناق النصوص حتى توافق هواهم.

– ويستدل البعض على التثليث بما ورد فى إنجيل متّى الإصحاح الثالث وحادثة عماد السيد المسيح التى رويت فيه:

«فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه» .. متّى: ١٦/٣.

– والنص يدل على بداية نبوة السيد «المسيح عليه السلام»، ونزول الوحى الأمين عليه، وفى ختام إنجيل متّى وردت عبارة التعميد المشهورة: **«فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الرب والابن والروح القدس»** متّى: ١٩/٢٨.

– وحول هذه العبارات قالت دائرة المعارف الفرنسية: «نعم إن العادة فى التعميد كانت أن يذكروا عليه اسم الأب والابن والروح القدس، وكنا سنريك أن هذه الكلمات الثلاث كان لها مدلولات غير ما يفهم منها نصارى اليوم وأن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق وما كان «بطرس» حواريه

يَعدُّه أكثر من رجل، ويوحى إليه من عند الله. انظر: دائرة معارف القرن العَشرين.

- أن الأب هو الله، وهو أب لكل الانبياء والأولياء والقديسين، بل لعموم المؤمنين كما هو مصرح فى الإنجيل، والابن الذى يراد منه المسيح، كما أطلق على المسيح فقد أطلق أيضاً على إسرائيل وآدم وداود وسليمان، وعلى كل صالح، كما هو مذكور فى كل الكتب السماوية، إذ ليس هو خاص بالمسيح، وأما الروح القدس فهو ملك الوحى الذى يتنزل على الأنبياء.

- ولقد بيّن «ابن تيمية» عند هذا النص أن الأب هو الله والابن هو المسيح وروح القدس هو «جبريل عليه السلام»، والمراد بعبارة التعميد عنده: «مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذى أرسله، وبالملك الذى أنزل عليه الوحى الذى جاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذى يدل عليه صريح المعقول وصريح المنقول».. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقى الدين ابن تيمية.

- والمعنى الذى يراه شيخ الإسلام ابن تيمية مناسباً لعلاقة النبوة بين الله وعيسى، فيذكره بعد أن يورد نصوص الأناجيل فيقول:-

«فإذا كان هذا صحيحاً فالمراد بذلك أنه الرب المربى الرحيم، فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والابن هو المربى المرحوم، فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها، فيكون المراد بالأب الرب، والمراد بالابن عنده المسيح الذى رباه».

- ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتاب «قصص الانبياء» ص٤٥٨ :-

- معلوم أن لفظ الابن معناه الحقيقى باتفاق لغات أهل العالم أنه المتولد من نطفة الأب الملقحة لبيضة الأم، وذلك محال على الله أن تكون له صاحبة أو يوجد له ولد، يتولد من نطفة - تعالى الله عما يقولون - فلابد من الحمل على معنى مجازى يناسب شأن المسيح عيسى بن مريم، بحيث لا يحط من قدر الله ولا يرفع المسيح فوق قدر نفسه.

- ويقول الشيخ النجار بعد ذكره لمن أطلق الكتاب المقدس عليهم لفظ

«ابن الله» يقول:– ولو كان كل ما يسميه الله ابنا يحمل على البنوة الحقيقية ويكون إلهاً مستوجباً للعبادة لكان كل بنى إسرائيل آلهة، لأن الله أطلق على شعب إسرائيل بنيَّ.. الخروج ٤/٢٢، وأمثال هذه النصوص فى الكتاب المقدس كثيرة، مما يجعلنا نؤكد أن صلة بنوة المسيح لله تعالى مجازية لا حقيقية كما يدعون.

– ويذكر القرآن الكريم ذلك فى «الآية ١٨» من سورة «المائدة» فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ. قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾.

– أما ما يحوى إنجيل يوحنا من نصوص يستدلون بها على ألوهية السيد المسيح فقد أشرنا إلى الغرض الذى من أجله كتب إنجيل يوحنا، ورسائل بولس.

وفى معرض حديثه عن إبطال التثليث بالأدلة العقلية، ينقل لنا الشيخ – رحمة الله «الهندى» فى كتاب «إظهار الحق»:–

– أنه تنصر ثلاثة اشخاص وعلمهم أحد القسيسين العقائد الضرورية لاسيما عقيدة التثليث أيضاً. وكانوا فى خدمته، فجاء محب من أحباء هذا القسيس، وسأله عمَّنْ تنصر، فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب وهل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية، قال نعم، وطلب واحد منهم فسأله عن عقيدة التثليث، فقال:–

إنَّك علمتنى أنَّ الآلهة ثلاثة، أحدهم: الذى هو فى السماء، والثانى تولَّد فى بطن مريم العذراء، والثالث: الذى نزل فى صورة الحمام على الإله الثانى بعد ما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال:–

إنك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحدٌ منهم، فالباقى إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة للأولين، وحريصاً على حفظ العقائد، فسأله فقال: يا مولاى حفظت مما علمتنى حفظاً جيداً، وفهمت فهماً جيداً كاملاً بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن وإلا يلزم نفى الاتحاد.

هكذا تتصف هذه العقيدة بالتعقيد باعتراف أصحابها وقد أجمعوا على أن هذا من الأسرار التي لا يجوز لأحد الخوض فيها.

– ومن المعروف أن التثليث عقيدة وثنية عرفتها البشرية منذ غابر العصور ذلك أن فكرة تعدد الآلهة ظهرت فى البشرية عند أول انحراف عن عقيدة التوحيد الاصلية، والمتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد أن الثالوث المقدس يعدُّ أصلاً من أصولها ومعتقداً من معتقداتها. وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريين، وقال به اليهود، وقال به غيرهم من الأمم الوثنية، وعندما أرادت النصرانية أن تنتشر فى تلك المجتمعات الوثنية تنازلت فى سبيل ذلك عن عقيدتها الأصلية «التوحيد»، وأخذت منهم عقيدة التثليث كما أعطتهم تعاليم السيد المسيح، فالمؤثرات الهلنستية قد تسربت إلى المعتقدات المسيحية، كما يقر اللاهوتيون المسيحيون، إذ أخذت الكنيسة تلائم بين معتقداتها. وبين أنماط الفكر المعروف فى العالم الهلنسى.

– لقد كانت الفكرة الهلنسية عن العالم أنه مركب من ثلاث طبقات السماء والأرض والعالم السفليّ، وجرى تطبيق تصور ذلك التصوير الثلاثى على المسيح بالقول بمرحلة وجود أولى له سابقة على ولادته من مريم على الأرض، ثم مرحلة التجسد عند ولادته من مريم، ثم مرحلة قيامه بعد الصلب ورفعه، وبدأت بوادر ذلك فى كلام «بولس» الذى لم يشهد المسيح، وتظهر آثار ثقافته اليونانية من خلال كلماته التى لها صلة بهذه الفلسفة، والتصور الذى وضعه بولس «للمسيح» – عليه السلام – يتناقض تماماً مع نظرة الأناجيل الثلاثة الأولى، ومع ما كان يفهمه أتباع المسيح زمن وجوده تاريخ البطالمة..

– لقد تعرف الفكر الهلنسى على معتقد «الثالوث الالهى» فى مصر وارتضى البطالمة عبادة الثالوث من «سيرابيس، وإيزيس، وهاربوكراتيس» وهو صورة معدلة لما عرفه المصريون من قبل من «أوزيريس، وإيزيس، وهورس»، وكان المصريون والإغريق يعبدون نفس الإله فى صورتين مختلفتين تتناسب كل منهما مع معتقدات كل فريق، كما يقول الدكتور «إبراهيم نصحى» صاحب المؤلف الموسوعى «فى تاريخ البطالمة»: ١/٢٧–٣.

– ولقد اتضحت فكرة التثليث بارزةً عند الفلاسفة فى مدرسة الإسكندرية

أو ما تسمى بالأفلاطونية الحديثة، فإن التثليث فيها بأقانيمه الثلاثة لا يكاد يختلف شيئاً عن التثليث فى النصرانية.

- وكان شيخ مدرسة الإسكندرية «أمنيوس المتوفى سنة ٢٤٢م» قد اعتنق المسيحية فى صدر حياته، ثم ارتد عنها إلى الوثنية اليونانية، وجاء من بعده تلميذه «أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠م»، وقد تعلم فى مدرسة الإسكندرية أولاً، ثم رحل إلى فارس والهند، وهناك أسقى ينابيع الصوفية الهندية واطلع على تعاليم «بوذا»، وديانة «براهمه»، ثم عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية وأخذ يلقى بآرائه على تلاميذه وهو يحمل فى جعبته هذه الأفكار.

ويتلخص كتاب أفلوطين فى منشئ الكون فى الآتى:

١- أن الكون قد صدر عن منشئٍ أزلىّ دائم لا تدركه الأبصار.

٢- أن جميع الأرواح شعب لروحٍ واحدٍ، وتتصل بالمنشئ الأول بواسطة العقل.

٣- أن العالم فى تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة، فالله منشئ الأشياء وهو مصدر كل الأشياء، وأول شيءٍ صدر عنه هو العقل، صدر عنه كأنه يتولد منه، ولهذا العقل قوة النتاج لكن ليس كمن تولد عنه، ومن العقل ما تنبثق الروح التى هى وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيءٍ ومنه يتولد كل شيءٍ. «محاضرات فى النصرانية»، «محمد ابو زهرة» ص٤٠.

- المهم أن عقيدة التثليث دخيلة على النصرانية، ظهرت انعكاساً لدراسات الأفلاطونية الحديثة، والأوهام السائدة فى المجتمع الرومانى اليونانى حيث إن أفكار «أفلوطين» المتوفى سنة ٢٧٠م كانت سابقة بفترةٍ زمنيةٍ قليلةٍ على الفترة التى أُقر فيها التثليث فى مجمع «نيقيه سنة ٣٢٥م»، ويقول «ول ديورانت» «فى قصة الحضارة»: ٣٠٤/١١:

«وأفلوطين هو آخر الفلاسفة الوثنيين العظام، وهو مسيحى بلا مسيح، ولقد قبلت المسيحية كل سطرٍ من أسطره تقريباً، وما أكثر صحائف «أوغسطين» المتوفى سنة ٤٣٠م التى تردد نشوة هذا الصوفى الجليل.

- إنَّ أبرز الفرق التى عارضت تأليه المسيح، فرقة الأريوسيين التى يَعُدُّها

النصارى فرقة خارجة عن النصرانية. ويعتبرون حركتها أخطر حركة فى تاريخ الكنيسة، ويصفونها بالهرطقة - ARTIC - بمعنى الكفر تطلقها الكنيسة الكاثوليكية على كل مخالفيها، ولقد قضى رجال الدين المنحرفون على هذه الحركة بسلطتهم الدينية تعاونهم سلطة الإمبراطور التى تدخلت فعلياً لإقرار الانحراف، والقضاء على الحركة الأريوسية، وبذلك انتصرت الكنيسة الكاثوليكية. وأقرت التثليث الذى فرض على النصارى، فقضت على الموحدين وأحرقت كتبهم، فالرسائل والآراء التى بين بها أريوس مفهومه للعقيدة المسيحية قد حكم عليها بالإعدام، فلم يصل إلينا منها شيء، ولولا ما دون عن أخباره وآرائه فى الكتب التى ردت عليه لما عرفنا عنه شيئاً.

يقول «ول ديورانت»:-

- فى أثناء حكم قسطنطين شهدت الإسكندرية قيام أخطر حركة إلحادية فى تاريخ الكنيسة. ذلك أن قساً مصرياً «أثناسيوس» رئيس الشمامسة تقدم إلى أسقفه حوالى عام - ٣١٨م - بآراءٍ غريبةٍ عن طبيعة المسيح، ودارت بينه وبين آريوس مناظرة، قال عنها ديورانت:-

- إن إجابات آريوس كانت منطقية صريحة قاطعة، وقد سلم «أثناسيوس» بما فى تصوير أشخاصٍ ثلاثةٍ فى صورة إلهٍ واحدٍ من صعوبة، ولكنه قال بأن العقل يجب أن يخضع لما فى الثالوث من خفاءٍ وغموضٍ!!. «قصة الحضارة»: ٣٩٥/١١

- وبالقضاء على آريوس حقق الإمبراطور هدفه فى التقريب بين النصرانية والوثنية وفى ذلك توحيد للأمة الرومانية كلها، ويقول ديورانت:- وكانت فى الوقت نفسه إيذاناً باستبدال المسيحية بالوثنية، وجعلها المظهر الدينى والعنصر القوى للإمبراطورية الرومانية.

- وبرغم استمرار الحركة الآريوسية بعد موت آريوس إلا أن الكنيسة الكاثوليكية وهى ربيبة الدولة والناطقة باسمها، استطاعت فيما بعد أن تقضى على هذه الحركة حتى نسى النصارى التوحيد واعتقدوا أن التثليث عقيدة أصلية فى النصرانية، وقد أصبح تاريخ الآريوسية مجهولاً بعد القرن الرابع الميلادى، ولما انتصرت فكرة الرومان المعدَّدَة على فكرة المسيحيين الموحدين،

قضى على كل كتابات الموحدين وقبرت وأعدمت نهائياً وفى مقدمتها «إنجيل برنابا» الذى كتب إنجيله للرد على ما أسماه - ضلالات بولس - وكان ذلك مقدمة لسيطرة الكنيسة على أوروبا بعد سقوط الرومان سنة ٤٧٦م.

- وعن بولس يقول «ول ديورانت» :- ولقد أنشأ - بولس - لاهوتاً لا نجد له، إلا أسانيدَ غامضةً أشد الغموض فى أقوال المسيح، أما أسس هذا اللاهوت فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم. ولا شىءٍ ينجيه من العذاب الأبدى إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته، ويقول «ديورانت» أيضاً:

- أن المسيحية لم تقضِ على الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل اليونانى المحتضر عاد إلى الحياة فى صورةٍ جديدةٍ فى لاهوت الكنيسة وطقوسها.. «قصة الحضارة» ٢٧٥/١١.

- ومجمل إضافات بولس إلى المسيحية مختصرة هى:

١- جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم، ولو أدى ذلك إلى تساهله فى بعض التشريعات التى كانت تضايق الوثنيين كالختان والسبت وتحريم الخنزير فأبطل الختان، ونقل العيد الأسبوعى ليوم الأحد - Sunday- ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين، وأباح أكل لحم الخنزير.

٢- إخراج المسيحية من البساطة اليهودية إلى تعقيدات الفكر اليونانى.

٣- فكرة الخطيئة الموروثة، وهى أن كل إنسانٍ مذنبٌ منذ ولادته لأنه يُعَدُّ وارثاً لخطيئة آدم. وقد أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليكفر عن خطيئة الناس بموته على الصليب فداءً لهم.

٤- أدخل بولس عقيدة الكلمة - اللوجوس - التى كان يقول بها «فيلون» اليهودى فى الاسكندرية كما أدخل عقيدة التجسيد، وعقيدة الخلق بالكلمة من أقدم العقائد ويمكن الرجوع بها إلى كهنة ممفيس.

ويقول «چينى بيير» فى كتاب المسيحية ص ٧٠:-

- والدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى تكشف لنا النقاب عن مزيجٍ من الافكار يبدو لأول وهلة غريباً جداً، مزيج من الافكار اليهودية، ثم من المفاهيم المنتشرة فى الأوساط الوثنية اليونانية، فكانت آراؤه مخالفةً لما عرفه الناس عن

المسيح وحوارييه، ويقول الأستاذ «جيني بيير»:- مع أن الحواريين الاثنى عشر كانوا قد تملكتهم الحيرة في بدء دعوتهم عندما نظروا في النصوص المقدسة وكتب الأحبار فلم يجدوا كلمةً واحدةً تشير إلى إمكان قيام مسيح يعذب تعذيباً شائناً، وكذلك أن موت عيسى في نظرهم ليس بالتضحية التكفيرية. بينما في عقيدة بولس أن المسيح مات من أجل خطايا البشر .. «المسيحية» - «جيني بيير»: ص٩١.

- ويقول «بيرى Berry» المسيحية على حساب عيسى، فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية، وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجتذب أتباعاً منهم، وأدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب إليه أتباعاً من اليونان، وعيسى أصبح ابن الله. حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعيٍّ، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا - حورس - وأوزيريس - ووضعتا في كل الكنائس.

- ويقول «ولز Welis» في كتابه «مختصر تاريخ العالم»:-

كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة، وهو لم يرَ عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس، أوتى عقلية عظيمة، وكان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فنقل إلى المسيحية كثيراً من الأفكار.

- لقد أصبح بولس قديساً يغير ويبدل في المسيحية كيفما شاء، برغم أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا من حوارييه، بل إن المسيح قد رفع من الأرض وبولس لازال عدواً للمسيحيين، قول بعض الباحثين وهناك من يقول أن بولس دفعه اليهود ليغيروا معالم المسيحية، ويجعلها ديانةً جديدةً منفصلة عن اليهودية مليئة بالأفكار الوثنية.

- فهل بولس هو المسئول عن تأليه المسيح؟ وهل التغير والتبديل صدر عنه عن سوء نية؟. لا نعتقد ولكن الحكم أولاً وأخيراً يرجع لله عزّ وجلّ. وعن فكرة ألوهية المسيح عليه السلام فقد ظهرت أيام حياته. وقد أشاعها جنود الرومان، ووصل هذا الكلام إلى أسماع المسيح عليه السلام وخاطب الشعب قائلاً:-

لقد ضللتم ضلالاً عظيماً أيها الإسرائيليون، لأنكم دعوتموني إلهكم، وأنا إنسان.. أشهد أمام السماء، وأشهد أمام كل شيءٍ على الأرض أني بريء من

كل ما قلتم، لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر.. برنابا: ٢/٩٣، ٩، ١٠.

- وقال عليه السلام أيضاً:-

الحقّ أقولُ لكم متكلماً من القلب إني أقشعر لأن العالم سيدعونني إلهاً، وعليّ أن أقدِّم لأجل هذا حساباً، لَعَمْرُ الله الذى نفسى واقفة بحضرته إني رجل فانٍ كسائر الناس، على أنّي وإن أقامني الله نبياً على بني إسرائيل.. برنابا ٥٢/١٠- ١٣.

- وأيضاً يقول السيد المسيح:-

- أيها الرب الإله القدير الغيور.. العن إلى الابد من يفسد إنجيلي الذى أعطيتني عندما يكتبون أني ابنك، لإني أنا الطين والتراب خادم خدمك، ولم أحسب نفسي قطٍ خادماً صالحاً لك.. برنابا: ٢١٢/٥-٦.

- إذا فبولس لم يختلق فكرة ألوهية المسيح ولكن الفكرة وجدت قبل بشارته، وإن كان هذا لا يعفيه من إثم مهادنة الوثنيين، وربما كانت عنده المهادنة خيراً من إعدام الدعوة برمتها.. فقد جاء في «السليحين» وهو كتاب لبولس:-

- كنت مع اليهود يهودياً ومع الرومىّ رومياً، ومع الإرمائى إرمائياً، والإرمائى هو الذى يعبد الكواكب والأوثان، وهذا أسلوب فلسفى ولم يتبع مثل هذا الأسلوب الدعاة من الرسل ولكن الرجل كان يعمل بالاجتهاد وليس بالوحى فأخطأ وأصاب مثل كل المصلحين الذين يعملون بدون وحيٍ من السماء.

- أن فلسفة بولس وطريقته فى معالجة الأمور هى التى مكنت له عند ملوك الروم، وأصبح له عندهم شأن عظيم، والانقلاب الذى حدث بدخول الدولة الرومانية إلى المسيحية تعود أسبابه الأولى إلى تمهيد من بولس فهو الذى مهد زواج - هيلانة - المسيحية لـ - بيلاطس - ملك الروم وحظيت عنده وسألته إعزاز النصارى والإحسان إليهم، فأعزهم وصانهم ومكّن لهم فى ممالكه بالشام وبلاد الروم.

- وكانت ثمرة هذا الزواج - قسطنطين- الذى آل الملك إليه، واعتنق النصرانية بتأثير أمه هيلانة.

ومن هنا قدس النصارى بولس، ووثقوا به وقبلوا منه كل التعاليم، ووضع ذلك لأنه رفع عنهم الاضطهاد الذى عاشوه طويلاً.

- والحقيقة التى لا يستطيع أحد إنكارها أن الدولة الرومانية عندما رفعت شعار الصليب فقد أعلنت أن الديانة الرسمية لها هى المسيحية، سواء أكان اعتناق الإمبراطور للمسيحية سياسياً أم اعتقادياً، ولكن المهم أن الوثنية الرومانية ذات الحضارة العريقة رضيت وتنازلت عن معبوداتها، واعلنت استسلامها وإذعانها للعقيدة النصرانية بفضل المجهودات والفلسفة التى تبناها بولس. وعبرت النصرانية إلى الدولة الرومانية فى أشد عصور الوثنية والانحلال فى هذه الدولة وهذا فى حد ذاته عمل جليل قام به بولس.

- ولكن بعض الباحثين من الشرق والغرب يرى أن بولس هو أول المجندين من قبل اليهود الذين عمدوا إلى تحريف الأناجيل، ومسخ النصرانية، وتحريفها عن أصولها، حتى تعود ديانة لا تتفق مع العقل ولا مع الوحى ليصبح توحيدها تثليثاً وصفاء عقيدتها فلسفة وثنية؟.

- وفى اعتقادنا أن هذا افتراء على بولس حيث إنه ليس المسئول الأول، والوحيد عن عقيدة التثليث فى المسيحية.

- ونظراً لأهمية شخصية القديس بولس وخطورتها فى هذا الموضوع لابد لنا أن نتعرف أكثر على المؤسس الحقيقى للمسيحية المعاصرة، وسفر أعمال الرسل يفصل لنا حياته فهو يتحدث فيه عن نفسه ويقول الأعمال: ٢٢٣ :-

- أنا رجل يهودىّ، ولدت فى طرسوس كيليكية، ولكن ربيت فى هذه المدينة مؤدباً عند رجلى - غمالائيل، وهو من أحبار اليهود عرفت مدرسته فى القرن الأول الميلادى فى القدس.

- ولد القديس «بولس» فى السنة العاشرة الميلادية، وكان أبوه من الفريسين ونشأ على مبادئ هذه الشيعة الدينية المتحمسة التى تؤمن بالبعث والحساب. وأسم بولس كان هو اللفظ اليونانى المرادف لاسمه العبرى «شاول».

- ومن المدينة التى عاش فيها - بولس - تلقى ثقافته، وكان فى «طرسوس» مدارس يونانية اشتهرت بالدراسات الفلسفية، قضى بولس سنى شبابه حيث تشبع بالفلسفات المنتشرة هناك.

والبيئة الثانية التى عاش بولس بها هى بيئة القدس بجوار - غمالائيل - أى بمدرسة من ألمع المدارس اليهودية فى ذلك العصر.. المسيحية، شارل جينى بيير: ص ٦٨.

- ويذكر الإصحاح التاسع من سفر الأعمال قصة التحول المفاجئ لبولس من اليهودية إلى النصرانية، فيقول:-

أما - شاول - فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب، إلى قوله: وفى ذهابه حدث أن أقترب إلى دمشق فبغتةً أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول!! لماذا تضطهدنى؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده، فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل.

- ثم يذكر الإصحاح أنه نهض عن الأرض وهو مفتوح العينين لا يبصر ومكث كذلك ثلاثة أيام فلم يأكل ولم يشرب، وكان فى دمشق تلميذ اسمه - حنانيا - فأوحى إليه الرب أن يلتقى مع - شاول - فوضع يديه عليه فأبصر، وقام واعتمد، وتناول طعاماً فتقوى، وللوقت جعل يكرر فى المجامع بالمسيح ويؤخذ على بولس أنه كان يهودياً يعلن عداءه على المسيحية ويضطهد أتباعها، ثم يتحول فجأة ليصبح واضع للاهوت المسيحية.

- ويقارن أحد الباحثين بين موقف «بولس»، وموقف «عبد الله بن سبأ» اليهودىّ الذى تظاهر بالإسلام وأشعل الثورات، ونشر من المبادئ الفاسدة ما كان يعجز عن عمل جزء قليل منه لو ظل على يهوديته.

- أما بولس وقد عجز عن محاربة المسيحية بالعنف والاضطهاد قرر أن يلجأ إلى سلاح الدس والتدمير الداخلى واستطاع أن ينفذ إلى أوساط الشعب فى القدس ويعمم أفكاره اللاهوتية الجديدة.

- ونقول والله أعلم، أن بولس لم يكن أول من وصف المسيح بأنه ابن الله ولك أن ترجع إلى الأناجيل الأربعة خاصة إنجيل يوحنا. ورسالة بطرس الرسول، وجميعهم سبقوا بولس بالتبشير.

والقول بأن بولس كان يهودياً يعلن عداءه للمسيحية، وكأن كونه يهودياً

هي وصمة عار عليه؟!. ألَمْ تكن العائلة المقدسة من اليهود؟. ألم يكن المسيح وأمه من اليهود؟ وآل عمران الذين اصطفاهم الله على العالمين ألم يكونوا من اليهود؟.

– ولماذا نشبه بولس بعبد الله بن سبأ؟، هل تشابهت أعمالهم؟ الحقيقة، كلا.. ولكن يمكن أن نشبه بولس وعداءه للمسيحية وعمر ابن الخطاب رضى الله عنه وعداءه للاسلام وللرسول (ﷺ) فكان يقال إذا أسلم حمار عمر يسلم عمر!!.. ثم حين أراد مقلّب القلوب أن يهديه إلى الإسلام ظهرت إشراقاته وكان خير خليفة لخير أمة أخرجت للناس، ولم يفعل بولس ما فعله ابن سبأ ولكن اتخذ مبدأ «ما لا يدرك كله لا يترك كله» فدعى الناس إلى المسيحية وتركهم يمارسون عادتهم، وتقاليدهم لكى لا ينفضوا من حوله.

– ولنا أن نذكر أن الفرائض جاءت بعد الرسالة المحمدية بثلاثة عشر سنة، مثل الصلاة والصيام وتحريم الخمر، وهذه حكمة يعلمها الله، لأن إذا شق التكليف انفض الناس عن العقيدة الجديدة.

– أما التكليف يأتى بعد أن يثبت الإيمان فى القلوب، ونرى أن بولس ترك هذه المهمة لمن يأتى من بعده، مثل مجمع الطوائف التى جاءت من الشرق والغرب عام ٣٢٥ ميلادية واتفقوا على أن يعترفوا بالثالوث الأب والابن الروح القدس شعاراً للمسيحية.

– والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو، على أى أساسٍ اتخذ المجمع هذا القرار؟ هل وجدوا فى العهد القديم أو الأناجيل ما يشير إلى التثليث أو الخطيئة الأولى. ولقد اطلعنا علي الكتاب المقدس ولم نجد فى طوله وعرضه إلا الدعوة إلى توحيد وتنزيه الله عزّ وجلّ، فلم تذكر التوراة فى قصص آدمٍ ونوح وإبراهيم وموسى وعشرات الأنبياء التى ذكرتهم التوراة شيئاً عن الخطيئة الأولى أو التثليث. وقد وجدنا هذه الفرية فى كتب الوثنيين فقط كما ذكرنا فى باقى الديانات القديمة.

فماذا الذى جعل رجال اللاهوت يتركون التوراة، ويأخذون من كتب الوثنيين افتراءاتٍ لم ينزل الله بها من سلطانٍ خاصة أنهم لم يكونوا تحت أى ضغطٍ من أى نوعٍ مثلٍ الذى تعرض له بولس؟.

إن التثليث وفكرة الألوهية أو البنوة لله لا يستسيغها عقل، وهى بعيدة كل

البعد عن رسالة المسيح ولا نجد لها أصلاً فى النصوص المقدسة، وهى فكرة جعلت أساسيات العقيدة المسيحية موضع ارتيابٍ لا يمكن مواجهتها بالتبريرات الواهية.

– ولا نستطيع إلا أن نقول، ولو شاء الله ما فعلوه، ولكنه عقاب الإفك على الله، ولنقرأ هذا الحوار بين برنابا و«المسيح عليه السلام» لكى تتضح لنا إرادة الله.

يسأل برنابا المسيح عليه السلام: لماذا سمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص؟ وإذا كان الله رحيماً. فلماذا عذبنا بهذا المقدار، بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً، وقد بكت أمك حتى أشرفت على الموت؟ أجاب يسوع:– صدقنى يا – برنابا – إن الله يعاقب على كل خطيئة، مهما كانت طفيفة عقاباً عظيماً لأن الله يغضب من الخطيئة، فلذلك لما كانت أمى وتلاميذى الأمناء الذين كانوا معى أحبونى قليلاً حباً عالياً، أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن فى الوقت الحاضر حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم، فلما كان الناس قد دعونى: الله. وابن الله، على أنى كنت بريئاً فى العالم، أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنى أنا الذى مت على الصليب. لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة وسيبقى هذا إلى أن يأتى محمد رسول الله.. برنابا:٢٢٠/١٤–٢٠.

– ومن هذا الحوار نفهم أن الرومان فى فلسطين ألَّهَ بعضهم المسيح فى حياة المسيح – من قبل وجود بولس، ذلك أن الرومان كانوا يحتلون بلاد اليهودية من سنة ٦٣ قبل الميلاد وفى عهدهم ظهر المسيح، وكان الرومان الذين هم الورثة الشرعيون لفلسفات اليونان يقومون بتجسيد الآلهة، ولم يكن بولس أول من نادى بألوهية المسيح ولكنه لم يحاول أن يحول الناس عمّا يألفون ليجذب إليه العامة منهم.

– أما القول بأن بولس كوّن مسيحية جديدة على حساب «عيسى عليه السلام» وأنشأ عقيدةً لا تمت للمسيح بصلة، فهذا منتهى الافتراء على الرجل، يقول «ول ديورنت»:– «إن المسيحية لم تقضِ على الوثنية بل تبنتها». قصة الحضارة: ٥/١١. ويقول «بيرى Berry» فى كتابه «الأديان العالمية»:– لقد كوّن شاول المسيحية على حساب عيسى، فهو فى الحقيقة مؤسس المسيحية.

ويقول «شارل جينى بيير» :- إن النصرانية لم تنتصر فى المعركة التى دارت بينها وبين الوثنية. ويعدُّها نكبةً كبرى فى نظر مؤمنى عصر الحواريين. المسيحية ص ١٨٢.

- وكما ترى عزيزى القارئ أن أغلب الباحثين يحمّلون بولس وزر المعتقدات، والطقوس الوثنية فى الديانة المسيحية، ولم يوجه أحد اللوم لمجمع الطوائف التى جاءت من الشرق والغرب عام ٣٢٥، وأقروا ووافقوا على التنازلات التى قدمها بولس لكى يتمكن من نشر دعوته، كذلك علماء اللاهوت منذ ذلك العصر، وإلى عصرنا هذا الذين رضوا بالمعتقدات الوثنية فى دينهم وتعليل وجودها بدلاً من تصحيح مسيرة المسيحية، واقتلاع جذور الوثنية الدخيلة عليها، وعلى أية حالٍ فإنَّ من الظلم أن يتحمل القديس بولس الوزر كله من الباحثين وكفاه ما تحمل من سجنٍ وتعذيبٍ فى سبيل نشر الدعوة كما نفهم فى رسائله، ونذكر هنا شيئاً قليلاً منها لكى نرى إن كانت دعوته إلى عبادة الله الواحد الأحد أم أنه كان يدعو إلى الوثنية وعبادة يسوع المسيح كما يدعون عليه؟

- يقول بولس للأثينيين: **الإله الذى خلق العالم، وكل ما فيه هذا هو رب السماء والأرض لا يسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى (الأصنام)** إلى قوله فى نفس الاصحاح: **لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجلٍ قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذا أقام من الأموات (المسيح)**. أعمال ١٧ : ٣٥-٣٢.

وجاء فى الإصحاح ١٨ : ٣٨ : **لأنه كان باشتداد يُفْحِمُ اليهود جهراً مبيناً بالكتب أن يسوع هو المسيح.**

- ويقول بولس: **أمَّا الله لليهود فقط. أليس للأمم أيضاً، بلى للأمم أيضاً. لأن الله واحد هو الذى سيبرر الختان بالإيمان والعزلة بالايمان، أفنبطل الناموس بالإيمان، حاشا نثبت الناموس**. روميه ٣ :٣٠-٣١.

- ويقول أيضاً: **لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله.** روميه ٨: ١٥.

- وانظر كيف يفرق بولس بين الله والمسيح فيقول:- **بولس المدعو رسولاً**

ليسوع المسيح بمشيئة الله. إلى قوله: نعمة لكم من الله أبينا والرّب – المعلم – يسوع المسيح. كورنتوس ١ : ١٠٢.

– ويقول: وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببـرهان الروح والفكر لكي لا يكون إيمانكم بحكمـة الناس بل بقـوة الله. كورنتوس ٢ : ٥–٦.

– وانظر إليه كيف يكرز بتعاليم التوراة فيقول: أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله. لا تضلوا . لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مورابون ولا مضاجعو ذكور. ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. كورنتوس ٦ : ١٠ – ١١.

وفى الإصحاح التالى تجد فى بولس المؤمن الموحد حينما يقول:–

– ولكن إنْ كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده. فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان نعلم أن ليس وثن فى العالم وأن ليس إله آخر إلا واحد. لأنه وإنْ وجد ما يسمى آلهة سواء كان فى السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون. لكن لنا إله واحد الأب الذى منه جميع الأشياء ونحن له. ورب معلم وأحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به. كورنتوس ٨ : ٤ – ٥–٦–٧.

– وانظر إلى بولس المؤمن بالبعث واليوم الآخر – القيامة – فى هذا الإصحاح الذى يقول فيه:–

إنْ كان الأموات لا يقومون البتة فلماذا يعتمدون من أجل الأموات؟

لكن يقول قائل كيف يموت الأموات وبأى جسمٍ يأتون. يا غبى. الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت. والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير بل حبة مجردة ربما من حنطةٍ أو أحد البواقى. ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد ولكل واحد من البذور جسمه. إلى قوله: هكذا أيضاً قيامة الأموات يزرع فى فساد ويقام فى عدم إفساد يزرع فى هوان ويقام فى مجد. يزرع فى ضعف ويقام فى قوة. إلى قوله: هو ذا سر أقول لكم. لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير. فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير فأنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد، ونحن نتغير. كورنتوس ١–١٥ : ٣٠– إلى ٥٣.

- ويذكر القرآن الكريم أن الله عزّ وجلّ يبعث الناس لحسابهم ويحيهم بعد موتهم كما يحيي الأرض بعد موتها.. يقول تعالى فى سورة «الكهف» الآيات «٤٧، ٤٨»: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً، وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً، وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

- ويقول بولس: **فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً. لا من يزرع لجسد فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياةً أبديةً.** غلاطية ٦: ٨.

- ويقول عن اليهود: **لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق. إلى قوله: يعتزمون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه إذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عملٍ صالحٍ مرفُضُون..** تيطس ١: ١٥- ١٧.

- ولك أن تقرأ فى رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس الإصحاح الحادى عشر كيف اضطهد وضرب وسجن من قبل اليهود؟.

- والشيء المهم الذى نفهمه من رسائل بولس أنه كان يرى أن الدين أهم شيء فى الحياة، وأن الناموس «الشريعة» هى الطريق الوحيد إلى الهدى، وأن حساب الناس يوم القيامة لواقع.

- وهكذا، فإن الدارس المتفحص لسيرة القديس «بولس» لا يجد فيه مفسداً، ولا مُخرباً، ولا مغيراً للعقيدة المسيحية كما يدعون، ولكنه جاء متمماً لرسالة المسيح عليه السلام، ومن يقول بغير ذلك فإنه يحكم على ما يستقرئه من التاريخ المسيحى تعصباً لرأى فرضته عليه أعداء المسيحية وأعداء العقائد الدينية يتأولها على مقتضى مزاعمه لا يتحرى الحقائق، ولا يتوخى النزاهة الدينية.

- لذلك ينالنا العجب حين نرى الباحثين ينسجون علاقتهم مع ديانات

الغير على ضوء عداوتهم التاريخية معهم وليس على ضوء ما ينبغى أن تكون عليه العلاقة الصحيحة بين الأديان.

إننا لا ندافع عن بولس، ولا نلتمس له الاعذار، ولا نزكيه على الله حيث يقول عزّ وجلّ: **﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ..﴾** «النجم ٣٢».

– ولا نقر بتنازلاته لنشر دعوته ولا نقر بغير التوحيد المطلق لله سبحانه وتعالى، ونعلم أن المسيحية تقع بين مطرقة اليهودية وسندان الإسلام وهما ديانات توحيد. ولكننا نكره أن نكفر رجلاً لسنا متأكدين من حكم الله فيه فينقلب علينا تكفيره كما جاء فى الحديث الشريف.

– إن بولس كان يدعو للمسيحية باسم المسيح، إذن فهو من أتباعه وليس من أعدائه. وتقول الآية «٥٥» من سورة «آل عمران»: **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**.

– ويقول الرسول (ﷺ) حين احتكم إليه مسلم ويهودى **«لا تخيرونى على موسى»**، ويقول عزّ وجلّ فى سورة «الأعراف الآية ٤٩»: **﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ. ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾**.

إنّ حسن الظن خير من سوء الظن بعباد الله، ولكن الحكم أولاً وأخيراً يرجع لله سبحانه وتعالى .. والله أعلم..

– يقول الرسول (ﷺ): **«خيركم أعذركم للناس»**.. كما جاء فى الحديث المرفوع، **«أن الله يغفر ولا يعيّر، وأن الناس يعيرون ولا يغفرون»**.

– ويقول الإمام «محمد عبده»:– إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر، وفى هذه المقولة إشارة إلى حديث رسول الله (ﷺ): **«ليس لنا من الناس إلا ظاهرهم وعلى الله باطنهم.، ولنا الظاهر، ولله السرائر.. لو تكلم رجل أمامك بكلمة تحمل تسعة وتسعين وجهاً للكفر ووجهاً واحداً للإيمان نشهد بأنه مؤمن، فالأصل فى الناس حسن النية»**.

«الكتاب المقدس والتحريف»

صدر عن المجمع المسكونى للفاتيكان الوثيقة التالية :

– بعد ثلاث سنوات من المناقشات (١٩٦٣ – ١٩٦٥) أصدرت الوثيقة المسكونية عن التنزيل خاصة بالعهد القديم – الفصل الرابع (ص ٣) تقول الويثقة :ـ

«تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ومن هو الإنسان بما له عن معرفة الطريقة التى يتصرف بها الله فى عدله ورحمته مع الإنسان» .

غير أن الكتب تحتوى على شوائبَ وشيءٍ من البطلان، ففيها شهادة عن تعليم إلهى.

– وقع على هذه الوثيقة الأسقف « ڤيبر Weber» وصوت عليها بأغلبية ٢٣٤٤ صوتاً ضد ٦ أصوات .

وبناءً على هذه الوثيقة لا يجوز لأحد أن يقول إن العهد القديم لم يصبه تحريف ولا تبديل، و أن أسفارها المتداولة بين أيدينا اليوم بعينها التى أنزلت على «موسى عليه السلام». فالتحريف وقع لا شك فيه وأصحاب التوراة مقرون به،. ولنمر عبر الكتاب المقدس لنرى أين يقع التحريف وبالله التوفيق.

أولاً : العهد القديم :

– ويقصد بكلمة العهد ما يرادف الميثاق، أى أن مجموع أسفار العهد القديم التى تبلغ تسعة وثلاثين (٣٩) سفراً يمثل ميثاقاً قديماً من عند «موسى عليه السلام»، ويختلف تبويب وترتيب أسفار العهد القديم عند اليهود عما هو عند النصارى.

أما اليهود فقد قسموا كتابهم المقدس ثلاثة أقسام:

(١) **التوراة** : أى أسفار موسى الخمسة (التكوين – الخروج – اللاويين – العدد – والتثنية).

(٢) **الأنبياء** : وهم الأنبياء اللاويون – أى يسوع والقضاة وصموئيل الأول

والثاني والملوك الأول والثاني – والمتأخرون وينقسمون الأنبياء الصغار وهم : هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونانو وميخا .

٣ – والكتب : وهو المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الإنشاد وراعو الأيام الأول والثاني «مفاتيح كنوز الاسفار ٦/١» .

– أما النصارى فقد قسموا العهد القديم أسفاراً تاريخيةً وشعريةً ونبويةً حسب ترتيبها في الترجمة اليونانية السبعينية. قاموس الكتاب المقدس ٧٦٥/٧٦٤، أما العهد الجديد وهو القسم الثاني من كتاب النصارى، المقدس وعدد أسفاره سبعة وعشرون سفراً، ويقصد بالعهد الجديد الميثاق الذى أخذه الله على الناس من عهد «عيسى عليه السلام» ويشتمل على ما يلي:

١ – الأناجيل الأربعة : (متّى – مرقس – لوقا – يوحنا).

٢ – رسالة أعمال الرسل : وهي تنسب إلى لوقا صاحب الأنجيل الثالث.

فالأناجيل تحوى قصة حياة المسيح عليه السلام، ورسالة أعمال الرسل تحوى قصة تلاميذه وحوارييه.

٣ – الأسفار التعليمية : وتشتمل على إحدى وعشرين رسالة.

٤ – أما آخر الأسفار، رؤيا يوحنا، وتسمى «رؤيا» إلا أن يوحنا رآها في اليقظة.

هذا ومما يجدر الإشارة إليه أن هذه الرسائل لم تعتمد الكنيسة جميعها إلا في سنة ٣٦٤ ميلادية، وكانت بعض الرسائل قبل ذلك موضع شك وارتياب وقد عقدوا لهذا الغرض مجامع مسكونية من ذلك : مجمع روما المنعقد عام ٣٧٢ ميلادية الذى قرر أن تكون الأسفار في العهد الجديد على الصورة التي بين أيدينا الآن.

– أما الأسفار غير القانونية والتي يطلق عليها كلمة «الابوكريفا» ومعناها مشكوك فيه، أو خفيٌّ، أو غامضٍ ومبهمٍ، وهي : (١) طوبيا ، (٢) يهوديت (٣) الحكمة، (٤) باوخ ، (٥) المكابين ، (٦) الجامعة، (٧) يشوع بن سيراخ – فقد صرح مجمع ترنت المنعقد في سنة ١٥٤٦ ميلادية بقانونية أسفار البوكريفا وأعدّها أجزاء من الكتاب المقدس.

ولكن رجال اللاهوت البرنستانت رفضوا تلك الأسفار على أنها أسفار مبهمة.. مفاتيح كنوز الأسفار ٢٠/١ .

– وأما الكتاب المقدس فيبلغ عدد كُتّابه أربعين كاتباً، وهم من جميع طبقات البشر بينهم الراعي، والصياد، وجابي الضرائب. والقائد، والنبي والسياسي، الملك.. الخ. وقد أستغرقت مدة كتابهم ألفا وست مائة سنة، وكان جميع هؤلاء الكتاب من الأمة اليهودية ما عدا لوقا كاتب الانجيل الذى دعى باسمه، إذ يظن أنه كان أمياً من انطاكية.

– وفي الكتاب المقدس جميع أنواع الكتابة من نثرٍ وشعرٍ، وتاريخٍ ، وقصصٍ، وحكم ، وآدابٍ وإنذارٍ، وفلسفةٍ، وأمثالٍ.

– ويعترف علماء النصارى بضياع النسخ الأصلية التى كتبها هؤلاء، ولذلك جاء فى قاموس الكتاب المقدس؛ لم يصل إلينا بعد شيء من النسخ الأصلية، وكل ما وصل إلينا هو نسخ مأخوذة عن ذلك الأصل، ومع أن النساخ قد اعتنوا بهذه النسخ اعتناءً فقد كان لابد من تسرب بعض السهوات الإملائية الطفيفة جداً إليها، ولكن هذه لا تُغيِّر مطلقاً فى الوحى الإلهيّ الموجود فى هذه النسخ. قاموس الكتاب المقدس ٧٦٣.

– ولا يذكر قاموس الكتاب المقدس شيئاً عن الزيادة والتحريف الشيء الذى سنه وأثبته علماء المسلمين وحار فيه علماء اللاهوت ولم يجدوا مبرراً مقنعاً للتناقض الواضح فى الكتاب المقدس منها على سبيل المثال وليس الحصر ما يلى:

١ – ورد فى سفر التثنية ٣٤ : ٥-٧ : **(فمات هناك موسى عبدالرب فى أرض موآب حَسَب قول الرب (إلى القول) وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات..)**.

– وقد جاء هذا النص بأفعالٍ كلها ماضية – مات ، ودفنه، وكان ، ولا يجوز أن يكون هذال الكلام منزَّل على موسى،بل هو كلام القائل .

٢ – وصف الخالق عزَّ وجلَّ بصفات يتنزه عنها رب العباد سبحانه وتعالى من ذلك ما ورد فى سفر الخروج **(أن الله كان يهم بالشيء فيبدو له غيره فيتركه : فندم الرب علــى الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه)** – خروج ٣٢ : ١٤.

– وفى سفر التكوين ٢ : ٢ : **(فرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى**

عمل فاستراح في اليوم السابع) .. إلخ وهذا وصف لا يليق بجلالة الله الذى لا يدركه التعب والنصب كما يدرك عباده .

٣ - الإصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثانى ، والاصحاح السابع والثلاثين من سفر إشعيا يتطابقان مطابقةً تامةً كلمة بكلمه برغم أن المؤلفين من المفروض أن يكونا شخصين مختلفين تفصل بينهما قرون عديدة، وعلماء اللاهوت يقولون أن مؤلف كتاب الملوك مجهول، وينسبون أجزاء من أشعيا إليه وأجزاء أخرى إلى آخرين .

٤ - ورد في سفر صموئيل الثانى ٢٤ : ١ **(وعاد فحمى الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً امضِ واحصِ إسرائيل ويهوذا..)**

أما سفر أخبار الأيام ٢١ : ١ فجاء ما يلى :

(ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصِ إسرائيل) .. وهنا نجد جملتين متناقضتين لا يمكن أن يكون للوحى الإلهىّ دخل فيهما.

٥ - ورد في سفر صموئيل الثانى ٢٤ : ١٣ **(فأتى جاد إلى داود وأخبره وقال له أتأتى عليك سبع سنى جوع فى أرضك أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعوك..)**.

- أما سفر أخبار الأيام الأول ٢١ : ١١ فيقول : **(إما ثلاث سنين جوع أو ثلاثة أشهر هلاك ..)** والتناقض هنا واضح بين النصين .

٦ - ورد في سفر صموئيل ١٠ : ١٨ : **(وهرب أرام من أمام إسرائيل وقتل داود من آرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك ..)** ويقول سفر أخبار الأيام الأول ١٩ : ١٨ **(وهرب آرام من أمام إسرائيل وقتل داود من آرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف رجل وقتل شوبك رئيس الجيش ..)**

- ففى النص الأول نجده يذكر ٧٠٠ مركبة وفى النص الثانى نجده (٧) آلاف مركبا كما اختلف النصين فى الفرسان والمشاة .

٧ - جاء فى سفر الملوك الأول ٧ : ٢٦ **(وغلظة شبر وشفته كعمل شفة كأس بزهر سوسن يسع ألفى بث «حوض سباحة» ..)** ويقول سفر أخبار الايام الثانى ٤ : ٥ **(وغلظة شبر شفته كعمل شفة كأس بزهر سوسن يأخذ ويسع**

ثلاثة آلاف بث ..) ونجد هنا زيادة ألف بث فى النص الثانى عن النص الأول.

٨ - يقول سفر الأخبار الثانى ٩ : ٢٥ (**وكان سليمان أربعة الآف مذود - «معلف»)** وفى سفر الملوك الأول ٤ : ٢٦ نجدهما أربعين ألفا.

ورد فى سفر التكوين ٦ : ٣ (**فقال الرب لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون إيامه مئه وعشرين سنة ..)**.

ونجد فى الإصحاح ٢١ من السفر نفسه أسماء أناس عاشوا أكثر من تلك المدة فقال : (**وعاش سام بعد ما ولد أرفكشاد خمس مئةً سنة)**، إلى قول : (**وعاش عابر بعد ما ولد فالج أربع مئة وثلاثين سنة ..)**

١٠ - جاء فى سفر التكوين ٥ : ٣٢ (وكان نوح بن خمس مئة سنة وولد نوح ساماً ..) وفى الإصحاح ٧ : ٥ يقول : (**ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض ٠٠)** أما فى الإصحاح ١١ : ١٠ فيقول : (**لما كان سام ابن مئه سنة ولد ارفكشاد بعد الطوفان بسنتين ..)** وهذا يعنى أن الطوفان قد حدث وسن سام ثمان وتسعين سنة لا مئه كما ذكر من قبل .

١١ - وفى سفر التكوين ٢٥ : ٢٠ يقرر نص هذا الاصحاح أن «عيسو» الأخ الاكبر ليعقوب سوف يكون مستعبداً له، وينقض هذا القول فى نفس السفر الاصحاحين ٣٢ : ٣٣ ويؤكد أن «عيسو» لم يخدم قط يعقوب ولكن العكس يكاد يكون صحيحاً.

١٢ - أما ما جاء فى سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر من أن ابنتا «لوط عليه السلام» قد ضجعا معه فهو نص خالٍ من الإلهام فى عرف أى دينٍ أو مذهبٍ، حيث إن أنبياء الله معصومون من الآثام فقد أرسلهم الله لنا وأمرنا بأتباعهم والتأسى بهم والاقتداء بأفعالهم، ولا يمكن أن تكون هذه القصة من وحى الله، وربما كان هناك أعذار أدت إلى الأخطاء سابقة الذكر مثل خطأ فى الترجمة أو سوء فهم لعبارة فجاءت على غير ما تعنيه أو اجتهاد غير موفق بحسن نية، ولكن لا يوجد مبرر ولا أعذار لإقحام قصة ابنتا لوط.

وما جاء فى سفر نشيد الإنشاء الإصحاح الثالث ٤ - ٥ - ٦ من عبارات الغزل والمجون تهيج شهوة القارئ. والتى جعلت علماء الغرب يقفون منها موقف الدهشة والاستنكار .. يقول : ول ديورانت : وفى هذه الكتابات الغرامية العجيبة

مجال واسع للحدْسِ والتخمين، فقد تكون مجموعة من الاغانى البابلية الأصل، وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين، ومهما يكن أصلها فإن وجودها فى التوراة سر خفى.. ولسنا ندرى كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما فى هذه الاغانى من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال إشعيا وآرميا (قصة الحضارة ٣٨٨/٣).

لقد جاء فى سفر التكوين أربع حالات من زنا المحارم وتحتوى التوراة على عشر حالات من زنا المحارم. الأب مع بناته، والابن مع أمه، والأب مع زوجة ابنه، والأخ مع أخته.. هذا إلى جانب حالات الزنا الأخرى ، كما جاء فى سفر أستير الذى كان مقبولاً لدى جمهور النصارى لمدة ألف ومائتى سنة حتى ظهرت فرقة البرتستنت فرءوا حكم أسلافهم على هذه الاصحاحات وعلى ثمانية أسفار أخرى وقالوا إنها ليست إلهامية واجبة التسليم .

وقد جاء فى كتاب - إظهار الحق - للشيخ رحمة الله الهندى : واعلم أن ثمانية أسفار من العهد العتيق كان مشكوكاً فيها وغير مقبولة عند المسيحيين إلى ٣٢٤ سنة وهى هذه : سفر أستير ، سفر باروخ، سفر طوبيا، سفر يهوديت، سفر وزدم، سِفر ايكليزيا ستكبكس، السِفر الأول لمكابينَ، السِفر الثانى لمكابين..

وفى سنة ٣٢٥م انعقد مجلس العلماء المسيحية بحكم السلطان «قسطنطين» فى بلدة - نائس - ليتشاوروا ويحققوا الأمر فى هذه الأسفار المشكوك فيها. وبعد المشاورة والتحقيق حكم هؤلاء بأن سفر يهودية واجب التسليم، وأبقوا باقى الكتب مشكوكاً فيها كما كانت .. وهذا الأمر يظهر من المقدمة التى كتبها - جيروم - على سِفر يهوديت..

ثم بعد ذلك انعقد مجلس - لوديسيا - فى سنة ٣٦٤م وعلماء هذا المجلس سلموا بحكم علماء المجلس الأول فى سفر يهوديت، وزادوا عليه من الأسفار المذكورة سِفر أستير وأكد حكمهم بالرسالة العامة .

ثم بعد ذلك انعقد مجلس - كارتهيج - فى سنة ٣٩٧م وكان أهل ذلك المجلس مائة وسبعة وعشرين عالماً من العلماء المشهورين ومنهم الفاضل المشهور المقبول عندهم - اكستائد - وهؤلاء العلماء سلموا أحكام المجلسين الأولين وتسلموا الأسفار الباقية.

ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس أخرى أعنى مجلس - ترلوا - ومجلس - فلورنس ، ومجلس - ترنت - وعلماء هذه المجالس الثلاثة سلموا أحكام المجالس الثلاثة السابقة .. وبعد انعقاد هذه المجالس صارت الأسفار المذكورة مسلمة بين جمهور المسيحيين وبقيت إلى مدة الف ومائتى سنة ..

إن - يوسى بيس - المؤرخ صرح فى الباب الثانى والعشرين من الكتاب الرابع أن هذه الأسفار حرفت سيما السفر الثانى للمكابيين ومنها أن اليهود لا يقولون أنها إلهامية، والكنيسة الرومانية التى يتبعها إلى الآن أكثر فرق البروتستنتت تقبل هذه الأسفار إلى هذا الحين ويعتقدون أنها إلهامية واجبة التسليم وهى مبنى دينهم وديانتهم. (إظهار الحق ص ٢٢١).

وقد جاء فى إنجيل مرقس إصحاح ٧ فقرات ٧ - ٩ : أن المسيح عليه السلام نعى على اليهود أنهم يعملون تعاليم هى وصايا الناس وليست وصايا الله حيث يقول ما نصه : **(وباطلا يعبدوننى وهم يعملون تعاليم هى وصايا الناس لانكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس غسل الإباريق والكئوس وأمور أخرى كثيرة مثل هذه تفعلون، ثم قال لهم حسنا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقاليدكم..)**

وفى هذا النص ما يشير إلى أن اليهود باعتراف المسيح عليه السلام قد حرفوا كتابهم ..

كما أخبرنا الله عز وجل بأن هناك تدخلاً بشرياً وافتراء على آيات الله من بعض الناس فى مثال قوله تعالى : **﴿ فَوَيلٌ للَّذينَ يَكتُبُونَ الكتَابَ بأيديهم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا من عند الله ليَشتَرُوا به ثَمناً قَليلاً فَويلٌ لهُم مِمَا كَتَبَت أيديهِم وَوَيلٌ لَهُم مِمَا يَكسبُونَ ﴾**. (البقرة / ٧٩) .

لقد شهد القرآن الكريم بأن التوراة والإنجيل كتب منزلة من عند الله تعالى، وشهد أيضا على أن بعض الناس حرفوا ولووا ألسنتهم بها ونسوا بعضها وأضافوا من عند أنفسهم إليها، وبشهادتهم سابقة الذكر جاءت شهادة القرآن تامة مستوفاة.

انظر الآيات ٧٥ ، ٧٩ (البقرة) و ٧٨ (آل عمران)و(النساء) ٤٦و (المائدة) ١٣-١٤ .

إنّ الباحث ليطمئن إلى أن هذا التحريف وهذه الافتراءات ليست من تصنيف موسى عليه السلام، لأن كلمة الوحى أرفع من أن تصور زنا المحارم شيئاً مشروعاً. كما أن التوراة إصحاحات وآيات لا يستطيع أحد أن يدعى أنها من الوحى أو من كلام موسى عليه السلام، وكل ما قيل فيها ليس ظناً ولا تخميناً. ويقولون لعلها من ملحقات نبى من الانبياء دون تحديد لزمن هذا الإلحاق، فالتاريخ الصحيح يثبت أن تواتر التوراة منقطع قبل زمان - يوشيا بن آمون - ولا يوجد سند متصل لمعظم الأسفار فى العهد القديم ولا يعرف إن كانت هذه الأسفار إلهامية أو غير إلهامية.

من هنا وجب علينا أن نفرق بين الأخطاء غير المقصودة وبين الافتراءات المدسوسة، ولا يصدر حكماً نهائياً على التوراة حيث إن هناك أبعاداً ومعانى محددة حددها القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .. فقد قال القرطبى رضى الله عنه : (ومما يدل على هذا المعنى - أى الزيادة والتحريف - أن كثيراً مما يجيء فيها : وكلم الرب موسى وقال له : اقبض حساب بنى جرشون، عدد ٤ : ٢١.

وكلم الرب موسى وقال له : كلم بنى إسرائيل ، عدد ١٥ : ١ - ٢.

وقال الرب لموسى ، سفر الخروج ٦ : ١ فتكلم موسى بين يدى الرب، سفر الخروج ٦ : ٣ فقال موسى للرب ، سفر العدد ١١ : ١١ وعن نفس الموضوع علق العلامة القرافى ، ويقول القرافى :.ومثل هذا كثير وهذا يدلك على أنه ليس من كلام الرب أو مما قاله جل ذكره لموسى، ولا مما قاله موسى لهم وإنما هو شيء حكى عنه بعد أنقراض وأضيف إلى كلام الله، إلى القول : فيحصل القطع بأن هذه التوراة لا يجوز الاعتماد على شئ منها وأنها مغيرة قطعاً؟! . (الاعلام للقرطبى ص ٨٩ الأجوبة الفاخرة القرافى ص ٢٥٧).

ويقول القرافى عن موت موسى ودفنه عليه السلام : ان تلك الحكايات الركيكة زيدت بالألوهية والأغراض وليست منزلة من عند الله تعالى، بل يسقط الاحتجاج بجميع التوراة لأن باب الزيادة والنقصان قد انفتح فلا يوثق بشيء بعد ذلك. ويجب اجتناب الجميع خشية أن يكون مما يُدَسّ وهو محرم ؟! ..

وقد اتبع الخلف ما قاله السلف وأوقعنا الشيطان فى ما نهانا الله سبحانه

وتعالى عنه وهو تكفير من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً. وكثير من أهل الكتاب ما تنطبق عليهم هذه الصفات. فبدلا من أن يدعو إلى تنقية وتنقيح الكتاب المقدس دعوا إلى إلغائه والكفر به.

إن كشف النقاب عن التحريف فى الكتاب المقدس هو واجب مقدس على كل علماء الدين، وقد أكد العلماء الثقاة بالأدلة التاريخية الحاسمة ما يؤكد تحريف العهد القديم .. ومن العلماء الكبار الذين أثبتوا تحريف العهد القديم الحجة رائد مقارنة الأديان الامام - ابن حزم الأندلسى - ولد عام ٩٩٤ ميلادية. فقد أورد فى موسوعته التى تسمى - الفصل فى الملل والأهواء والنحل - الظروف التى مرت بها التوراة منذ أن توفى موسى عليه السلام إلى أن كتبها لهم - عزرا - بإجماع من كتابهم واتفاق من علمائهم .

وذكر رحمه الله أولئك الذين تولوا أمر بنى إسرائيل منذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك عليهم وهو - شاول مبينا أن بنى إسرائيل خلال تلك الفترة ارتدوا سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وجاهروا بالكفر وعبادة الأوثان ..

ويسأل ابن حزم : يا معشر السامعين بلد تعلن فيه عبادة الأوثان وتبنى هياكلها ويقتل من وجد فيه من الأنبياء كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالما أم كيف يمكن هذا ؟ .. انظر صفحة ٩١ من هذا الكتاب .

وما قيل عن التوراة قيل عن الأناجيل أيضاً فكثير من علماء المسلمين قال بانقطاع سند النصرانية، منهم الجاحظ الذى عرض المسألة فى كتابه الذى رد فيه على النصارى وطعن فى رواية الأناجيل ورسائل رسلهم وقال إن سندها لا يتصل بالمسيح ولا يثبت للنقد والتمحيص ،كما بين أن متن الأناجيل مضطرب متكاذب متناقض. والجاحظ يحتج على أنقطاع سند الأناجيل بأن أصحابها الأربعة ليسوا من حوارى المسيح وإن زعم النصارى أن أثنين منهم من الحواريين. ومن ثم لا يؤمن عليهم غلط ولا نسيان ولا تواطؤ على الكذب. وأن دعوى النصارى أفضلية هؤلاء الأربعة وسموا منزلتهم وترفعهم عين ذلك ينقضه - فى رأى الجاحظ - تناقض رواياتهم وتعاند معانى كتبهم وتكاذبها واختلاف شرائعهم مع أخلافهم فى المسيح نفسه؟! ..

ويقول الجاحظ : هذا دليل على صحة قولنا فيهم وغفلتكم عنهم، وما ينكر من مثل لوقس – لوقا – أن يقول باطلاً وليس من الحواريين وقد كان يهودياً قبل ذلك بأيام يسيره ؟! ..

ونتساءل ، الم يكن آل يعقوب وآل عمران ومريم والمسيح من اليهود أيضا؟ ويقول الله تعالى : ﴿وَمِن قَومِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهدُونَ بِالحَقِ وَبِه يَعدِلُونَ﴾ .. الأعراف ١٥٩ .

كما ذكرنا أن الخلف قد اتبع خطوات السلف فنجد من الكُتاب المحدثين من يقول : هناك تلازم بين كل قوم وكتابهم المقدس فإذا ثبت بطلان الكتاب وتحريفه لزم من ذلك فساد الديانة التى تقوم عليه ؟! . (الدكتور حماية، الكتاب المقدس ، صفحة ٢٧).

ويقول باحث آخر : أما هذه الأناجيل فهى مزيفة موضوعة ولم ترد على لسان المسيح؟ (م.ج كشك. خواطر مسلم، ص ١٢٥).

كما اشطرت أحد الذين تناول وضع مقارنة الأديان فى تفسير للآية (رفع عيسى عليه السلام وجعل الذين أتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة). (آل عمران) ، أن يتركوا ما هم عليه من تعاليم النصرانية ما آعتدل منها وما أنحرف وأن يصدقوا بوحدانية الله عز وجل وبشارة عيسى برسول الله صلى الله عليه وسلم وينصر تحت لوائه مذعنين لما جاء به لما علموه من أن الدين الاسلامى ناسخ لما سبق من سائر الاديان. وأن كل الناس على اختلاف عقائدهم مطالبون بالدخول فى الإسلام ؟! .. منتهى المغالاة فى الدين !! ..

يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : صنفان من أمتى لا تنالهما شفاعتى : سلطان ظلوم غشوم، وغال فى الدين، يشهد عليهم ويتبرأ منهم . (كنز العمال) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو : هل هذا هو منهج الاسلام فى الحوار؟ إن الاسلام لم يكتف بالدعوة إلى الحوار بل حدد أيضا المنهج الذى ينبغى أن يتبعه المسلمون فى حوارهم. هذا المنهج يوضحه قول الله تعالى : ﴿ وَلاَ تُجادلُوا أَهلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالتِي هِيَ أَحسَنُ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنهم وَقُولُوا آمنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إلينا

وأنزلَ إليكُم وإلاهُنا وإلاهُكُم واحد ونَحنُ لَهُ مُسلمُونَ ﴾. (العنكبوت/٤٦)

ويقول عز وجل :**﴿ادْعُ إلى سَبيلِ ربكَ بالحكمَة والموعظَة الحَسَنَة وَجادلهُم بالتي هِي أحسَنُ إنَّ ربَّك هُوَ أعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِه وَهُوَ أعلَمُ بالمُهتَدينَ ﴾** (النحل/ ١٢٥).

أن القرآن الكريم يؤكد أن الأديان السماوية لها هدف واحد وأن أختلف طرقها ومناهجها حيث يقول الله تعالى : **﴿ لكُلٍ جعَلنَا منكُم شرعَةً ومنهاجاً ولَو شَآء اللّهُ لَجعَلَكُم أُمَّةً وَاحدةً ولَكن لِيَبلُوكُم فِي مَآ ءاتَاكُم فَاستَبِقُوا الخَيرات إلى اللّه مرجِعُكُم جميعاً ﴾** . (المائدة /٤٨) .

أن الأديان الثلاثة الكبرى ، اليهودية والمسيحية والاسلام لديها منظومة من القيم الأخلاقية والتعاليم الإلهية متشابهة فى أساسها وملزمة لكل المؤمنين بها، وهذه الجوانب المشتركة بين الاديان الثلاثة تبين أن الحوار فيما بينها يرتكز على أساس عريض من الفهم الكامل الشامل لها.. وقد بين لنا القرآن الكريم واجب الأديان وهو التسابق فى فعل الخير وليس التنافس على مطامع دنيوية أو التناحر فيما بينها ..

أما الرؤية المبتورة التى يقدمها باحثو مقارنة الأديان فنصفها حقيقة ونصفها الآخر مستمد أساساً من مفاهيم مغلوطة يوهم بها الباحث بأنه يجسد حقيقة منزلة من عند الله.. والواقع أن الباحثين فى أمور الدين ومقارنة الأديان وبدافع من حبهم وإخلاصهم لدينهم حادوا عن المقصد الإلهى للآيات فكفّوا أهل الكتاب جميعاً الصالح منهم والطالح ودخلوا معهم فى مناظرات ومبارزات ومعارك كلامية أفقدت كلمة الحق حقها ولم تحقق المناظرات الهدف المقصود منها وهو إظهار الحق وإبطال الباطل.

أن المغالاة والإفراط فى حب الدين جعلت بعض الباحثين يدعون بأن الكتاب المقدس ليس هو التوراة التى تحدث عنها القرآن الكريم، وأن هذا الكتاب الذى يدين به ملايين اليهود والنصارى دخله التحريف والتبديل ومن ثم فليس هو كلمة الله التى أنزلها على موسى عليه السلام؟ .. هكذا ألغيت التوراة بجرة قلم ولم يخبرنا ربنا سبحانه وتعالى بأن التوراة نسخت بنزول القرآن، ولكن الباحثين

قرروا نسخها على أية حال وبدون أمر من الله ورسوله !! ..

فهل ترى عزيزى القارئ أنهم دعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلوا أهل الكتاب بالتى هى أحسن، ويسّروا ولم يعسّروا ولا نَفّروا كما أن رسول لله ﷺ ؟ .. وهل قدموا الأدلة والحجج دون مخاصمة ولَدَدٍ رغبة فى طلب الحق والوصول إليه ؟ ..

أم قصدوا من الجدل والمناظرة المغالبة والسبق والإفحام والإلزام ، لا مجرد طلب الحق والاستدلال له؟ ..

وما هو جدير بالذكر أن الجدل عند علماء المسلمين يعتمد على الأخلاق الاسلامية، ولذلك فهم يؤكدون عند حديثهم عن آداب الجدل على ضرور مراعاة التقرب إلى الله سبحانة وتعالى وطلب مرضاته، ويبالغ المناظر قدر طاقته فى البيان والكشف عن تحقيق الحق وتمحيص الباطل ويتقى الله أن يقصد بمناظرته المباهاة وطلب الجاه والتكسب والمماراة والرياء، ويحذرهم عقاب الله سبحانه – ولا يكن قصده الظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر.. التقرب لحد المنطق، (ابن حزم الاندلسى ، ١٩٤) .

ويقول ابن حزم : ولا تقع بغفلة خصمك فى كل ما يمكن أن يصحح قوله، فإن وجدت حقاً ببرهان فارجع إليه ولا تتردد ، ولا تستوحش مع الحق فمن كان معه الحق فالخالق تعالى معه، ولو أعطى كل امرئ بدعواه المعراة لما ثبت حق ولا بطل باطل، ولا استقر ملك أحد على حال، ولا انتصف من ظالم ولا صحت ديانة ابدا لأنه لا يعجز أحد أن يقول الهمت أن دم فلان حلال، وأن ماله مباح علىّ أخذه. وأن زوجه مباح لى وطؤها، وهذا لا ينفك منه. وقد يقع فى النفس وساوس كثيرة لا يجوز أن تكون حقاً، وأشياء متضادة يكذب بعضها بعضاً فلابد من حكم يميز الحق منها من الباطل، وليس ذلك إلا العقل الذى لا تتعارض دلائله..

إن قضية الحوارات بين الأديان الكبرى ستظل قائمة ما دام هناك أديان.

ومن تحصيل الحاصل أن نقول أن ليس هناك تناقضاً فى الوحدانية ومبادئها الخالدة. وإنما هناك تناقض بين الفئات البشرية التى زعمت أو أرادت أن توظف

هذه المبادئ الوحدانية لصالحها ومصالحها الخاصة، والتاريخ وبمراحله المختلفة على ذلك شهيد.

لقد أراد الخليفة المأمون في البداية أن يكون الحوار والتفكير الحر وإشاعة المعرفة هي الأدوات الوحيدة لحسم الخلاف. وكان الخلاف حول قضية :

هل القرآن قديم أو أبدى - مثل الله تعالى نفسه باعتباره كلام الله. أم أنه مخلوق خلقه الله وأحدثه مثلما أحدث العالم وخلق كل مخلوقاته فيه؟ .. ودارت الدائرة وجاء - الخليفة المتوكل - فأصدر قراراً بإغلاق النقاش وقفل باب الحوار من أصله بعد أن رأى الفقهاء قد استغلوا سطوة سلطان الدولة حتى تمكنوا من إقناع الخليفة المأمون بأستخدام السياط والسجن لإقناع خصومهم. وأمر الخليفة المتوكل بأن يكف الفقهاء من أى اتجاه عن الاجتهاد أو محاولة الاتيان بجديد فى أى شأن من شئون الأمة.

ولا يعلّمون فى المدارس والمساجد إلا ما كان الأسلاف الأوائل قد قالوه ..

منذ ذلك الحين بدأ الجمود والتحلل والاضمحلال .. ونعرف أن هذا الاضمحلال بدأ بأقتتال المؤمنين بعد انقسامهم إلى فرق - السنة ، والمرجئة، والقدرية، والشيعة، والخوارج ، والمعتزلة - وقد جاء قرار المتوكل بتصفية فرقة المعتزلة بالقوة، ثم بدأت باقى الفرق فى الانقسام بدورها إلى مذاهب ومدارس تتبادل - حرفياً - القتل اعتماداً على تبادل التكفير، ومحاوة كل فرقة أن تستولى على سلطة الدولة بفرض أرائها على الآخرين وتصفيتهم بالقتل بعد تكفيرهم بحجة التفكير.

هذا ما نعرفه الآن من التاريخ الحقيقى للمجتمع وللعلم الإسلامى وللحضارة والدولة فى كل بلاد المسلمين من أن التعصب والجمود الفكرى وطبيعة البناء الطغيانى للدولة كانت هى الأسباب التى أسرعت إليها ببداية الاضمحلال والانحلال . (سامى خشبة - الأهرام ١٩٩٥/٦/٢٣).

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : هل نكفر المؤمنين من أهل الكتاب بحكم العادة التى اكتسبناها من تفكيرنا لبعضنا البعض ؟ . أم أننا لا نفهم تعاليم الذكر الحكيم؟..

والشيء المهم الذى نفهمه من التعاليم الإلهية فى القرآن الكريم أن الإسلام يحرص على معتقدات ومقدسات وقيم أهل الكتاب.

أما التصنيف المتعسف والمتسرع فهو وهم يفتقد الرؤية الشاملة ويصطدم بجوهر معتقدات أهل الكتاب. والأمر المحظور إسلامياً هو الاعتداء على حقوق الإنسان فرداً أو جماعة فى الاعتقاد، لنفسه ما يشاء وليس لأحد سلطان عليه ولا حق بتكفيره. فلا خصام ولا خصومة بين جوهر الأديان السماوية حيث إن المنهج الحقيقى للإسلام فى مختلف القضايا وجوهره فى السلوكيات والمعاملات قائم على وحدة البشر والعالم من حولهم، ويرفض الفصل بين الإنسان والدين والعلم والعقل والطبيعة والمادة .

برغم ما يوجد فى الكتاب المقدس من خرافات وأهواء ونزعات فما زالت كلمة الوحى موجودة فيه، والتحريف فى التوراة كان واقعاً من قبل بعثة المسيح عليه السلام فلم يصدر عنه ما يفيد بألغاء التوراة بل قال إنه جاء ليتمم نبوءاتها ويبشر بما جاء فيها. وكذلك لا نجد فى القرآن والسنة ما يفيد بنسخ التوراة، ومثل هذا القول يثير البلبلة والفتن والاضطرابات العقائدية بين الناس ويؤدى إلى الضرر بالجميع، والواجب هو إيجاد نقاط تماس وتلاق وتفاهم ومودة بين كل المؤمنين بالله واليوم الآخر من كل الأديان ومحاولة تجاوز الافتراءات المهلكة وكل أنواع الزيغ والتعصب وإلباس المصالح لباس التقديس .

والمطلوب من جهابذة المحدثين الأماثل وأئمة العلماء الأفضل إعادة النظر فى كتب التفسير ليخرجوا منها الصحيح الذى له سند سليم متصل يجوز ذكره وترك كل غريب وسقيم سبق إلى عقيدتنا عن سوء أو حسن نية.

ويشرحون لنا نصوص القرآن الكريم بفروعه المتعددة ومنها المجاز، والاستعارات والتشبيهات، والكناية، وضرب الأمثال، وغير ذلك من مدلولات كثيرة لتعريف الكافر، والمشرك، وأهل الكتاب، ويظهرون لنا الحقيقة الإلهية ويضعون لنا قواعد تأويل المجاز فى القرآن والفهم الصحيح للكافر، والمشرك وأهل الكتاب لكى نستطيع التعايش معهم فى تناغم على أساس أن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له، ويسهم الجميع فى إقامة حوار بنّاء بين الأديان لكى لا يكون الاختلاف العقائدى مدعاة للخلاف والتناحر وإنما يكون فيه التقاء البحث فى

الأواصر المشتركة وسبل الاتفاق فى الجوهر وتحقيقاً لما يدعو إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتعَارَفُوا** ﴾ (الحجرات /١٣) هذه الآية تشير إلى التعددية الدينية والحضارية، فالقرآن الكريم يعطى للديانات الأخرى ضماناً دستورياً، ومن ثم فليس الهدف هو تحويل العالم إلى عالم يدين بديانة واحدة ولكن إلى عالم يؤمن بإله واحد لا شريك له ..

لذلك فإن التعصب اليهودى وحركة التشكيك المسيحى ضد الإسلام يجب ألاَّ تجعل علماء المسلمين يحاربون الظلم والافتراء بظلم وافتراء وبما لم ينزل الله به من سلطان .. فبعض علمائنا وضع أهل الكتاب بين مطرقة الشرك وسندان تحريف الكتاب المقدس ويقولون : النسخة الأصلية من التوراة والانجيل قد أختفت، وإن من وصفهم القرآن الكريم بأهل الكفر ليس على شىء وإنهم جميعاً كافرون مثل عبدة النجوم والنار والبقر فنحن نقرأ للإمام القرافى قوله : (رذا أختلطت التوراة بغيرها سقط الاحتجاج بها (الأجوبة الفاخرة ص ٢٧٢).

ويقارن القرطبى بين القرآن الكريم والتوراة فيقول : فأين اللؤلؤ من الخزف، والياقوت من الصدف، (الأعلام ص ١٩٣).

ويقول الشيخ رحمة الله الهندى : طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم، فقال إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة، وتصفحنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئا، غير الظن والتخمين يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت إن الظن فى هذا الباب لا يغنى شيئاً ، فما دام لم يأتوا بدليل ثابت وسند متصل فمجرد المنع يكفينا. وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا. (إظهار الحق ص ١٠٢/١).

وقد إلف الشيخ رحمة الله الهندى كتابه الشهير (إظهار الحق) بتكليف من السلطان عبدالعزيز خان بعد دعوته إلى القسطنطينية من الهند عام ١٨٥٧م رداً على كتاب الدكتور فاندر – أو بفندر – ميزان الحق – وقد قامت مناظرة علنية بين القسيس د. فاندر والشيخ رحمة الله الهندى اعترف بعدها القسيس بهزيمته ..

ومن المناظرات الحامية – المناظرة الكبرى – بين القس سويجارت وبين الشيخ أحمد ديدات وكان موضوع المناظرة هل الإنجيل كلمة الله؟ .

ويؤكد الشيخ ديدات أن الأناجيل الأربعة ليست هى ولا واحداً منها جاء به المسيح عليه السلام وليست منسوبة له. ولكنها منسوبة لبعض تلاميذه ومن ينتمى إليهم، ويقول أين إنجيل عيسى الذى نزل عليه وكان يبشر به بين الناس؟ ..

وإذا صح هذا الكلام فهو يعنى أن ديانة أهل الكتاب قد أفلست وعبادة أهلها ضائعة فى مهب الرياح؟! .

فهل من الغريب أن نجد على الجانب الآخر حركة تبشرية هدفها التشكيك فى الدين الإسلامى ؟ .. تدّعى هذه الحركة أن هذا الدين انتشر بالسيف وأن القرآن ليس كتابا إلهياً لأن معانيه لا تطابق معانى التوراة والانجيل؟! . ويعملون بأستماته على تشويه صورة الإسلام وتقديمه للناس على أنه دين يدعو إلى التخلف والخرافة، وأن تعاليمه تقوم على الغلظة والوحشية، وأن كتابه وهو القرآن مجموعة من النصوص التى أخذها محمد من تعاليم التوراة وأسفار الأناجيل ثم أضاف إليها بعض خرافات الوثنية والأمم المجاورة، ولذلك فإنه من وجهة نظرهم لا يصمد أمام الكتاب المقدس فى ميدان المناقشة والحجج ؟ !! ..

وقد ذكر الشيخ أحمد ديدات فى مناظرته – لانيس شاروش – فى لندن عام ١٩٨٨م أن أكثر من ٦٠ ألف كتاب ضد الإسلام صدر منذ عام ١٨٠٠) حتى الآن. وهكذا أنشأت أجيال تنطوى قلوبها على العدواة والبغضاء بتوجيهات من رجال الدين. وهذه نتيجة طبيعية لمناظرات وحوار قام على : أنتم من وصفهم القرآن بالكفر وكتابكم محرف فأنتم كافرون . فما كان منها إلا الافتراء سالف الذكر. (أنظر الآية ١٠٨ من سورة الأنعام).

هل هكذا تؤدى مسئولية الاستخلاف فى الأرض ونشر الدين الإسلامى، هل الصفع والركل أجذب أحداً إلى الطريق القويم؟..

هل تسديد الكلمات والكلمات القاسية وجلد الجميع بأخطاءٍ لم يرتكبها الجميع سوف يهديهم إلى الصراط المستقيم؟..

إن الحوار الهادئ والإقناع من خلال القرآن والسنة النبوية بمعناها الذى

أراده الله ورسوله والصبر على مناقشتهم بالحكمة والموعظة الحسنة فيها خلاصهم من الضلال ، والمسلم مكلف شرعاً بالحفاظ على حقوق أصحاب الاديان السماوية فى الاعتقاد والتدين بشعائر دينهم وحقهم فى احترام عقائدهم وعدم الإساءة إلى معتقداتهم لكي يسود السلام والأمن والعدل بين الجميع. فالاخلاص لله فى علم الكلام أو فى العلوم الدينية عامة هى نقطة الانطلاق فى الدعوة والمعيار الحقيقى للدين الحنيف، لكى لا يكون ديننا نسقاً مغلقاً على ذاته وامتداده يكون على حساب محاصرة وتشوية الديانات الأخرى. ونصبح جميعا فى قارب واحد، هم شعب الله المختار، ونحن خير أمة أخرجت للناس. والآخرون خصهم الله بنفسه يمحى ذنوبهم ويحمل أوزارهم سبحانه وتعالى عما يصفون، ولا يوجد من يفرق بين العبث الشيطانى والمقصد الإلهى من كلمة الوحى التى جاء بها الأنبياء والرسل عليهم السلام، وسوف نذكر ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى هذا الصدد بعد حين إن شاء الله .

لقد حاول بعض الباحثين إثبات أن التوراه قد فقدت على يد بختنصر فقداً كاملاً. وأن عزرا هو الذى كتبها من جديد بعد ذلك بزمن غير يسير وقد جاء فى سفر عزرا قوله : عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى التى أعطاها الرب إله إسرائيل ... والمعروف أن الكتاب المقدس لا يمكن حفظه عن ظهر قلب كالقرآن لطول أسفاره وتعدد كتابها من ناحية ولثقل عباراته وإلتوائها من ناحية أخرى .. ويقولون إن تواتر التوراة قد انقطع باستيلاء الفلسطينيين على التابوت وردهم إياه إلى اليهود ببقية مما ترك آل موسى وآل هارون لا بكل ما فيه..

وما جاء فى التلمود من تقليد اليهود أن المجمع العظيم قد أعاد للتوراة وجودها القديم بعد السبى البابلى. وهذا أكبر دليل على فقد التوراة على يد بختنصر فإذا كان نار الغزو البابلى قد التهمت التوراة فلم يبق منها ولم تذر، فكيف كتب عزرا التوراة ؟..

لقد جاء عن الإمام البيضاوى عند تفسيره للآية الثلاثين من سورة التوبة ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله**﴾ من قوله : عندما سبى بختنصر اليهود لم يبق أحد من حفظة الوحى فبعث الله عزيرا من الأموات وقد مر على وفاته مائة سنة فأملى التوراة وجاءت طبق الأصل حتى تعجب منه اليهود.

ويقول بعض العلماء هذا عن الاسرائيليات المكذوبة المفتراة التى دسها فى الإسلام المغرضون من اليهود ونقلها عنهم بعض المفسرين من غير تمحيص ولا تدقيق ..

وعلى فرض صحة هذا الكلام فإن فحواه يعنى أن التوراة قد فُقدت حين سبا بختنصر اليهود وأن عزرا هو الذى كتبها بعد ذلك.. فهل عزرا هو المسئول عن التناقضات والأخطاء فى التوراة؟ أم من عاونوه فى تصنيف الأسفار مثل حجى وزكريا الرسولين، أم من جاء بعدهم ؟

ومن المؤكد أن عزرا كان ينقل من النسخة التى كانت فى التابوت عند الكاهن الأكبر حيث إن الكتاب المقدس لا يمكن حفظه عن ظهر قلب كما ذكرنا وأنه يحكى آلاف التفاصيل الخاصة بمدن وشعوب وعصور متعددة.. وأنك إذا قارنت الأسفار الخمسة الأولى فى التوراة وما جاء فيها عن قصة الخلق وقصص الانبياء تجدها تكاد تكون مطابقة لما جاء فى القرآن الكريم، والتدخل البشرى فيها واضح كشفه القرآن وأخبرنا بمن عبثوا فيه بأهوائهم وخلطوا بين الحق والباطل وجاءوا بتناقضات أسترعت أنتباه كل دراسيه وحيرتهم أزماناً طويلة، وأصحاب التوراة أنفسهم مقُّرون بذلك.. فبعض طوائفهم رد أسفار منها وقبل ما رده طوائف أخرى غيرهم من هذه الاسفار، وعند الكنيسة الرومانية أسفار معدودة منه عند الكنيسة البرتستانت، وقد زادت الكنيسة الكاثوليكية أسفاراً لم تكن مدرجة فى التوراة عند المسيحيين الأولين ولا عند اليهود فضلاً عن كونها لا توجد فى الأصل العبرانى ..

لقد استحفظ الله عز وجل طائفة من البشر على كتابه المقدس كما استحفظ من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » (المائدة/ ٤٤) . فصانوا الامانة ما شاء الله لها أن تصان ثم جاء من بعدهم من خانوها فحرفوا فيه وبدلُّوا وزادوا وأنقصوا. لذلك تولى الله سبحانه وتعالى بنفسه حفظ القرآن الكريم إلى يوم الدين ﴿ **إنا نحنُ نزّلنَا الذِّكرَ وإنّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (الحجر/ ٩) .

وعلى هذا يكون ما أدعاه د. فاندر من أن القرآن يشهد بوجود الكتاب المقدس صحيحاً إلى زمنه دون ما تحريف، ولا تبديل هو صرف متعمد للحقائق عن وجهها الصحيح، فقد احتج د. فاندر بآيات تشهد للكتاب المقدس وتجنب

آيات كثيرة يخبرنا فيها ربنا سبحانه وتعالى عما حدث له على أيد من حرفوه فيقول عز وجل : ﴿ فبمَا نَقضهم ميثاقَهُم لَعنّاهُم وَجعَلنَا قُلُوبهُم قَاسيةً يُحرّفُونَ الكَلمَ عَن مّوَاضعهِ ونَسُوا حظاً مّما ذكّروا بهِ ﴾ . (سورة المائدة /١٣) .

وكذلك القول بأن التحريف والتبديل طمس كلمة الله وتلاشت التوراة ففى هذا أيضاً مجافاة للحقائق القرآنية حيث إن الله عز وجل يخبرنا فى سورة آل عمران الآية ٩٣ :﴿ قُل فَأتُوا بالتّوراة فَاتلُوهَا إن كُنتُم صَادقينَ ﴾. وفى سورة المائدة ٤٣ :﴿ وَكَيفَ يُحكمُونَكَ وَعَندَهُمُ التّوَرَاةُ فيهَا حُكْمُ الله ﴾ .. وفى نفس السورة الآيه ٤٧ : ﴿ وَليَحكُم أَهَلُ الإنجيلِ بمَاَ أَنزَلَ اللهُ فيه ﴾ .. ونفس السورة الآية ٦٨ :﴿ قُل يأَهلَ الكتَاب لَستُم عَلَى شَيءٍ حَتّى تُقيمُوا التّوراةَ والإنجيلَ وَمَا أُنزلَ إلَيكُم مِن رّبكُم ﴾ .

ويقول الدكتور هاشم جودة فى كتابه (حول القرآن الكريم والكتاب المقدس) : مستشهداً بالآية الكريمة من سورة آل عمران ﴿ ألم ترى إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ يقول إن هذه الآية تشهد بجلاء أن التوراة لم تكن كلها موجودة فى عصر الرسول ﷺ ، بل كان بعضها موجوداً وأما البعض الآخر فقد نسوه كما جاء فى سورة المائدة ﴿ ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾ ويقول تعليقا على الآية ٩٣ من سورة آل عمران – والآيات ٤٣ ، ٦٨ من سورة المائدة سالفة الذكر : إن المقصود بالتوراة والإنجيل فى هذه الآيات وفيما هو من آى القرآن على شاكلتها ما صح فى علم الله تعالى من البقية الباقية تحت يد اليهود من الكتاب الذى أنزله الله على موسى وسماه التوراة وما صح فى علم الله أيضاً من البقية الباقية تحت يد النصارى من الكتاب الذى أنزله الله على عيسى وسماه الإنجيل، هذه البقية أضاف إليها الكثيرون من كتابهم ومؤرخيهم ومن وصفوا عندهم بالنبوة تارة وبالصدق والأمانة تارة أخرى كعزرا وأمثاله ؟! ..

ويقول الدكتور هاشم : وليس من المعقول أن تنسى طائفة من الناس أنزل الله لهم كتاباً جميع ما فيه شرائع وأحكام. ومثل هذا كاف فى الاحتجاج على بنى إسرائيل بإقامة التوراة وللشهادة بأن فيها حكم الله كما فى سورة المائدة وهذا ينطبق أيضاً على النصارى والإنجيل والحكم به زمن رسول الله ﷺ فيما علم الله ازلاً أنه ما زال صحيحا وأنزل مثله على رسول الله ﷺ .

من هذا الكلام تبرز الحقيقة التى لا مراء فيها وهى أن ليس كل ما فى التوراة والانجيل من وحى إلهى محرف .. ولقد أخبرنا الله عز وجل بأن بها تحريفاً. وقد اكتشف الباحثون ذلك التحريف. واعترف علماؤهم بالتدخل البشرى فى الكتاب المقدس والأناجيل..

ولكن العدل يقتضى بأن نقيم مقارنة بين ما يزال فيها من كلام الوحى الإلهى وما يتفق مع القرآن الكريم وبين ما لا يتفق معه ..

يقول الله تعالى فى سورة المائدة الآية ٤٨ : ﴿ **وأنزلنا إليكَ الكتابَ بالحَق مُصدِّقاً لمَا بينَ يدَيه منَ الكتاب ومُهيمناً عليه فاحكُم بينهُم بمَا أنزلَ اللَّهُ ولا تتَّبع أهواءهُم عمَّا جاءكَ منَ الحَقِّ لكُلٍّ جعلنَا منكُم شرعةً ومنهاجاً ولو شاءَ اللهُ لجعلَكُم أمَّةً واحدةً ولَكن ليبلُوكُم فيمَا آتاكُم فاستبقُوا الخيرات إلى الله مَرجعكُم جميعاً فينبئكُم بمَا كُنتُم فيه تختلفُونَ** ﴾ .

فى هذه الآيات الكريمة دليل قاطع على أن القرآن لم يأت لنسخ التوراة ولكن جاء ليشهد على الحق الموجود فيها والباطل الذى أدخل عليها .. ، وفى سورة يونس ٤٧ :﴿ **ولكُلِ أُمَّةٍ رَسُولٌ فإذَا جاءَ رسُولُهُم قُضيَ بينهُم بالقسط وهُم لا يُظلَمُون** ﴾ ..

ويقول عزل وجل فى سورة العنكبوت الآية ٤٦ : ﴿ **ولاَ تُجادلُوا أهلَ الكتَاب إلاَّ بالتي هى أحسنُ إلاَّ الذينَ ظلَمُوا منهُم وقُولُوا آمنَّا بالَّذى أُنزلَ إلينَا وأُنزلَ إليكُم وإلاَهُنَا وإلاهُكُم واحدٌ ونحنُ لهُ مُسلمُون** ﴾.

وفى هذه الآيات الكريمة أمر بأن نؤمن بالحق الموجود فى التوراة ولم يأمرنا ربنا بأن نكفر بها كما يريد منا بعض الباحثين، كما لم يأمرنا عز وجل بأن نكفِّر أهل الكتاب كما نفهم من ما جاء فى سورة آل عمران الآية ١٩٩ ﴿ **وإنَّ من أهلِ الكتَاب لَمن يُؤمنُ بالله ومَا أُنزلَ إليكُم ومَا أُنزلِ إليهم خاشعينَ لله لا يَشترُونَ بآيات الله ثمناً قليلاً أُولئكَ لهُم أجرُهُم عندَ ربهم إنَّ اللهَ سريعُ الحساب** ﴾ ، وفى نفس السورة الآيات ١١٣ إلى ١١٥ : ﴿ **لَيسُوا سواءً مَن أهلِ الكتَابِ أمةٌ قائمةٌ يتلُونَ آيَاتِ الله آناءَ الليل وهُم يسجُدُونَ، يُؤمنُونَ بالله واليومِ الآخرِ ويأمُرُون بالمعرُوف وينهَونَ عنِ المُنكرِ ويُسارعُونَ فى الخيرات**

وأولئك مِنَ الصَّالحين، وَمَا يفعلُوا مِن خيرٍ فَلَن يُكفروهُ واللهُ عليمٌ بالمُتَّقين ﴾.

ونفهم من الآيات سالفة الذكر أن من أهل الكتاب الصالحون المؤمنون، وفيهم القديسون والرهبان وأولياء الله .. ويقول الله تعالى :﴿ **ألاَ إنَّ أولياءَ الله لاَ خَوفٌ عَلَيهم ولاَ هُم يَحزنُونَ، الذينَ آمَنُوا وكَانُوا يتَّقُونَ، لَهُمُ البُشرى فِي الحياةِ الدُّنيَا وَفِي الأخرة .. ﴾** (يونس/٦٤) .

ويقول عزَّ وجل في الحديث القدسي : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب..

وهذه الوعود من الله عز وجل مشروطة بالإيمان المطلق بالله واليوم الآخر وعدم معاداة الغير أو محاربته في عقيدته من جانب أهل الكتاب، فإذا توافرت فيهم هذه الشروط وجب علينا ألا نكفرهم ونطيع أمر الله وحكمه فيهم ... يقول تعالى : ﴿ **إنَّ الذينَ يَكتُمُونَ مَا أنزَلنَا مِنَ البينَات وَالهُدَى من بَعد مَا بَيَّنَّاهُ للنَّاسِ فِي الكتَابِ أُولئك يَلعَنهُمُ اللهُ ويَلعَنهُم اللاعنُونَ ﴾** البقرة ١٥٩ .

ويقول الرسول ﷺ : «لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله» .

فنحن مطالبون بإزاحة القصور الذي يحجب الرؤية الثاقبة اللازمة لاحتواء خطر الانزلاق إلى هاوية الكفر وغضب الله. إن من أتهم مؤمنا بالكفر انقلب عليه. والعياذ بالله، كما جاء في الحديث الشريف : إن الترغيب والترهيب لأهل الكتاب في القرآن الكريم يجب ألاَّ تكون معاول هدم في أيدينا نهدم به ونحاول تقويض عقيدة أهل الكتاب، هذا هو الخطأ الشائع الذي يقع فيه الباحثون يغلفون انتقادتهم بتجاهل ونكران كل العقائد غير الإسلامية ويتخذون الترهيب ذريعة لتكفير كل من لا يدين بالإسلام.. ولقد عرف الرسول ﷺ المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ..

إن الدين كل دين سماوي هو صرح شامخ بني على أساس راسخ من آلاف السنين في قلوب وعقول أصحاب هذه الديانات، فليس ما هو أكثر مجافة للحقيقة والعدل أن نحاول إلغاء ونسخ هذه الأديان، ونقول فيها ما لم ينزل به الله من سلطان ونواجه الافتراء بافتراء والعداء بعداء ونبالغ في ديننا على حساب دينهم ونفتي بغير علم ..

يقول العالم الجليل – بديع الزمان سعيد النورسى – فى كتابه – (رسائل النور) : إن المبالغة فى المدح ذم ضمنى. إذ يجوز لكل مسلم أن يقول فى مسلكه ومذهبه أن هذا – حق – ولا أتعرض لما عداه، بينما لا يحق له أن يقول فى مذهبه، أن هذا هو – الحق – وما عداه باطل.

لقد كان كبار الفقهاء على عظمتهم وعلمهم وإحاطتهم بتفسير الكتاب والسنة كانوا مع ذلك يتحرجون من الفتوى ويهربون منها، بل كثيراً ما سئلوا فأرجأوا الإجابة أو رفضوا الفتوى مكتفين بكلمة – لا أعلم – وموقف الإمام مالك فى ذلك معروف ..

إن أصول الفقه والمقاصد الشرعية للنصوص والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وبقية شروط الفتوى والاجتهاد شيء لا يستهان به .. إن ما ورد فى الأثر يقول أجرأكم على الفتوى أجرأكم على النار .. إن المجتهد يعمل فى اطار النص، وبقدر ما تتسع دائرة الاجتهاد فإنها تفترق عن أمرين، الأول إنكار النص، والثانى القول بمرحلتيه – أى، القول بأنه ينزل لفترة تاريخية معينة لا يطبق بعدها والنسخ لا يدخل فى النصوص المحكمة لأن هذه النصوص المحكمة بعد ارتفاع الوحى بوفاة النبى ﷺ تمثل الشريعة الإسلامية الدائمة إلى يوم القيامة ومن ثم لا يتسع الاجتهاد لقول يذهب إلى أنتفاء حكمها أو أنه جاء لعصر معين يقول الرسول ﷺ : «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه بقبض العلماء مع علمهم فيبقى ناس جهالاً يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون ..»

يقول الله تعالى فى سورة النحل الآية ٤٤ : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ .

وتقول القاعدة التى وضعها الفقهاء : إن القرآن يؤخذ على ظاهره بدون تأويل إلا إذا منع من ذلك مانع فيعمد إلى تأويله .. فهل فى هذه الآية والآيات التى سبق لنا ذكرها عن أهل الكتاب ما يشير إلى نسخ كتبهم وإفلاس دينهم كما يقول بعض الباحثين ؟ ..

وعن القياس الذى أدى إلى تفريق القرآن إلى مذاهب عديدة يقول الداعية الكبير المرحوم الشيخ محمد الغزالى : إن النسخ عند قدماء الفقهاء كان إما

تفصيلا لمجمل أو تخصيصاً لعام أو تقيداً لمطلق، ويقول فضيلته إن رفض القياس هو فكر إسلامى عرفه تاريخنا الفقهى وقال به ابن حزم وهو إمام الظاهرية والأمر نفسه فعله الشيعة .. ويؤكد أحد العلماء أنه لا يوجد نسخ فى آيات القرآن الكريم مشيراً إلى أن كلمة – نسخ – تتضمن ٣ معان ، الأول : نقل ، والثانى : حول، والثالث محا. وأوضح أن الفقهاء الذين قالوا بالنسخ كانوا يقصدون معنى آخر غير سقوط الحكم.

ويقول الشيخ رحمة الله الهندى فى تعريفه للنسخ : وإذا علمت هذا فأقول ليست قصة من القصص المندرجة فى العهد العتيق والجديد منسوخة عندنا نعم بعضها كاذب مثل أن لوطا عليه السلام زنى بابنتيه وحملتا بالزنا من الأب كما هو مكتوب فى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين .. أو أن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام زنى بثامار زوجة ابنه وحملت بالزنا منه فولدت توأمين – فارص و زارح – كما هو مذكور فى الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد فارص المذكور فى الاصحاح الأول من إنجيل متى أو أن داود عليه السلام زنى بامراة أوريا وحملت بالزنا منه فأهلك زوجها بالمكر وأخذها زوجة له كما هو مذكور فى الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى. أو أن سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره وكان يعبد الأصنام بعد الارتداد وبنى المعابد لها كما جاء فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول، أو أن هارون عليه السلام بنى معبداً للعجل وعبده وأمر بنى إسرائيل بعبادته كما هو مذكور فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج، فنقول :

إن هذه القصص وأمثالها كاذبة باطلة عندنا ولا نقول إنها منسوخة والأمور القطعية العقلية والحسية والأحكام الواجبة والأحكام المؤبدة والأحكام الوقتية قبل أوقاتها والأحكام المطلقة التى يفرض فيها الوقت والمكلف والوجه متحد لا تكون هذه الإشياء كلها منسوخة ليلزم الشناعة. وكذا لا تكون الأدعية منسوخة فلا يكون الزبور الذى هو أدعية منسوخة بالمعنى المصطلح عندنا.. ولا نقول قطعا أنه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الإنجيل كما افترى هذا الأمر على أهل الإسلام صاحب – ميزان الحق – وقال إن هذا مصرح به فى القرآن والتفاسير وإنما منعنا عن استعمال الزبور والأسفار الأخرى من العهد العتيق والجديد لأنها مشكوك

فيها يقينا بسبب عدد أسانيدها المتصلة وثبوت وقوع التحريف اللفظى فيها بجميع أقسامه كما عرفت فى الباب الثانى .

ويجوز النسخ فى غير المذكورات من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ فنعترف بأن بعض أحكام التوراة والانجيل من الاحكام التى هى من جنس الإحكام الصالحة للنسخ منسوخة فى الشريعة المحمدية ، ونقول إن كل حكم من احكامها منسوخة كيف وأن بعض أحكام التوراة تنسخ يقينا مثل :

حرمة اليمين الكاذبة والقتل والزنا واللواطة والسرقة وشهادة الزور والخيانة فى مال الجار وعرضه، ووجوب إكرام الأبوين، وحرمة نكاح الآباء من بناتهم، والأمهات من أبنائهن ، والبنات من أخواتهن، والأعمام من بنات أخوتهم، والعمات من ولاد أخواتهن، والأخوال من بنات أخواتهم، والخالات من أولاد أخواتهن، وكذلك الجمع بين الأختين، وغير ذلك من الأحكام الكثيرة.

وكذا بعض أحكام الانجيل لم تنسخ يقيناً، مثلا وقع فى الإصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس هكذا ٢٩ : (**فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك**) هذه هى الوصية الأولى، وثانية مثلها : (**هى تحب قريبك كنفسك**) وصية أخرى أعظم من هاتين) فهذان الحكمان باقيان فى شريعتنا على أوكد وجه وليسا بمنسوخين..(إظهار الحق ص ٧٤).

إذاً فأصول الدين مثل وجود الله عز وجل وتوحيده والأحكام المؤبدة فى كتبه والقصص الصحيح هى أحكام أزلية أبدية لا يعتريها نسخ ولا تبديل حيث إنها مبادئ جوهرية للدين الحق غير قابلة للتغيير..

أما الأحكام العملية المطلقة فهى التى يطرأ النسخ عليها وهى الطقوس والأحكام المؤقتة قبل أن يأتى وقتها مثل ﴿ **فَاعفُوا واصفَحُوا حتّى يأتِى اللهُ بِأمرِه**﴾ (البقرة /١٠٩) .. وهذا يعنى كما ذكر صاحب الإظهار أن الله كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقياً على المكلفين إلى وقت معين ثم ينسخ ويرسل حكماً آخر يظهر منه الزيادة والنقصان أو الرفع مطلقاً. ونتخيل لقصور علمنا فى الظاهر أنه تغيير فى الرأى. وهذا محال على الله سبحانه وتعالى ، ولكن نسخ

الأحكام هو لصالح المكلفين وحال الزمان والمكان. أحكام علم الله أزلاً أن العمل بها ستنتهي مدته في هذا الوقت من الزمان بالنسبة إلينا لا بالنسبة لعلم الله تعالى.

إن أسفار موسى الخمسة التي تشتمل على شريعة الله وتاريخ الجنس البشري من ابتداء العالم إلى موته عليه السلام. وقصص الأنبياء من آدم ونوح وإبراهيم وذريته عليهم السلام. والأسفار التي تشتمل على تسبيح الله وتهذيب الاخلاق تكاد تكون مطابقة لما جاء به الحق في القرآن الكريم. وحاشى لله أن نقارن بين الكتابين لأنها تكون مغالطة يأباها العقل السليم، لكننا نقول إن القرآن الكريم هو السند المتصل لكلمة الوحي في الكتاب المقدس . فإذا كان التاريخ الصحيح يثبت أن تواتر التوراة منقطع فيكون كل ما يتفق وما جاء في القرآن منها هو السند الذي نعتمد عليه. ولا يصح أن نقول بما أننا لا نستطيع إسناد الأسفار إلى الذين أوحيت إليهم فلا يعتمد عليها ولا يوثق فيها. ولا يصح القول بإن التوراة الحقيقية قد تلاشت. فهذا ما لم يذكره الله عز وجل ، ولم يذكر سبحانه وتعالى أن القرآن جاء ناسخا للتوراة والإنجيل ولكن جاء مصدقا بهما، ومحذراً بما أدخل عليهما من تبديل وتحريف، أما النسخ والإلغاء فهو من عند الباحثين.

إننا لا ندافع عن الكتاب المقدس ونقول مثال الذين ادعوا بسلامته وبراءته من كل سوء، ولا نزكي الذين عرفوا الحق وتستروا عليه، ولكننا ندافع عن ما في الكتاب المقدس من كلام الله، ومن تنبؤات بالبعثة المحمدية الموجودة في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية فقرة ١٥ - وفي العهد الجديد ما نقله متّى في الاصحاح الحادي والعشرين من إنجيله الفقرات ٣٣ - ٤٥ والبشارة البينة في إنجيل يوحنا بالنبي محمد ﷺ سوف نذكر بعضا منها بعد حين إن شاء الله.

ونحن نعلم أن التحريف والتبديل والاختلاف بين أسفار الكتاب المقدس ووقوع التفاوت فيه إنما حدثت من تداول الناس له بالترجمة والنقل والإضافة وترك ما غمض عليهم منه كسفر - ياشر - كما جاء في سفر يشوع ١٠ : ١٣ وكتاب حروب الرب - كما جاء في سفر العدد ٢١ : ١٤ جاء لهذين السفرين

ذكر ولم نجد لهما نص أو أثر فقد ضاعا ضمن ما ضاع من أسفار الكتاب المقدس.

وقد زادت الكنيسة الكاثوليكية أسفاراً لم تكن مدرجة فى التوراه عند المسيحيين الأولين ولا عند اليهود فضلا عن كونها لا توجد فى العبرانى. فالكاثوليك كتابهم يتكون من ثلاثة وسبعين سفراً بينا يحتوى كتاب البروتستانت على ستة وستين سفراً فقط ويعتقدون أن بقية الأسفار التى توجد فى نسخة الكاثوليك مزورة وغير قانونية.

حدث هذا دون رعاية لقدسية الكتاب المقدس وجلاله. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ **فَوَيلٌ لَهُم مِمّا كَتَبَت أيدِيهِم وَوَيلٌ لَهُم مِما يَكسِبُونَ** ﴾ (البقرة ٧٩).

فى كتابه الشهير - الأداة الجديدة **ovum, organum** - يشير الفيلسوف فرانسيس بيكون إلى نوع من الأوهام يتسرب إلينا من سابقة ومن خلال رسوخ فى القدم يكتسب مع الأيام قداسة تكبل حركة الإنسان الساعى إلى التغيير والتطوير مما يحتاج الأمر معه إلى مراجعة .. أى محاولة التحرر من ثقافة القطيع والخضوع الأعمى لها ..

ونتساءل هنا : ألم يَحِنْ الوقت لعلماء اللاهوت اليهودى والمسيحى أن يجمعوا كل ما لديهم من علم وعزم وشجاعة أدبية ودينية ويكشفوا ما يتسترون عليه من حق من قبل أن يلقوا ربهم وهو غاضب عليهم ؟ .. إنهم يحاولون وسع طاقتهم ليثبتوا أن الكتاب المقدس لم يعتره تحريف ولا تبديل شهد له القرآن بالصحة والثبوت وهم يعلمون أنهم يكذبون على الله وعلى أنفسهم، كما حاول د.فاندر أن يوهمنا بأنه يؤمن بالقرآن فاستشهد به ؟! ..

إننا نرى أنه من الأجدى وبدلاً من صرف الحقائق عن وجهها الصحيح أن يجتهد رجال الدين من كل الملل والمذاهب فى اقتلاع اللبس والزيف والخبط والخلط من الكتاب المقدس وتخليصه من المغالطات والشوائب بدون التدخل فى شئون ومعتقدات وشرائع الديانات لأن تلك شرائع أرتضاها الله عز وجل لكل أمة ولكل ملة ..

لقد صدر عن أعلى مستوى فى العالم المسيحى وثيقة تعترف رسمياً بما فى الكتاب المقدس من شوائب وبطلان – المجمع المسكونى للفاتيكان ١٩٦٣م – وتنعقد مجالس منذ العصور الأولى للمسيحية تنقب عن ما هو مسلّم وما هو مردود – الأسفار الإلهامية والمدسوسة في التوراة – الشيء الذى لم يحدث قط من جانب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وترك أمر الكتاب المقدس للاجتهادات الشخصية فيقال فيه الخطأ والصواب ويدخل الباطل فى مغالاة ومغالطات لم ينزل الله بها من سلطان، مع أن دور الباحثين يجب أن يكون دور الأطباء المداوين وليس دور القضاة الجلادين .. يقول الرسول ﷺ فى حديث عاشوراء : نحن أولى بموسى من اليهود.كذلك نحن أولى بالكتاب المقدس منهم، فقد أمرنا الله عز وجل أن نؤمن به، إذن نحن ملزمون بالبحث والتحقيق فيه ولو كان يحتوى على سطرٍ واحدٍ من الوحى الإلهى لوجب علينا إظهاره. وهذا أمر لا يقول به إلا الراسخون فى العلم من علماء المسلمين ومؤسسة دينية مثل الأزهر الشريف تحذف كل ما تراه دخيلاً على الكتاب المقدس وتكون – توراة حسب الرؤية الإسلامية – ونكون قد أدينا واجبنا نحو الكتاب المقدس وأصحابه .

أن تطهير التوراة من شوائبها ليس بالأمر الهين، ولكنه واجب مقدس فى ضمائر المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله .. أما معتقداتهم وشرائعهم فلا دخل لنا فيها. ونطلب منهم تصحيح الفهم ولا نطلب منهم تغير العقيدة إلا من أراد الهدى وأختار ديننا الحنيف تصديقا لقول الله تعالى : ﴿ **وَلو شَاء الله لَجعَلَهُم أُمةً واحدةً ولكن يُدخلُ مَن يشاءُ فِي رَحمته** ﴾ (الشورى /٨)، ونفس السورة الآية ١٠ ﴿ وَمَا اختلَفتم فِيهِ من شيءٍ فَحكمُهُ إلى الله ﴾

. وفى نفس السورة الآيه ١٥ : ﴿ **وَقُل آمنت بمَا أنزلَ اللهُ من كتَابٍ وأُمرتُ لأَعدلَ بَينَكُمُ اللهُ رَبّنَا وَرَبُّكم لَنَا أَعمالُنا وَلَكُم أعمالُكُم لا حُجَّة بَينَنَا وبَيَنَكُمُ اللهُ يَجمعُ بيننَا وإليه المَصيرُ** ﴾ وفى سورة الجاثية الآية ١٧ : ﴿ **إنَّ رَبَّكَ يَقضى بَينَهُم يومَ القيامة فيمَا فيه يَختَلفُونَ** ﴾ وفى نفس السورة الآية ٢٨ : ﴿ **وتَرَى كُلَّ أُمةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدعَى إلى كِتَابِهَا اليَومَ تُجزَونَ مَا كُنتُم تعمَلُونَ** ﴾ .

هذه بعض آيات كتاب الله الحكيم الذى يمكن الاغتراف من منهله الكوثرى وجلال وشموخ اساليبه التى تقول لنا لستم قضاة ولكنكم دعاة بالتى هى أحسن .

(إظهار الحق فى التوراة)

«إن الحق وإن استتر زمنا بثوب من التضليل لابد أن يظهر ولو بعد حين)

ونبدأ حديثنا هنا بالسؤال التالى : هل التحريف والتبديل فى الكتاب المقدس يلغى كلمة الله التى أنزلها على موسى عليه السلام ؟ ونقول كلا، على الرغم من تناقض أخباره وغياب الخبر المتواتر فيه. وحجتنا نأتى بها من القرآن الكريم ومن التوراة .. فالقرآن لم يأمرنا بالكفر بالتوراة والابتعاد عنها، ولم يذكر أن الوحى الذى أنزل على موسى فقد منها ولكن العكس هو الصحيح، فنجد أمام كل كلمة باطل فى التوراة أكثَر من كلمة حق تنقضها فى القرآن.. ونجد كثيراً من الامثال والتعبيرات الإلهية وليس فقط قصص الأنبياء وأخبار الأولين وقصة الخلق، واحدةً فى الكتابين مما يدل على وحدة المصدر، فالذين حرفوا وبدلوا كلام الله فى التوراة لم يستطيعوا طمس حقيقة الوحى الإلهى الذى جاء به موسى وسائر الرسل والأنبياء الذين جاء ذكرهم فى التوراة.

كذلك فإن بشارات المسيح عليه السلام فى الأناجيل هى الوحى والرؤية والمنهج للعقيدة المسيحية. وعلى الرغم من التحريف والتبديل والإضافة فلا يوجد كتاب مفقود واجب البحث عنه وإلا، لأخبرنا الخبير العليم بذلك أما أهم الأناجيل المتـ... عليها فهو إنجيل برنابا وقد أظهره الله وعليهم الإيمان بما جاء فيه ووزر التستر عليه يقع على رجال الدين وليس على المتبعين.

وفى الأناجيل أيضاً قصص ونصوص وعبارات مطابقة فى القرآن الكريم الذى كفل الله تعالى حفظه بنصه إلي يوم الدين ليكون شاهد ومهيمناً على ما سبقه من الكتب السماوية ﴿ **إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذكرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (الحجر ٩) .

ونسوق هنا بعض الأمثلة من التوراة والقرآن لنبين أن كلمة الوحى ما زالت موجودة فى الكتاب المقدس الذى إئتمن الله عز وجل عباده عليه فخانوا أمانته ولكن الله متم نوره ولو كره المتسترون ..

ونقول بعض الأمثلة ونترك الحصر للمتخصصين فهذا عمل لا يقدر عليه فرد ولكن تقدر عليه جماعة تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، جماعة لا يبخسون الناس أشياءهم كما جاء فى (سورة الأعراف ٨٥)، جماعة لا يؤولون نصوص القرآن إلى المغالاة فى الدين على حساب أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات والذين منهم القديسون والمفكرون والمصلحون أصحاب الصدقات الجارية على البشرية، جماعة لا يقولون عن جهل أو جحود إن الإسلام جاء لينسخ ما قبله من الديانات عارفين بكلام ربهم وسنة نبيهم ﷺ .

إن التوافق بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم فى بعض القصص والجمل والعبارات والحكايات يدل دلالة قاطعة على أن المنزل لهذه الكتب كلها واحد وهو الله رب العالمين.. فما غير وبدل وحرف فى الكتاب المقدس جاء منافيا لما فى القرآن الكريم ومجافيا له وما بقى على حاله جاء موافقاً لبعض ما فى الكتاب العزيز وموائما له، ولا سيما فى الأمور التى لم يختلف عليها نبى ولا رسول كتوحيد الله تعالى وإرسال الرسل وتنزيل الكتب ووجود الملائكة وحساب الناس فى الآخرة ودخول المؤمنين الجنة والكافرين النار إلى غير ذلك مما هو متفق عليه فى كل الشرائع السماوية وبين جميع الأنبياء .. وقد جاء فى القرآن الكريم ﴿ وَكَتَبنَا عَلَيهِم فِيهَا ﴾ (المائدة /٤٥) أى التوراة وهذا يعنى أن المكتوب ما زال موجودا فيها ووقع التحريف لا يعنى أن كل كلام الله فى التوراة محرف، وهذا ما توحى به الآية الكريمة.. لذلك لا يجب أن يستبيح أحد لنفسه إن يقول أن ما جاء متشابه فى القرآن الكريم والكتاب المقدس نقل أو لقتبس من أسفار التوراة حيث أن القرآن الكريم معجزة وإعجاز بشهادة الملحدين به قبل المؤمنين. ويقول الله تعالى فى سورة الطور الآية ٣٤ ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ .

فالمتشابه إذا هو أمر إلهى كتبه الله تعالى أزلاً، وعليه فيكون هذا التوافق راجعاً إلى كون القائل هو واحد وهو الله عز وجل .. أما عن الذين قالوا إن نسخ القرآن أو نسخ غير القرآن هى قضية مسلمة لا جدال فيها، فنحن لا نتفق معهم ولكننا نؤمن بما جاء فى القرآن الكريم وعلى لسان المسيح عليه السلام، فى سورة آل عمران الآية ٥٠ :﴿ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَينَ يَدَىَّ مِنَ التَّورَاة ﴾ جاء هذا الحديث على لسان السيد المسيح بعد تحريف التوراة بأكثر من ٥٠٠ عام، فكيف نكون نحن من المكذبين ؟ ..

إن فى التوراة أخطاء مقصودة أراد بها أحبار اليهود تضليل أتباعهم ووهمهم بأنهم حقاً شعب الله المختار، برغم عنادهم وعصيانهم لأوامر الله عز وجل وهناك أيضا أخطاء لا نرى أنها دفعت عن سوء نية ولكن وقعت عن سوء تقدير لقداسة كلام الله الذى نقلوه فأدخلوا عليه من عندهم ما رأوا أنه تبسيطاً للعامة فجاء على غير ما قصدوا .. وفى الحالة الأولى توعدهم الله بسوء المصير وفى الحالة الثانية نجد فى القرآن الكريم تصحيحاً لها، ولم يرد فى القرآن الكريم أن التوراة نُسخت لأى من السببين .. فيقول الله تعالى للذين قالوا إن الله بعد أن فرغ من خلق العالم استراح : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (ق/٣٨). وفى هذه الحالة ينسخ النص القرآنى النص التوراتى كذلك.

وجاء فى سفر الخروج ٢٩ الآية ٤١ عن البُدن والذبائح قرباناً لله : (**رائحة سرور وقود للرب** ..) وجاء فى سورة الحج الآية ٣٧ ما ينسخ هذا المعنى **﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُم ﴾** .

ورد فى سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر أن الرب ومعه رجلان ظهر لإبراهيم عليه السلام عند مدينة - بلوطات ممرا - جاءوا لإهلاك قوم لوط، ويفهم الباحثون من النص التوراتى أن لله سبحانه وتعالى هو الذى حضر لإبراهيم: (وظهر له الرب) . وكلمة الرب تعنى معلّم أو عالم وليس بالضرورة كلمة بديلة لله سبحانه وتعالى .. وهناك حقيقة مهمة غائبة عن الباحثين يعرفها علماء اللاهوت ويخبرنا بها القرآن الكريم وسجلها المتخصصون فى علوم الأساطير، وهى: أن نوعاً من الملائكة كان يعيش بين الناس فى بعض العصور السالفة فكانوا يعلّمونهم أمور دينهم ودنياهم . وكان الناس يدعونهم - الآلهه - ولك أن ترجع إلى الإصحاح السادس من سفر التكوين الذى يذكر أن أبناء الله - أى الملائكة - اتخذوا لأنفسهم نساء من بنات الناس ؟ .. انظر كتابنا (الحقيقة المطلقة) .

وفى سورة آل عمران الآية ٨٠ يقول الله تعالى **﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُم أَن تَتَّخِذُوا المَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيينَ أَرْبَاباً ﴾** . وهذا يعنى أنه كان هناك ملائكة تعيش بين الناس وفى سورةَ الأنعامَ الآية ١٠٠ حاء ما يلى : **﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ ﴾**.. والمراد

بالجن هنا الملائكة لأنهم عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله. وسماهم جناً لأنهم مجتنون، أي يظهرون ويستترون ولا يمكن أن يعبد الناس شيئاً لا يروه؟ .

وتثبت التوراة هذا القول فى سفر الملوك الثانى، الإصحاح ١/٢١ وما بعدها، ويذكر هذا الإصحاح أن نتاسمك ابن حزقيا بنى المرتفعات التى أبادها أبوه وأقام مذابح البعل كما علّمه أخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها؟.

ويمكن أن نفهم الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين فقرة ٢٥ الخاص بمصارعة يعقوب إذا آمنا وفهمنا الآيات سالفة الذكر. فيعقوب لم ير الله وجها لوجه ولم يدخل معه سبحانه وتعالى فى مصارعة تغلب فيها يعقوب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، فالذى صارع يعقوب هو أحد هؤلاء الملائكة، فقد قال له بعد المصارعة: لا يدعى تتاسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت .. ولم يقل صارعت الله وغلبت؟ وإذا فهمنا هذا الاصحاح بالمعنى الذى تصوره الباحثون يكون الذى كتبه معتوه ولا نختلف نحن عنه إذا صدقناه !! ..

ويذكر القرآن الكريم فى سورة هود أن الذين جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام ملائكة فى صورة بشر أرسلهم الله تعالى لإهلاك قوم لوط والقصة مطابقة تماما فى التوراة والقرآن ولم يغير جوهرها بداية القصة فى التوراة «ظهور الرب لإبراهيم».. أما فى القرآن الكريم فقد بدأت القصة هكذا : ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى** ﴾ (هود/٦٩) .

والقصة كما وردت فى القرآن أفضل منها فى التوراه حيث أن فى الأولى هو وحى محفوظ وفى الثانية نقل من أصل عن طريق البشر مثل عزرا أو غيره.

ولننظر كيف أن بعض التفاصيل الدقيقة فى القصة تثبت بقاء الوحى منزل فقد جاء فى سورة هود الآية ٧١ و٧٢ : ﴿ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ** ﴾ .

وفى سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر الفقرة ١٢ : (**فضحكت سارة فى باطنها قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعُّم وسيدى قد شاخ**) **إلى القول : فى الميعاد أن إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن** ..

ومن المتشابه المطابق فى التوراة والقرآن قصة الطوفان، فقد تحدث العهد القديم عن طوفان نوح عليه السلام فى سفر التكوين ، ويرى الباحثون أن الخطأ الذى وقع فيه كاتب القصة تحديده سنة الفيضان وتأكيده أنه أغرق الدنيا برمتها وأباد الكائنات الحية بأكملها. وأن الحياة عادت من خلال نوح وذريته وثلاثة أولاد بزوجاتهم وما حملوه معهم من الحيوانات .. فالنص فى العهد البقديم حدد مدة الفيضان بأربعين يوماً وأن الماء غطى الكرة الأرضية حتى قمم الجبال.. أما النسخة الأحدث فقد أغرقت الأرض مائة وخمسين سنة، وزادت بأن حددت تاريخ الفيضان فكان سنة ١٦٥٦ بعد خلق آدم و ٩٢ سنة قبل ميلاد إبراهيم عليهما السلام .. وهذا لا يتفق مع معطيات علم الچيولوچيا الحديث ويتناقض معه بطبيعة الحال، حيث إنه لا يمكن أن تنشأ حضارات بالغة التقدم فى فترة وجيزة بعد التدمير الشامل الذى أطاح بالإنسان والكائنات جميعا.. كما أنه لا يوجد عذر مقنع للخلط فى النصوص والتدخل البشرى يبدو واضحاً كما يقول الباحثون. والذى يشفع لقصة الطوفان فى التوراة هو القرآن الكريم فالقصة وإن جاءت مطابقة إلا أنها لم تحدد تاريخاً ولا تذكر الدمار الشامل لجميع المخلوقات ، ويرجع الباحثون أن الدمار خص بلدة وقوم نوح فقط كما دمر الله مدينة وقوم لوط ومدينة وقوم عاد وثمود فليس فى أى منهما إشارة إلى فناء العالم ..

ولنا رأى آخر ، فالقراءة بإمعان فى التوراة والقرآن توحى بأن الدمار كان شاملاً أما كيف أعيدت قواعد الحضارة فى نقاط مختلفة من الأرض فى فترة وجيزة من الزمن ثلاثة قرون من نوح إلى إبراهيم عليهما السلام، فالرجاء الرجوع إلى كتبنا – (الحقيقة المطلقة) (الكون والعلم) – .

ومن التعبيرات المطابقة فى التوراة والقرآن عن قصة الطوفان ما جاء فى سورة هود الآية ٤١ : **﴿ وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسمِ الله مَجراهَا وَمُرسَاهَا إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** وجاء فى سفر التكوين الاصحاح السابع الفقرة الأولى : (**قال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك، لأنى اياك رأيت باراً لدى فى هذا الجبل**) .. وفى نفس السفر الإصحاح الثامن الفقرة الأولى (**وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه، وأنسدت ينابع النهر وطرقات السماء**) يعادلها فى سورة هود الآية ٤٤ : **﴿ وَقِيلَ يأَرضُ ابلَعِى مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقلعِى وَغِيضَ الماءُ وَقُضِىَ الأَمرُ واستَوَت عَلَى الجُودِىِ وَقِيلَ بُعداً لِلقَومِ الظَّالمِينَ ﴾** .

وانظر إلى هذا التعبير المطابق تماماً فى سفر التكوين الإصحاح الأول الفقرة الأولى : (**فى البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه**)، يقابلها الآية رقم ٧ من سورة هود، يقول الله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الذى خَلَقَ السَّمَاوات والأَرضَ فِى سِتَّة أَيَّامٍ وَكَانَ عَرشُهُ عَلى الماءِ لِيبلُوكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلاً** ﴾ (هود/٧).

ورد فى سفر التكوين الاصحاحات ٢ ، ٣ ، ٤ قصة أدم وحواء وإخراجهما من الجنة.. ويعترض الباحثون على النص التوراتى حيث جاء فى الفقرة ٨ من الإصحاح الثالث : (**وسمعا صوت الرب الاله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة**). وكان حواراً بين الرب الاله وآدم وحواء يفهم منه الباحثون أن المتحدث هو الله سبحانه وتعالى. وفى هذا الاصحاح دليل قاطع على أن الأمر ليس كذلك. فالله عز وجل يتكلم مع أنبيائه عبر رسله من الملائكة. وخبرنا الله تعالى أنه لم يتحدث مباشرةً إلا مع موسى عليه السلام. ويدل النص التوراتى على أن المتحدث إلى آدم جبريل عليه السلام، فلم تذكر كلمة - الله - فى هذا الإصحاح ولكن كلمتا - الرب الاله ، وكما ذكرنا سلفاً أن هذه الأسماء كانت تطلق على الملائكة، ودليلنا ما جاء على لسان المتحدث لآدم فى نفس الاصحاح الفقرة ٢١ : (**وصنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما**) .. ولا يمكن أن نتصور أن ينزل الله سبحانه وتعالى إلى آدم وحواء ويصنع لهما قمصانا من جلد، ولكن هذا جائز للملائكة .. وحينما يصنع الله شيئا يذكر لنا هذا فى مثل ما جاء فى سفر الخروج الإصحاح الثانى والثلاثون فقرة ١٧ : (**واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين**)، فالله يأمر والملائكة تنفذ. وكان آدم وحواء والملائكة بعضهم لبعض ظهيراً، أى معاوناً.

ونعود إلى الاصحاح الثالث من سفر التكوين الفقرة ٢٣ : (**وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها**) .

وعبارة صار كواحد منا - بصيغة الجمع - هى دليل قاطع على أن

المتحدث هو جبريل عليه السلام وضمير المتكلم في النص يبدو واضحاً أنه المَلَكُ وليس الله .. انظر سورة الأعراف الآيات ٢٠ إلى ٢٧ .. وقصة آدم عليه السلام فى جوهرها وتفاصيلها لا تختلف كثيراً فى التوراة عنهما فى القرآن.

وأما ما جاء فى سفر الخروج ٣٢ : ١ - ٩ من أن نبى الله هارون أخذ الإزميل وصنع عجلاً مسبوكاً من الذهب الذى أخذه من بنى إسرائيل فى غياب موسى فهذا تحريف من صنع الذى نقل النص وترجمة عن الأصل لشيء فى نفسه يعلمه الله، ولقد أماط القرآن اللثام عن حقيقة النص فى قوله تعالى : ﴿**فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى** ﴾ .. انظر سورة الاعراف الآيات (١٤٨ إلى ١٥٢).

وما نقرأ فى التوراة من تفاصيل وتعبيرات الإهية مطابقة لما فى القرآن تؤكد أن الوحى الالهى ما زال بقياً برغم التحريف والتبديل. ونعطى هنا بعض الأمثلة يقول الله تعالى فى سورة البقرة الآية ٣١ : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأسمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى المَلائكَة فَقَالَ أنبئُونى بأسمَاء هؤلاَء إن كُنتُم صَادقينَ** ﴾ وفى سفر التكوين الإصحاح الثانى فقرة ٢٠ : (**وكلَ ما دعَا به آدم ذات نَفس حية فهو اسمها**) .

يقول الله تعالى فى سورة النساء الآية ١٢٥ : ﴿ **وَاتَّخَذَ اللهُ إبرَاهيمَ خَليلاً**﴾ .. وجاء فى أشعيا الاصحاح ٤١ فقرة ٨ : (**وأما أنت يا إسرائيلَ عبدَى يا يعقوب الذى اخترته نسل إبراهيم خليلى**).

وفى سورة الأنبياء الآية ١٠٥ يقول الله تعالى : ﴿**وَلَقَد كَتَبنَا فِى الزَّبُورِ من بَعد الذكر أنَّ الأرضَ يَرثُهَا عبَادى الصَّالحُونَ** ﴾ (أى التـوراة) إن الأرض - أرضَ الجَنة أو الأرض المقدسة حينَ يقول الرسول ﷺ من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيتَ المقدس، يرثها عامة المؤمنين والصالحون. وجاء فى المزمور ٣٧ : ٣٩ (**الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد**).

يقول الله تعالى فى سورة الأعراف الآية ٤٠ : ﴿ **إنَّ الذينَ كَذَّبُوا بآيَاتنَا واستكبرُوا عنَها لا تُفتَّحُ لهم أبوَابُ السَّماَءِ ولاَ يَدخلُونَ الجنَّةَ حتَّى يَلِجَ الجَملُ فِى سَمِ الخيَاط** ﴾ وجاء فى أناجيل متى ومرقس ولوقا عن السيد المسيح قوله:

(وأقول لكم أيضا أن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله) لوقا ١٨ : ٢٥ .

وعلى هذا يكون هذا التوافق راجعاً إلى كون قائل هذا الكلام واحد وهو الله عز وجل فالقرآن جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل ومصححاً لما اعتراها من تبديل وتغيير فهى ليست أصلاً له ولا هو فرع عنها كما يزعم المتسترون على الحق الذى جاء فى القرآن، إنهم يقولون إن بعض آياته مقتبسة من التوراة ؟!..

وللذين يقولون أن التوراة نسخت بالقرآن أردنا أن نبين لهم أن كلام الله عز وجل ما زال موجوداً فيها ولم يذكر لنا القرآن أنه جاءنا ناسخاً، ولكنه جاء مهيمنا ومصدقاً، بمعنى أنه جاء مبينا لنا وقوع التحريف ليكون المرجع الذى نرجع إليه لنستشهد بالحق على الباطل .. وللك أن تقرأ قصص الأنبياء والكم الهائل من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأوامر التوحيد وعدم الشرك بالله بطول الكتاب المقدس وعرضه ليدعوك إلى السعى الجاد لاقتلاع الباطل الذى دخل عليه.. فكل ما جاء فى الكتاب المقدس من قصص الأنبياء والدعوة إلى وحدانية الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة مطابق لقول الله عز وجل فى القرآن الكريم فهو حسَنٌ نأخذ به..

وما يشتمل عليه من قصص الجنس الفاحشة وزنا المحارم وعبارات الغزل والرذيلة التى دسّت بين دفتى الكتاب المقدس فواجب على كل مؤمن يهوديٍ أو مسيحيٍ أو مسلمٍ أن يعمل على إزالتها منه .

ولا يحق لأحد أن يتلاعب ويراوغ بالألفاظ والكلمات ليثبت أن كل ما فى الكتاب المقدس وحى من الله .

كما يجب القول بإنه – إذا اختلطت التوراة بغيرها سقط الاحتجاج بها – كما قال الامام القرافى، فالله عزل وجل يقول لأهل الكتاب فى سورة المائدة الآية ٦٨ : **﴿ قُل يأهلَ الكتَابِ لَستُم عَلَى شىءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورَاةَ والإنجيلَ وَمَا أُنزِلَ إليكُم من رَّبِكُم ﴾** .

إننا نشهد بأن الله تبارك وتعالى حفظ القرآن الكريم من التحريف والتزييف، حفظه وأجزل من كل صيان حظه فصانه بنظمه الذى لا يقدر الجن والإنس على آية منه، فلا يختلط به كلام متكلم ولا يقبل وهم متوهم إذ ليس من جنس

كلام البشر، حفظه من التناقض والاختلاف لا يوجد مثيل لأعجازه ونشهد بأن الدين الاسلامى أكمل مما سبقه من الأديان فقد جاء بتعاليم سامية عجز عن مثلها الحكماء والمصلحون، وأنه خير الملل والأديان حيث إنه الدين القيّم جاء بأخر الرسالات السماوية، فلله الحمد على ما أولى والشكر له على نعمه التى لا تحصى.

ونشهد بأن ديننا الحنيف جاء مصححاً لما قبله من الديانات ولم يجئ ناسخاً لها، ولم يأمرنا بتكفير من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من أى ملة .

أما الويل والثبور وعظائم الأمور التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم فهى للذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وسعوا فى الأرض فساداً، فى مثل قوله تعالى فى سورة التوبة الآية ٢٩ : **﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِاليَومِ الأَخِرِ وَلاَ يُحَرِمُونَ مَا حَرَمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَبَ حَتَّى يُعطُواْ الجِزيَةَ عَن يَدٍ وَهُم صَاغِرُونَ﴾**.

ولك أن تنظر عزيزى القارئ كيف يفرق الله بين الكافر والمشرك وأهل الكتاب. وكيف أنه عز وجل سوف يحكم بينهم يوم القيامة الآيات التالية :

البقرة : ١٣٤ - ١٤١ - ١١٣ - ١٠٥ - ٢١٣ - ٦٢ - ٨٦ - ٨٢ - ١٠٩ - ١٣٩ - ٤١ - ٢٦٤.

آل عمران : ٥٥ - ١١٣ - ١١٤ - ١٩٩ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٦١.

النساء : ١٦٠ إلى ١٦٢ - ١١٦ - ١١٧ - ٩٤ - ٤٧ - ١٢٣ - ١٢٣ - ١٧١ .

المائدة : ٥ - ١٠ - ١٣ - ١٤ - ٤٥ - ٤٤ - ٤٨ - ٦٩ إلى ٨٦ - ١١٦ إلى ١٢٠ - ١٦ - ٥١ - ٧٢ .

السجدة : ٢٣ - ٢٥.

الأنعام : ١٥٩ - ١٠٧ - ٩١ - ٩٢ .

مريم : ٨٥ إلى ٩٦ .

الحج : ١٧ - ٦٧ إلى ٦٨ .

العنكبوت : ٤٦ - ٥٢.

يونس : ٤٧ - ٩٩ - ١٠٩ - ١٩.

النحل : ٩٣ .

الشورى : ١٠ - ١٥.
الجاثية : ٢١ - ٢٢ - ٢٨.
الأحقاف : ١٣ - ١٤ .
الحديد : ٢٧ .
الأنبياء : ٩٤ .
الأعراف : ٥٠ - ٥١.
التوبة : ٢٩ إلى ٣٥ .
هود : ١٩ إلى ٢٢ .
الممتحنة : ٧ إلى ٩ .
الكهف : ١ إلى ٨.
الملك : ١ - ٢.
الرعد : ٥ إلى آخرها.
سبأ : ٣ إلى ٨ - ٣٣.
النحل : كلها.
النمل : كلها.
البينة : كلها.

(البعثة المحمدية فى الكتاب المقدس والديانات القديمة)

لقد حاولنا فى ما سبق ذكره أن نكون منصفين لأهل الكتاب وللكتاب المقدس نفسه، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان هدفنا الأساسى هو عدم الوقوع فى شباك الكفر التى نسجها لنا المتسترون على الحقائق المذكورة فى كتابهم المقدس، فكما أنكر اليهود بعثة السيد المسيح أنكر أهل الكتاب من يهود ومسيحيين التنبؤات بالبعثة المحمدية المذكورة فى مواضع كثيرة من التوراة والأنجيل، وحولوا مجرى الاختلافات الايديولوچية إلى أحقاد ضد العقائد الدينية. فكان هدفنا أن نحذر الاستدراج إلى موطن الصراع التى يدبرها الأعداء من خلال إثارة العواطف الدينية بحجة أنهم المختارون، أو المختصون من دون الناس جميعاً بما لم يخص به غيرهم ويشعرونهم بأفضليتهم وبالاستعلاء عليهم.. ورد الفعل

الطبيعي لهذا السلوك هو الرد عليهم بالمثل فنستعلى عليهم وتنكر دينهم وكتابهم المقدس ونكفرهم فيقع الكفر علينا ونتساوى جميعاً فيما يكره الله عز وجل كما جاء فى الأثر ..

ونحن على يقين من أن كثيراً من علمائهم يعلمون الحقائق التى جاءت فى كتابهم وكتابنا وديننا الحنيف، ولكنهم يتسترون عليها خوفا على بضاعتهم أن تبور، وأن ينهار الستار الحديدى الذى فرضوه على أتباعهم ضد الإسلام .. وكان خيراً لهم أن يعترفوا بديننا ويحتفظوا بدينهم كما نفعل نحن المسملين فالدين لله والإيمان للجميع ..

ولكن الذى حدث أنهم كفروا بديننا فكفرنا بدينهم، فحُقَّ على الجميع غضب الله. وإن لم يكن ما يحدث فى دنيانا غضب من الله، فكيف نفسر تداعى الأمم علينا وهواننا وقلة حيلتنا بين خلق الله؟

وكيف نفسر تعدد أحزابهم واختلاف معتقداتهم وضعف إيمانهم؟ .. أنه ولا شك الغضب الذى لا ينزل إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة..

وإذا كان التعصب الأعمى هو الذى منعهم من إظهار الحق الذى جاء فى التوراة عن البعثة المحمدية، فماذا عمّا جاء في الديانات القديمة عنها وأظهره المستشرقون والباحثون فى شئون الأديان ؟ ..

وإذا كان الإخباريون المسلمون والمؤرخون المتحمسون لدينهم هم الذين وضعوا البشارات والإرهاصات فى أخبارهم وتاريخهم، فمن الذى جعل - زرادشت - يوصى قومه بأن يستمسكوا بما جاءهم به إلى أن يأتى صاحب الجمل الأحمر من بلاد العرب؟ ..

لقد جاء فى الموسوعة البريطانية عن - زرادست - Zarathustra - أو كما يعرف فى اللغة اليونانية بـ Zoroaster - أنه نبى فارسى ولد فى حوالى عام ٦٠٠ قبل الميلاد وديانته وكتبه هى البراهمية .. ما يعرف عن تاريخه قليل جداً.. يوجد خمس قصائد - Poems - مؤكد أنها له .

أقام دعوته وتعاليم ديانته على الإيمان بأله واحد Ahura Mazda - والإيمان بالملائكة واليوم الآخر - يوم الحساب - وترك تعدد الآلهة ويقول زرادشت: إنه جاء بدعوته لأحياء عقيدة التوحيد القديمة التى حرفت -

البراهمية – .. وظلت هذه الديانة قائمة حتى القرن السابع الميلادى، فقد اعترف الملك Darius – فى عصر زرادشت وأمر رعاياه بترك عبادة الأصنام وإقامة ديانة التوحيد .. وأمر خليفة الملك داريوس وهو الملك – زركسس Xerxes – أن يعتنق الرعايا جميعاً عقيدة زرادشت التوحيدية، وظلوا عليها حتى جاء الفتح الإسلامى عام ٦٣٦ ميلادية.

وفى كتاب – محمد صلى الله عليه وسلم فى الأسفار الدينية العالمية – للأستاذ عبدالحق قديارى – لم يقف فيه عند التوراة والأناجيل التى قضتا بالبشارات بالنبى الأمى الذى سيبعث من الأمم – وليس من بنى إسرائيل – لم يقف عندها فقط بل عم البحث فى كتب فارس والهند وبابل القديمة وكانت له فى بعض أقواله توفيقات تضارع أقوى ما ورد من نظائرها فى شواهد المتدينين كافة .. ويقول الأستاذ عباس العقاد فى كتابه – مطلع النور : ولا نذكر أننا أطلعنا على شاهد أقوى منها فى روايات الأقدمين أو المحدثين من أتباع الديانات الأولى أو الديانات الكتابية .. يقول الإستاذ عبدالحق :

إن اسم الرسول العربى – أحمد – مكتوب بلفظه العربى فى الساماڤيدا Sama Vida – من كتب البراهمة. وقد ورد فى الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثانى ونصها أن – أحمد – تلقى الشريعة من ربه وهى مملوءة بالحكمة، وقد قبست منه النور كما يقبس النور من الشمس.. ووصف الكعبة المعظمة ثابت فى كتاب الاثارڤاڤيدا – Atharva Vida – حيث يسميها الكتاب – بيت الملائكة – ويذكر من أوصافه، ذا جوانب ثمانية وذا أبواب تسعة .. والمؤلف يفسر الأبواب التسعة بالأبواب المؤدية إلى الكعبة وهى : باب إبراهيم، وباب الوداع، وباب الصفا، وباب على، وباب عباس ، وباب النبى، وباب السلام، وباب الزيارة، وباب الحرم ..

وفى مواضع كثيرة من الكتب البراهمية يرى المؤلف أن النبى محمد ﷺ مذكور بوصفه الذى يعنى أحمد الكثير السمعة البعيدة، ومن أسمائه الوصفية أسم – سشراڤا Sushrava – الذى ورد فى كتاب الاثارڤاڤيدا حيى يشار إلى حرب أهل مكة وهزيمة – العشرين والستين ألفاً مع تسعة وتسعين – وهم على تقدير المؤلف عدة أهل مكة وزعماء القبائل الكبار ووكلائهم الصغار، كما كانوا يوم قاتلوا النبى ﷺ .

ويزيد الأستاذ عبدالحق على ذلك ما جاء بكتب زرادشت التى اشهرت باسم - كتب المجوسية - فاستخرج من كتاب زندافستا Zend Avestz - نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين - Soeshyant - سوشيانت، ويتصدى له عدو يسمى أبا لهب Angra Mainrya - ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفواً أحد - هيج جينريا ونمار - وليس له أول ولا آخر ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا أبن ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة - (جزاحازوا نجام وانبار ودسمن وما ننذ ديار وبدر ومادر وزن وفرزند وحاى سو ونن اساوتنانى ورنك وبوى لست) ..

وهذه هى الصفات التى يوصف بها الله فى الإسلام - (الاخلاص) - ويشفع ذلك بمقتبسات كثيرة من كتب الزرادشتية تنبئ عن دعوة الحق التى يجئ بها النبى الموعود.. وينقل الأستاذ عبدالحق من هذه الكتب أن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل فى بلاد العرب يهزم أتباع فارس ويخضع الفرس المتكربين . وبعد عبدة النار فى هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التى تظهر من الأصنام .

ويومئذ صبحون وهم أتباع للنبى الرحمة للعاملين وسادة لفارس، ومديان وطوخ وبلخ. وهى الأماكن المقدسة للزرادشتيين، وأن نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات .

وكما ترى أيها القارئ العزيز أن هذه النبوءات لا يمكن أن تكون قد أتت من خواء وبمجرد الصدف فى كتب زرادشت ولكنه التحريف الذى شمل كل كتب الديانات القديمة وأفسدها ..

ولنظهر هنا عبث العابثين فى تلك الكتب ونشير إلى قصة طوفان نوح عليه السلام والتى جاءت مطابقة فى التوراة والقرآن جاءت فى كتابهم - ساتا بانا برهمانا - وكأنها قصة مقدمة لأطفال فى الروضة ! علماً بأن كل الشواهد فى هذه القصة الهندية تربطها مع السامية ..

وفى هذه القصة البرهمانية يقوم - مانو - بدور سيدنا نوح ومانو اسم نال التقديس والاحترام فى آداب الثقافة الوثنية فهو أبن الإله ومصدر جميع الناس وجدهم الأسطورى ..

وخلاصة القصة: أنه بينما كان مانو يغسل يديه إذ جاءت فى يده سمكة ومما أدهشه أن السمكة كلمته وطلبت إنقاذها من الهلاك ووعدته جزاء له أنها ستنقذ مانو فى المستقبل من خطر عظيم هو الطوفان الذى سيجرف جميع المخلوقات .. على ذلك حفظ مانو السمكة في – المرتبان – فلما كبرت أخبرت ما نوع السنة التى سيأتى فيها الطوفان، ثم أشارت عليه أن يصنع سفينة كبيرة ويدخل فى السفينة، وكبرت السمكة من سعة المرتبان لذلك ألقاها فى البحر..

ثم جاء الطوفان كما أنبأت السمكة وحين دخل مانو السفينة عامت السمكة إليه فربط السفينة، بقرن على رأسها فجّرتها إلى الجبال الشمالية، وهنا ربط مانو السفينة بشجرة، وعندما تراجع الماء وخف بقى ماء بوحدته.. ثم بعد هذا تمنى مانو الخلف، فانهمك فى العبادة والمجاهدة. وتنتهى القصة بأن ينتج مانو ذرية بعد تقديم طقوس القربان لنيل القوة الخارقة لإيجاد خلق جديد..

هكذا تتحول قصة الطوفان بمغزاها ومعانيها البعيدة، والسبب من تحويلها إلى قصة تصلح لكتاب أطفال فى الروضة لتعلمهم، أن مانو ابن الاله، وأن البشرية بدأت به ومنه بعد الطوفان ؟! ..

وهكذا تحولت الديانة البرهمية أقدم الرسالات السماوية التى ظهرت فى الهند إلى وثنية تؤلّه البشر ، وتشرك بالله ما لم ينزّل به من سلطان، حوّل الانحراف الكهنوتى تلك الرسالة السماوية إلى عبادة أصنام ووثنية وأزلهم شيطانهم، فساروا خلف كل بدعة زينها لهم فشتتهم فكثرت الشيع وكثر أتباع كل شيعة. وفقد البراهمة روح ديانتهم وانجرفوا انجرافاً مع التيار حتى وصلوا إلى أخطر مراحل الوثنية .

ونعود إلى الكتاب المقدس الذى يفيض بنبوءات البعثة المحمدية ونذكر الآتى : جاء فى سفر التكوين الاصحاح السابع عشر فقرة ٢١ : (**وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. أثنى عشر رئيسا بلد وأجعله أمة كبيرة**) ..

وجاء فى سفر التثنية إصحاح ١٨ فقرات ١٦ و ١٩ و ٢٠ : (**يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من أخوتك مثلى. له يسمعون**) إلى القول : (**أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما**

أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع كلامى الذى يتكلم به بأسمى أنا، أطالبه) .

وقد بشر داود عليه السلام فى المزمور الخامس والأربعين، والعاشر بعد المئة والتاسع والأربعين بعد المئة. واشعيا فى الإصحاحات ٨، ٩ إلى ٦٥ - ودنيال فى إصحاح ٢، ٧ ، وحبقوق أصحاح ٣، وحجى فى الإصحاح الثانى، وزكريا فى الإصحاح الثالث، وملاخى فى الإصحاح الثالث. يوجد بها جميع بشارات بالبعثة المحمدية ..

كذلك كان السيد المسيح يعبر عن المبشر به بلفظ - النبى - وبلفظ -مسيا - وبلفظ فار قليط - وهو تعريف لفظ - بيريكلتوس - اليونانية ومعناها الذى له - حمد - كثير، كما عبر عنه بعض الكتب بلفظ إيلياء ..

وقد جاء على لسان السيد المسيح فى القرآن الكريم ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾ (الصف/٦) .. هذه هى البشارة التى جاء بها السيد المسيح باقتراب ملكوت السماوات، والمراد بذلك الشريعة الإلهية التى يرسل الله تعالى بها النبى الأمى. (قصص الانبياء) - عبدالوهاب النجار .

وقد أفاض فى هذا الموضوع الدكتور موريس بوكاى - فى كتابه التوراة والإنجيل والقرآن .

ويقول - وول ديورانت - فى الجزء الثانى من المجلد الرابع من قصة الحضارة تحت عنوان - عصر الايمان - وهو يتحدث عن النبى أحمد ﷺ فى مكة من الفترة ما بين ٥٦٩ إلى ٦٢٢ - من مولد المسيح :

لقد كان محمد ﷺ من أسرة كريمة ممتازة، إلى قوله ولفظ حمد مشتق من الحمد، وهو مبالغة فيه كأنه حمد مرة بعد مرة، ويمكن أن نطبق عليه بعض فقرات منَ التوراة التى بشرت به.. هذا قول ديورانت الذى قال عن نفسه «أنا عاشق لعاشق الحكمة».

ونتساءل هنا هل تشفع هذه التنبوءات بالبعثة المحمدية فى التوراة عند الذين يقولون بأنها فقدت أو نسخت بالقرآن وكذلك الأناجيل؟ ..

ونفس السؤال موجّه إلى الذين يشككون فى ديننا وكتابنا فى حركتهم

التبشرية ونقول، هل عَميَتْ عليهم هذه التنبوءات فى كتابهم وفى كتب سماوية غير كتابهم ، أم يتجاهلونها عن قصد ولا يخافون حساب الله وعقابه؟ ..

إن الشئ العجيب الغريب فى موضوع مقارنة الأديان هو استشهاد أهل الكتاب بالقرآن بحجة أنهم يبرهنون للمسلمين على صدق كتابهم وعدم تحريفه، وهم فى واقع الأمر لا يؤمنون به ولا بالرسالة المحمدية عموماً..

ويستشهد المسلمون بالتوراة والأناجيل ويستدلون منها على صدق ما يقولون وتراهم تارة أخرى يقولون : إن ما أصاب هذه الكتب من تبديل وتحريف يبطلها وأن الإسلام ناسخ لما سبقه من الأديان .. وعلى هذا يكون البحث فى التوراة والاناجيل من قِبل المسلمين والقرآن من قبل أهل الكتاب مغالطة بينة من الفريقين لأن المَستشهد بشئ على شئ لابد أن يكون مصدقاً به. وإلا – بداهة – يكون المدلل عليه باطلاً وكاذباً، هذه مغالطة لا تصدر إلا عن جاهل متفيقه أو عالم متعصب.

إننا نعتقد اعتقاداً جازماً، بأن الله عَز وجل قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وأنزل الإنجيل على عيسى سلام الله عليه. وأن هذين الكتابين قد أصابهما بعض التحريف والتبديل، وخلط بعض الحق بالباطل، وبعض الهدى بالضلال، والقاعدة التى يجب أن تتبع فى هذا الصدد وفى تميز الخبيث من الطيب والغث من السمين، هو القرآن الكريم فما وافقه أخذنا به وما خالفه أعرضنا عنه وما سكت عنه توقفنا فيه فلم نكذبه ولا نصدقه على أن نفهم ما جاء فى القرآن فهماً صحيحاً كما أراده الله عز وجل وليس تبعاً لأهوائنا.

إن الزعم بأن العهدين القديم والجديد ليس فيهما شئ مما أنزل الله هى مغالاة يأباها العقل السليم والنقل الصحيح، لأن العقل يقضى بأن يشوب التحريف الأصل ولا يذوب الأصل فى ما أدخل عليه، وأدرج فيه، لكن تبقى قرائن قوية تدل على أصالة الأصيل وعلى الفرق بينه وبين الدخيل ولا سيما إذا كان هذا الأصيل الذى حرفه أصحابه أو نسوا شيئاً منه هو كتاب الله تعالى أنزله على نبى من أنبيائه ..

وقد قال الله تعالى عن اليهود فى سورة النساء ٤٦ : ﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** ﴾ وفى سورة البقرة ١٤٦ : ﴿ **وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُم**

لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعلَمُونَ ﴾ .. أما النصارى فقد نسوا بعض ما أنزل الله على عيسى عليه السلام فلم يصفهم بالمحرفين لكلام الله فى قوله تعالى فى سورة المائدة ١٤ **﴿ وَمِنَ الَّذينَ قَالُواْ إنَّا نَصَارَى أخذنَا ميثَاقَهُم فَنَسُوا حَظًّا ممَّا ذُكِّرُوا به ﴾**.. فعن اليهود قال تعالى أن فريقا منهم يكتمون الحق وهذا يعنى أن فريقا آخر لا يكتمونه.. وعن النصارى لم يذكر لنا القرآن أن كتابهم فقد فمن أين جاء الباحثون بقولهم ؟ ..

إن القرآن الكريم وهو أصح منقول فى الدنيا، لم يخبرنا أن أى من الفريقين قد محا كتابه بالكلية وألف كتاباً أخر أدعى أنه من عند الله.. ومن أبرز الدلائل وأوضحها على صحة ما نقول : أن اليهود لما نفوا اشتمال التوراة على رجم الزانية والزاني عند النبى ﷺ قال لهم ﷺ ممتثلا أمر الله تعالى **﴿ فَأتُواْ بِالتَّوراةِ فَاتلُوهَا إن كُنتُم صَادقِينَ ﴾** .(آل عمران /٩٣).

فلما أتوا بها وجدوا آية الرجم فيها فأمر النبى ﷺ بتنفيذ حكم التوراة كما جاء عن ذلك مفصلا فى صحيح البخارى .

ونص آية الرجم فى التوراة توجد فى الإصحاح ٢٢ الفقرة ٢٣ من سفر التثنية، وهذه القصة إن دلت على شئ فهى تدل على أن التوراة لا تخلو من الاشتمال على نصوص صحيحة وإن كان يجب الأخذ بها لأخبرنا سيدنا رسول الله ﷺ .. فلا وجه إذاً للقول بخلو العهدين القديم والجديد مما أنزل الله تعالى ..

ونحن لا ندعو بما سبق ذكره إلى صب كل الأديان والمذاهب والشرائع فيما قد أسماه – روچيه جارودى – بالابراهمية – فهو القائل : إن المسلمين مأمورون فى القرآن بالرجوع إلى التوراة والانجيل، وهذا ليس صحيحاً لأن الاسلام يقرر أن الدين واحد والشرائع متعددة. وحتى ما بقى فى الشريعة الإسلامية من شرائع من قبلنا أخذناه من رسولنا ﷺ وليس بالرجوع إلى التوراة والانجيل.. فالتعددية مبدأ إسلامى، كما أن التعايش مع الفرقاء مبدأ إسلامى .. الإيمان بالكتاب المقدس ؟ نعم ، أما شرائعه فلأصحابه، لهم دينهم ولنا دين .. ويظل ديننا دين دعوة، فالإسلام رسالة عالمية للبشرية كافة تناسب كل إنسان فى كل زمان ومكان. وقديماً قال – طاغور «من يحمل مصباحه خلف ظهره لن يرى غير ظله»

والإسلام هو المصباح الذى ينير السبل ويهدى إلى صحيح الايمان. ونحن لا ننكرهم كما أنكرنا اليهود ووقفوا إلى جانب الوثنيين في المدينة وقال الله عز وجل فيهم :﴿ أَلَمْ تَرَ الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هؤلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً ﴾ . (النساء/ ٥١)

هكذا رأى اليهود أن المشركين الوثنيين اهدى من المسلمين ؟! .. التواءٌ يأباه الفكر السليم.. والحق الذى يجب أن يعرفه أهل الكتاب هو، أن الإسلام يعنى الخضوع اللاإرادى والحر لله الواحد، وهو القاسم المشترك الاعظم فى كل الديانات المساوية : اليهودية والمسيحية والإسلام ولا نجعل من كلمة «إسلام» حق يراد بها باطل، أى ذريعة لغرض ووأد الديانات الأخرى والتستر على التعددية الدينية التى سمح بها الإسلام، ونفعل ما فعله أهل الكتاب معنا، فقد كان اليهود يسمون سائر الشعوب - الأميين - مع أن هذه الشعوب كانت تعرف القراءة والكتابة لأنهم رأوا أن لديهم - دون غيرهم - كتاباً يؤمنون بأن ما فيه هو العلم ويسيرون فى شئون حياتهم بمقتضاه ويعتقدون أنهم هم وحدهم الذين يملكون العلم وكل من عاداهم - أميون - ليس لديهم علم ولا كتاب، ولا يزال هذا اعتقادهم إلى اليوم، فلا يرون غير ظلهم، مثل أصحاب كهف أفلاطون تلك المجموعة من البشر الذين كانوا يعيشون فى كهف لا يرون غير ما تعكس الشمس أمامهم حتى تحللوا من قيودهم وخرجوا من الكهف ورأوا النور .

وتذكرنا هذه القصة بحديث الرسول ﷺ الذى يقول : الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا ..

كذلك نذكر أنفسنا بذلك الحديث القيم للرسول ﷺ الذى يقول : «أيها الناس، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعو الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم، إن الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عمهم البلاء» .

فهل آن لنا جميعاً أن نخرج من الكهف ونرى النور ونستغفر ربنا ونتوب إليه ولا يكفر بعضنا بعضا عسى أن يرفع الله عنا البلاء ؟ ..

يقول الشاعر العظيم طاغور : ابحث فى الناس عن مزاياهم وأبحث فى

نفسك عن عيوبك تكن أحكم الناس.. ويقول السيد المسيح : **لا تدينوا لكى لا تدانوا إلى قوله : وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم . ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك. وأما الخشية التى فى عينك فلا تفطن لها** .. متى ٧ : ٤ .. ويقول الله تعالى فى سورة النمل ٧٦ إلى ٧٨ ﴿ **إِنَّ هذَا القُرأنَ يَقُصُّ عَلَى بَنى إِسرَائِيلَ أَكثَرَ الَّذى هُم فيه يَختَلفُونَ، وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ، إِنَّ ربَّكَ يَقضِى بَينَهُم بِحُكمِه وَهُوَ العَزِيزُ العَليمُ** ﴾ .

(الإسلام والأفق اللانهائى للعقل)

(أول ما خلق الله العقل. فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر. ثم قال الله عز وجل : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم علىّ منك، بك آخـذ وبك أعطى ، وبك أثيب، وبك أعـاقب) حديث قدسى ذكره الامام الغزالى ..

إن العقل أساس كل إنجاز وتقدم وحضارة ، ونستعمل العقل فى الاستدلال، الاستدلال على كل أمور الحياة وفيه تكمن أهم قدرات الإنسان وأثمن ممتلكاته وبه يمتاز عن غيره من الكائنات، والتى إن امتلكت قوة الإدراك قد لا تملك إرادة الاختيار، والعقل هو أعدل الأشياء قسمه بين الناس وأكثر ما حث عليه الدين الحنيف وأكثر ما شدد به فى معرض التفريق بين الحق والباطل، ومن أجل ذلك فإن تعطيل العقل عن أداء وظيفته يعد فى نظر الإسلام ذنباً من الذنوب التى يمكن أن تلقى بصاحبها إلى النار يوم القيامة، حيث إن العقل هو المصدر الأول للمعرفة والوصول به إلى الحقيقة الكبرى التى هى مصدر كل الحقائق الجزئية.

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالى : **إن شرف العلم من قبل العقل، والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه. والعلم يجرى منه مجرى النور من الشمس.**

ويقول الرازى – ٣١٣ هـ – فى مفتتح كتابه (الطب الروحانى) : **إن العقل إذا صفا أضاء لنا غاية إضاءته.**

لقد بنى الإسلام سنته على العقل الإنسانى لا يوجد فيه من يحول دون الفكر فيمنعه من البحث الحر لمعرفة حقيقة جديدة، فليس فى الإسلام هذه

السلطة أو الطبقة الدينية المعصومة والتى تحتكر تفسير الحقيقة السماوية.. إن العوامل التى أسهمت فى نجاح الإسلام وانتشاره كان جهداً إنسانياً عقلياً قاده الرسول ﷺ بنفسه مع صحابته وفق السنن الإلهية التى تسير على وتيرة واحدة، فلم يفرضه الله على الإنسان فرضاً مثل جبرية وجوده ومصيره، فلو فرض جبرياً لما اختلف الناس حوله. ولقد خاطب القرآن العقل بهدف تأسيس اليقين فى المعرفة وبناء اليقين فى الاعتقاد، ونبه على أن لا يقبل المرء فى عقله أموراً ليس عليها دليل، وأن لا يؤسس حكماً أو يبنى أعتقاداً على الظن أو تبعاً للهوى الشخصى ولا يدعى علم ما لا يعلم، فلا يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور وفى هذا الصدد يقول سقراط الحكيم :

إن أسوأ ما يصيب الإنسان هو الجهل، الذى يحمله على أن يتوهم أنه يعلم ما لا يعلم ..

ولكن الحياة لا يضيئها نور العقل وحده، إنما إشراقها ووهجها هما فى نور الرسالة والوحى والكتاب المنزل من الله. فالإنسان لا يمكن أن يشعر بالإيمان وهو مكبل بقيود العقل وحده، لأنه جسد وروح والإيمان نور الروح والإيمان الخالص بالله يأتى فى مقدمة التفكير والتنقيب عن سر الظواهر التى نعمد إلى دراستها، وهذا الإيمان بمثابة القوة الرابعة لملكات الإبداع والابتكار وبه يكون العقل أقدر على كشف الحقائق وأكثر تهيؤاً لاستقبالها وفى كنفه نكشف أمام القدرات الادراكية أفاقاً جديدة لم تكن فى الحسبان، ويماط اللثام بإذن الله عن الاسرار الكافية من العلم الإلهى الشامل وذلك مصداقا لقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة /٢٨٢) .

وقول عز وجل ﴿ وَقُلِ الحَمْدُ لله سَيُرِيكُم آيَاتِه فَتَعرِفُونَهَا ﴾ (النمل/٩٣). وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ سَنُرِيهِم إيَاتِنَا فِى الأَفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّـهُ الحَقُ ﴾ (فصلت/ ٥٣).

وهذا منهج إيمانى عقلانى فى آن واحد لأولى الألباب، يستقبله الإنسان بعقله وحواسه وحدسه وإرادته وبصيرته وبقلبه وغير ذلك . القدرات الادراكية لتحصيل المعرفة وإدراكها. ذلك أن العلم لا يدرك كله بتدوين النتائج التى تسفر عنها الملاحظات والتجارب بصورة تراكمية، كما يعتقد البعض فهناك كما يقول

الإمام ابن تيمية والعالم ابن خلدون : «أن جزءاً طبعياً من العلم يُتَلَقَّى من الله.. وقد كان الشيخ الرئيس ابن سينا يقول : كنت كلما تحيرت فى مسألة ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكون حتى يفتح الله لى المنغلق وييسر المتعسر ..

إذاً فالعلم والعقل نتيجة الإيمان الخالص الذى يثمر الخشية والتواصل ما الله رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ وَليعلَمَ الذينَ أوتوا العلمَ أنَّهُ الحَقُّ من رَّبك فيؤمنوا به فتخبتَ له قُلُوبُهُم وإنَّ الله لَهَادِ الَّذين آمَنوا إلى صراطٍ مُّستقيم ﴾ .. (الحج /٥٤).

فالباحث المؤمن أقدر من غيره مع الإفادة من القدرات الإدراكية فى الاهتداء إلى الحقائق والأسرار الكافية فى ظواهر الكون والحياة، فعلمه عند الله ينزله فى قلبه مصدقاً لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَم يَسيروا فى الأرضِ فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلون بها ﴾ (الحج /٤٦).

كما وصف الله تعالى الغافلين عن آياته وتقديرها بقوله : ﴿ لَهُم قُلُوبٌ لا يَفقَهُونَ بها ولَهُم أعينٌ لا يُبصرونَ بها ولَهُم آذانٌ لا يَسمَعُونَ بها أُولَئكَ كالأنعام بَل هُم أضلُّ أُولَئكَ هُمُ الغافلونَ ﴾ (الاعراف /١٧٩) . ولهذا فإن الدعوة القرآنية إلى تأمل الكون تعود على القلب بصفته أحد أدوات الإدراك المعرفى، كما أن رأى الفقهاء قد وافق على هذه الدعوة عندما قالوا لمن التبس عليه الصواب فى أمر من الأمور – أستفت قلبك – الحديث.

لقد أنعم الله عزل وجل على المؤمن بالمقدرة التى تعينه على تعرُّف بواطن الأمور من ظاهرها. وقد نبه إلى ذلك نبينا الهادى ﷺ فى قوله : أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. وبهذه النعمة الإلهية العظيمة وبهذه الفراسة التى وهبها الله عز وجل له، يستطيع المؤمن أن يصل إلى الحكم الصائب على ما يتلقى من معلومات، بعد أن يتسلح بالعلم والمعرفة الكاملة بما ورد فى أمهات الكتب، وأن يعلم كافة الآراء فى المسألة الواحدة، لأن الذى يأخذ بالرأى الواحد ويعدُّه شرعاً ولا يعلم شيئاً عن الرأى الآخر فإن نُصْحَه وآراءه تتصادم مع الواقع وتكون قاصرة عن الحقيقة .. وقد قالوا قديما : من كان أستاذه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه !! ..

إذاً لا تجعل غرضك الأساسى من النظر فى كتابات العلماء، الوقوف عند ما ذكر فى كتاباتهم وتحصيل المعانى التى قصدوها، إن هذه القاعدة المنهجية تعرف لدى العلماء والمفكرين بقاعدة سلطة الكتابات القديمة، وقد كان العلامة الحسن بن الهيثم أول من قدم صياغة واضحة لهذه القاعدة فقد احتفظ ابن الهيثم لنفسه بموقف المتلقى السلبى الذى يطالع ويحلل ويكتشف مواضع الأخطاء والغموض والتناقضات والاتساق مما جعله يصحح ويضيف ويبتكر وينظر لخبرة جديدة قوامها التوصُّل إلى إظهار الحقيق.

وربما كان ابن رشد وهو فى طليعة رواد المذهب العقلى فى الإسلام من أكثر الفلاسفة حرصاً على النقد وأعمال العقل ومن أكثرهم تمسكاً بالنظر فى الآراء لأن الشرع يحثنا على هذا .(إبن رشد . فصل المقال).

والناظر فى مقدمة ابن خلدون يجد أنه أشار فى مواضع متعددة منها إلى الأوهام التى يمكن أن تؤثر على سلامة الفكر والنظر. كما بين إلى أى حد يمكن أن يتعرض الخبر التاريخى للكذب، ولذا وجدناه يشير إلى هذا الجانب مؤكداً عليه، ومتواصلاً مع أسلافه من العلماء الذين أجادوا فهم طريقة العلم. وقد بلور ابن خلدون فكرته بصورة رائعة ومركزة حين أشار إلى أن الكذب فى التاريخ وارد، وأن له أسباباً تقتضيه. ومن بين هذه الأسباب: التشيعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه فى التمحيص والنظر حتى تبين صدقه من كذبه. وإذا خامرها تشيع لرأى أو نحله قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع فى قبول الكذب والنقل (ابن خلدون - المقدمه - ف ١) يريد ابن خلدون من هذا النص إذن أن ينقل إلى أجيال العلماء رسالة ثابتة تؤكد أن العالم إذا أسلم قيادة عقله لكتابات القدماء دون أن يعمل النقد فى محتواها فإنه لن يكشف لنا ما هو جديد.. لقد ورث ابن خلدون أصول فكر الإمام الغزالى وعرف كيف يوظفها ..

وأوروبا فى العصر الحديث ورثت تقليد العلم العربى، وهو ما يبدو من النظرة الفاحصة للجانب السلبى من كتاب الأورجانون الجديد الذى دوّنه فرنسيس بيكون حيث رفض الأفكار العامة الشائعة التى تقبل عادة دون نقد أو تمحيص لأنها تمثل قيداً على العقل. إنها سلطة مقنعة تهدف إلى إقناعنا بصوابها، ولا ينبغى تطهير العقل من قيدها.. وتبدو قمة هذا الفهم الميثوبولوچى عند ديكارت

صاحب منهج الوضوح الذى رفض الوقوف عند مجرد التلقى السلبى للآراء وفهم أن هناك مهمة يجب إنجازها بصورة عقلانية وهى «ألاّ أقبل شيئاً ما على أنه حق ما لم أعرف يقينا أنه كذلك، ولا أدخل فى أحكام إلا ما يتمثل أمام عقلى فى جلاء وتمييز) ديكارت .

من خلال كل هذه المعانى نجد أن الآراء القديمة ينبغى أن تخضع للنقد، ويجب ألا تسمح لها بالسيطرة على عقولنا . (أ.د. ماهر عبدالقادر – الأهرام ١٨/١٠/٩٦).

وعلى هذا فإن الإنسان مطالب فى الاتباع بأن يعمل عقله وحواسه وإن عطل أيا منها فهو فى طريقه إلى أن يكون كالأنعام، كما أنه مأمور فى هذا الاتباع بأن يتجنب الظلم والهوى ويستقصى العدل..

إن التصور الإسلامى لا يضع الاتباع والابداع على طرفى نقيض بشرط الاّ يتنافى الإبداع مع المقاصد العليا للشريعة وأن يكون الشىء المبتكر متسقاً معها وكلمة الحق تحمل معها القيمة العليا للمعرفة .. وحينما نصل إلى نهاية مقدرتنا فى المعرفة نأخذ بقول أبى حيان التوحيدى أحد أكبر عمد الثقافة العربية فى كل العصور، وهو أحد كبار الادباد العلماء المتصوفة والحكماء فى القرن الرابع الهجرى يقول التوحيدى فى كتابه – الإشارات الالهية – وهو أطول مناجاة بشرية لله تعالى فى اللغة العربية وربما فى اللغات الأخرى أيضاً :

«إذا ضللت عن حكمة الله فقف عند قدرة الله، فإنه إن فاتك من حكمته ما يشفيك، فلن يفوتك من قدرته ما يكفيك» والمقصود من هذا الأستسلام لقدرة الله أنه نوع من العجز البشرى عن الإحاطة بأبعاد القدرة الإلهية فى سموها وتعاليها، ويقول التوحيدى : «من توجه لله استسلم، وتلك حقيقة نجدها عبر العصور عند كبار فلاسفة الصوفية » .. ويقول التوحيدى فى هذا الدعاء :

«اللهم إنى أسألك جَداً مقرونا بالتوفيق، وعلماً بريئا من الجهل، وعملاً عارياً من الرياء ، اللهم لا تذل نفساً هى عزيزة بمعرفتك، ولا تسلب عقلاً هو مستضيئ بنور هداك ولا تعم عيناً فتحتها بنعمتك، ولا تحبس لساناً دعوته الثناء عليك، فالشقى من لم تأخذ بيده، ولم تؤمنه من غده، والسعيد من آويته إلى كنف نعمتك ، ونقلته حميداً إلى منازل رحمتك، غير مناقش له فى الحساب، ولا سائق له العذاب، فإنك على ذلك قدير ..» .

«عقيدة التوحيد»

إن الاساس الذى بنيت عليه العقيدة الإسلامية هو التوحيد، ولم يَدَعْ القرآن الكريم شائبة من ريب أو شك فى مسألة الوحدانية الآلهية. وذكر لله صفات دلت على قدرته ووحدانيته فليس كمثله شيء فى الأرض ولا فى السماء، وقد علم المسلمين التوحيد الخالص الذى قضى على تيارات التعدد والشرك فى مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدَاً سُبحَانَهُ هُوَ الغَنِّى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرضِ إِنْ عِندَكُم مِن سُلطَانٍ بِهَذا أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعلَمُونَ** ﴾. (يونس /٦٨).

ويقول عز وجل فى(سورة مريم الآيات ٩١ إلى ٩٥): ﴿ **أَن دَعَوْا للرحَمنِ وَلَداً، وَمَا يَنبَغِى للرَّحَمنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً، إن كُلُّ مَن فى السَّمَاوَاتِ والأَرض إلا آتِى الرَّحمنِ عَبداً ، لَقَد أَحصَاهُم وَعدَّهُم عَدّاً، وكُلُّهُم آتِيه يَومَ القِيَامَةِ فَرداً** ﴾.

وفى سورة الإخلاص يقول تعالى: ﴿ **قُل هُوَ اللهُ أَحدٌ ، اللهُ الصَّمدُ ، لَم يَلِد ولَم يُولَد، ولَن يكُن لهُ كُفُواً أَحدٌ** ﴾.

إن هذه الصفات لله جل شأنه تدل على أنه القادر على كل شيء الرحمن الرحيم الكامل المنزه. من قدرته الخلق والحياة والموت والإرادة والعطاء والمغفرة والهداية، هو الرزاق الودود المنفرد بالوحدانية لا شريك له ولا مثيل.. وقد وضعت التعاليم الإلهية للمسلمين الخطوط العريضة التى تمكنهم من شق طريقهم فى الحياة جامعين بين أيديهم مطالب الدنيا والآخرة وأفسح لهم وأمامهم المجال للتفكير والتأمل والتطلع وأمرهم أن يدعو إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يكون نقاشهم مع أهلِ الكتاب وغيرهم بالموضوعية الجادة وليس بالجدل العقيم. فأكثرهم لم يقدِّر الله حق قدره، تركوا جوهر رسالة التوحيد المطلق لله عز وجل واختلقوا معتقدات ما أنزل الله بها من سلطان.

لقد أستفاض القرآن فى إثبات التوحيد، وتحدث عنه فى صور مختلفة الأساليب استعمل أسلوب الإخبار التقريرى الموقن، وأسلوب السخرية التهكمية من الشرك، وأسلوب المنطق الإقناعى، وأسلوب المنطق البرهانى، وأسلوب الإخبار التاريخية، وأسلوب الردع الذى يبين الجزاء العنيف لمن كذب

بالتوحيد.. وتنوعت أساليب الرسول (ﷺ) فى السنة ما بين استفهام لتنبه الأذهان إلى تصحيح المفاهيم وإلى ما غير ذلك مما يثبت التوحيد.

وقد نزل الله عز وجل القرآن بالحق محكماً مفصلاً مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه. وأودع فيه من الأسرار. أسرار البيان والكون والإنسان وما مضى وما يستقبل من الزمان، وأودع الحجج المقنعة والأدلة القاطعة على صدق ما حواه التى لا مدخل لأحد من البشر فى إيجاده، وأنه المعجزة التى لا ينبغى أن يبتغى سواها فى طلب الحق والعدل بين الناس وبين الناس والكون فهو ميزان عدل فى كل الأمور.

إن القرآن الكريم حق خضعت له قلوب المؤمنين وعقول المستشرقين، أكبرته نفسهم فشهدوا ببلاغته وسعة معارفه ودقة إشاراته العلمية وتنوعها،وبرغم ما يضمه الكتاب العزيز بين طياته من أدلة ثبوته وما ظهر للباحثين من صدقه وإعجازه، إلا أن المتعصبين المكابرين من أهل الكتاب راحوا يتصيدون للقرآن شبهات ويبحثون عن ثغرات يطعنون من خلالها فى معانيه بدون حق أو علم بنصوصه ومحكم آياته، بدلاً من أن يوجهوا اهتمامهم ضد الوثنية التى لا تزال تسيطر على مساحة كبيرة من العالم ولا تعترف بالأديان السماوية ولا بأنبياء الله..

وأهل الكتاب يعلمون أن الإسلام يعترف باليهودية والنصرانية دينين سماويين، ويعترف بالتوراة والانجيل كتابين مقدسين، ويعترف بموسى وعيسى المسيح عليهما السلام رسولين عظيمين من أولى العزم من الرسل، ويعتبر اليهود والنصارى أهل كتاب. يشرع ويصرح الإسلام بالتعامل معهم ومصاهرتهم حتى يمكن للمسلم أن يتزوج من كتابية تكون شريكة حياته وربة بيته وأم أولاده، ويصبح أصهاره وأجداد أولاده من أهل الكتاب، ولكنهم يفترون ويجحدون على عقيدة يعلمون أنها الحق من عند الله خوفاً من أن تصل دعوة التوحيد إلى أتباعهم. وهذا ما يثير القلق وفَّره رجال الدين عندهم من الدعاة المسلمين. ونحن نرى أن الخير كل الخير يكمن فى المصالحة والمصارحة والتفاهم بين الأديان السماوية بدلاً من التكفير والافتراءات والجحود بين عقائد كلها جاءت من مصدر واحد، ونرى أيضاً أن دعاتنا مقصرون أو قل جامدون عند مفاهيم وأساليب

موروثة تاريخياً. فإن علوم الدين ظلت موزعة بين تثبيت أو الثبات عند موروثاته - أو الاتجاه إلى تأكيد تصورات سلفية عنها. فإن الجمود عند الموروثات الفكرية والاعتقاد الدينى يظل هو السمة الغالبة مهما كان من جهود فئات الصفوة لتحقيق التحديث..

لقد شُغل المسلمون بعد انتقال الرسول (ﷺ) إلى مثواه الطاهر بالقرآن: جمعاً وتدويناً وقراءةً وتفسيراً منذ عصر الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى يومنا هذا! بل وحتى يرث الله الأرض وما عليها..

وحقاً إنها لحكمة بالغة أن ينزل الله كتابه ويترك لعباده أمر فهمه وشرحه حتى لا يغلق باب الاجتهاد. وحتى يعين النظر، ولا ينضب مورد التأمل والتفكير، نتيجة لهذه الحكمة العظيمة وجدنا النص القرآن يسمح باجتهادات متنوعة وشروح مختلفة، ولا يزال باب الاجتهاد مفتوحاً لشرح آيات الذكر الحكيم وتفسيرها على ضوء آراء السلف الصالح والراسخين فى العلم من المحدثين حتي تواصل الأجيال النظر والاعتبار فى كتاب الله لأنه جلت حكمته لم يجعل ثَمَّ حجاباً بينه وبين خلقه حتى يتدبروا أمور الدنيا والآخرة من كتاب عزيز - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - تنزيل من حكيم حميد - وهو نور لكل من يمعن النظر فيه برفق ولكل من يفتح الله عليه بهدى..

وانطلاقاً من هذا المنظور وبقدر الإفادة من جهود السابقين فى مجال النص القرآنى الكريم من كتب التفسير، من أمثال الطبرى - والزمخشرى - وفخر الرازى - والقرطبى - والبيضاوى - وابن كثير - والشيخ محمد عبده- وغيرهم إلا إننا نقف عند اجتهاد بعض المجتهدين ولا نستطيع الأخذ بتفسيرهم حيث أننا نراها تصطدم بالمقاصد العليا، فى مثل آيات النسخ، وتفسير بعض من صفوة المتصوفين لعقيدة التوحيد نفسها؟.

إن من نصوص القرآن ما هو محكم وما هو متشابه، وقد اختلف المفسرون فى تعريف كل منهما فذهب قوم إلى أن المحكم هو ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة فى أوائل السور إلخ، وذهب آخرون إلى أن المحكم هو ما وضح معناه والمتشابه نقيضه، وذهبت طائفة ثالثة إلى أن المحكم هو ما لا يحتمل إلا وجهاً

واحداً من التأويل والمتشابه ما احتمل أكثر من وجه، وقيل غير ذلك..

يقول الله تعالى (في سورة الزمر الآية ٢٣): ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَديث كِتَاباً مُتَشَابِهاً** ﴾.. فمن الناس مَنْ في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه من القرآن أبتغاء الَفتنة، وآخرون يغالون بحسن نية في المتشابه فيجتهدون فيخطئون ويصيبون..

وعن النسخ يقول الله تعالى: ﴿ **مَا نَنَسخ مِن آيَة أَو نُنسِيهَا نَأت بِخَيرٍ منهَا، أو مِثلِهَا أَلم تَعلَم أَنّ اللهَ عَلَى كُلِ شَيءٍ قَديرٌ** ﴾. (البقرة/١٠٦)

لقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالنسخ في الآية. النسخ في الآيات القرآنية، إذ يرفع الحكم الشرعي في آية بحكم شرعي في آية تالية.. ويقول البعض أن النسخ في الآية عام أي أنه يشمل النسخ في الآيات القرآنية بعضها لبعض، كما يشمل نسخ آيات القرآن لآيات التوراة والإنجيل وأحكامها؟!.. ويستشهدون بسورة الأعراف الآية ٥٧. وما نذكر من أن الإسلام يضع عمن يسلم من اليهود والنصارى - إصرهم والأغلال التي كانت عليهم - أي الأوامر والنواهي الشاقة في ديانتهما.

وبالمثل آيتا سورة الرعد رقم ٣٨ و ٣٩: ﴿ **لِكُلِ أَجَلٍ كتابٌ** ﴾ أي لكل زمن شريعة يمحو الله ما يشاء في الكتب السماوية بنسخه لبعض أحكامها ويثبت بدلاً منها ما يرى فيه المصلحة لعباده.. هذا ما يراه بعض المفسرين المحدثين لآيات النسخ. ولقد وفينا هذا الموضع قدر المستطاع على صفحات هذا الكتاب.

وعن عقيدة التوحيد نقول وبالله التوفيق: إن الله عز وجل حفظ كتابه كما جاء في سورة الحجْر الآية ٩: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ حيث أنه يحمل الرسالة الخاتمة للبشرية، إلا إنّ جلت قدرته ابتلانا بالآفة التي أصابت أصحاب العقائد الدينية من قبلنا فنرى الصوفية أصحاب عقيدة التوحيد التي لا تتخذ لها رباً وإلهاً إلا الله وحده، يدّعون - وحْدة الوجود - وتزعم عقيدتهم: بأن كل عابد مهما عبد- من أنسان أو حجر أو شجر أو كوكب أو حيوان - فما عبد إلا الله!!.

وتزعم عقيدة الوَحْدة أن الكون كله سوف يعود يوم القيامة إلى نواته الأولى، وهي - في زعمهم الله تعالى - ومن ثَمّ لا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب!!..

ولقد اعتنق التصوف الإسلامى نظرية وَحْدة الوجود، التى ابتدعها محيى الدين بن عربى. فعارض بها تماماً عقيدة التوحيد روح الاسلام وسر وجوده..

والوجود – عند فلاسفة الصوفية وَحْدةٌ واحدة!! والله تعالى طبقاً لنظرية وَحْدَة الوجود – هو عين خلقه!!. والنبوة – فى عقيدتهم – ليست إلا تطويراً للنفوس البشرية وليست باصطفاء الله تعالى واختياره!! والوحى فى تصورهم – ليس إلا صوراً تشرق فى النفس وقت شدة الصفاء!! والولاية عندهم – أفضل من النبوة لأخذها عن الله مباشرة فى حين يأخذ الأنبياء عن جبريل!!.

وتفسير ابن عربى للقرآن هو تفسير غريب فهو يخضع الآيات لنظريات وَحْدة الوجود مذهبه ومذهب البسطامى، والحلاج، والنابلسى من بعده. فهم يقولون: ان هذه النصوص تحوى من المعانى الباطنة والعلوم اللدنية ما لا يدركه سوى الخواص من الصوفيين – لأنهم أهل الحقيقة – أما طبقة العوام – وهم أهل الشريعة فإنهم لن يصلوا أبداً إلى أسرار هذه الافكار لكونها محجوبة عنهم؟!..

والمعنى الذى يقصدونه من وَحْدة الوجود أنه – ليس هناك إلا وجود واحد.. وكل العالم مظاهر ومجال لهذا الوجود.. فالله سبحانه هو الموجود الحق. وكل ما عداه ظواهر وأوهام لا توصف بالوجود إلا بضرب من التوسع والمجاز؟!..

ومن الواضح أن ابن عربى قد تأثر بالنظريات الفلسفية الكونية التى تقول بأن الأفلاك هى التى تسيطر على مصائر المخلوقات وتحركها، كما تأتى بنظرية العقول الفعالة التى قال بها أرسطو.. كذلك يطلق الصوفيون على أهل السنة – علماء الظاهر، أو أهل الشريعة – لأنهم يتمسكون بنصوص الكتاب والسنة ولا يحيدون عنها.. ويطلقون على أنفسهم – أهل الحقيقة، لأنهم لا يقفون أمام النصوص، وإنما يصلون إلى المعانى الكامنة وراءها، وذلك بإلقاء الله تعالى فى قلوبهم أسرار هذه النصوص– فهم على هذا علماء الباطن!!. وحينما فسروا المعانى الباطنة خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.. فبينما تجد لهم أفهاماً مقبولة سائغة، تجد لهم بجوارها أفهاماً لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع.. التفسير والمفسرون. (الشيخ محمد الذهبى).

يقول ابن حزم وهو يحذر أتباعه من الايمان بدين خاص فيقول:

فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه.. فكن من نفسك هيولى - اى القابل الذى تنطبع فيه صور المعتقدات كلها وينفعل بها- لصور المعتقدات كلها.. فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد، فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضى عنه - (النصوص صفحة ١٩١).

وعلى الرغم من أننا لا نؤمن بمذهب ابن عربى إلا أننا نوافقه ونتفق معه على هذا الرأى..

أما الحقيقة المحمدية عندهم فهى كارثة الكوارث والشرك بعينه.. فالرسول (ﷺ) طبقاً لعقيدتهم هذه - هو الله سبحانه، ذاتا وصفة؟!.

إننا لا نطلق الاتهام ولا نقول أن جميع الصوفية يعرفون ذلك الرب الذى اخترعه ابن عربى.. فما كل متصوف سمع بوحدة الوجود وما كل متصوف عرف الحقيقة المحمدية.. وإنما ينبغى إثبات أن اليد الذى عبثت بالأديان هى يد واحدة منذ آدم عليه السلام إلى ابن عربى رحمه الله. هى نفس اليد الآثمة التى عملت على هدم عقيدة التوحيد التى جاء بها الانبياء والرسل منذ بعث الله أنبياءً ورسلاً..

إننا نوجه الاتهام إلى الذين نقلوا الفكر الوثنى لأرسطو وأفلاطون وأفلوطين وخلطوه بعقيدة التوحيد فهذا خطأ إننا نحول الأنظار عن المتهم الحقيقى الذى هو عدو لنا ويجرى منا مجرى الدم.. والخطأ الآخر هو أن نصدق القائلين. أن الحلول والاتحاد والوحدة قد انتهى أمرهم وليس لهم اليوم تابع ولا وارث. وإن ما نسب إليهم قد أصبح اليوم نوعاً من الحفريات التاريخية التى لا يتابعها إلا الهواة والمتخصصون فى البحث عن مقابر الأفكار المهملة.. والحقيقة إننا نرى هذه الأفكار والعقائد - وإن لم تبد واضحة جلية أمام الناس - إلا أنها تتسلل إلى حياة وسلوك المئات والألوف من الأتباع والمريدين دون أن يعرفوا لها أصلاً أو يعلموا لها مصدراً. وهذا دأب من لم يلتزم بالاعتدال والوسطية ينتهى دائماً إلى التطرف الفكرى غير المعقول أو المقبول... ولنا عودة مع ابن عربى ومذهبه وحدة الوجود بعد هذه الفقرة.

لقد جاء الإسلام تتمة للرسالات السماوية ولم يترك ثغرات يلج منها أى

إنسان جاء به، فقد كفل الله عز وجل لنا من العلم فى القرآن والرسول (ﷺ) فى سنته لكى نحمل أمانة الدين ولا نحيد عنها.. إلا أن الذى فتح الثغرة فى العقائد الدينية السابقة على الإسلام استطاع أن ينفذ إلى عقول بعض صفوة المسلمين أى المتصوفين أو الصوفية، ولولا وعد الله بحفظ كتابه لتحولت عقيدة التوحيد إلى وثنية ودين شرك والعياذ بالله على أيدى صفوة المسلمين..

أن الذى أوقع آدم عليه السلام فى الخطيئة الأولى لم يتوقف عندها ولكن كانت مهمته الاساسية هى إفساد ذريته أيضاً.. يقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ**﴾ (الأنعام/١٢١) وأيضاً: ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ، تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** ﴾. (الشعراء/٢٢٢) .

إن أبليس يحاول دائماً أن يوقع الإنسان فى أسوأ الخطايا جميعاً وهى الإشراك بالله عز وجل تلك الخطيئة التى لا تغتفر، ولقد نجح فى إفساد العقائد الدينية القديمة والتى كما بينا عقائد سماوية أتى بها أنبياء مرسلون.. لقد كرر المتهم – ابليس – جريمته بنفس الاسلوب مع كل الديانات السماوية الشئ الذى لا يمكن لأى صاحب بصيرة أن يخطئه.. نرى آثار هذه الجريمة فى الديانة البراهمية وفى عقيدة أخناتون، وفى الديانة اليهودية – قالت اليهود عزير ابن الله – وكفروا باليوم الآخر فنحن لا نجد فى التوراة ذكراً لحساب ولا ثواب ولا عقاب، فقد أوحى لهم شيطانهم أن يمحو ذكر يوم الحساب من التوراة.

وقالت النصارى المسيح ابن الله – وجاء هذا الافتراء بصورة طبق الأصل فى الديانة البراهمية والعقيدة البوذية لكى يفضح بها الله الواحي والموحى إليه أمام أولى الألباب.. يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾. (النحل/ ٣٦).

لقد ذكرنا أن سنة الله فى خلقه التعددية فى الآراء والمذاهب واللغات والقوميات والشرائع وهى آية من آيات الله جلت قدرته الذى خلق الإنسان حراً وهيأ له البدائل أى التعدد والتناقض. أرسل له الرسل والكتب السماوية ليعلّم

الانسان حسن الاختيار.. ولقد رأينا عبر فصول هذا الكتاب كيف يتدخل الشيطان من خلال آيات الله فيفسد على الإنسان دينه وعقيدته ويزين له ما حرم الله فيقع فى شباكه فيشرك بالله ويبث العداوة والبغضاء والتفرقة بين الناس؛ ويكفر المؤمن فينقلب عليه الكفر، ويصبح من أعوان حزب الشيطان.. يقول الله تعالى: ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِن عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴾ النساء١١٨.

وفى سورة الحج الآيات (٣ و ٤) يقول عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيد، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾.

ويذكر لنا القرآن الكريم سبب عداء إبليس لبنى آدم (فى سورة الحجر الآيات ٢٨ إلى ٤٣)، يقول عز وجل:

﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ للملائكة إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً من صَلصَالٍ من حَمَإٍ مَّسنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيتُهُ وَنَفَختُ فِيه من رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ المَلائكَةُ كُلُّهم أَجمَعُونَ، إلاَّ إِبليسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجدِينَ، قَالَ يَاإِبليسُ مَالَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجدِينَ، قَالَ لَم أَكُن لأَسجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقتَهُ من صَلصَالٍ من حَمَإٍ مَّسنُونٍ، قَالَ فاخرُج منهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيكَ اللَّعنَةَ إِلَى يَومِ الدِّينِ، قَالَ رَب فَأَنظِرنِي إِلَى يَومِ يُبعَثُون، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ، إِلَى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ، قَالَ رَبِّ بمَا أَغوَيتَنِي لأُزَينَنَّ لَهُم فِي الأَرضِ وَلأُغوِيَنَّهُم أَجمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ، قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُستَقِيمٌ، إِنَّ عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوعِدُهُم أَجمَعِينَ﴾.

ثم يأتى هذا الخبر فى القرآن الكريم لتطمئن قلوب المؤمنين. يقول تبارك وتعالى (فى سورة المجادلة الآيات ١٩ إلى ٢١):

﴿استَحوَذَ عَلَيهِمُ الشَّيطَانُ فَأَنسَاهُم ذِكرَ الله أُولَئكَ حِزبُ الشَّيطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزبَ الشَّيطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ، إِنَّ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئكَ فِي الأَذَلِّينَ كَتَبَ اللهُ لأَغلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.

ولقد رأينا كيف أنجز إبليس وعده فَحَوَّل ديانات التوحيد السابقة على الديانات الثلاثة الكبرى إلى وثنية تعبد الأصنام ومخلوقات الله من دون الله.. وزين لأصحاب العقيدة اليهودية أعمالهم فأوحى لهم بأن يعلوا على خلق الله ويفسدوا فى الأرض فباءوا بغضب من الله وتحولوا من شعب الله المختار إلى الشعب المغضوب عليهم بما عملت أيديهم وسولت لهم أنفسهم. وفى العقيدة المسيحية يكرر إبليس حيله القديمة التى استعملها مع أتباع بوذا وكرشنا فأوهم أتباع السيد المسيح بأنه ابن الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله... فهل كتب للاسلام النجاة وسلم من كيد إبليس؟.. سوف نرى.

«نقد الذات»

إن الفتنة الكبرى التى بدأت بقتل عثمان رضى الله عنه وانتهت بقتل الحسين كرم الله وجه وأهل بيته لهى المصيبة الكبرى التى لولا فضل الله وكرمه على الاسلام لأصيب بنكسة قاتلة..

ولعل التاريخ يحفظ لنا كثيراً من الاتجاهات والفرق التى لم تظهر إلا رَدَّ فعل للتدخل الشيطانى بين صفوف المسلمين كالشيعة والخوارج فما وجد التشيع لآل البيت إلا لتجاوز الخوارج الذين وصل بهم الحد تكفير سيدنا على ابن أبى طالب كرم الله وجه ثم قتله فأصبح للشيعة ثأر عند الخوارج لانهم قتلوا علياً، وللخوارج عند الشيعة ثأر لأن علياً قتل منهم فى النهروان وفى كثير من المواقع، وأصبح للشيعة ثأران عند بنى أمية لأن معاوية قتل حجراً وأصحابه ولأن يزيد ابن معاوية قتل الحسين وأهل بيته وجماعة من أصحابه..

ومعنى هذا أن العصبية أصبحت أساساً من أسس الفتنة التى دفعت المسلمين إلى كثير من الشر، والتى لن تنقض بقتل الحسين ولا بموت يزيد، وإنما أتصلت بعد ذلك دهراً طويلاً وبقيت آثارها فى حياة المسلمين إلى الآن.

وما شبت الفتنة إلا لتسفك الدماء وتزهق النفوس وتنتهك المحارم وتفسد على الناس أمور دينهم ودنياهم، وقد انتهت هذه الفتنة التى شبت نارها فى المدينة سنة خمس وثلاثين بقتل عثمان بعد أن اتصلت ثلاثين عاماً أو نحو ذلك. قضى فيها على سنة الخلافة الراشدة، وفرق، فيها المسلمون شيعاً وأحزاباً .

وأُسّس فيها مُلْكٌ عنيف لا يقوم على الدين وإنما يقوم على السياسة والمنفعة، كل ذلك ولم يمضى على وفاة الرسول ﷺ إلا خمسون عاماً.

يقول الله تعالى (في سورة الروم الآية ٣٢): ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعَاً كُلُّ حزب بمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾.. وفى نفس السورة الآية ٤١ يقول عز وجل: ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحرِ بمَا كَسَبَت أيدى النَّاس لِيُذِيقَهُم بَعضَ الذى عَمِلُواْ لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ ﴾. ويقول الرسول (ﷺ): لا تعودوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض..

ولقد حاول كل حزب من الأحزاب الذين اختصموا فى قضية عثمان أن يكون مثلاً من المثل العليا الكثيرة التى دعا إليها الإسلام فلا يظفر بشئ مما يريد، وهذا المثل الأعلى هو العدل الذى يملأ وينتشر به السلام والعافية، والذى تقطعت دونه أعناق المسلمين قروناً متصلة دون أن يبلغوا منه شيئاً. حتى استيأس من قربه بعض الشيعة ولم يستيئسوا من وقوعه، فاعتقدوا أن إماماً من أئمتهم سيأتى فى يوم من الأيام فيملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً، ولله حكمة أجرى عليها أمور الناس. والله بالغ أمره، قد جعل لكل شئ قدراً... (الفتنة الكبرى. د. طه حسين - ٢٤٩/٢) مع بعض التصرف..

وكم ذاقت الأمة من ويلات تطرف تلك المذاهب؛ مذاهب يبعث اختلافها الدُّوار فى الرأس، وتبعث براهينها الشك فى جميعها ، حيث إنها بعيدة كل البعد عن براهين أهل السنة والجماعة التى تستند إلى الفهم المباشر والعقلانى المستقيم لكتاب الله وسنة رسوله، وما استقر عليه بإجماع أئمة أهل السنة من علماء الأصول والفقه والكلام. وعلماء التفسير والحديث واللغة والأخبار، وهذه هى البراهين الأصلية للمسلمين، مقابل براهين - أهل الباطن - الذين يخرجون عليها، مثل - باطنية الشيعة - التى تنطلق من اعتقاد أن علم - الائمة - هو علم سرى يتوارثونه وهو مطابق لعلم الله؟!.. أو - الصوفية وعلم الباطن وأرتباط هذا النوع الباطنى من الصوفية بنزعات الشيعة الباطنية وخرافاتهم وتأويلاتهم المتعسفة للقرآن والحديث الشريف..

ومن أنواع العلم الباطنى علم - الجَفْر - الذى أسسه اليهود فى أزمنة

قديمة، فقد أخذ الشيعة والصوفية الباطنية الكثير من خرافات التراث اليهودى القديم ومن تراث السريانية. إحدى الثقافات الهلينسية التى ورثت كثيراً من خرافات وعقائد ثقافات دينية قديمة فى المشرق. لذلك نجد للصوفية طرقاً مختلفة لأسماء الله الحسنى وإلزامهم لاتباعهم بأطلاق أسماء غير عربية لم ترد فى القرآن الكريم على الجلالة.

كما أنهم يفصلون بين الشريعة والايمان وبينهما وبين السلوك الإيمانى.

إن أول هذه المذاهب أو الفرق هى الخوارج التى أفرز رحمها الكثير من الفرق ومن أشهرها – الأزارقة– والنجدات – والمجاورة – والثعالبة – والاباضية – والحفصية واليزيدية– ومن هذه الفرق من استنكر أصله وانقلب عليه، ظهرت بعد ذلك الشيعة. وخرج من رحمها فرق كثيرة منها السبأية – والكيسانية – والامامية– والزيدية– والاسماعيلية– والعلوية .

ثم ظهرت المعتزلة فى أول القرن الثانى الهجرى. وكانت بداية ظهورها عندما أبى تنحىً واصل بن عطاء عن مجلس الحسن البصرى فقال البصرى لقد اعتزلنا واصل فسمى فرقته فرقته بالمعتزلة فى رأى من الآراء.

وفى إيجاز نذكر مجمل أفكار هؤلاء:

الخوارج – يقومون بتكفير أصحاب الكبائر. فمرتكب الكبيرة عندهم كافر خارج عن الاسلام.. أما على المستوى السياسى فإنهم كفَّروا سيدنا على بن أبى طالب لأنه قبل التحكم بينه وبين معاوية، ثم كفروا الذين خرجوا على علىّ سواء قبل التحكيم أو بعده..

وعلى العكس منهم جاء – المرجئة – والذين يقولون بإرجاء الحكم على أصحاب الكبائر إلى حكم الله فيهم فى الآخرة، أما فى الحياة الدنيا فإنهم يقولون: إن الكبيرة لا تصنع مع الإيمان بالله..

أما المعتزلة: فهم يختلفون مع الخوارج ومع الشيعة. ويقولون بالعقل، أى أن المرجع عندهم يكون العقل فهو الحجة الأولى فى التمييز بين الحسن والقبيح.. ويقول زعيمهم واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، فهو فى منزلة بين المنزلتين، أى بين مؤمن وكافر.. هذا هو مجمل

فكر المعتزلة، وإن كنا لا ننكر على المعتزلة أنهم كانوا دعاة تحرر فكرى، ولم يمانعوا فى الاقتباس من غيرهم وأنهم واجهوا الجاحدين بعقلانية مستنيرة. وواجهوا الزنادقة والملحدين.. إلا أننا نجدهم يوظفون حكومة زمانهم فى مواجهة صاحب فكر متميز كالإمام أحمد بن حنبل.

ثم ننتقل إلى أخطر المذاهب وأطولها عمراً وهى - الاسماعيلية - والتى تنسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق والتى عمرت قروناً، وأفرزت معظم الفرق الناشرة كالقرامطة..

والإسماعيلية يؤمنون بالإمامة، إمامة سيدنا على وأبنائه وأحفاده إلى أن نشأ إسماعيل بن جعفر. وهم يسمون بالسّبْعية لأن الإمام إسماعيل كان السابع فى هذا المسلسل، وهم يختلفون عن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية فهم يبدأون من سيدنا على، وينتهون إلى محمد المهدى والذى يقولون عنه إنه قد اختفى وإنه المهدى المنتظر، والعجيب فى الأمر أن طائفة الإسماعيلية لم تظهر إلا بعد وفاة إسماعيل بقرن من الزمان. وبالتالى فإن أفكار هذه الطائفة ليست من فكر إسماعيل ولا فكر جعفر الصادق رضى الله عنهما.

ولعل من أخطر ما قالوا به أنهم آمنوا بالظاهر والباطن معاً، ويقول إمامهم الشيرازى: من عمل بالباطن والظاهر فهو منا. ومن عمل بأحدهما دون الآخر فالكلب خير منه.. ويقولون إن للقرآن ظاهراً وباطناً.. ويتمادون فى ضلالهم فيقلون: إن الإله المدرك هو العقل. وأما الإله الخالق فلا يدركه العقل..

ويقولون عن على بن ابى طالب: إن الامام علىٌّ على صورة الإله الخالق وأنه العقل الكلى، وأنه أحق بالأسماء والصفات التى يطلقها الناس على الله، ثم يستخدمون أفكارهم للسيطرة على الجماهير فيقولون أن لكل زمان إماماً ولكل مكان إماماً، وإنه من مات وليس له أمام مات ميتة جاهلية.. وإن الامام هو الذى سيحاسب الناس يوم القيامة فيحكم عليهم بالجنة أو بالنار..

ولقد استطاعت هذه الطائفة الضالة أن تصل إلى الحكم وتسيطر على مفاهيم الناس، وهمهم الأساسى هو انتزاع مذهب أهل السنة..

أما - القرامطة - فعلى الرغم من أنهم خرجوا من رحم الطائفة الإسماعيلية إلا أنهم تفردوا بأسلوب إجرامى انتقامى فظيع على شكل أجهزة سرية. فكانت

زعامتهم سرية، قائدهم الأول هو - نصر بن عبد الله بن سعيد - الملقب - صاحب الشامة - ومما يذكر أن رجلا يدعى على بن فضل وهو من كبار القرامطة أعلن أنه نبى، وأمر المؤذنين أن يقولوا فى آذانهم أشهد أن محمداً ابن فضل رسول الله ثم وضع لهم تشريعات جديدة أباحت لهم شرب الخمر والزواج من المحرمات ورفع عنهم تكاليف الصلاة والصيام والزكاة والحج.. ومنهم المجرم الكبير - أبو طاهر بن أبى سعيد الجنابينى - الذى قاد حملة إجرامية انتهكت حرمة المسجد الحرام فى يوم عرفة فدمر المسجد وخلع باب الكعبة..

ولا يفوتنا أن نذكر هذا الحدث الخطير الذى كشف عن مدى تصاعد الفتن فى القرن الثالث الهجرى، ينقله إلينا المؤرخ ـ آدم ميتز - يقول نقلاً عن مؤرخين ثقاة كالمسعودى: أن رجلاً يدعى - ابن أبى العزاقير الشلمغانى- استطاع أن يستقطب الكثير من الآدباء والشعراء والوزراء وأقنعهم بأن الالوهية حلت فيه، وأنه جاء فى الموعد الذى حدده على ابن أبى طالب لمحمد (ﷺ) وهى ٣٥٠ سنة وهى المدة التى قالوا إن أهل الكهف مكثوا فى كهفهم وأنه بنهاية هده المدة تكون الرسالة المحمدية قد انتهت.. وأنكر هذا الرجل أن الحسن والحسين هما ولدا على ابن أبى طالب لانه من اجتمعت فيه اللاهوتية فلا والد له ولا ولد.. وأن هذه اللاهوتية اجتمعت فى الأضداد، فى آدم وابليس وفى هارون وفروعون، وفى إبراهيم ونمرود، وفى داود وجالوت، وأن الجنة هى المعرفة به وبرفقته، والنار هى الجهل به وإنكاره.. وأقر أتباعه بترك الصلاة والصيام والاغتسال، وأحل لهم كل النساء، ولا بأس من تبادل النساء.. هذا الرجل انتهى وانتهت دعوته بعد أن أمر الخليفة العباسى الراضى بقتله.

وعن هذه الحركات التخريبية التى استمرت لأكثر من قرنين يقول الأستاذ شاكر: إن الدوافع والأهداف فى كثير من تلك الحركات والنشاطات كانت تهدف إلى - تفجير - الأمة الاسلامية من داخلها واستهلاك حيويتها ونضارتها وتبديد طاقتها المتنامية. أو على الأقل - العبث - بما استقر عليه العقل الإسلامى من ترتيب ونظام وقواعد وأحكام مستمدة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة وهذا وحده أشد فتكاً وخطراً من الخمر والميسر والمخدرات..

أما أخطر ما يقوله بعض الشيعيين أن عثمان رضى الله عنه عندما أحرق

المصاحف القديمة شطب منها كل ما كان فى مصلحة على ابن أبى طالب وذريته من السيادة والإمامة.. وفريقاً منهم أيضاً يقولون أن عمر بن الخطاب الخليفة الثالث غيَّر جملة آيات من القرآن الكريم بسوء النية والقصد ليخفى عن المسلمين حقيقتين هما، **الأولى**: هى يجب أن يكون علىٌ صاحب الخلافة بعد الرسول (ﷺ). **والثانية**: يجب أن نحصر الإمامة فى ذريته. ويدعى فريق آخر أنه أسقط من القرآن سورة بجملتها يقال لها سورة النورين، للغاية المشار إليها..

أما بعض العلويين فينكرون القرآن المتداول اليوم ولا يسلمون بأنه هو الذى نزل من الله على الرسول (ﷺ) ويقولون إنه اختلقه أبو بكر وعمر وعثمان.. ولدى علماء المسلمين المحققين من الأدلة ما يكفى لدحض هذه الدعاوى الباطلة الشائنة التى صوبتها تلك المذاهب التى تنسب نفسها إلى الإسلام.. وأكبر الدلائل هى موقعة - صفين - فلما حمى وطيس الحرب بين علىٍ ومعاوية لم يخمد لهيبها إلا رؤية هذا المصحف على أسنة الرماح مرفوعاً، فلم يقل أحد من الفريقين انزلوها فإنها مغايرة قبل الجميع التحكم به..

ثم اين كان علىٌ حينما كتب ابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم القرآن الكريم؟.

ويدّعى فريق أن جبريل عليه السلام أخطأ علياً وسلّم الرسالة برداء إلى محمد صلى الله عليه وسلم؟!.. وكثير من هذا الهراء والشرك المقنّع فى رداء الإسلام والذى يؤدى بالذين يؤمنون به إلى التهلكة وغضب الله برغم شهادتهم، أنّ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إلى هذا الحد نجح إبليس فى استقطاب فرقاً من خير أمة أخرجت للناس إلا من عصم الله تعالى فوفقه إلى طريق الرشاد. فاليقين موجود مهما حاولت قوى الشر أن تنكر إشراق الشمس، والشمس مشرقة..

إن إضفاء صفات الإهية على شخصية الإمام علىّ بن ابى طالب كرم الله وجه، قد بدأت تأخذ الطابع الرمزى على يد الفرق الباطنية والمجوس والزنادقة، الذين جندوا بعض الجماعات لمحاربة الدولة الأموية والعباسية، وبخاصة بعد أن حاربت الدولة الأموية بعض الفرق مثل الخوارج وغيرهم. فخرجت بعض هذه الجماعات تضفى صفات إلهية على شخصية الإمام علىّ أو تجعله نظيراً

للرسول ﷺ وذلك بهدف ضرب الإسلام . وقد روّجت لهذه الأفكار فرقٌ كيداً للدولة الإسلامية مستهدفةٍ تفريقها ثم هدمها..

ونحمد الله العلى القدير أنه حصر ذلك الإفك فى أضيق نطاق، ولم ينتشر فى عقيدتنا وعمها كما حدث لأهل الكتاب وصدق الله وعده وحفظ دينه وكتابه، ولكن من المؤسف أن هذه العقائد ما زالت قائمة ..

فأما الذين رضوا بدخول فلك أهل الكتاب فلهم أجر أهل الكتاب، والله أعلم ...

يقول الدكتور طه حسين : وعلى الرغم من كل ما سَجّلَ التاريخ عن الفتنة الكبرى فإنهم جميعاً قد اجتهدوا ونصحوا لله ولرسوله وللإسلام والمسلمين. فأخطأ منهم من أخطاء وأصاب منهم من أصاب.ولأولئك وهؤلاء أجرهم لأنهم لم يتعمدوا خطيئة، ولم يقصدوا إلى إساءة، وكل هؤلاء إنما يرون آراءهم هذه يستمسكون بها ويذودون عنها ويتفانون فى سبيلها، لأنهم يفكرون فى هذه القضية تفكيراً دينياً يصدرون فيه عن الإيمان، ويبتغون به ما يبتغى المؤمن من المحافظة على دينه، والاستمساك بيقينه وابتغاء رضوان الله بكل ما يعمل فى ذلك أو يقول. (الفتنة الكبرى ١/ ٤).

ونرى هنا أن الدكتور طه حسين عمل بنصح الرسول ﷺ وأحسن الظن بالناس «خيركم أعذركم للناس» .. إلا أننا لا نملك غير الاحتراس من الدسائس والفتن الشيطانية التى رقّت بين المسلمين وجعلت منهم فرقاً ومذاهب متناحرة..

إن من يُمْنِ الطالع أن لدينا من الباحثين المتخصصين أكفأ العناصر، ومن الفقهاء الذين عندهم علم الكتاب والسنة والاجماع والفقه المقارن، والمختلف فيها، كالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة. وسد الذرائع والعرف، وشرع من قبلنا، علماء وهبهم الله العلم والقدرة لتبليغ هذه الأحكام لسائر المسلمين، لنا فيهم أمل ، ولنا عندهم رجاء، ولله عليهم حق، أن يجتمعوا فيوحدوا كلمة المسلمين ويجمعوا شملهم ويدفعوا عنهم الفتن والدسائس ويظهروا لهم بيان الحكم الفقهى فيما يختلفون فيه، أو تهميش نطاق ذلك الخلاف فى حدود القاعدة الشرعية - لا ضرر ولا ضرار - هنا هو أملنا فى المجتهدين فى الشريعة الإسلامية أهل الاختصاص القادرون على تحمل هذه المسئولية الخطيرة .. إن

الاسلام جاء فى ذاته مُيَسَّراً لكل البشر، وهو رحمة لهم ،والعمل به سعادة لهم جميعاً وأحكامه يجب أن تصل إليهم بما يتوافق مع قدراتهم وعقولهم فى كل زمان ومكان، لأنه دين للعالمين كلهم إلى يوم الدين. ومن رضى بالإسلام ديناً فعليه أن يلتزم بقوانينه وبتشريعاته التى جاءت مع هذا الدين من الناحيتين التطبيقية والعملية فلا رجوع لحكم الجاهلية، ولا تأليه لبشر، ولا إشراك بالله كما تَدعى بعض المذاهب وكما يدعى بعض الصوفية كما سوف نرى ..

«الصوفى والصوفية »

موضوع التوصف الإسلامى موضوع شائك طال من حوله الجدل، ولنبدأ بتعريف الصوفي : يتحلى الصوفى بالإيمان الحق والحب الصادق والعبودية فى أجل معانيها وأعظم صفاتها. وهو يصلح عيوب النفس وآفاتها ويعمل على تطهيرها وتزكيتها، فهو يعرف بالحدس الداء والدواء . وسلوكه هو مجاهدة النفس بالرياضة الروحية المتمثلة فى مقام التوبة والزهد والصبر والخوف والرجاء والسمو بالروح لتعلقها بالذات الإلهية محبة، وإخلاصاً وفيضاً، وإشرافاً. وتعلقها بالكون وما فيه .. فالحب الإلهى هو الذى يحرك وجدان الصوفى ويبعث كوامن نفسه فى التضرع والابتهال والدعاء والتسليم المطلق لمن بيده الخلق والأمر ...

ولقد اشتُهرَ نَفَرَمن الصحابة رضوان الله عليهم بالزهد كأبى ذر الغفارى وسلمان الفارسى، كما اشتهر به الحسن البصرى وعامر بن قيس القائل: لقد أحببت الله حبا سهل على كل مصيبة، ورضانى بكل قضية. فما أبالى مع حبى له ما أصبحت عليه وما أمسيت ..

كان هؤلاء النفر من الصحابة والتابعين يعملون برسالة الإسلام ويعبظرون عن الهدف الأخير لها وهو : حمل النفس على الاطمئنان وعلى التحمُّل مستعينة بالله ...

وكان التصوف يسير على قواعد الدين ورعاية آدابه وسلوكه ..

وفى القرن الثالث الهجرى أصبح التصوف مذهبا فتياً، له قواعد للمحاجة ومصطلحات أختصٌ نفسه بها .. وظهرت جماعة كان يطلق عليها «صوفية

أهل العلم»، لأن تصوفهم كان على النمط الموجود فى كتاب - الزهد والورع - لأحمد بن حنبل، وهو زهد الاسلام لا تصوف الفلاسفة.. ولهذا لم يتعرض لهم ابن تيمية بالنقد فى كتابه - الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - ولكنه انتقد ذلك النوع الذى عرف به محيى الدين بن عربى، وابن سبعين، وعمر بن الفارض ومن تتلمذ عليهم من معاصريه.. فقد كان تصوفهم ينادى بعقيدة - الوحدة - التى لا يزال يقول بها بعض المتصوفة.. ولهذا أطلق عليهم ابن تيمية أسم - تصوف الملاحدة -..

أما عن الصوفية والعلم. فإن بعض الصوفية يمثلون العلم الإسلامى فى قمته وجميع فروعه، فق الفقه، والتفسير، والحديث، واللغة، والأخلاق والفكر، وقد خلفوا لنا رصيداً غنياً من نظريات التصوف..

وباختصار فإن الوجود الصوفى أو ما يسمى بالتصوُّف الإسلامى ما زال قائماً فى المجتمع الاسلامى ولا تزال قلة منهم تحافظ على صلاحها ومبادئها المثالية النقية. إلا أن ما يقلقنا هو أمر الكثرة الساحقة التى حرَّت الصوفية عن مسيرتها الأولى- وسوف نرى كيف استطاع إبليس اختراق حصن الصوفية المنيع على يد الصفوة منهم.. ونذكر أولاً هذا الخبر:

فى الصفحة الدينية وفى جريدة الأهرام عدد يناير ١٩٩٣ يقول الخبر:

حذر مجمع البحوث الإسلامية بالازهر الشريف من وجود أخطاء ومغالطات خطيرة بلغت ١٥ مغالطة تخالف العقيدة الإسلامية والعقل البشرى، وردت فى كتابين من المزمع إعادة طبعهما.. من أبرز هذه الأخطاء إضفاء صفات الالوهية على شخص المصطفى (ﷺ)، واعتباره شخصيةً غير بشرية، ووصفه بأنه الممدد الأول للأشياء، والقول بأن الخلق صادر بواسطته من عند الله وإنه لاهوت الجمال وناسوت الاتصال وإن الوحى منه وإليه!!. وإن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجه ساعده الرعد المطلع على أخبار الأولين والآخرين..

وأوضح التقرير الذى أعده المجمع وجود أخطاء جسيمة أخرى بهذين الكتابين الصادرين عن بيت البرهانية وهما - تبرئة الذمة فى نصح الامة - وبطائن الأسرار - ومن هذه الأخطاء القول بأن القرآن الكريم كان عند الرسول (ﷺ) قبل الكون، وأنه لم يكن أمياً، بل الحروف كانت تنطق له إذا أمسك

بورقة مكتوبة – وأن النبى كان يُكْرِهُ من يشاء من الرجال على الزواج بمن يشاء من النساء ويلعن من يشاء بغير سببٍ!!

وأشار التقرير إلى أن: من بين هذه المغالطات وصف الإمام على بن أبى طالب بأنه مدد الخلائق وجوهر القدم والأول والآخر، والزعم بأن كل من لم يعتقد فى هذه الأفكار يعد من أصحاب العقائد الفاسدة (!!) .. إلى القول: ويحتوى ديوان – بطائن الأسرار – من رموز وطلاسم مثيرة للبلبلة فضلاً عن الزعم بوجود تفسير باطنى للقرآن يخالف ما استقر عليه جمهور العلماء على مدار التاريخ الإسلامى.. وأوصى التقرير بوقف طبع الكتابين وعرض – الأهرام – الكتابين على بعض علماء الدين الذين أكدوا خروج هذه الأفكار عن صحيح العقيدة الإسلامية وحذروا من خطورة تداولها بين المسلمين، انتهى الخبر. والذى يتضح منه أن ما خلف لنا السلف الصالِح ما زال يتداول بين الناس، وأى ناس؟ مشايخ الطرق الصوفية وأعلامها أو فلْنقل اعلام تصوف الملاحدة كما أطلق عليهم ابن تيمية..

وعن تصوف الملاحدة يقول المرحوم الدكتور محمد البهى: هو ذلك الضرب الذى انحدر إليه الاتجاه الصوفى فى الجماعة الإسلامية عقائد وفكراً ترجم، إلى المسيحية والافلأطونية الحديثة والبراهمية. وبعض الديانات الفارسية القديمة كالمانوية، وتصوف الملاحدة يقول بالتثليث، ويقول بعالم الله، وكلمة الله، والفراسة – على أنه عالم الأزل والطُّهْر!!.

ويدلل الدكتور إبراهيم هلال على تأثر التصوف الإسلامى بالفلسفات الأجنبية فيقول:

أدى ولع الصوفية المسلمين بالمنهج الإشراقى أن أخذوا المعرفة عن مخالفيهم من أبناء الديانات الأخرى التى رثت وبليت ودخلها التبديل والتغيير، فهذا إبراهيم بن أدهم يفصح لنا عن أصول التصوف وغايته فيقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان!!.

ويقول د. هلال: أن ثمة شبهاً ظاهراً بين بعض العقائد الصوفية والنزعات الفارسية القديمة. مثل الزهد والرهبنة المانوية، والمزدكية، التى تجدها فى بعض التعاليم والمذاهب الصوفية الإسلامية.

«تاريخ الحركة الصوفية»

لقد نشطت حركة الترجمة والنقل خلال العصر العباسي الأول – ١٣٢-٦٥٦هجرية – بعد أن شجع الخلفاء العباسيون الترجمة، فأخذ العرب ينقلون التراث اليوناني والسرياني والفارسي وغيره إلى اللغة العربية.. فكان للتوسع في الترجمة الشر الكبير على الثقافة الاسلامية، فقد حاول بعض المفكرين أن يزاحم وحي السماء بما وصل إليه من التراث الأجنبي؟!.. يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي: كان أشد النواحي الدينية أستقبالاً للغزو الأجنبي – علم الكلام والتصوف – ولا يصعب أن يميز الدخيل من الأصيل في هذه المبادئ فكلام أرسطو لا يسلم له، وفيه مبالغات ظاهرة، ومع ذلك فإن بعض علماء المسلمين مالوا إليه، ولأرسطو منطق ذكي يساعد على الجدل، ولا تزيد به المعارف الإنسانية، وقد رحب المسلمون ترحيباً حاراً بهذا المنطق. حتى جاءت الحضارة الحديثة فأنزلته عن عرشه.. ويقول فضيلته: وقد حمل علم التصوف جملةً من هذه الأخطاء النفسية والفكرية وأشاعها بين جمهور المسلمين، وكان له أثر عميق في بلبلة العقل الاسلامي، ومخاصمته للفقه الموزون، ويقول فضيلة الشيخ الغزالي أيضاً: أين كانت الخلافة العباسية في أثناء الهجوم على الفكر الإسلامي بهذه الطريقة الوضيعة؟.. لم تكن تكترث بالنتائج».

وعندما تحركت الخلافة تحركت لتنصر انحراف المعتزلة في بعض القضايا الكلامية، وأمرت بسجن وجلد ابن حنبل الذي كان يعد زعيم المحافظين في ذلك الوقت، على أن علماء المسلمين، ووراءهم السواد الاعظم من الأمة قاوموا هذا الغش المفروض على ثقافتهم الدينية مقاومة ناضجة، وأمكن حصر الاسرائليات والنصرانيات والإغريقيات، وكل القمامات الفكرية التي أرادت الألتصاق بالرسالة الخاتمة وتم تحذير الناس منها..

والواقع أن أصول الإسلام بقيت معصومةً، غير أننا لا ننكر أن أوهاماً ومبتدعات ومرويات واهية وأراء سقيمة لا تزال تحيا بين ظهرانينا ما يبصرها إلا أولو النهي.. «الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، الشيخ م. الغزالي صفحة ٢٩ – ٣٠»/

إذاً، فالعلة لا تزال قائمة، والواقع أصدق شاهد على ذلك، فالبدع المنكرة

المرذولة التى نهى عنها الرسول (ﷺ) تجده عند تصوف الملاحدة وأفكارهم الغريبة..

إن من بين نظريات التصوف نظرية - وَحْدَةُ الوجود - التى انعكست آثارها على الفلسفة والشعر الصوفى، وهذه النظرية تبدو فى مظهرها أنها تقوم على الحب، وتلك نظرة إنسانية مثالية تنم عن تقديس أسمى القيم والمشاعر، ويتصور البعض أن هذه النظرية تنطوى على رؤية متعمقة للكمال البشرى الذى طالما تاق إليه المصلحون والفلاسفة..

أما الواقع فإن هذه النظرية تنطوى على ثنْوِيَّة الفرس، وتثليث النصارى، والفلسفة اليونانية، تلك الفلسفة وغيرها من الفَلَسفات التى اقتبسها المشتغلون بفلسفة الفكر الإسلامى. فوقع بعضهم فى ربقة هذه الفلسفات الغريبة عن الإسلام وجعلوا منها مذاهب أسموها مرة بالإشراق، وأخرى بأهل الحقيقة، وأهلِ المعرفة، والصوفية.. الخ.. وتطورت من أستاذ ومريد، إلى شيخ عالم بالأسرار، ثم إلى واسطة بين الله والعباد، ثم إلى شيخ تجسد فيه الله - القطب - الخ..

وفى ظِلِ هذه الافكار الدخيلة على الإسلام الصحيح، ظهر من ينادى بنظرية - وحْدَة الوجود - فى مقابل عقيدة التوحيد التى هى أساس لجميع الأديان السماوية وروح الإسلام وسِرِّ وجوده.. ومبتدع هذه النظرية هو محيى الدين بن عربى..

محيى الدين بن عربى - ٥٦٠ - ٦٣٨هـ - شيخ المتصوفة فى وقته. ولد فى الاندلس وطاف فى بلاد الشرق والغرب ثم أقام فى سوريا التى مات فيها مقتولاً لمقولة قالها - قال للناس: أنتم وما تعبدون تحت هذه، وأشار إلى قدمه، فقتلوه، قتله الناس آخذين بظاهر القول، أما الذى كان يعنيه ابن عربى هو أن القوم كانوا ماديين فمقصده كان - هم وأموالهم وما يملكون تحت قدمه..

كان ابن عربى عبقرى - مؤمن - مُوَحِّد فيلسوف - مزج فلسفة الإغريق بالإيمان الإسلامِي.. آمن بآله واحد، وأشرك معه عباده وجميع مخلوقاته فى مذهبه - وحْدَة الوجود - والذى تجد فيه تأثره بنظريتى الفيض والمعرفة الاشراقية، والتى بنى عليهما مبادئه فِي وحدة الوجود، ونظريته فى العلم اللدنى للأولياء، أو لخاتم الأؤلياء.. وهما جُمَّاع مذهبه.. لقبه أتباعه بالشيخ الأكبر،

والعارف بالله، وكان له مريدون يعجبون به إلى حد كبير. رحم الله محيى الدين ابن عربى..

يقول ولى الدين العراقى: وينبغى عندى أن لا يحكم على ابن عربى فى نفسه بشىء فأنى لست على يقين من صدور هذا الكلام عنه ولا من استمراره عليه إلى وفاته، ولكننا نحكم على هذا الكلام بالكفر.

قال لى صديق: إنك حين تقرأ للصوفى العظيم محيى الدين ابن عربى تغوص فى بحر لا نهائى يكاد يلخص العالم ويستحضر صورته، خاصة - الفتوحات المكية ، تشعر بأنه يجوس فى كون فسيح تتوالى فيه المجرات وتتابع الإشارات والتجليات فى كل آن، لقد تعرض ابن عربى لهجوم بعض الفقهاء المتزمتين، وتولى الصوفية الدفاع المجيد عنه.

قلت: إن المعتدلين من الفقهاء قد انتهوا لرأى معقول مقبول فى ابن عربى ومؤلفاته، قالوا: ينبغى أن يسلم للرجل حاله، والعهدة فى كلامه على التجليات التى عاينها، وهى ليست حقائق ملزمة لكل شخص، وإنما تستمد مصداقيتها من صدق قائلها، وعلى الناظر فى كتبه أن يبحث عن مستند شرعى لكل معنى يقابله، فإن لم يجد هذا المستند أو الأصل الشرعى، فعلى القارئ أن يتوقف عن قبول أو رفض ما يجده فى كتب ابن عربى.

«وَحْدَةُ الوجود»

ابتدع محيى الدين ابن عربى نظريته فى وحدة الوجود متصوراً رباً عجيباً يجمع بين النقيضين المتوترين فى ذاته، وبين الضدين الحقيقيين فى صفاته.. فهو الوجود الحق، وهو العدم الصرف، وهو الخلّاق وهو المخلوق، هو عين كل كائن، وصفاته عين صفات كل موجود وكل معدوم، هو الحق الكريم وهو الباطل اللئيم، هو العبقرية والخرافة، هو الوهم والخاطرة الملهمة، هو المؤمن والكافر، هو الموحد والمشرك، هو النور والظلام .. الخ..

ويؤكد ابن عربى أن كل شئ هو الله سبحانه فيقول: إن العارف من يرى الحق - أى الله تعالى - فى كل شئ، بل يراه عين كل شىء.. فإنك إذا رأيت إنساناً أو حيواناً أو حجراً، فقد رأيت الربَّ نفسه!!.. فالرائى والمرئى هما عين ذلك

الرب.. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.. (هذه هى الصوفية، عبد الرحمن الوكيل ص ٧٤).

ومن هذا المنطق، نراه يؤمن بقدسية عبدة الأصنام، ويمجد صدق إيمانهم وإخلاص توحيدهم، ويؤمن بالصائبة عبّاداً يوحدون الله ويخلصون له الـدين، كما يؤمن بسمو إيمان النصارى حين عبدوا ثلاثة آلهة، ولكنه يعيب عليهم قصورهم عن إدراك الحقيقة الكاملة فى تصوره. فالرب عنده ليس هو تلك الاقانيم فحسب وإنما هو عين ما يرى أو يحس، وعين ما لا يرى أو يحس، ولهذا فهم مخطئون فى نظره، لأنهم عبدوا مظاهر الرب، أو بعض تعيناته.. وكان واجباً أن يعبدوه فى الكل لأنه هو ذلك الكل فيما ظهر وفيما بطن!!.. (راجع النصوص لأبن عربى – النص العيسوى والمحمدى).

إن الزعم بوَحْدَ الوجود، هو إدعاء فاجر، بُنِىَ على خرافة أن الكون كله قد انبثق عن نواة واحدة، وأن الله تعالى هو هذه النواة، وما أسماؤه وصفاته إلا أجزاء هذا الكون ومظاهره من كل ناطق وصامت وساكن ومتحرك.. وتجمع وحدة الوجود بين المعنيين: معنى الكثرة فى الواحد ومعنى الوحدة فى الكثرة، وكأن طبيعتى الناسوت واللاهوت وجهان لحقيقة واحدة..

وتزعم هذه النظرية الضالة، بأن كل عابد مهما عَبَدَ من إنسان أو حجر أو شجر أو كوكب أو حيوان، فما عبد إلا الله!!.. وأن الكون كله سوف يعود يوم القيامة إلى نواته الأولى، وهى فى زعمهم، الله تعالى، فلا جنة ولا نار، ولا ثواب ولا عقاب، بل يصير إلى ما يزعمه مبتدع هذه النظرية: يصير العذاب نعيماً، وجهنم جنة، ولا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان بمشاهدة العيان!!..

أن هذه النظرية الضالة. هى التى سوّغت للحلاج أن يقول: أنا الحق وما فى الجبة إلا الله!! ويقول أيضاً

أنا مَنْ أهوى ومَنْ أهـوى أنا   نحن روحـان حللنا بدنـا
فـإذا أبصرتنـى أبصرتَـه   وإذا أبصرتَـه أبصرتَنـا!!

وهذه النظرية هى التى سوغت لأبى يزيد البسطامى. أن يخترع قصة التقائه مع القطب وقوله له: إذا رأيتنى فقد رأيته وطفت حول الكعبة – القطب عند

الصوفية هو أكمل أنسان، أو الواحد الذى هو موضع نظر الله فى الأرض ويفيض روح الحياة على الكون!!..

ويقول البسطامى عن القطب: وإذا عبدتنى فقد عبدته وسجدت له، فلا تظن أننى شيء غيره!!.. وهو قول لا يجرؤ عليه إلا إبليس اللعين فما رأى أبو يزيد إلا شيطانه الذى أوحى إليه أن يقول، إن قلب الصوفى أوسع من عرش الله!!.. وأن يقول عندما يسمع القارئ يتلو قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ البروج ١٢- فيقول البسطامى: وعزتى وجلالى إن بطشى لأشد من بطشه!!..

فلا عجب فأستاذه كان يقول. والقول لابن عربى: سبحان من خلق الأشياء وهو عينها، ويقول: فيحمدنى وأحمده - ويعبدنى وأعبده!!..

ويروى عن البسطامى أنه قال: قلت يوماً، سبحان الله.. فنادانى الله فى سرى: هل فىّ عيب تنزهنى عنه؟ قلت: لا يا رب.. فقال: فنفسك منزه عن ارتكاب الرذائل.. فأقبلت على نفسى بالرياضة حتى تنزهت عن الرذائل وتحلت بالفضائل.. فصرت أقول: سبحانى سبحانى ما أعظم شانى، الجنة لعبة صبيان!!..

هكذا يدعون، إن العبد رب والرب عبد.. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وهم يبتهلون إلى ربهم أن ينتشلهم من أوحال التوحيد، وأن يغرقهم فى بحار - الوحدة - وحدة الوجود، عقيدتهم!!..

إنهم يدعون المحبة لله تعالى. وأنهم قد بلغوا فى حبهم المزعوم درجة العشق والوجد!! وكتبوا فى عشقهم ووجدهم أشعاراً بالغة الغرابة يعبرون فيها عن ذات قلوبهم تعبيراً غزلياً انسانياً مستفيضاً من نوع ما يستحى الناس عن ذكره بين المحبين!!.. تعبيرات وأشواق وهيام فى قصائد غزلية يظنها السامع أو القارئ أنها موجهة إلى إنسان..

ولا فرق عندهم فى التحليل والتحريم بين الأم والأخت وبين الأجنبية!! ولا بين الماء والخمر!! ولا بين الزواج والزنا!!

لقد زعم الصوفية أن دين الخليل إبراهيم هو دين أبيه آزر، وأن إيمان مؤسى عين كفر فرعون، وأن وثنية أبى جهل عين توحيد محمد (ﷺ) !!..

ويقـولون إن كـفـر الكافـر وخطيئـة الفـاجـر. عين إيمان المؤمن وصـلاح الناسك!!.. كما قادتهم عقيدتهم الزائفة إلى الاعتقاد بالاتحاد وعدم التمايز بين الإنسان الكامل وبين الله سبحانه وتعالى، فأسقطوا التكاليف الشرعية لأنه ليس هناك جانبان وطرفان، أحدهما مكلّف والآخر يقوم بالتكليف!! فلماذا التكليف وقد تمت الغاية؟ وما التكليف إلا وسيلة للغاية؟!.. وهكذا يستطيع ذلك المفكر الغريب أن يحقق هدفه.. وهو إسقاط التكاليف الشرعية..

إن الصوفية استهانوا بشعائر الدين وأصوله، فأعرضوا عن الصلاة بدعوى أنهم يؤدونها في الأماكن المقدسة!!. كما أهملوا الصيام وأوهموا الناس أن التكاليف الدينية تسقط عن كل واصل!!..

الحقيقة المحمدية: يعرف الصوفيون الحقيقة المحمدية بأنها الذات مع التعيين الأول، ولها الأسماء الحسنى، وهى اسم الله الاعظم!!..

فالرسول (ﷺ) طبقاً لعقيدتهم هذه - هو الله سبحانه وتعالى، ذاتاً وصفات - وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو الموجود المطلق، والموجود المقيد!!.. (هذه هى الصوفية- عبد الرحمن الوكيل - ص٧٤).

ويقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل: أرأيت إلى قطب الصوفية الأكبر فى غى إلحاده الأكبر يفترى أن محمداً (ﷺ) هو الله؟!.. وتأمل دهاء مكره فيما يعبر به عن كفره فى قوله: المهاجر من مكة، كان الله. ولم يكن معه شيء ثان إلى المدينة؟! ولا ريب فى أنك تعرف: أن صاحب الرسول (ﷺ) فى الهجرة كان أبا بكر، يعنى أن ابا بكر هو الآخر لم يكن إلا الله!!..

ومات محمد (ﷺ)، ومات من بعده أبو بكر رضى الله عنه - فأى إله هذا الذى يتجرع غصة الموت مرتين؟!.. بل ما ذلك الإله، الذى يموت ويحيا فى كل لحظة آلاف المرات؟!.. ثم يقـول فضـيلتـه: لقـد دانت الصـوفـيـة بأن الرب الأكبر هو عين خلقه!!.. فياللصوفية يعبدون رباً يموت آلاف المرات ويولد آلاف المرات فى آن واحد!!. (المرجع السابق، ويقول الاستاذ الوكيل): إن فى كثير ممن ينسبون إلى الاسلام ميراث قرون عاثت الصوفية فيها بضلالتها ميراثاً يتعصب له مقترفوه تعصباً لم تتردد حتى الجاهلية فى مثله تعصباً يدفعهم - فى غِلٍ موتور - إلى معارضة الحق الجلى من القرآن بذلك الباطل الملعون.. ولطالما بحّت أصواتنا

تحذر من مهالك هذا التراث، فكنا لا نلقى ممن يقتاتون من سُحْتِه سوى الصياح حتى لا يصل إلى الاسماع دعاء الهدى..

«مذهب الصوفية فى التفسير الباطنى للقرآن»

يقول الله تعالى في سورة النساء الآية ٨٢: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرأنَ وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اختِلاَفاَ كَثِيراً** ﴾.

وفي سورة محمد الآية ٢٤، يقول الله تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرأنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾.

تشير هذه الآيات إلى أن القرآن الكريم له ظهر وبطن.. كما ينبه الرسول (ﷺ) بهذا ويقول: لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حدٌّ، ولكل حدّ مطلع..

ويقول (ﷺ) القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاجى العباد..

وقد اختلف العلماء فى بيان ذلك.. فقيل: ظاهرها، أى الأية، لفظها.. وباطنها تأويلها.. وقيل أيضاً: إن ظاهرها، ما ظهر من معانيها لأهل العلم، وباطنها، ما تضمنته من الأسرار التى اطلع الله عليها أهل الحقائق..

أما الصوفية – أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة – فقد اعترفوا بظاهر القرآن وباطنه، ولكنهم حين فسروا المعانى الباطنة، خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيء.. فيحنما تعذر على المفسرين فهم ما يتفق صراحة مع تعاليمهم أو يتماشى مع النظريات التى يقولون بها، حاول أولئك المفسرون أن يجدوا فى القرآن ما يشهد لهم أو يستندوا إليه..

لهذا نراهم يتعسفون فى فهم الآيات القرآنية ويشرحونها شرحاً يخرج بها عن ظاهرها الذى يؤيده الشرع، وتشهد له اللغة، فى محاولة إخضاع قواعد النحو لنظرياتهم وما يرضى ميولهم ويخالف المراد الآلهى ومقصده الذى جاء القرآن من أجله..

وكان هذا مسلك ابن عربى والبسطامى والحلاج والنابلسى، حاولوا إخضاع الآيات القرآنية لنظرية وحدة الوجود، فهم يقسمون الدين شريعة وحقيقة، وظاهر وباطن!!.. وأهل الشريعة – عندهم – ومن بينتهم علماء المذاهب الأربعة وفقهاء

الشرع وعلماء الحديث، هم أهل الظاهر!!.. وبينهم هذا يعتبرونهم طبقة العوام لإيمانهم بالنصوص الشرعية دون اللجوء إلى التأويل!!..

أما أهل الحقيقة - في زعمهم - فهم أهل الباطن وهم الخاصة الذين يعتمدون على تأويل النصوص الشرعية عن طريق الكشف والخواطر والأحلام!!.. وعلى هذا فهم يعطون لإنفسهم الحق في تأويل آيات الله تعالى وفقاً لأهوائهم، فتسمع أحدهم يقول: حدثني قلبي عن ربي!!.. وآخر يقول: رأيت رسول الله وحدثني قال!!.. ولهم في ذلك أقوال مأثورة، يقول قائلهم: أحسن الظن ولا تنتقد، بل اعتقد!!.. ويقول آخر: من اعترض انطرد ووجد الباب مغلقاً!!..

«كرامات الصوفية»

يزعم الصوفيون أن شيوخهم يقولون للشيء، كن فيكون.. فيقول على بن حرازم عن أحد شيوخه: أنه خليفة، يملكه الله كلمة التكوين متى قال للشيء كن، كان من حينه!!. (جواهر المعاني، جـ٢، ص٨).

ويقول أبو السعود: أعطاني الله التصرف منذ خمس عشرة سنة وتركناه تظرفاً!! ويعلق ابن عربي على هذا بقوله: وأما نحن فما تركناه تظرفاً وإنما تركناه لكمال المعرفة!!. (النصوص جـ١، ص ١٢٩)/

ويقول البسطامي: رفعني - أي الله تعالى - فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد أن خلقي يحبون أن يروك!!..

ويعدد إن عربي أنواع الكرامات فيقول: ومنها سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها في العوائد وخرقها، ومنها مكالمته للملأ الأعلى ومحادثته لهم!!. . (ابن عربي موافع النجوم، ص ٧٥).

وهذا - الدماميني - يؤتى له بفراخ مشوية فيقول: طيرى بأمر الله، فتطير!!.

وأيضاً - الكيلاني - يضع يده على عظم دجاجة بعد أن أكلها ويقول لها: قومي بإذن الله. فتقوم!!..

وهذا - العمري - كما يذكر - الشعراني - يدخل عليه محمد بن شعيب فيراه جالساً في الهواء وله سبع عيون!!..

وهذا الشيخ أبو على: تدخل عليه تجده جندياً، ثم تدخل عليه فتجده سبُعاً، ثم تدخل عليه فتجده فيلاً.. وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة!!. (الطبقات الكبرى للشعرانى جـ٢ ص٨٠).

ويزعم الشعرانى أن بعض الناس تآمروا على ذلك الشيخ المتطور إلى فيل وسبع، وأنهم قطعوه بسيوفهم وآخذه فى تليس .. ثم أصبحوا فوجدوه حياً جالساً!!..

فهل هناك هراء وخبال أكبر من هذا؟!..

يقول فضيلة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل: كانت الجاهلية فى إسفافها الوثنى أقل حماقة من الصوفية. لقد وحدت الجاهلية الله فى ربوبيته وأشركت به فى الوهيته.. أما الصوفية فقد أنحدرت حتى نفت وجود الله الحق، ونعتته بالعدم الصرف.. أفيمكن أن يقاس إلحاد الصوفية بشرك الجاهلية؟!.. ويقول فضيلته عن إيمان الصوفية فى قبور الصالحين والأولياء وطوافهم بها طواف الحجاج لبيت الله الحرام. وإحيائهم للموالد، يقول: ودعوى حبهم – أى الصوفية – للرسول وآل بيته دعوى الرجس أنه قداسة، والإثم الكبير أنه روحانية فضيلة!!..

وكتلك الفرية افتراء الشيعة أنهم أحباء آل بيت محمد (ﷺ) أترى الشيعة والصوفية اتبعوا الرسول وجعلوه وحده الأسوة والقدوة الحسنة؟!..

إن ما يحتجون به لدعواهم سوى العكوف على الأضرحة الموقيمة لآل البيت . لا تدرى أهى لصالح أم لطالح. لمسلم أم يهودى؟! فقد شيدتها الفاطمية فى مصر لتصرف الناس عن حج بيت الله، ولتجعل قلوب المسلمين نفسها فى قبور خربة.. ثم سمتها بأسماء آل البيت. وأقامت على سدانتها وعبادتها الصوفية، يقبلون أستارها وأحجارها ويعطرون أجواءها ويستشفعون بأعتابها. واقتراف الأعياد الوثنية فى كل موسم لها.. وسل لمن تلك الموالد؟!.. سل عن عربدة الشيطان فى إباحاتها وعن الأثم المهتوك فى حاناتها وكم الشهوات التى تتفجر تحت سواد ليلاتها؟!! (هذه هى الصوفية، ص١٣٥).

ويصف لنا الجبرتى الفساد الذى كان يحدث على عهده فى الموالد، فيقول فى وصفه لمولد العفيفى: ينصبون خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوى ويجتمع

العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم وفلاحي الارياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغوازي والبغايا والقرادين والحواة، فيملأون الصحراء والبستان، فيطئون القبور ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون، ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً..

ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء، ويقتدى بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة، ولو لم يكن ذلك لانكره العلماء، فضلاً عن كونهم يفعلونه.. فالله يتولى هذا أجمعين. (تاريخ الجبرتي، جـ١/ ص٢٢٥).

ويقول فضيلة الشيخ - عبد اللطيف مُشْتُهِرى - بعدما رأى فى مولد الرفاعي: دمى قلبى بعد نفاد دمع عينى، حينما سمعتهم يقلدون فى أناشيدهم صوت المطربات فى حلبة الرقص بالموسيقى التوقيعية، وهنا تتهيج الأصوات وتثور الغرائز ويتمايل الراقصون أماماً وخلفاً، وعن اليمين والشمال وخلفهم وأمامهم النساء يزغردن ويرقصن ويصفقن مشجعات مدغدغات لهذه الشهوات.. ولو قضوا عُشْر هذا الوقت الصاخب فى تلاوة كتاب الله لكان خيراً لهم وأهدى سبيلاً، ولما كانوا عنواناً سيئاً لهذا الإسلام الحائر بين ظلم أعدائه وضلالة أدعيائه..

ولا تزال العلة قائمة، لا تزال اتخاذ مقابر الأولياء والصالحين موسماً وعيداً، ومبيتاً وملعباً للأطفال وسوقاً للبيع والشراء فى الموالد، أضف إلى ذلك تبرج النسوة والصخب، والشرك بسؤال الموتى ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى. والاختلاط والخلوة المحرمة فى مواطن العبرة والخشية والرعدة من رهبة الموت.. أن غلو بعض المسلمين فيمن يعتقدون صلاحهم وولايتهم لله تعالى، وبخاصة أصحاب الأضرحة والمزارات - يؤدى إلى أنواع من الشرك، كالنزر إليهم والذبح لهم والاستعانة بهم، والأقسام بهم على الله تعالى ونحو ذلك، فهو يطوفون على قبور الصالحين والأولياء طواف الحجاج ببيت الله الحرام!! ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ويضعون الدراهم فى صناديقهم ليأكل منها أدعياء العلم المضُّلون!.

يقول الدكتور سعيد عاشور: وإذا كان هذا موقف الصوفية من مبادئ الدين فلا ينتظر منهم عندئذ أية رعاية لابسط قواعد الأخلاق، فقد استباحوا لانفسهم

الحـرمـات على مـرأى من الناس، ومـارسـوا الزنا والخـمـر واللواط والميـسـر والحشيـش، دون أن يخشوا لومة لائم!!. ويبدو أن عامة الناس أصابهم الرعب تحت تأثير الجهل وما أشيع عن الصوفية من كرامات كفيلة بأن تسحق من يتعرض لهم بقول أو فعل، فتركوا الصوفية يمارسون حياتهم المنحرفة على مرأى منهم، بل ربما بحثوا عن مبررات يبررون بها سلوكهم الشاذ..

ويقول الدكتور عاشور عن انحراف - التصوف الإسلامى - فى مرحلته المتأخرة: أدى احلال أحوال البلاد سياسياً واجتماعياً، فى أواخر عصر المماليك إلى انحراف الصوفية، وتحولت حياة التصوف عن مثلها إلى حياة مليئة بالمفاسد والرذائل الخلقية، ثم ازداد الوضع سوءاً فى العصر العثمانى، وهو العصر الذى تعرض فيه المصريون لنكبات جمة عكست صورتها فى المجتمع، ذلك أنه أنتمى إلى التصوف فى ذلك العصر كثير من الأدعياء ممن لا يوصفون بعلم أو دين.. (سلسلة أعلام الدين. د. سعيد عاشور. ص ٢٢٧).

يقـول ابن القـيِّم: وكـان النبى (ﷺ) إذا زار القـبـور يزورها للدعـاء لأهلهـا والترحم عليهم والاستغفار لهم.. على عكس فعل هؤلاء، يسألون أصحاب القبور الحوائج ويستعينون بهم ويضعون كل ما يقدرون عليه من العبادة لها وما فى معناها من التعظيم والخشوع!!.. وفى هذا شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى أصحاب القبور..

ولا ريب أن هذا من أعمال الجاهلية، ومخالف لدين الله تعالى ورسوله وما كان عليه سلفنا الصالح رضى الله عنهم.. وهذه هى الثمرة التى أنضجتها دعوى الصوفية بجواز الاستغاثة بساكنى القبور والأضرحة ونسوا قول الله تعالى: ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الحَقِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيءٍ**﴾ (الرعد/ ١٤).

لقد صور لنا القرآن الكـريم اعتذار الوثنيـة القديمـة عن شركهـا بقـولـه: ﴿ **مَا نَعْـبُدُهُم إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلفَى** ﴾. (الزمر/ ٣). وهذا الاعتذار نفسه هو ما يردده سدنة الجاهلية الحديثة فى دفاعهم عن قاطنى القبور طلباً للشفاء، والفلاح، والتماساً للنجدة والعون!!.. إنَّـهُ الحصاد المذل لثمرة أفكار ابن مَسَرَّة، وابن سبعين، وابن عربى، وابن الفارض وأشباههم..

ولقد خرج من تحت عباءة الصوفية من يدعى النبوة، ومن يدعى أنه المهدى

المنتظر.. وظهرت حركات تتستر بالعباءة الصوفية وتنشر أفكارها الغريبة تحت ستار الدعاوى الإسلامية، وهذه الأفكار المنحرفة استمدت عصارتها من الشجر التى تمتد وتتشعب فى تربة الصوفية، أو تصوف الملاحدة الذى أساء إلى التصوف الحق وإلى الإسلام والمسلمين جميعاً حينما زاغت وانحرفت عن الحق.

وبعد أيها القارئ العزيز، فهذه صورة مكيروسكوبية عن التصوف وما أصابه على يد تصوف الملاحدة.. ولقد اطّلعنا على كتب أهل الكتاب والفلسفة التى انشقت عنها، وكتب الديانات القديمة وكثير من المذاهب، فلم نجد هوساً وهراءً وأفتراءً على الله عز وجل مثل ما وجدنا فى مذهب – وحدة الوجود –..

ولقد قدم الأستاذ محمد البلتاجى دراسة وافية عن هذا الموضوع فى كتابه (الله – توحيد.. وليس وحدة..) والذى نقلنا عنه الشئ اليسير هنا، يقول الأستاذ البلتاجى فى الصفحة ١٥٨ من كتابه:

إن جلدى ليقشعر، وشعرى ليقف فزعاً، ويكاد قلبى ينقصف وأنا أنقل كل هذه الصورة البشعة للكفر والزندقة والضلال.. والله تعالى أسأل أن يتجاوز عن ذنبى فى هذا فما أردت إلا تعريفك أخى القارئ بمبدأ وَحْدَة الوجود الذى ابتدعه ابن عربى وأقام عليه دينه ومذهبه.. قال الأستاذ البلتاجى هذا بعد أن نقل عن مذهب وحدة الوجود تصور ابن عربى للأنثى وعبادة الله سبحانه وتعالى..

ولم تتوافر لكاتب هذه السطور شجاعة الاستاذ البلتاجى، فلم ينقل شيئاً من هذه الزندقة والكفر خوفاً من غضب الله.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم..

إن فلسفة تصوف الملاحدة لو وجدت طريقها إلى القرآن لكانت كارثة على ديننا الحنيف.. ونحمد الله ونسجد له شاكرين بما صدقنا وعده وحفظ لنا القرآن الكريم وغلّفه بنور رحمته فحفظه من الآفات الشيطانية. لقد أردنا من تعرضنا هنا للفلسفة الصوفية أن نثبت وجهة نظرنا عن التدخل الشيطانى فى كل العقائد وإصابة أهلها بآفة الكفر والشرك، ولم نقصد التشهير بأخوة لنا فى الدين ينطقون بالشهادتين ولكن قصدنا نقد الذات فندعوها للصلاح والفلاح ونحن بصدد دعوة غيرنا لاتباع طريقنا؟!..

وهنا يبرز السؤال الذى لابد منه. كيف سيحاسب الله عز وجل قوماً يدينون بدين الحق وينطقون بالشهادتين. ويتحلّون بكل صفات الضلالة؟.. كيف سيحاسب الله الصوفية أصحاب المذاهب الضالة، والعلوية، والشيعة، وكثيراً من المذاهب المنشقة عن الإسلام، تلك المذاهب التى ضلت الطريق فأصيبت بآفة الشرك؟ وكذلك الذين آمنوا بالله واليوم الآخر من أهل الكتاب؟..

نجد الجواب على سؤالنا فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية، فيهما تصريحات واضحة لا تقبل نقاشاً ولا اجتهاداً بشأن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى، وأيضاً الصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً يقول الله تعالى: **﴿ لَهُم أَجْرهُم عِندَ رَبِهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾**.. (البقرة /٢٦٢) .

ونرى أن الله عز وجل جمع بين الذين آمنوا – وهم الذين آمنوا بـ محمد (ﷺ) ورسالته – وبين الذين هادوا والنصارى والصابئين، فى الآية ٦٢ من سورة البقرة لعلمه سبحانه وتعالى أن مَن أمة محمد (ﷺ) من سوف يسلك مسلك أهل الكتاب والصابئين، وإلا لاقتصرت الآية على – إن الذين هادوا إلخ – والله أعلم..

وفى هذا الصدد يقول الرسول (ﷺ): لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ لدخلتموه. قالوا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمَنْ ..؟

إن القرآن الكريم وما يشتمل عليه ويتضمنه من أسرار بلاغية وصياغة بيانيه، وحكم وأحكام، وعقيدة وتشريع، ودلائل إعجاز، ودقة أحكام. قد بين لنا فى الشريعة – والشريعة تعنى مورد الماء الذى يستقى منه الناس – اتخذها القرآن مصطلحاً لما سن من أوامر الدين الحنيف، كما بين لنا أن الكافر، والمشرك، وأهل الكتاب، هم ثلاثة أصناف من الناس تختلف مبادئهم وعقائدهم عن بعضهم البعض..

فالكفر معناه اللغوى – الستر والتغطية – اصطلح به الذكر الحكيم على من تستر على الحقيقة.. والشرك ومعناه اللغوى – الاشراك فى أى شىء، وأصطلح به

القرآن على إتخاذ شريك لله عز وجل فى ربوبيته، لقد بين لنا القرآن الكريم بعمق معانيه وبديع تصويره وقوة حجته الفرق بين هؤلاء الناس الذين كفروا والذين أشركوا وأهل الكتاب..

إن القوانين الوضعية تفسر دائماً فى مصلحة المتهم، ومعاقبة برىء واحد أشد جرماً من إفلات مائة مجرم أثيم.. ونقول هذا رداً على بعض الذين فسروا القرآن ورأوا غير ذلك؟.

وتفسير القرآن الكريم من كلام البشر المقدور على مثله وخاضع للعلم والمعرفة التى يمنحها الله سبحانه لمن يشاء من عباده.. والمجال فى التفسير رحب فسيح، هذا مع الالتزام بالركائز الأساسية للتفسير والأخذ بالدراسات المتخصصة فى إعجاز القرآن الكريم وتفسيره فى إطار حقائق الإعجاز..

«السنة النبوية»

أما السُّنّ التى كان نبينا العظيم مثالاً تطبيقياً لها، وكان القدوة والمثل الأعلى كما وصفه ربه عز وجل فى قوله: ﴿ **لَقَد كَانَ لَكُم فِى رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمن كَانَ يَرجُواْ اللّهَ واليَومَ الأخِر وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً** ﴾ (الأحزاب/٢١) فهى ترجمة عملية للنص الآلهى – القرآن – بكل المقاييس، وعن سنته يقول (ﷺ): أوتيت القرآن ومثله معه..

فنحن ما عرفنا الصوات الخمس وكيفيتها، ولا الزكاة وأنواعها ومقاديرها ولا الحج وكيف يؤدى، ولا المواريث وغير ذلك، إلا من السنة النبوية المفسرة للقرآن والتى أمرنا الله عز وجل بالأخذ بها كما جاء فى محكم التنزيل. وفى هذا يقول الرسول (ﷺ): «ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه».

فالسنة النبوية هى المصدر الثانى للاسلام عقيدةً وتشريعاً وأخلاقاً، حيث إن رسول الله (ﷺ) قد بين ما أنزل الله إليهم بسلوكه وبقوله وبإقراره لذلك فأن للسنة النبوية ومعانيها أثرها فى حياة المسلم لكونها بياناً لكتاب الله يهتدى بهديها ويسير على منهاجها..

لقد علمنا الرسول (ﷺ) المعنى الحقيقى للعلاقة السامية بين الإنسان وخالقه، وإقامة الحياة الانسانية على أساس من العدل والرحمة والعلاقة الرهيفة النبيلة والمعرفة الصائبة والشعور السليم والتعاطف مع جميع بنى البشر وكل مخلوقات الله..

وقد تردد فى القرآن الكريم أن كل رسول من رسل الله أُرسل إلى قومه وحدهم ما عدا سيدنا محمد (ﷺ)، أرسله الله سبحانه وتعالى إلى جميع الناس، يقول الله تعالى فى سورة الأعراف مخاطباً رسوله (ﷺ): ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (الأعراف /١٥٨) . ويقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾. (سبأ/٢٨) .

فالله سبحانه وتعالى لم يرسل سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه لقريش والعرب خاصة، بل أرسله للناس كافة من مشارق الأرض ومغاربها، يقول تعالى فى وصف القرآن فى سورة القلم: ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾. (القلم/٥٢)

وفى حديث عن جابر بن عبد الله قوله (ﷺ): «كان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة».

وفى القرآن الكريم قانون عام التزم به الرسول والمسلمون فى جميع عصورهم وهو ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ﴾ فرض من الله تعالى على الرسول والمسلمين أن يتعايشوا فى ديارهم مع جميع ما بها من أصحاب الديانات والملل إلهيه وغير إلهيه تعايشوا قومياً، وتركهم وما اختاروا لانفسهم من الدين وكفل لهم المحافظة على معابدهم وأن يؤدوا شعائرهم بحرية تامة. وللرسول (ﷺ) أحاديث ومواقف من أهل الكتاب روتها الأحاديث الصحيحة التى تفيد القطع بوقوعها فهو القائل (ﷺ): «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، أى بالتكريم والتعظيم، وأنا أَغْيَر عليه لأنه ليس بينى وبينه نبى».

لقد تعلمنا من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة أن التعددية فى الآراء والمذاهب واللغات والقوميات والشرائع، آية من آيات الله وسنة من سنته عز وجل فى الكون، وهذه التعددية تجسيد لحرية الاختيار لدى الانسان.. وهى الأصل والقاعدة.. فالوحدانية لله سبحانه وتعالى وما عداه، تثبت الظواهر المادية

والإنسانية أنه قائم على التعدد والتناقض.. فالناس خُلقُوا شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وحضارات ليتعايشوا، ومذاهب ليتعاونوا.. أما الممارسات التطبيقية التى جاء بها الإسلام فى مجال التعددية والحرية فكانت منذ اللحظة الأولى «لا إكراه فى الدين».. «وبضدها تتميز الأشياء»..

كما أن التطبيق العملى لمبدأ التعددية والحرية السياسية قد حدث مع إنعقاد أول اجتماع للجمعية التأسيسية التى أقامت الدولة الإسلامية الأولى فى بيعة العقبة، عندما طلب الرسول (ﷺ) من مؤسسى هذه الدولة – من الأوس والخزرج – أن يختاروا اثنى عشر نقيباً ليبايعوا على إقامة هذه الدولة وقد تم اختيار هؤلاء النقباء بالشورى والبيعة، أى بالانتخاب الحر، ويظهر هذا واضحاً فى أول دستور لدولة المدينة على عهد رسول الله (ﷺ) عندما نصّت صحيفة تأسيس هذه الدولة على أن المسلمين من المهاجرين والأنصار أمة، وأن اليهود العرب، وهم جزء من رعايا تلك الدولة، أمة مع المسلمين.. فمنذ اللحظة الأولى والدستور الأول، قامت الدولة الإسلامية على التعددية الدينية بين رعاياها، ونص هذا الدستور على تعاون المسلمين وغير المسلمين فى السلم والحرب، واستمر هذا الملمح فى الحضارة الإسلامية على مر تاريخها، فظلت الديانات الأخرى تتمتع بالحرمة والحماية فى ظل الدولة الإسلامية.. وليس هذا مجرد تسامح بشرى وانما استجابة لتعاليم الإسلام.

وقد جاء فى البند الثانى من الوثيقة التى عرفت باسم الصحيفة: إنهم أمة واحدة من دونه. ونص فى البند ٢٤ على أن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين، وفى البند ٢٥ نص على أن اليهود – يهود بنى عوف – أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ثم عد باقى قبائل اليهود الداخلة فى هذا العهد ومواليهم..

وجاء فى البند ٣٧: وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن من بينهم النصح والنصيحة والبر دون الأثم..

وقد حوت صحيفة العهد ٤٧ بنداً وتضمنت أحكاماً وعهوداً تنظم السلم والجوار والنصرة فيما بين المتعاهدين.. من مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى

والخلافة الرشيدة، (د. م. الحيدر أبادى. ص١٥).

ويتضح من هذه الصحيفة أن واقع العلاقة بين المسلمين والأديان الأخرى هو التقدير والاحترام للعقائد الدينية. وأى قطيعة بين أصحاب الديانات السماوية هى من وحى المصالح الشخصية والسياسية..

يقول الله تعالى: **﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**. (الممتحنة/٨)

ويقول الرسول (ﷺ) فيما روى أبو داود: «إلا من ظلم معاهداً أو أنتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة».. وقال عليه الصلاة والسلام: «من قتل رجلاً من أهل الذمة - أى أهل الكتاب - لم يجد ريح الجنة» رواه النسائى.

ولقد بلغت صيانة الاسلام لحقوق أهل الكتاب أن قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «من آذى ذمياً فقد آذانى».

هذا هو المنهج الاسلامى، المنهج الحقيقى للاسلام الذى وسع أهل الكتاب فى كل تعاليمه رحمه بهم وعدلاً معهم آخذاً بقول الله تعالى: **﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**. (المائدة/ ٤٢)

ولنا عبرة فى - العهدة العمرية - أول أمان للمخالفين فى تاريخ العقائد، تلك العهده التى وقعها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء - فلسطين - من الاقباط بشهادة أربعة من صحابة رسول الله (ﷺ)، عند الفتح الاسلامى لبيت المقدس.. وهذا ما جاء فى نص - العهدة العمرية:

«بسم الله الرحمن الرحيم». هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، سقيمها، وبريئها، وسائر ملّتها.. إنه لا تُسكَن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنْقَص منها، ولا من حيزها، ولا من صُلبانهم، ولا من شىء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم

أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم» إلى أخر ما جاء فى العهدة من نصوص والتى ختمت بالتالى:

وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية». كتب وحضر سنة خمس عشرة من الهجرة.. شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان، وسلمت هذه العهدة إلى - صفروينوس بطريرك الروم..

هذا هو التطبيق العملى لرسول الله (ﷺ) المتمثل فى عقده حلفاً وعهداً - بعد الهجرة إلى المدينة - بين المؤمنين والمسلمين من قريش وبين أهل يثرب طبقه صحابته رضوان الله عليهم فى فتوحاتهم، فالرجال من معدن الرجل القائد. ولك أن ترجع إلى تاريخ صحابة رسول الله اللامعين أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابى عبيدة هم من أخضعوا الفرس والرومان بحجتهم العقلية قبل غزواتهم، وقد قال فيهم رسول الله (ﷺ): «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

يقول الله تعالى فى (سورة الممتحنة الآية ٨) : **﴿ لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.**

تشير هذه الآية الكريمة إلى أن معايشة المسلمين لغير المسلمين فى وطن واحد، والتعاون معهم فى أمور الحياة أمر مباح غير منهى عنه، وعلى أساس هذه الآية وغيرها فى القرآن الكريم عقدت الأحلاف والمعاهدات مع أهل الكتاب وغيرهم..

وفى الآية الخامسة من سورة المائدة أباح لنا الله عز وجل مصاهرة أهل الكتاب، أى تزوج الرجل المسلم من المرأة النصرانية واليهودية، كما أباح سبحانه وتعالى تناول طعامهم عدا ما حرم على المسلمين حيث يقول تعالى: **﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾**. (المائدة/٥)

فقد أباحت هذه الآية للرجل المسلم التزوج من المرأة الكتابية، أى تكوين أسرة ينشأ فيها أولاد ويترتب عليها صهر، بافتراض استمرار الزوجة غير المسلمة على دينها.. مع ملاحظة أن الله تعالى نهانا عن التزوج من المشركات كما جاء في (سورة البقرة الآية ٢٢١) حيث يقول تعالى: ﴿ ولَا تَنكِحُواْ الْمُشرِكَاتِ حتَّى يُؤمِنَّ ولَأَمَةٌ مُّؤمنَةٌ خيرٌ من مُّشرِكَةٍ ولَو أعجبَتكُم ﴾.

ونلاحظ أيضاً كيف يفرق القرآن بين الكتابى والمشرك . فالمشركين والمشركات هم الذين كانوا يعبدون الاصنام فى أول النهار ويأكلونها آخره!!. والمشركين والمشركات من المحدثين هم الذين أتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، من أمثال – مادونا – ومايكل جاكسون– ؟!..

ويقول الله تعالى (في سورة الحج الآية ٤٠): ﴿ ولَولاَ دفعُ اللّه النّاسَ بَعضَهُم ببَعضٍ لهُدّمَتْ صَوَامعُ وبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ ومَسَاجدُ يُذكَرُ فيهَا اسمُ اللّه كَثيراً ﴾. وتَعلّمنا هذه الآية الكريمة أن المسلم مطالب بالحفاظ على كل دور العبادة وجميع مقدسات الرسالات السماوية. وهذا ليس مجرد تسامح، إنما أداء لشعيرة دينية إسلامية. وبذلك يتأكد للجميع أن الاسلام بصفته منهجاً جامعاً مانعاً قامت عليه حرية الأديان ومهدّت للتعايش السلمى بين جميع الأديان..

لقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس من التمييز والتفرقة العنصرية البغيضة فيقول لهم: «إن أباكم واحد وأمكم واحدة فكلكم لآدم وآدم من تراب وليس لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى». ثم قول الله تعالى: ﴿ يأَيُّهَا النّاسُ إنّا خلَقْنَاكُم من ذكَرٍ وأُنثَى وجَعَلنَاكُم شعُوباً وقَبَائِلَ لتعَارَفُواْ إنّ أكرَمَكُم عندَ اللّه أتقَاكُم ﴾. (الحجرات /١٣)

إن (ﷺ) يركز على أن الناس سواسية وهذا ميثاق شرف للأنسانية كلها، وقد رد الإنسانية إلى أصلها الأول وهو آدم عليه السلام، ثم رد بها إلى عنصرها الأصلى وهو التراب الذى لا تمييز بين عناصره، ومنه خلق الإنسان وإليه يعود عند موته، إنها حقيقة يقررها رسول الله (ﷺ)، ويأمل أن تكون مبدأ عاماً لا يقف عند حدود المسلمين وحدهم بل يشمل الجنس البشرى كله..

أما علاقة الرسول (ﷺ) بالمسيحية والمسيحيين، فكانت أقوى ما تكون من

الصلة بين أهل الكتاب والمسلمين فهو القائل: أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة ليس بينى وبينه نبى، وهو الذى أمر أصحابه أن يتفرقوا فى الأرض، فلما سألوه. إلى أين يا رسول الله؟ نصحهم بأن يذهبوا إلى بلاد الحبشة قائلاً: فإن بهـا ملكاً لا يظْلَم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، ولما حضر جعفر بن أبى طالب النجاشى قال: أيها الملك كنا قوم جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيئ الجوار ويأكل القوى منا الضعيف. حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده.. وبعد أن انتهى جعفر من حديثه وتلا ما تيسر من سورة مريم، قال النجاشى بعد أن أخذ عوداً وخطه على الأرض: ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط..

ووجد المسلمون عنده أمناً وسلاماً، ومن أخوانهم المسيحيين دعة ورفقاً..

وهكذا سجل التاريخ بأحرف من نور حقيقة أرساها نبي الإسلام مؤداها أنه مع أخيه المسيح عيسى بن مريم معاً على الطريق فى مواجهة قوى البغى والعدوان. وينشأ بين المسيحيين والمسلمين أخوة ومودة.. لذلك نجد نبى الإسلام فى مرآة الفكر الغربى يعرضون أفكارهم فى شخصية محمد رسول الله (ﷺ)، فمن الروس تولستوى، ومن الهند غاندى، ومن بريطانيا برناردشو وكارليل، ومن فرنسا فولتير وإميل دومنجام ولامارتن وجون لابوم ، وغيرهم ما لا يحصى من العلماء والمفكرين وجدوا فى رسول الله (ﷺ) المعلم والمصلح الذى لم يجد الزمان بمثله عليه الصلاة والسلام.

لقد كان رسول الله (ﷺ) لا يفرق فى علاقته الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم، حيث كان يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم ويأكل من طعامهم ويواسيهم فى مصائبهم ويعاملهم خير معاملة. ولم يتردد فى زيارة يهودى مريض فى بيته، والوقوف احتراماً لجنازة آخر..

ولقد أكرم الرسول (ﷺ) وفادة نصارى نجران وأنزلهم فى مسجده وأذن لهم بالصلاة إلى جوار المسلمين؟..

هذه مبادئ وتعاليم رسول الله (ﷺ) ورثها عنه الخلفاء الراشدين وعملوا بها: لهم ما لنا وعليهم ما علينا.. وقد قرر الفقه الاسلامى أن دم الذمى وعِرضه

وماله حرمة كحرمة دم المسلم وعرضه وماله، وأعطى لأهل الكتاب الحق فى مباشرة التصرفات التى تجيزها شرائعهم وتركهم وما يدينون..

لقد تربى الصحابة رضوان الله عليهم على التوقير والتعاطف مع النصارى وتابعهم على هذا الطريق كافة المسلمين العارفين لصحيح الإسلام وعدله واعتداله.. يقول رسول الله (ﷺ): عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة.. ويقول عمر بن الخطاب: العدل لا رخصة فيه من قريب أو بعيد.. ويقول ابن تيمية: العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت..

فكيف يتجرأ بعض المسلمين اليوم بتكفير المؤمنين من أهل الكتاب؟ كيف؟ لاشك إنه عمل من أعمال الشيطان الذى حول الحب والمودة التى أرسى قواعدها رسول الله (ﷺ) إلى عدواة وبغضاء وزين للناس المغالاة فى الدين الشيء الذى نهى عنه رسول الله..

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو، لماذا لم يلغ الرسول (ﷺ) ديانات أهل الكتاب حينما وضع دستور الدولة الجديد فى المدينة وقال لهم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ (النساء/ ١١٦). وأيضاً ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾ (آل عمران/ ١٩).. وأيضاً ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران/ ٨٥).

إن هذه الآيات يذكرها الباحثون كما تذكر آية ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ** ﴾ (النساء / ٤٣) على سبيل الدعابة؟.. ولو ذكروا ما تقدم وما تأخر من هذه الآيات لعرفنا لمن هى موجهة وماذا يقصد بها ! ولكنهم - أى الباحثين - يقصدون تكفير أهل الكتاب الصالح والطالح منهم، المؤمن بالله واليوم الآخر والكافر منهم، يضعونهم فى ذمرة المشركين الكافرين بالله واليوم الآخر..

يقول الله تعالى فى (سورة المائدة الآية ٤٤): ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاءَ** ﴾.

وهذا يعنى أن كل الانبياء كانوا مسلمين، ومن يتبع ملة إنسان فهو مثله. وأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر هم مسلمون كما نفهم من آيات

كثيرة ذكرها القرآن الكريم ولكن إرادة الله شاءت أن يكون لكل منا شرعة ومنهاجاً.. يقول الله تعالى في (سورة المائدة الآية ٤٨) : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُم شرعةً وَمنهَاجاً وَلَو شَاءَ اللهُ لَجَلَكُم أُمّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبلُوَكُم في مَا إِتَاكُم فَاستَبِقُوا الخيرَات إِلَى اللَّه مَرجِعُكُم جَمِيعاً فَيُنَبِئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ ﴾.

لقد كان سلوك رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدين مع أهل الكتاب تطبيقاً عملياً لتعاليم القرآن الكريم فكانت التعددية وحرية اختيار العقيدة هى الراية التى رفعها الرسول (ﷺ) وأصحابه رضوان الله عليهم فى دعوتهم، وفى كل الفتوحات، ومع كل الشعوب التى سادوا عليها.. ولكن الباحثين الأقدمين والمحدثين كان لهم رأى أخر كما ذكرنا على صفحات هذا الكتاب. ولا ندرى إن كان الحب المفرط للدين أم التعصب هو السبب لتكفيزهم للمؤمنين من أهل الكتاب وكتمانهم للحق وهم يعلمون أو ربما لا يعلمون؟.. يقول الله تعالى: ﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ﴾ (البقرة / ١٤٠) (وفى نفس السورة الآية / ١٥٩) يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَنزَلنَا مِنَ البَينَاتِ وَالهُدَى مِن بَعدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلعَنُهُمُ اللاعِنُونَ ﴾.

إن الله عز وجل لم يأمرنا بتكفير أهل الكتاب ولكن أمرنا أن ندعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ونجادلهم بالتى هى أحسن، وفى هذا الصدد يقول الفيلسوف العربى – ابن رشد –:

إن الدعوة للدين بالموعظة الحسنة لعامة الناس الذين لا يحتاجون للمنطق، وإنما يؤثر فيهم الأسلوب الخطابى، ويستجيبون بالانفعال.. والدعوة بالمجادلة تكون مع أنصاف المثقفين الذى يظنون أنهم على حق وهم لا يعرفون إلا نصف الحقيقة، وهؤلاء لا يستجيبون إلا بعد مجادلة ومناظرة..

أما الدعوة بالحكمة وهى عند – ابن رشد – الدعوة الحقة فتكون مع الصفوة من العقلاء الذين يلتزمون بقواعد التفكير المنطقى الخالص ويخضعون للحق عندما يظهر..

كذلك نجد أن الذين يعتنقون الإسلام هم من صفوة المفكرين فى العالم

الغربى تكفيهم حجة سيد الدعاة - القرآن الكريم - على المعتقدات التى لم ينزل الله بهـا من سلطان مـثل التـثليـث الذى لم يرد له ذكـر فى الاناجـيل وليس له مصدر غير عقول الذين اخترعوه. خدعهم الشيطان كما خدع من قبلهم فاستوى معهم فى الخطيئة..

وانظر كيف يدعوهم القرآن الكريم إلى تصحيح تلك الفرية فى (سورة النساء الآية/ ١٧١): ﴿ **يأهلَ الكتَاب لاَ تغلُواْ فى دينكُم ولاَ تقولُواْ علَى الله إلاَّ الحَقَّ إنّما المَسيحُ عيسَى ابنُ مَريمَ رَسُولُ اللّه وكَلمَتُهُ ألقَاهَا إلى مَريَمَ ورُوحٌ منهُ فآمنوا باللّه ورسُله ولاَ تقُولُواْ ثلاَثَةٌ انتهُواْ خيراً لكُم إنّمَا اللهُ إلَهٌ واحدٌ سُبحَانَهُ أن يكُونَ لَهُ ولَدٌ لّهُ مَا فى السّمَوات ومَا فى الأرضِ وكَفى باللّه وكيلاً، لّن يَستَنكفَ المَسيحُ أن يكُونَ عَبداً لله ولاَ المَلائكَةُ المُقرّبُونَ** ﴾.

حجة بالغة لا يملك العقل غير الخضوع لها. فى حالة العقلاء؟!..

وعن اليهود يقول الله تعالى (فى سورة الاعراف الآية/ ١٥٩): ﴿ **ومن قَومِ مُوسَى أُمّةٌ يهدُونَ بالحَقّ وبه يَعدلُونَ** ﴾. وفى نفس الســورة الآيات ١٦٧ إلى ١٦٩: ﴿ **وإذ تأَذّنَ ربُّكَ ليَبعثَنّ عليهم إلى يومِ القيامَة من يَسُومُهم سُوءَ العَذاب إنّ ربّكَ لَسَريعُ العقَاب وإنّهُ لَغفُورٌ رّحيمٌ، وقَطّعنَاهُم فى الأرض أُمماً منهُمُ الصّالحُون ومنهم دُونَ ذَلكَ وبَلَونَاهُم بالحَسنَات والسّيّئات لعَلّهم يرجعُونَ، فَخلَفَ من بَعدهم خَلفٌ وَرثُواْ الكتَابَ يأخُذُونَ عَرَضَ هذَا الأدنَى ويَقُولُونَ سيُغفَرُ لنَا وإن يأتهم عَرَضٌ مثلُهُ يأخُذُوهُ ألَم يُؤخَذ علَيهم ميثَاقُ الكتَاب أن لا يقُولُوا علَى الله إلا الحَقّ ودَرَسُواْ مَا فيه والدّارُ الآخرةُ خيرٌ لّلّذين يتّقُونَ أفَلاَ تعقلُونَ** ﴾.

ويقول عز وجل (فى سورة السجدة الآيات ٢٣ إلى ٢٦): ﴿ **ولَقَد آتينَا مُوسَى الكتَابَ فَلاَ تكُن فى مريةٍ من لقَائه وجَعلنَاهُ هُدًى لّبنى إسرائيلَ، وَجَعلنَا منهُم أئمةً يَهدُونَ بأمرنَا لَمّا صَبرُواْ وكَانُوا بأيَاتنَا يُوقنُونَ، إنّ ربّكَ هُوَ يَفصلُ بينَهُم يومَ القيامَة فيمَا كَانُواْ فيه يَختَلفُونَ، أولَم يَهد لَهُم كَم أهلَكنَا**

من قَبلِهِم مِّنَ القُرُونِ يَمشُونَ فِي مَسَاكِنِهِم، إنَّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ أَفَلاَ يَسمَعُونَ﴾.

بمثل هذه الآيات التى توجد بطول القرآن وعرضه، يدعو القرآن أهل الكتاب إلى الرجوع إلى الحق، وهذا الأسلوب القرآنى يختلف عن أسلوب الدعاة الذين يكفرون أهل الكتاب قبل أن يدعوهم إلى الإسلام؟!.. لذلك نجد أن مصدر إيمان أهل الكتاب الذين يعتنقون الاسلام هو القرآن والسنة مباشرة.

يقول - هنرى لورانس - أحد أشهر مؤرخى نابليون: إن نابليون كان على وشك أن يتحول إلى الإسلام ويحول جيشه كله معه لولا رفض جنرالاته. وهو رأى يميل إليه أيضاً المؤرخ الكبير - بنواميشان - وعندما عاد نابليون إلى فرنسا أباح لمدام ريموزا بمكنون صدره عند رؤيته الأمم الشرقية الاسلامية، وهو حلم أستطاع تحقيقه الجنرال - مينو - الذى سمى نفسه عبد الله وتزوج بسيدة من رشيد..

ولا ننسى - فردريك الثانى - عاشق الحضارة العربية والذى أنشأ جامع نابولى فى إيطاليا وشارك فى ندوات كثيرة لدعم الدور العربى فى التأثير عليهم، إضافة إلى ما أسداه أسقف طليطلة عندما أنشأ مجمع للترجمة فى الفلسفة والعلوم الطبية، وفى سنة ١٠٤٣م قاموا بترجمة القرآن، وفى جامعة باريس تبنى المعجبون بالحضارة الإسلامية أفكار ابن رشد، مما أسهم فى انتشار حرية الفكر والتمهيد للنزعة الأوروبية المتفتحة على الحضارة العربية..

إنه أسلوب الدعوة القرآنى الذى يجذب المفكرين إليه، كما سمعنا فى البيان الذى ألقاه الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا فى حديقة «هايد بارك» يدعو فيه الشعب البريطانى إلى دراسة الإسلام، وأن يجلبوا مدرسين ليتعرفوا الإسلام أو قال: إن السيد-المسيح فى القرآن الكريم مكرم تكريماً لم يحظ به نبى مثله، حيث إن ثانى أكبر سورة فى القرآن الكريم مسماه باسم - آل عمران - وأن هناك سورة مستقلة باسم السيدة - مريم - وسورة ثالثة مأخوذ اسمها من معجزة من معجزات السيد المسيح وهى - المائدة - التى أنزلها الله من السماء للسيد المسيح..

وهذا الأسلوب القرآنى للدعوة إلى الإسلام الذى دعى أحد علماء الانجليز إلى القول: تمنيت دائماً أن يكون الإسلام هو السبيل للعالم فلا منقذ لهم سوى رسالة محمد (ﷺ)..

ويقـول – مـرادهوفـمـان – الألماني: أن الإسـلام لا يطرح نفسـه بديلاً للمجتمعات الغربية الصناعية، إنه بالفعل الدين الكامل ذات الحقيقة الكلية.

ويقول – شاخت – الألماني: إن العالم لاشك سيذكر ذات يوم كلماتي بأن الإسلام سيصبح المظلة الحقيقية للعالم أجمع.

وإلى جانب أسلوب الدعوة القرآني الذي لا يرقى إليه داعيه، يوجد الإعجاز والحقائق العلمية فيه والذي يقول عنه العلماء في الشرق والغرب. إن هذا الكتاب لا يمكن إلا أن يكون كتاباً منزلاً من عند خالق هذا الكون الذي أحاط بكل شيء علماً..

لذلك نجد المنصفين الباحثين عن الحقيقة بإخلاص، يؤمنون به ومنهم من يشهر إسلامه ومنهم من يستره، وأعداد الذين اشهروا إسلامهم شرقاً وغرباً في ازدياد مطرد، على الرغم مما يواجه الاسلام من حرب شرسة في وسائل الإعلام الغربية فلم يهاجم دين من الأديان كما هوجم الاسلام.

وبرغم محاولات تشويه ولصق الاتهامات بالاسلام إلا أن مثل هذه المغالطات لا يتأثر بها غير العامة والدهماء من الجهال، فهم غثاء أما العلماء والمفكرون الذين يعرفون حقيقة الإسلام فلا يتردد معظمهم في إشهار إسلامه حتى أصبح الدين الإسلامي هو الدين الثاني بفرنسا– وكتبت مجلة – التلجراف – الأسبوعية البريطانية أن الإسلام أصبح الآن أكثر الديانات انتشاراً بين شعوب العالم، وهذا بفضل الأسلوب القرآني للدعوة والسنة النبوية والاعجاز العلمي في القرآن ولو كان أسلوب دعاتنا أسلوباً قرآنياً نبوياً لدخل الناس في دين الله أفواجاً. يقول عالم الجيولوجيا الامريكي – د. اليسون بالمر –: ان القرآن الكريم بما يحتويه من حقائق وأسرار علمية، لا يزال العقل البشري يجهل بعضها ويعجز عن تفسير البعض الآخر، إنما هو كتاب للماضي والحاضر والمستقبل فهو كتاب القرن العشرين الذي ينبغي على العلماء أن يزيدوا من اهتمامهم به في المستقبل..

ويقول – د. مارشل جونسون – أستاذ علم الأجنّةَ الأمريكي: القرآن الكريم بالقطع أكبر من طاقة كل البشر في الدنيا، فلو كانتَ هذه الحقائق لدينا لأقمنا الدنيا ولا نقعدها..

أما الدكتور – أرثر اليسون – أستاذ ورئيس قسم الهندسة الكهربائية والالكترونية بجامعة اكسفورد فلم يستطع أن يدرس أو يعود إلى بلاده من المؤتمر الذى عقد فى القاهرة – عن الطب الإسلامى سنة ١٩٨٥م – فقد أعلن فى نهاية المؤتمر إسلامه وأطلق على نفسه اسم – عبد الله اليسون، والأمثال كثيرة لا تحصى.. ونرجو الرجوع إلى كتاب (عوالم الإسلام) الذى عكف على إعداده نخبة من كبار الباحثين والدارسين الالمان للتاريخ الإسلامى والعلوم الإسلامية، وهو كتاب جيد بكل المعايير الموضوعية.. وراجع أيضاً كتاب (لماذا أسلموا) للأديب أسامة الألفى – وهو يتناول فيه أسرار إسلام عظماء العالم..

وراجع أعمال المستشرق المجرى – عبد الكريم جرمانوس – الذى قال عنه المرحوم – محمود تيمور – إنه كان من أفضل العلماء الذين خدموا الاسلام والثقافة الإسلامية.. وقد رأى جرمانوس رؤيا صالحة إذْ رأى الرسول (ﷺ) يدعوه إلى اتخاذ الخطوة الحاسمة وإنقاذ روحه قائلاً: لماذا تكتنفك الهموم، إن الطريق أو الصراط المستقيم مبسوط أمامك، فأشهر إسلامه وكان وقتها فى الهند أستاذاً فى جامعتها وكانت تربطه صداقة فكرية بالشاعر والمفكر الإسلامى الكبير محمد إقبال..

وكما جذب الأسلوب القرآنى العلماء والمفكرين والباحثين، كذلك فعلت السنة النبوية، التى لا تجد فيها أسلوب المحدثين من الدعاة، ولا تجد فيها غير الرفق والدعوة إلى دين الله بالتى هى أحسن، كما نقرأ فى السيرة النبوية لابن هشام.. قال ابن إسحاق:

وكتب رسول الله (ﷺ) إلى يهود خيبر – عن ابن عباس: **بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله (ﷺ) صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى، ألاَ إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، إنكم لتجدون ذلك فى كتابكم: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء.. إلخ﴾** الآية ٢٩ من سورة الفتح، **وإنى أنشدكم بالله، وانشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المنّ والسلْوى. وأنشدكم بالذى أيبس البحر لأبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله. إلا أخبرتمونى: هل تجدون فيما**

أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم، ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ البقرة ٢٥٦، **فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه)**.. ذكره ابن كثير فى البداية ٣٢٤/٢).

ما أجمله وما أعظمه من أسلوب! لم يقل لهم الرسول (ﷺ) كما يقول المحدثون من الدعاة كتابكم منسوخ ودينكم فاسد ولستم على شيء حتى تشهروا إسلامكم؟!..

وأيضاً من السيرة النبوية لابن هشام (ج/٢ ص١١١).. قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله (ﷺ) كتاباً بين المهاجرين والانصار ودعا فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم: وهذه بعضها:

وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، إلى قوله: إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ - يفسد - إلا نفسه وأهل بيته، وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحصن من أهل هذه الصحيفة..

«العداء من اليهود» قال ابن اسحاق:

ونصبت عند كل أحبار يهود لرسول الله (ﷺ) العداوة، بغياً وحسداً وضغناً، لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم وانصاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان بقى على جاهليته، ونافقوا فى السر، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبى (ﷺ)، جحدهم الإسلام، وكانت أحبارهم الذين يسألون رسول الله (ﷺ) يتعنتونه، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل. فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه..

إذاً، ذمّ القرآن كان للذين نافقوا ولبسوا الحق بالباطل ولم يكونوا جميعاً كذلك كما جاء (فى سورة النساء الآية ٩٤) يقول تعالى **﴿ يأَيُّهَا الذِّينَ آمنوا إذا ضَربتُم فِى سَبيلِ الله فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لمَن أَلقَى إِليكُمُ السَّلاَمَ لَستَ مُؤمناً تَبتغُونَ عَرَضَ الحَيَاة الدُّنيَا فَعندَ الله مَغَانمَ كَثيرَةٌ كَذَلكَ كُنتُم من قَبلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيكُم فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعمَلُونَ خَبيراً ﴾**. ونقرأ فى السيرة النبوية لابن هشام أيضاً حديث مُخيريق- قال ابن اسحاق:

كان مُخيريق حبراً عالماً، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله (ﷺ) بصفته، وما يجد في علمه، وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد وكان يوم السبت قال: يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون إن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله (ﷺ) وأصحابه بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت اليوم فأموالى لمحمد (ﷺ) يصنع فيها ما أراه الله، فلما أقتتل الناس قاتل حتى قتل، فكان رسول الله (ﷺ) فيما بلغنى يقول: مخيريق خير يهود – وقبض رسول الله (ﷺ) أمواله، فعامة صدقات رسول الله (ﷺ) بالمدينة منها. (أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٥٠٢/٢، وذكره ابن كثير فى البداية ٢٣٧/٣).

هكذا، فإن العلماء والباحثين والمستشرقين الذين يعتنقون الاسلام يرون كيف ضرب الإسلام أروع الأمثلة فى التسامح الدينى منذ ظهوره ونشأة الحضارة العربية الاسلامية التى وضع الرسول (ﷺ) نواتها فى المدينة، وذلك فى زمن ساد التعصب الدينى البغيض المجتمعات غير المسلمة. فيقرأون السيرة النبوية ويرون كيف تعامل الرسول (ﷺ) مع بيئته الجديدة فتلين قلوبهم إلى الإسلام ونبى الإسلام وسيرته وأحاديثه (ﷺ) ومنها:

قال رسول الله (ﷺ). قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل من ذا الذى يتأله علىَّ لأغفر لفلان أنى قد غفرت له وأحبطت عملك. رواه مسلم..

وقال (ﷺ): إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما. فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه. عن ابن عمر متفق عليه.

وقال (ﷺ): ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك، إلا جارت عليه.. عن أبى ذر رضى الله عنه متفق عليه..

وقال (ﷺ): هلك المتنطعون – المبالغون فى الأمور – رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قالها ثلاثاً..

وقال (ﷺ): لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار.. رواه ابو داود والترمذى.

وقال (ﷺ) : ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء.. رواه الترمذى..

وقال (ﷺ) : لا يرمى رجل رجلاً بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك.. رواه البخارى عن ابى ذر.

وقال (ﷺ) : إياكم والظن إن الظن أكذب الحديث..

وقال (ﷺ) : لَعْن المؤمن كقتله.. رواه ابو زيد الأنصارى..

وقال (ﷺ) : لا يكون اللاعنون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة.. رواه مسلم عن ابى الدرداء رضى الله عنه.

وقال (ﷺ) : إن اللين ما دخل فى شئ إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه..

وقال (ﷺ) : الخلْق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله..

وقال (ﷺ) : ليس لنا من الناس إلا ظاهرهم، وعلى الله باطنهم، ولنا الظاهر ولله السرائر، لو تكلم رجل أمامك بكلمة تحمل تسعة وتسعين وجهاً للكفر ووجهاً واحداً للايمان فاشهد بأنه مؤمن، فالأصل فى الناس حسن النية..

وقال (ﷺ) : أتركوهم وما يدينون..

وقال (ﷺ) : من ظلم معاهداً أو كلَّفه فوق طاقته فأنا حجيجه..

وقال (ﷺ) : إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا ولا يبغى بعضكم على بعض..

وقال (ﷺ) : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: أمنا بالله وما أنزل إلينا..

وقال (ﷺ) : فى خطبة الوداع: يأيها الناس إن الأب واحد والرب واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى إلخ..

وعن أم سَلَمه رضى الله عنها. أن رسول الله (ﷺ) أوصى عند وفاته فقال: الله الله فى قِبْط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدةً وأعواناً فى سبيل الله..

وقال (ﷺ) : أوصيكم بأقباط مصر فإن لى فيهم نسباً وصِهْراً..

وعندما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلمته الخالدة التى أصبحت

مقدمة للميثاق العالمى لحقوق الإنسان وهى - متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً - كان هذا الكلام دفاعاً عن قبطى مصرى..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون هلاً وضعت هذه اللبنة، قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين، لاحظ أنه (ﷺ) لم يقل: أنا ناسخ ديانات من جاءوا قبلى؟..

وعلى هذا، يجب أن نحذر من الوقوع فيما حذرنا منه رسول الله (ﷺ) وهو تكفير الغير فتقع فيما يغضب الله وينقلب علينا الكفر ونبوء بغضب الله ورسوله. يقول الله تعالى: ﴿ **مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً** ﴾ (النساء / ٨٠).

إن التعددية سنة كونية أراد الله بها ألا يكون العالم كله كتلة صماء بلا اختلاف، لقد استغرق تطور الفكر الانسانى قروناً عديدة، وكان المنهج الإغريقى للفكر والبحث والدراسة مخطئاً ، لأنه كان يبدأ بالمسلَّمات ويرى آراء الآباء والأجداد حقاً خالصاً صحيحاً لا يناقش، وكان ذلك المنهج سائداً بين الناس فى عصر نزول القرآن الكريم الذى رفض ذلك المنهج الخاطئ، وردَّ الناس إلى الحق، وعلَّم أصول الدين والفقه هو علم عقلى يستهدف إقامة الأحكام الفقهية عن طريق النظر العقلى والمقارنة بين النصوص المقدسة والحالات الواقعية باستخدام منهج الاستقراء العلمى..

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه (التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) إن القيود التى فرضت على حرية العقل الاسلامى نشأت بسبب ظروف تاريخية واجتماعية محددة، ليست من جوهر الفكر والعقل الإسلاميين كذلك رأى أن علم الكلام الاسلامى وهو العلم الذى تطور على أيدى فقهاء السنة للرد على تخرُّصات المجوس وغيرهم، يعد امتداداً للتاريخ الفلسفى الإسلامى، وكذلك مذاهب المتصوفة المسلمين فى حالات الوجود والنفس، والتوق، والوصول، الخ، التى رأى الشيخ عبد الرازق أنها تصلح أساساً لـ «ميتافيريقا» إسلامية متميزة عن نظيرتها التى أسسها فلاسفة اليونان والإسكندريون، ورأى أيضاً

أن أصول الفقه الحقيقية أى التفكير فى الواقع الإنسانى ومشكلاته فيما لم يأت بشأنه نص من القرآن ولا السنة، كفلت للعقل الإسلامى - وهو يشيد فلسفته - حريةً كاملة، وكفلت الإقرار بالمسئولية الفردية وبمسئولية الضمير الفردى. «الشيخ مصطفى عبد الرزاق - ١٨٨٥ - ١٩٤٧- مجدد الفلسفة الإسلامية فى العصر الحديث وصاحب أول تاريخ لهذه الفلسفة».

ونحن نسوق هذا الحديث هنا لنبين الفرق بين الفلسفة والفقه الإسلامى، من جهة، وبين أسلوب الدعوة القرآنى والنبوى من جهة أخرى، فإن الاسلام قسمان: أصول ثابتة لا يجوز الخروج عنها، وفروع جعلها الله رحمة منه لعباده موضع الاجتهاد والنظر، فكما أنه لا يسوغ للمسلمين أن يجتهدوا فى الأولى، لا يسوغ لهم كذلك أن يحجِّروا ما وسعه الله فى الأخرى.

وهذا تحديد جيد للإسلام كما يقول الشيخ الغزالى، ويقول فضيلته: الداعين إلى الإسلام يتركون المدعوين فى حيرة، لأنهم فى حيرة؟

إن المفسرين الأولين كان كل منهم يفسر القرآن الكريم بما وصل إليه إدراكه، لا بما أدركه سواه من المفسرين، وكثير منهم كان له تفسير ليس قطعى الثبوت والدلالة، وخالف بعضهم البعض فى الآراء والتفسير وهذا أمر لا يخفى عن فقهائنا ويعلمون أن فى هذا خصوصية الاسلام وثرائه وتكامل بين العقيدة والشريعة..

لقد اختلف أسلافنا فكانت اختلافاتهم الفقهية سبباً لثراء الفقه الإسلامى، وليس وسائل لفرقتهم، ولقد أذن النبى (ﷺ) لعلى رضى الله عنه بالاجتهاد، ومن ثم اجتهد علىٌ برأيه فى مسائله الزابية وكان رضى الله عنه قدوة فى استنباط الحكم الفقهى من القرآن الكريم. ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنه كان أول من فطن من الصحابة إلى أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وذلك جمعاً بين الآيات واستخراج الحكم من مجموعها والتى لا تدل عليه آية بمفردها. وقد أقره النبى (ﷺ) على اجتهاده.

ولقد فطن ابن القيم عندما ذهب إلى أن معنى الرأى - ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب المعرفة وجه الصواب مما يتعارض فيه الامارات. (إعلام الموقّعين ٦١/١).

ويقول ابن عربى فى كتاب (اليقين) من تمتع ببصيرة وعنده علم فقد عرف اليقين. ويقول الامام – جلال الدين السيوطى – ٨٤٩ م– ٩١١هـ:

«إن الاجتهاد فرض كفاية على العلماء أو خاصتهم. ويقول فى كتابه – من أخلد إلى الأرض وجهل إن الاجتهاد فى كل عصر فرض – شرح فيه ضرورة الاجتهاد على أهل كل عصر ويقوم به طائفة من كل قطر منهم، وقال: إن الدهر لا يخلو من مجتهد، وحيث على الاجتهاد وذم التقليد، وهو فى هذا الكتاب يقف مع العقل ومع العصر».

ويقول الإمام الغزالى: «لقد كنت من قبل أثق بمعرفتى الحسية. إلى أن جاء العقل وكذبها. فمن يدريك أن هناك قوة أعلى وأبعد من العقل قد يأتى عليها وقت تظهر فيه وتثبت خطأ الثقة فى العقل، وإن عدم تجلى هذه القوة المنتظرة الآن ليس معناه استحالة وجودها. إذ قد تظهر بعد ردح من الزمن، فيثبت حينئذ خطأ الثقة فى العقل وأولياته الأساسية».. فحين نظر الغزالى إلى أمور الحياة نظرة تحليلية عميقة باحثاً عن مبادئها الأولى وعللها البعيدة، ووجد أن ابناء اليهود يولدون على دين أبائهم، وكذلك ابناء النصارى والمسلمين والزنادقة. فتأمل هذه الأحوال. وهو يتساءل: لماذا يقبل الناس تلك الحقائق على أنها مسلمات يقينية موروثة، لا يمكن الشكل فيها، دون أن يقبلوها على أساس من البرهان العقلى والامتناع، ومن هنا بدأ شكله ليصبح إيمانه بالاسلام قائماً على الاقتناع الذاتى دون الوراثة من الوالدين..

وفى هذا الصدد يقول – فريدريك نيتشه –: إن الإلهام لا العقل، وخصوصاً إلهام الجبابرة المتفوقين، لا عقل العاديين المتكاثرين المتساويين، هو السبيل لكشف مغزى الوجود والتاريخ – لا مجرد المعرفة – وهو يرى أن هناك عنصراً حسياً طبيعياً ومظلماً وغامضاً فى تكوين الانسان، وعنصر آخر عقلى مجرد منطقى وهذا يجعل الانسان وحيداً فى الكون – متميزاً – ولقد طلب الخليفة المنصور من الإمام مالك بن انس أن يؤلف له كتاباً تتوحد عليه الأمة وقال له: اجتنب رخص ابن عباس، وشدائد عمر، وشواذ ابن مسعود. وأقصد إلى أواسط العلم. فقام الإمام مالك بكتابة مصنفه الكبير – الموطأ – وعرضه على علماء عصره فوافقوا جميعاً فأراد الخليفة أن تلتزم الأمصار – البلاد التى دخلها الاسلام كلها بهذا الكتاب .. ولكن الامام مالك رفض قائلاً إن صحابة رسول الله قد

توزعوا على الأمصار، وعند بعضهم ما ليس عند البعض الاخر مما روى عن الرسول (ﷺ).. واختلاف العلماء رحمة من الله بهذه الأمة..

إن منهج القرآن والرسل في الدعوة حجاج واستدلال ورفق، القول وأمر بالمعروف. وكان هذا هو منهج أسلافنا الأولين، وعلى كل الدعاة أن يسلكوا هذا الطريق ويهتدوا بهدى القرآن فى الدعوة ويتبعوا أسلوب الأنبياء إبراهيم ونوح وموسى وأخوانهم من النبيين عليهم الصلاة والسلام فى مناظرتهم لأممهم فكانوا يظهرون قوة اليقين ومنطق الفطرة ومقتضى العقل الصحيح. فإن الدعوة إلى الحق كما تكون بتزيين وذكر محاسنه للترغيب فيه واستمالة النفوس إليه. تكون بتشويه الباطل وذكر مساوئه ومخازيه تنفيراً منه، ليهرب المبطلون عنه وتتفتح قلوبهم للحق فيلتزموه، وينظرون فى الموروث من أراء فيرفضوه إن لم يتفق مع البرهان العقلى للحقائق العليا.

إن الفقه الإسلامى لا يحرم العقول والأفهام من التغذى بمعانى القرآن ولا تقسرها على أن ترفض ما عقلت وأن تقبل من المعانى ما عقله الغير وفهمه. هذا ما ترفضه التعاليم الإسلامية التى جاءت لتحل النفوس من أسرها ويضع عن الناس أصرهم والأغلال التى كانت عليهم.. إن القرآن أنزله الله تعالى على رسوله (ﷺ) ليتدبر الناس آياته ويتفقهوا عظاته بما منحهم سبحانه وتعالى من عقول وقرائح. يقول الله تعالى فى سورة (ص /٢٩): ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾.

فالانسان إن لم يتدبر آيات الله عز وجل يكون قد عطل نعمة الله عليه وهو العقل، ويكون كالأنعام أو أضل سبيلاً.. ولقد قدم القرآن الكريم من خلال آياته البينات وصايا جامعة توجه الدعاة إلى الأسلوب الأمثل والمنهج الأفضل الذى لو التزموا به فى سلوكهم العلمى والعملى لنجحوا أعظم نجاح فى أداء الأمانة التى ناطها الله بهم، والالتزام بالميثاق الذى واثقهم الله تعالى به..

قال سفيان الثورى: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن منكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر. رفيق بما ينهى، عدل بما أمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى.. وينبغى للداعية إلى الله أن يكون قوله ليناً، وإسلوبه هيناً، حتى يكون أكثر تأثيراً فى الناس..

وقال الحسنُ، عن النبى (ﷺ) : من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه، وخليفة رسوله، وخليفة كتابه.. ﴿ ادعُ إلى سَبِيلِ رَبِّك بالحكمَة﴾ (الآية ١٢٥ من سورة النحل) نزلت هذه الآية بمكة فى فترة الأمر بمهادنة قريش، وفيها أمر من الله تعالى لنبيه (ﷺ) بأن يدعو إلى دين الله تعالى وشرعه بتلطف ولين ودون قسوة أو عنف!..

ولقد كان الحسن إذا تلا هذه الآية، يقول: هذا رسول الله (ﷺ) هذا حبيب الله، هذا صفوة الله، هذا خير الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله..

إن دوافع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو: رجاء ثواب الله - الخوف من العقوبة على تركه - الغضب لله أن تنتهك محارمه..

أما المنكر الذى نهى عنه الله ورسوله فأعظمه الشِّرك بالله، وهو أن يدعو مع الله إلهاً آخر كالشمس والقمر والكواكب، أو مَلَكاً من الملائكة أو نبياً من الأنبياء أو رجلاً من الصالحين أو أحد الجن، أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم، أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذى حرمه الله على لسان جميع رسله. هذا - أعظم المنكر - ذكره ابن تيميه والذى يقول:

وكل بدعة ضلالة، ليس مما يحبه الله، فلا يقبله الله ولا يصلح، مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب؟!.. ونحن لا نتفق مع ابن تيمية فى جمع المشركين وأهل الكتاب فى مركب واحد، ونختلف معه، كما اختلفنا معه فى موقفه من معنى - العلم - فى الآيات القرآنية وهو عنده: ما يقتصر على فقه الدين والشريعة والسنة، وذهب إلى أن أى استعمال آخر له هو من قبيل التجديف والكفر؟!. الم يقرأ ابن تيمية (الآيات ١٧ إلى ٢٠ من سورة الغاشية) : ﴿ أفلاَ ينظُرُونَ إلى الإبلِ كَيفَ خُلقت، وَإلَى السَّمَاء كَيفَ رُفِعت، وَإلى الجبالِ كَيفَ نُصبت، وإلَى الأرض كَيفَ سُطحت ﴾ فيكف كانَ لنا أن ننظر إلى آيات الله فى الكون بدون علم البيولوجيا والفلك والجيولوجيا؟..

وهل قرأ ابن تيمية قول الله تعالى ﴿ لَيسَ كمثله شَىءٌ﴾ (الشورى/١١) قبل أن يصف ذات الله سبحانه وتعالى؟ فالعلم والتاريخ يقولان إنه يقول إن لله جسم محدد، وله أعضاء، ويجلس على العرش، ويسمع له أطيط..

ونحن نعتبر أنفسنا طلاباً فى مدرسة ابن تيمية ونختلف معه ما يختلف الطالب مع معلمه، ولكن نقول له إن لأهل الكتاب دينهم وأعمالهم وسوف يحاسبون على أعمالهم. والآيات التى تدل على هذا سبق ذكرها على صفحات هذا الكتاب رحم الله ابن تيمية وغفر لنا تطاولنا عليه؟!..

وفى هذا الصدد نذكر أيضاً ما جاء فى كتاب (ظلام من الغرب) للعلامة الشيخ محمد الغزالى، فقد جاء على صفحة ١٨٢ وما بعدها ما يلى:

«وإليك مثلاً آخر لتزوير الفتوى. والاختلاق على الإسلام.. فقد نشرت مجلة - روز اليوسف - مقالاً زعم فيه صاحبه أن المسلمة يجوز لها أن تتزوج يهودياً أو نصرانياً، لأن القرآن نص على تحريم اقترانها بالمشرك فقط ثم أسفر الكاتب عن خبيئة نفسه فقال: لا يوجد بيننا مشركون ولا كفار وإنما يوجد مسلمون ويهود ونصارى.

والكاتب الذى أرسل هذه الفرية - وهو فى مأمن من عواقبها - يعلم أنه لا يخدم حقيقة علمية. ولا يصور شريعة إسلامية، ويوقن أنه اجترأ على فعلة لم يسبقه إليها مسلم من الخاصة أو العامة طوال أربعة عشر قرناً.. أنه يريد إيهام القراء أن جحد رسالة محمد (ﷺ) ليس بكفر!.. وبديهى أن يكون رفض القرآن كله والسنة كلها لا خطأ فيه ولا حرج منه بعد ذلك.. وصاحب هذا الرأى لا يستغرب منه أن يتزوج بمحارمه بل أن - يزوج - أمه وأخته لمن شاء من الأنجليز والأمريكان؛.. إن القرآن وصف أهل الكتاب الذين يفرطون فى تنزيهه وينسبون إلى ذاته المقدسة بما لا يليق، ويطلقون عليه نعوتاً هى بطبيعة المخلوق ألصق وعن حقيقة الخالق أبعد - وصفهم بأنهم مشركون، فقال فى اليهود: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ (البقرة الآية/ ٩٦).

وقال فى النصارى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ (المائدة /٧٢). وقال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ المائدة ٧٣.. فما معنى أن يجىء

امرؤ ما ليقول بعد ذلك إن القرآن سوى بين المسلم واليهودى والنصرانى، وأباح للمسلمة أن تختار بعلها من هؤلاء على السواء لأن اليهود والنصارى ليسوا مشركين ولا كفار؟.. نعم إن هناك فرقاً دقيقاً بين شرك هؤلاء وشرك الوثنيين من الغرب الأقدمين وأمثالهم.. فأهل الكتاب أصحاب ديانات نزلت من السماء ثم عرا أصلها الآلهى من اضطراب الفهم وغلو الخلف ما شرد بها عن طبيعتها الأولى.. أى أنها حق مال به أصحابه إلى باطل.. أما الوثنيون عباد الأصنام فهم وإن عدوا تماثيلهم وسائط إلى الخالق الأعلى، وقالوا ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيقَرِّبُونَا إلى اللهِ زُلفَى** ﴾ (الزمر /٣).. فهم أصحاب باطل حقيقى أرادوا تسويته بإعطائه صورة الحق.. وذلك هو الفرق بين كفر وكفر وشرك وشرك، ورعاية لهذا الفرق أباح الإسلام لأبنائه أن يتزوجوا من نساء أهل الكتاب على طريق الاستثناء من النصوص الأخرى.. أما النساء المسلمات فمن المقطوع به الا يتزوجن غير مسلم أبداً مهما كانت ملّته، قال تعالى: ﴿ **فَإِن عَلِمتُمُوهُنَّ مُؤمِنَاتٍ فَلاَ تَرجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌ لهُم ولاَ هُم يَحِلُّون لهُن**﴾ (الممتحنة/ ١٠) وقال تعالى: ﴿**ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا**﴾ .

ونكتفى بهذا القدر من هذا الرأى والرد عليه من فضيلة الشيخ الغزالى الذى تعلمنا عبر السنين من علمه الغزير وتتلمذنا على يديه منذ الصبا.. ولنا تعليق على هذه القصة..

لقد رد فضيلته على رأى متطرف بالتطرق إلى قضية من أهم القضايا التى تستعصى على فهم السواد الأعظم من خاصة الناس ناهيك عن عامتهم؟!. وصاحب هذا الرأى مردود عليه بحكم الشرع والفقه، وما اتفقت عليه الجماعة. فسبب عدم وجوب زواج المسلمة لغير المسلم معروف ومعقول ومقبول من جميع المسلمين ونحن نتفق مع رأى فضيلة الشيخ فى هذا الموضوع..

أما الذى نفهمه من رأيه فى أهل الكتاب فهو لا يختلف عن رأى الكثيرين من علمائنا الأفاضل من أن من جحد بالرسالة المحمدية فهو الكافر المشرك؟.

ونرى أن فضيلته لم يحكم فى هذه القضية بالعدل والآيات التى ذكرها تشير إلى أن اليهود هم الذين أوحوا إلى النصارى بفرية التثليث وأنهم – أى اليهود –

عبدوا الاصنام فى أحد أطوار حياتهم والمسيح عليه السلام يحذرهم من هذا الكذب والافتراء عليه وعلى الله.. ونحن نرى أن الكافر من أهل الكتاب هو من ولد على تلك الملة ويجحد بها وهو الشخص الملحد بطبيعته.. وقد ذكر فضيلته الفرق بين كُفْر وكُفْر وشِرْك وشِرْك، والحق الذى قال به أصحابه إلى الباطل هل نسخ دياناتهم؟ هذا ما يوحى به رَأى فضيلته.. وعلى ضوء ما قدمنا فى كتابنا هذا يوجد رأينا والآيات المرادفة للآيات التى ذكرها فضيلته رحمة الله عليه وغفر لنا اجتراءنا عليه.. .

وكما سبق القول أن مهمة الداعية المسلم أن يبين لأهل الكتاب الخطأ وينصح بالرجوع عنه ويدعوهم إلى ديننا الحنيف فإن تولوا فلهم دينهم ولنا دين ولا نقول لهم أنتم كافرون مشركون.. إن هذا موضوع جد خطير يخوض فيه أنصاف المتعلمين أو المتفقهين فيرتكبون الآثام وهم لا يشعرون.. يقول أبو الدرداء رضى الله عنه: ويل للجاهل مرة، وويل للعالم سبع مرات!!..

ويقول الإمام على كرم الله وجه: قصم ظهرى رجلان، عالم متهتك، وجاهل متنسك، فالجاهل يغر الناس بنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه..

ويقول الكاتب الأمريكى – الكسندر بوب–: المعرفة القليلة شيء خطير فإما أن تنهل حقاً من النبع وإما الاّ تقترب من الأصل. فالعلماء فقط يؤمنون بأن بحر المعرفة بلا شطآن، وأنهم مهما أوتوا من العلم فقد يكون لدى الآخرين ما يضيفون إليه.. وقد قال بعض الفقهاء أنهم يرحبون دائماً بالنقاش مع العلماء والجهلاء. ولا يرجون بالنقاش مع من هم من دون هؤلاء من هواة الجدل العقيم على طريقة – الفنقلة – وهى اختصار قديم لعبارة: فإن قلت كذا قلنا كذا ويصبح الجدل بلا نهاية.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلاَ تُجادلُوا أَهلَ الكِتَابِ إلاّ بِالتِي هِي أَحسَنُ إلاّ الذينَ ظَلَمُواْ منهُم ﴾. (العنكبوت /٤٦)

ويقول فضيلة الشيخ الغزالى عن الخلاف الذى يقع بين الناس فى تقديم حقيقة ما، أو تقدير حكم. ثم تتسع هوة الخلاف وتترتب على رجحان أى الكفتين نفع أو ضرر. وغالباً ما يضيع الحق أو يلوث فى حمأة هذا الشقاق، والخلاف بين أصحاب الاديان، أو أهل الدين الواحد قد يأخذ هذا السلوك الجائر

فينتهي بالفرق المتنازعة كلها إلى شر مستطير. (ظلام من الغرب ص٢٤).

ويكفينا تعليقاً ما ذكره فضيلته فى هذا الموضوع. يقول فى المؤتمر الذى انعقد فى الاسكندرية- للتقريب بين المسلمين والنصارى - حول أولو النهى والحكم من أبناء الدينين أن يضعوا أسساً أفضل للعلاقة بينهما، وأن يجعلوا المستقبل أدنى للتفاهم والمودة بعد ماض أثقلته الخصومة وسودته المحن وفى كتاب (كفاح دين) لفضيلة الشيخ الغزالى تفصيل لما وقع فى هذا المؤتمر..

ويقول فضيلته:

وددت لو أن البشر قاطبة وسعتهم أكناف السماحة والرحمة، وأوسعتهم حدود القسط والحق، فإن فاتهم الفضل لم يفتهم العدل.. غير أن دنيانا المشحونة بالأهواء الخفية والجلية تتأبى على هذه الضوابط مرنةً كانت أو دقيقة.. إلى قوله: وآية التجرد لله أن تتمحص الطريق من كل شائبة، وأن تخلص الغاية عند كل دس، وأن يكدح المجاهد لا لشيء إلى لتكون كلمة الله هى العليا.. وبهذه العبارات وجدت فضيلة الشيخ يتحدث بلسان حالى وتذكرت قول المفكر الالمانى - كسنج -: ان متعة الإنسان لا تنحصر فى أمتلاكه للحقيقة، وأنما تنحصر فى الجهد الذى يبذله من أجل العمل على بلوغها.. وهذه المتعة هى الرحمة التى يضعها الله فى قلوب عباده المخلصين لدعوته ثم يقول فضيلة الشيخ الغزالى:

ولست أزعم أن تاريخ المسلمين الطويل - فى عرض دعوتهم - لزم هذه الغاية النبيلة، ولا سياستهم اتبعت دائماً هذا الصراط المستقيم، خصوصاً أيام الأتراك.. كذلك لا أزعم أن النصارى خلال عصورهم الغابرة أو الحاضرة تركوا الطرق مبعدة لمعارضيهم، لقد ردوا أيدهم فى أفواههم وأزعجوا الناس حتى لا تسمع منهم ولا تؤمن بهم. فلما عجزوا لجأوا إلى ترويج الإفك وتنقيله من بلد إلى بلد.. أكثر المفتريات - التى تسود الآن أوروبا وأمريكا - ضد الاسلام ونبيه وتعاليمه - من صنع هؤلاء المتعصبين.. فإذا وجدنا عند بعض الناس سآمة من بقاء تلك المظالم ورغبة فى تبادل الفهم والعون على سياسة من الاحترام المتبادل، فذلك ما كنا نبغ، ولا جرم أن نرد التحية بأحسن منها.. يقول ربنا تبارك وتعالى (فى سورة النساء الآية ٨٦) : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنهَا أو

رُدُّوها إنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِ شيءٍ حَسِيباً﴾، ونقول: كيف يكون هذا بدون المفهوم الذى قدمناه فى هذا الكتاب والقائم على تعاليم القرآن وسنة نبينا (ﷺ) ؟..

ويذكر فضيلته الكلمة التى ألقاها نيابة عن وزير الأوقاف فى ذلك المؤتمر فيقول: إن هناك أصولاً مشتركة بين رسالات الله - حبذا لو تراضى الناس بأتباعها - وتعاون أهل الأديان على إحيائها، منها الإيمان بالله وحده، والإقرار بعظمته وعلمه وقدرته. ومنها الإيمان بالبعث والجزاء - والاحساس بأن وراء هذه الدنيا داراً أخرى يثاب فيها الأبرار ويهان الفجّار، إلى قول فضيلته: تلك أهداف يكلفنا الإسلام بالسعى إليها.. فلو تعاونا مع غيرنا لبلوغها لكان ذلك أحب إلينا وأخصر لمتاعبنا!!. (ظلام من الغرب ص٢٥٨).

ومرة أخرى نقول، إن فضيلة الشيخ الغزالي يتحدث بلسان حال كتابنا هذا الذى يدعو للتفاهم بالتى هى أحسن ويحاول أن يباعد بين نوازع الهوى وبين تفاوت العقول فى إدراك الحقائق واستبانة الصواب. فالدين - نصاً وروحاً - أبعد ما يكون من شهوة التمزيق والتشفى فى الآخرين بأنهم على باطل..

أما العداء بين الأديان فهو عداء سياسى اتخذ شكلاً دينياً، وأن الأطماع السياسية والمنابزات الجنسية تدخلت مبكراً فى تشويه الحقائق والتعاليم السماوية.. إن ارتباط وجهات النظر بأغراض معينة سر كثير من المعضلات التى يعجز المصلحون عن حلها، لأن حلها لن يكون إلا بالتجرد والإخبات لرب العالمين..

وكما يقول الشيخ الغزالى إن المهم هو: إخلاص النيه لله، وإيثار المدخور عنده سبحانه وتعالى على العاجل من لذات هذه الحياة والرغبة فى نفع الناس بالاسلام دون تطاول به، والنظر فى أخطاء الناس على أنهم بشر وأننا بشر مثلهم لا أرباب لهم نفرح لتائبهم ونأسى لناكبهم ونقبل من محسنهم ونغض عن مسيئتهم تلك خصال لو استجمعها المسلم لأرضى ربه وحفظ دينه وصان أمته..

وربما يقول قائل. إن الرسالة المحمدية هى رسالة عالمية يجب أن تنتشر. ونقول شتان بين نشر الإسلام، وفرضه بما لم ينزل الله به من سلطان. أننا ننظر إلى عالمية الإسلام من خلال عدة محاور: أولها ما ورد بالذكر الحكيم والحديث الشريف التى تؤكد عمومية الدعوة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً**

للنَّاسِ بَشِيراً ونَذِيراً ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعلَمُونَ ﴾ (سبأ/ ٢٨). وحيث أرسل الله عز وجل غيره من الانبياء كلٌّ منهم إلى قوم بعينهم، فقد قال تعالى فى شأن النبى (ﷺ) الخاتم: ﴿ وَمَا أَرسَلنَاكَ إلاَّ رَحمةً للعالَمِينَ ﴾ الانبياء ١٠٧..

وفى أحاديث الرسول (ﷺ) يتكرر أنه مرسل إلى الناسِ جميعاً، وهى أحاديث يذكر ابن كثير فى تفسيره أنها أكثر من أن تحصى.. وقد قضى الله سبحانه وتعالى أن – لا إكراه فى الدين – قانوناً عاماً يلتزم به الرسول (ﷺ) والمسلمون فى كل العصور والبقاع احتراماً لعقل الإنسان وكرامته. ولم ير فى كتب التاريخ الإسلامى أن أحداً يدين بدين إلهى أو وثنى أجبر على الدخول فى الإسلام، بل كان من يسلم يعلن إسلامه أمام قاضٍ وشهود ليثبت أنه أسلم حراً مختاراً دين الإسلام.

وقد عاش النصارى ينعمون بسماحة الاسلام مكرَّمين يتعبدون فى أديرتهم، وكانت لهم محاكمهم الخاصة بهم يتقاضون أمامها، وكذلك كانت لليهود محاكم خاصة بهم يتولاها كبار أحبارهم فى البلدان الإسلامية المختلفة، وعاش المسلمون فى سلام مع كل أصحاب الديانات ممن كانوا يسمون – أهل الذمة، دلالة على أنهم فى ذمة الإسلام وعهده. وكان منهم الكتاب والمستشارون ووصل بعضهم إلى الوزارة فى بعض العصور..

أما الجزية التى كانت تفرض على أهل الذمة لم تكن ضريبة دينية كما يظن البعض خطأ، وإنما كانت ضريبة دفاع ، لا تؤخذ إلا ممن يصلحون للتجنيد وأهل الذمة لم يكونوا يشتركون فى جيش الدولة الإسلامى، وكانت مبلغاً مالياً زهيداً لا يعدو ديناراً واحداً فى السنة.

وعلى هذهِ المبادئ والتعاليم قامت الحضارة العربية الإسلامية فى أمة وصلت حدودها إلى سور الصين وبلاد الهند شرقاً وإلى المغرب العربى وجبال البرينية جنوبى فرنسا غرباً ، وشملت بقاعاً كثيرة فى آسيا وأفريقيا وأوروبا – قامت هذه الحضارة على مجموعة من الفضائل والقيم أهمها: العدل فى كل أمور الحياة العامة والخاصة والمساواة والأخوة بين الناس جميعاً– يقول الله تعالى: ﴿تلكَ الدَّارُ الآخِرةُ نَجعلُهَا للذينَ لا يُرِيدُون عُلُوّاً فِى الأرضِ وَلاَ فَسَاداً والعاقِبةُ لِلمُتَّقِينَ ﴾ (القصص /٨٣).

لقد كانت الأمة الاسلامية عظيمة طالما سارت على المنهج القرآنى والسنة النبوية، فلما تحزّبت وتشيعت تفرقت وانكمشت وانهارت حضارتها.. ونلقى نظرة سريعة على:

«المذاهب الإسلامية»

تسرب الفكر الباطنى إلى الشرائع السماوية وهى أحد أخطر قضايا الأمة الاسلامية والأديان بعامة بسبب تسرب العقائد الوثنية والخرافية القديمة إلى عقول المؤمنين منذ أعتنق اليهود الكثير من تلك العقائد القديمة وتشبعوا بطقوسها السرية ومعتقداتها الباطنية وأعادوا صياغتها بمصطلحات الدين السماوى الأول ثم سربوها مع ما أقتبسوه بعدها من باطنيات منافية لصحيح الدين والإيمان السليم للدينين السماويين الكبيرين المسيحية ثم الإسلام.

ونقرأ فى كتب التاريخ أن عبد الله بن سبأ - ابن السوداء - اليهودى الذى أظهر الإسلام خداعاً للمسلمين، ودعا إلى الغلو فى على رضى الله عنه، لأجل تفريق هذه الأمة بسبب ما كان من العدواة والقتال بين قومه وبين النبى (ﷺ)، وإجلاء عمر رضى الله عنه من بقى منهم فى أرض الحجاز، وأعان ابن سبأ على بدعته آخرون من أهل ملته ومن زعماء النصارى والوثنيين والصابئة.. ومن ذلك الوقت - سنة ٣٧ هجرية - لم يكن لقب الشيعة شعاراً على حب آل البيت وعقيدة السنة، ثم أخذ الأمر يتزايد فظهر من هؤلاء جماعة قالوا بألوهية سيدنا علىّ وعلم بها وقاتلهم..

واتسع الأمر بعد ذلك حتى انقسمت فرقة الشيعة على أربع وعشرين فرقة يكفّر بعضهم بعضاً، وهم أصول ثلاثة: فرقة غلاة، وزيدية، وإمامية. الذين يكفّرون الصحابة رضوان الله عليهم..

وذكر عن الخوارج أنهم يكفّرون عليّاً ومعه اثنا عشر ألف صحابى ممن رضى بالتحكيم، ثم بعد ذلك يحكمون بفسق سيدنا معاوية ويجيزون لعنه. وقد ألف بعضهم كتاباً كاملاً فى جرح سيدنا أبى هريرة حافظ الصحابة، وكله شبه واهية وروايات موضوعة. وشذ بهم مذهبهم بعيداً، إلى أن قالوا بإن القرآن قد أعتراه التغيير بالزيادة والنقصان، وشابهوا بذلك أهل الكتاب كما حكاه عنهم - الاسفراينى - فى التبصير فى الدين - ويقول أبو زرعة العراقى شيخ مسلم-: إذا

رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (ﷺ) فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق..

إن الذى عليه جمهور المسلمين أن الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً عدول لا يسأل عنهم ولا تطلب تزكيتهم ودليلهم أن الله سبحانه وتعالى ورسوله (ﷺ) قد شهد لهم، وليس بعد شهادة الله ورسوله شيء، فقد أثنى الله عليهم بقوله: ﴿ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنهُ وَأَعَدَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجرِى تَحتَهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ ﴾ (التوبة/ ١٠٠).

ووقال (ﷺ): «لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه..» رواه مسلم.. والآيات والأحاديث عن الصحابة رضوان الله عليهم كثيرة..

يرجع – ابن القيم – قلة مرويات عليٍّ إلى تزيُّد بعض الشيعة عليه وها هو ذا يقول: وأما عليٌّ بن ابى طالب عليه السلام فانتشرت أحكامه وفتاويه، ولكن قاتل الله الشيعة، فإنهم أفسدوا كثيراً من علمه بالكذب عليه، ولذا تجد أصحاب الحديث من أهل الصحيح لا يعتمدون من حديثه وفتواه إلا ما كان من طريق أهل بيته وأصحاب عبد الله بن مسعود – كعبيد العلمانى وسريع وأبى وائل ونحوهم.. (أعلام الموقعين/ ١/ ٢١).

لقد أبتلى الله عليّاً بشيعة أسرفوا فى حبه، وجاوزوا الحد فى تقديره، فنسبوا إليه ما هو منه برىء وقوّلوه ما لم يقل، ولذلك تلاحظ أن المروى عنه دس فيه كثير تصدى له صيارفة النقد من رجال الرواية حتى مازوا ما صح مما لم يصح..

ومما تقوله الشيعة عند زيارة قبر عليٍّ رضى الله عنه: «السلام عليك يا وجه الله. يا عمود الدين، ووارث علم الأولين والآخرين.. لعن الله من أغضبك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضى به.. اللهم العن الجوابيت والطواغيت والفراعنة واللات والعزى والجبت، اللهم وأشياعهم وأتباعهم وأوليائهم وأعوانهم ومحبيهم لعناً كثيراً.. ويجلس الزائر على رأسه ويقول: أشهد أنك الله وأنك باب الله وأنك وجه الله الذى يؤتى منه، ثم يصلون عند قبره ست ركعات، لأن فى قبره عظام آدم

وجسد نوح!!.. واللعنة هنا تنصب على أهل السنة جميعاً ويعنون بالجبت والطاغوت أبا بكر وعمر ابن الخطاب وعمرو بن العاص ومعاوية ومن والاهم.. كما يطلقون على أبى بكر وعمر - حبتر وزريق - ويزعمون أن كل ما ورد فى القرآن عن الفجار فالمقصود أبو بكر وعمر وأصحابهما!!.. انظر كتاب - من لا يحضره الفقيه - لأبى جعفر جـ٢/ص ٣٥٦.

يقول ابن حرم: إن جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيراً ولا فتح بهم بلاد الكفر قرية، ولا رفع للإسلام راية، وما زالوا يسعون فى قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين ويسعون فى الأرض مفسدين، أما الخوارج والشيعة فأمرهم فى هذا أشهر من أن يتكلف ذكره، وما توصلت الباطنية إلى كيد الإسلام وأخراج الضعفاء منه إلى الكفر إلا على ألسنة الشيعة.. ثم يقول: واعلموا كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى إلى الاسلام، فإنما عنصرهم من الشيعة والصوفية.. هذه نظرة من نظرات ابن حزم الثاقبة.. انظر - الفصل صفحة ٢٢٧..

ويقول الأستاذ أحمد أمين: «وانظر إلى النزاع الحاد والدماء المسفوكة بين السنية والشيعة ، طول العهد الأموى والعباسى. وبعد ذلك، وما جرى بسببه من دماء تجد سببه أن أهل السنة من أمويين وعباسيين وغيرهم يرون الحق فى خلافتهم.. ويرى الشيعة أن لا حق لهؤلاء فى الخلافة ، وإنما الحق لأهل البيت، وكلٌ يعمل على أن يصل إلى حقه بقوة السلاح.. فالنزاع إذن نزاع على من يتولى الحكم وهذه سياسة، لا دين. وأحياناً يقوم بالدعوة الدينية رجال يدعون إلى مذاهب هدامة. ويتسترون باسم الدين. وتخشى الحكومة إن سادت تعاليمهم أن تنهار قوتها فتضطر إلى محاربتهم. وشكل الحرب يكون شكل دينى وحقيقته سياسية، ولكن من الخطأ تحميل الدين جرائر السياسة بدليل أن أكثر هذه الخصومات السياسية حدثت بين أمم إسلامية مختلفة تعتنق عقيدة واحدة سنية أو شيعية، وإنما كان الخلاف بينهما على السلطان وسعة الحكم ونحو ذلك».

حب الاستعلاء فى الدنيا والاستطالة على الناس كان إذن مصدر هذه الفتن المتلاحقة.. وهو الذى جعل بلاد الإسلام مسرحاً لحرب أهلية طويلة المدى تهدأ - يوم تهدأ - بعد أن تترك فى النفوس آثاراً غائرة من الأحقاد والثأرات وطبيعة

البشر مؤمنين وملحدين. أن يلبسوا مآربهم الخاصة ثياباً مشروعة، لقد تناحر الشيعة والسنة على الحكم، وتعصبوا تعصباً دامياً لبعض الأحكام الفقهية. فها هي ذي الأحكام قد صارت بغير ما أنزل الله في الأصول وفى الفروع جميعاً!! وقد نسوا قول الله تعالى: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. (الشورى/١٣) .

فى مقال الشيخ عبد العزيز عيسى- قال فيه: «أننا نجد الطوائف تنقسم إلى خاصة مفكرة، وعامة مقلدة أو متعصبة، وقد يرى الخاصة من أرباب مذهب آراء معقولة ربما يوافق عليها الخاصة من أرباب المذهب الآخر ولا يخالفون فيها. بينما يرى العامة من أهل هذا المذهب نفسه يؤمنون بفكرة معينة، ولا يقبلون فيها نقاشاً ولا جدلاً.. إلى قوله: انما هم قوم حادوا عن الطريق فى ناحية ما، وهم بحاجة إلى من يبصرهم بالصواب ويهديهم إلى الصراط المستقيم».

ويقول الشيخ الغزالى: «أما الخلاف بين الشيعة والسنة وهم أجزاء متكاملة من جسم الأمة الاسلامية الكبيرة. فإنه لا يزال باقياً، برغم أن البواعث على هذا الخلاف، قد تلاشت أو حورها الزمن إلى وضع لا مكان فيه لغلو أو شطط.. ونحن نقول، والقول لفضيلة الشيخ الغزالى: امحوا هذا الخلاف. وسياسة نفر من الحكام - فى إشباع مطامعهم الخاصة - هى التى توجه الجماهير إلى التحاقد وسفك الدماء بدل أن تصلح ذات بينهم وتصون مصالحهم فى دنياهم وآخرهم.. ويقول فضيلته، وأستطيع القول: إن الخلاف بين الشيعة والسنة سياسى أكثر منه دينى، وأن السياسة التى لا ضمير لها، هى التى ضاعفت عليه وزادت خطورته.. إلى قول فضيلته: لا أعرف أمة فى عصرنا هذا تجتر ذكرياتها المؤسفة لتعكير حاضرها ومستقبلها كما أعرفه فى قومنا، الذين لا يزالون منقسمين إلى شيعة وإلى سنيين!.. علينا أن نسرع لإزالة الجفوة القائمة الآن بين الفريقين، وأن يعترف كل منا بالآخر فى جو بعيد عن التوجس والتناكر وسوء الظن..

إن كثيراً من أهل العلم فى الأزهر الشريف تكونت لديهم صورة عن الشيعة نسجتها الإشاعات والفروض المدخولة. وهذا منهج فى التفكير لا يقره الإسلام، ولا تنصف به الحقيقة المجردة.. وقد تكون لدى الشيعة الطريقة نفسها فى تعريف إخوانهم من أهل السنة والحمل على مشاعرهم وآرائهم. وهذا الفراغ الموحش لا يلد إلا الغلظة والمخاشنة.. ويقول فضيلته:

لماذا لا يُدرس فى الأزهر - فقه الزيدية - مثلاً مع فقه المذاهب الأربعة؟. لماذا لا توضع أمام الطلاب فى الصفوف العليا أو الدنيا صورة صادقة لتفكير - الامامية - فى الأصول والفروع والسنن المختلفة؟.. لماذا لا تقاس مسافة الخلف حيناً بعد حين، بين ما نرى وما يرى غيرنا؟. إن الزمن يجرى ويلد العجائب، ونحن لا نزال فى موقفنا من ثقافة قرون أنتهت بما لها وما عليها، الحق إن فى مواريثنا العقلية ما يستدعى التأمل. فنحن كبعض الاسر التى يرث الاحفاد فيها تراث الأجداد، فتكلف الاجيال الجديدة أن تخاصم دون وعى أو عدالة من لم يسىء إليها قط..

لتكن الخطوة الأولى من جانب الأزهر.. وأنا موقن أنه إذا مد يده للشيعة فإن أكثر عوامل الوقيعة سوف تذوب من تلقاء نفسها، كما تذوب كتل الجليد تحت أشعة الشمس.. وشرعة المعروف تجعل أولى الفريقين بالله أسرعها لداعى الخير وأرغبها فى إصلاح ذات البين. (ظلام فى الغرب- ص ٢٤٣- ٢٥٢).

ويحضرنا هنا منهج الشيخ أمين الخولى (١٨٩٥- ١٩٦٦) الذى يرى: ضرورة إعادة النظر فيما أنجزه السلف الصالح من الأئمة- الخلفاء والفقهاء، واللغويين، والأدباء، والمؤرخين - أو ما أنجزته الحضارة فى مجملها، وهو ما فعله فى علم التفسير والفقه بكتاباته عن الإماميين - مالك - والشافعى - وتفسير - الباقلانى- وفقهه، وفى كتبه الثلاثة فى التفسير - من هدى القرآن - فقد كان الهدف هو الاهتداء بمناهجهم وليس بما عرفوه ولا بتفسيرهم أو فتاواهم، فتلك قامت على حدود المعلومات المتاحة لهم والمناهج السائدة أيامهم وظروفهم التاريخية التى تجاوزها بتبصر الامام ومصالح الأمة..

ولقد ذكرنا ما تقدم من اقتراحات وأفكار فضيلة الشيخ الغزالى بما يتعلق بالشيعة وأهل السنة والأفكار المغلوطة لدى الفريقين، حيث إن الافكار المغلوطة لدى أهل الكتاب والمسلمين هى بعينها نفس الافكار، ونصائح فضيلته تصلح أن تعم الجميع..

وعلى هذا فالمسلمون فى حاجة إلى محبة تشملهم وجماعة تجمعهم عن هوة الخلاف والبغضاء والفرقة وأعداؤهم أقوياء ألداء. أصلح الله ذات البين وأزال الغبن عن العين..

وقد دعا الله ورسوله إلى الاجتماع وعدم الافتراق. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات/١٠) ، ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة/ ٧١) ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران / ١٠٥)، ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران /١٠٣) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام/١٥٩) .

وفى السنة النبوية الكثير من طلب الإخاء والتآلف ولزوم الجماعة والنصيحة للمسلمين وإفشاء السلام بينهم والتواد وعدم الاثرة والتهادى مما يهدف إلى اجتماع المسلمين وعدم تفرقهم، وقد ذكر الموسوى فى (الفصول المهمنة): إنه لا يكفر أحد من أهل القبلة عند الإمامية وعند أهل السنة. لقوله (ﷺ) فى الحديث الصحيح: من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك مسلم، وفى حديث أبى ذر: قال لى النبى (ﷺ) قال لى جبريل: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت وإن زنا وإن سرق؟ قال وإن زنا وإن سرق..

قال رجل لعلى ابن أبى طالب رضى الله عنه: نسمعك تقول فى الخطبة. اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهندين فمن هم؟ فأغرورقت عيناه فقال: هم حبيباى أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش المقتدى بهما بعد رسول الله (ﷺ) ، من أقتدى بهما عصم ومن تبع آثارهما هدى إلى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله..

وعن أبى جحيفة يقول: سمعت علياً على منبر الكوفة يقول إن خير هذه الأمة بعد نبيها (ﷺ) ابو بكر ثم خيرهم عمر، وعن أبا جحيفة أيضاً يقول: دخلت على علىٍّ فى بيته فقلت يا خير الناس بعد رسول الله (ﷺ)، فقال مهلاً يا أبا جحيفة الا أخبرك بخير الناس بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر وعمر، لا يجتمع حب وبغض أبى بكر وعمر فى قلب مؤمن، وأخباره بكونهما خير الأمة ثبتت عنه من رواية ابنه محمد بن الحنفية، وجاء عنه من طرق كثيرة بحيث يجزم من تتبعها بصدور هذا القول من علىٍّ رضى الله عنه.. وعن أبى هريرة رضى الله

عنه قال: إن رسول الله (ﷺ) قال أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين، وخير أهل السماء، وخير أهل الأرض إلا النبيين والمرسلين، وعن عبد الله بنن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أتاني جبريل فقال إن الله يأمرك إن تستبشر أبا بكر.. وأخرج الطبراني عن ابى الدرداء: أقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر فإنهما جبل الله الممدود، من تمسّك بهما، فقد تمسك بالعروة الوثقى لا أنفصام لها، وأخرج الترمذى عن أبى سعيد أن النبى (ﷺ) قال: ما من نبى إلا وله وزيران من أهل السماء. ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيرىّ من أهل الأرض فأبو بكر وعمر. وأخرج البخارى عن أنس قال؟: قال رسول الله (ﷺ) ما قدمت أبا بكر وعمر ولكن الله قدمهما، وأخرج ابن عساكر عن انس رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: أربعة لا يجتمع حبهم فى قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن، أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ..

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة والضياء عن سعيد بن زيد أن رسول الله (ﷺ) قال: عشرة فى الجنة، النبى فى الجنة. وأبو بكر فى الجنة، وعمر وعثمان وعلىّ وطلحة والزبير بن العوام وسعيد بن مالك وهو ابن أبى وقاص وعبد الرحمن ابن عوف وسعيد بن زيد جميعهم فى الجنة.. أخرجه بمعناه أحمد والضياء عن سعيد بن زيد والترمذى عن عبد الرحمن بن عوف..

وقال سهل بن عبد الله التسترى: وناهيك به علماً وزهداً ومعرفة وجلالاً: لم يؤمن برسول الله (ﷺ) من لم يوقر أصحابه..

هذه أقاويل المعتبرين من أهل البيت، فكيف يسمح المتمسك بحبل أهل البيت ويزعم حبهم أن يعدل عما قالوه فى اسانيدهم المتصلة، فويل من الله لمن كذب على هؤلاء الائمة ورماهم بالزور والبهتان..

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلىّ رضى الله عنهما من الحروب، فلم يكن لمنازعة معاوية لعلىّ فى الخلافة للإجماع على أحقية علىّ، فلم تهج الفتنة بسببها وإنما هاجت بنسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علىّ تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه، فامتنع علىّ ظناً منه أن تسليمهم إليهم على الفور مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر علىّ يؤدى إلى اضطراب وتزلزل فى أمر الخلافة، التى بها أنتظام كلمة أهل الاسلام سيما وهى

فى ابتدائها لم يستحكم الأمر فيها فرأى علىّ رضى الله عنه أن تأخير تسليمهم أصوب إلى أن يرسخ قدمه فى الخلافة، ويتحقق التمكن من الأمور فيها على وجهها ويتم له انتظام شملها واتقان كلمة المسلمين ثم يسلمهم إليهم، ويحتمل أن علياً رضى الله عنه رأى أن قتلة عثمان بغاة حملهم على قتله تأويل فاسد استحلوا به دمه رضى الله تعالى عنه لإنكارهم عليه أموراً كجعله مروان ابن عمه كاتباً له ورده إلى المدينة بعد أن طرده النبى (ﷺ)، وتقديمه أقاربه فى ولاية الأعمال.

وقد ذهب كثيرون من العلماء أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة وإنما كانوا ظلمة وعتاة لعدم الاعتداد بشبههم ، ولأنهم أصروا على الباطل بعد كشف الشبهة وإيضاح الحق لهم..

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أيضاً أن معاوية رضى الله عنه لم يكن فى أيام علىّ رضى الله عنه خليفةً وإنما كان من الملوك..

إن أهل الجمل وصَفِّين أستندوا فى مقاتلة علىّ إلى ما توهموه من منعه لقتله عثمان رضى الله عنه وهو برىء من ذلك حاشاه الله عنه، ومع ذلك عذرهم لعلمه بأنهم أئمة فقهاء، وبقوله (ﷺ) إذا أجتهد الحاكم وأصاب فله أجران وإذا اجتهد واخطأ فله أجر واحد، فعلى رضى الله عنه مجتهد مصيب فله أجران، بل عشر أجور كما فى رواية، ومقاتلوه كعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمر بن العاص ومن تبعهم من الصحابة الكثيرين من أهل بدر وغيرهم، مجتهدون غير مصيبين فلهم أجر واحد وهم بغاة على علىّ لكن البغى ليس إثم ذم.

وليس ذلك تنقيصاً لهم لما علمت أن لهم تأويلاً، أى تأويل وأنهم بسببه معذرون، قول الإمام الشافعى رحمه الله.. ومن تأمل دقة نظر معاوية وعمر، وعلم أنهم لم تصدر منهم الأفعال والحروب إلا بعد مزيد من التحرى والبحث وكذلك فعل علىّ، وعلى ذلك فلا مسوِّغ لأحد من المسلمين فى الاعتراض على أحد من الفئتين، بل الواجب على كل مسلم أن يعتقد أن علياً هو الإمام الحق وأن مقاتليه بغاة عليه وأن كلاً من الفئتين معذور مثاب مأجور، ومن تشكك فى شىء من ذلك فهو ضال جاهل أو معاند فلا يلتفت إليه ولا يعول عليه..

ولقد أُعلم الرسول (ﷺ) جميع ما وقع بين الصحابة ولم ينه عنه، ولكنه أشار إليه وعذر فاعليه من أصحابه، لأنه (ﷺ) علم أن هذا الأمـر لابد من وقوعه، فنبه على عذر من سيقع منه فى أحاديث كثيرة له (ﷺ) فى هذا الموضوع، منها حديث - نبح كلاب الحوائب - وقوله (ﷺ) للزبير إنه سوف يقاتل علياً وهو ظالمه. وقوله (ﷺ): يا عليّ سيكون بينك وبين عائشة أمر فارددها إلى مأمنها، ومن أستند إخباره إلى إخبار الصادق (ﷺ) لا يكون إلا صادقاً..

وعلى هذا وجب الإمساك عما شجر، أى وقع بينهم عملاً بقول رسول الله (ﷺ): إذا ذكر أصحابى فأمسكوا. والواجب أيضاً أن نلتمس لهم أحسن التأويلات وأصوب المخارج، إذ هم أهل لذلك كما هو مشهور فى مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول إيراده، وكفى أن نعلم أن معاوية من أشرف الصحابة نسباً جاهلية وإسلاماً ومن أقرب بطونهم إلى النبى (ﷺ)، وصحابته وصهره - تزوج النبى أخته - وكاتبه وأمينه على وحى الله، وأنه جمع بين الفقه والأدب والنحو اللغة والشعر والفصاحة والشجاعة والفروسية والسخاء والكرم الواسع، والزهد والورع والإنصاف وقيام الليل والاكثار من الحج والغزو والتجارة لله ليحوز من معالى العبادات .

وسُئل عبد الله بن المبارك فقيل يا أبا عبد الرحمن أيما أفضل معاوية أو عمر ابن عبد العزيز فقال: والله إن الغبار الذى دخل فى أنف فرس معاوية مع رسول الله (ﷺ)، أفضل من عمر بألف مرة، هذا ما قاله المجمع على جلاله وأمانته فى معاوية..

إن ما وقع من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات، وأما سبهم والطعن فيهم فأن خالف دليلاً قطعياً، كقذف عائشة رضى الله عنها، أو إنكار صحبة أبيها، كان كفراً وإن كان بخلاف ذلك كان بدعة وفسقاً.. والحاصل أن ما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من القتال مقصور على الدنيا فقط، وأما فى الآخرة فكلهم مجتهدون مثابون. فهم كلهم ساعون فى رضى الله وطاعته بحسب ظنونهم واجتهاداتهم الناشئة عن سعة علومهم التى منحوها عن نبيهم ومشرعهم (ﷺ)..

فلم الفرقة بين المسلمين وهم فى حاجة إلى وحدة كاملة وروابط شاملة وليس بينهم من الخلاف مما يقتضى القطيعة أو الوقيعة، وقد جاء في الحديث الصحيح أن قوة الجدل بالباطل والقدرة عليه من علامات الضلال، وأصل ذلك قوله تعالى:

﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُم قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف / ٥٨)وحينئذ فاحذر أيها الموحد أن تسترسل مع مبتدع فى جَدل أو خصام، فإنك لو أقمت عليه الحجج القطعية والأدلة البرهانية والآيات القرآنية، لم يصغ إليك واستمر على بهتانه وعناده، فأعرض عنهم رأساً، وابذل جهدك فيما ينفعك الله به فى الدنيا والآخر..

إن المصالحة بين المذاهب الاسلامية واجب مقدس لا يستقيم حالهم ولا تقوم لهم قائمة إلا إذا اجتمعواعلى كلمة سواء بينهم - إن الحكم لله هو سبحانه وتعالى يفصل بين الحق والباطل يوم القيامة- ..

وكفى المسلمين كيد أعدائهم وضربهم بالمذاهب الضالة القائمة على ترويج الأكاذيب على المسلمين والاسلام.. يقول الاستاذ عبد الرحمن الوكيل، رئيس عام الجماعة - أنصار السنة المحمدية - ومؤلف كتاب (البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية) يقول:

«كانت الصهيونية تبث العقائد الضالة التى هى أمشاج من اليهودية والمجوسية والصليبية وغيرها من تراث الوثنيات القديمة، ومن كل ما افترت من بدع وأساطير وبدلت بها دين الحق وأفسد عليه العقول والقلوب، وما كان يهم الصهيونية قبل كل شيء القضاء على هذا الدين العظيم الذى عصف حقه بباطلها، فلا عجب إذا رأيناها تستعين بكل بدعة منكرة - سواء كانت يهودية أم مجوسية أم صليبية - فى حربها للإسلام لكى تجهز على هذه القوة الباهرة التى لا تعرف إلا النصر والظفر فى الجهاد فى سبيل الله. وإلا تعبيد كل شئ لمواكب الحب والإخاء والحق والنور، قوة الإيمان الصادق فى قلوب المسلمين..

«الحركة الصهيونية»

لقد أمدت الصهيونية الطوائف المتطرفة الإسلامية بما تعرف أنه هواها وحسبها أن تدمر المسلمين وأن تسخرهم لهواها وغايتها التى تريد تحقيقها تلك هى القضاء على أمة الاسلام ودينها.. ألا ترى الصهيونية اليوم وراء الشيوعية ووراء الرأسمالية فى وقت واحد لتدفع بهما إلى الطغيان والتدمير؟ فكل همها أن تخرب، فمسيحها الموعود لن يظهر إلا على أطلال خرائب الكون..

ونُعرف هنا كلمة – صهيونية – وهى نسبه إلى صهيون، وهو كما يقول ياقوت فى معجمه: موضع معروف ببيت المقدس ومحله فيه كنيسة صهيون وحصن حصين من أعمال سواحل الشام. ثم صارت هذه الكلمة علماً على حركة سياسية خاصة تستهدف إرجاع ملك سليمان إلى اليهود.

إذاً هى حركة سياسية وليس لها دخل بالعقيدة الدينية، ديانة موسى عليه السلام..

وبوَحْى من هذه الحركة السياسية والتلمود الذى كتبه أحبارهم عاث اليهود فى الأرض فساداً، ولقد وجه الرومان إليهم فى عهد الإمبراطور – فسبازيان – حملة لتأديبهم، فتم القضاء على مملكة يهوذا سنة ٧٠ ميلادية فى عهد – طيطس الرومانى وكان الذين قتلوا بأيدى اليهود أنفسهم أكثر ممن قتلوا بأيدى الرومان – الذين انتحروا على جبل – مسادا – من اليهود – الذلت– . وتهامس اليهود بحلم عودة ملك يهوذا إليهم فى فلسطين الأرض الطهور التى دنسوها فى حقبة من الحقب. وصورتٍ شهوات الأحبار هذا الحلم فى صورة عقيدة دينية زيفت لها دلائل وبشائر معزوّة إلى الله زوراً وبهتاناً. منها أن الله سبحانه قد وعد ذرية إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام بأن فلسطين ستبقى أبداً فى أيديهم، وأن المسيح – أو رب الجنود الذى سيأتى لنشر السلام سيعيد اليهود بعد التشرد إلى أرض الميعاد.. وما جاء فى الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين لا ينص على إسحاق، وإنما يذكر وعد الله لذرية إبراهيم وأكبر أولاده هو أبو العرب إسماعيل عليه السلام وفى التلمود نجد كلاماً ينسب بعضه إلى الله سبحانه وتعالى تارة وبعضه الآخر إلى موسى، ففى التلمود مثلاً جاء: **ثواب العيش فى أرض الميعاد يعادل ثواب طاعة الله فى كل ما أوصى به موسى..** وقد ظل اليهود يبتهلون

ابتهال اللص أن يمن الله عليه بجريمة، ليعود ملكهم الذى كان لهم فى أرض الميعاد. الشيخ الغزالى.. وفى خلال القرن السادس عشر اختلط العنصر الدينى بالعنصر السياسى، إذ قام أحد اليهود داعياً إلى امتشاق الحسام لغزو فلسطين والاستيلاء على أرضها وإقامة دولة اليهود فيها..

وللصهيونية أقنعة تحاول أن تكتم وراءها خططها ومبادئها. ولقد اعتدنا أن نرى الصهيونية ماكرة الحذر، ولكنها فى - النهاية - مفتضحة نراها فى كل سطر من تاريخ البهائية وكتبها.. وصلة الصهيونية بالبهائية صلة قديمة بدأت مع غانية البابية قرة العين - انظر كتاب - البهائية- عبد الرحمن الوكيل ص١٠١.

وإليك ما يقوله أكبر مؤرخ بهائى عن صلة اليهود بالبهائية: «أقبل فوج عظيم على هذا الأمر، واعتنقوه، ودخلوا فى ظل البهائية وأصبحوا يشار إليهم بالبنان، فى جميع بلدان إيران، وكان أول من بذر بذور تلك التطورات هناك قرة العين». والصهيونيون هنا يسخرون البهائية لمكائدهم ويتسترون وراء القناع الجديد، فقد ثبت لهم أن أرباب البهائيين عصابة مهدرة الأخلاق، يبيعون الدين والشرف والوطن بثمن بخس..

إن البهائية هى نسبة إلى بهاء الله - لقب يدعى به ميرزا حسين علىّ - وهو الزعيم الثانى للمذهب الذى تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية، وتسمى هذه الطائفة - البابية - نسبة إلى - الباب - وهو لقب - ميرزا محمد - ذلك الذى ابتدع هذه النحلة والذى نشأ فى إيران، وادّعى أنه المهدى المنتظر عام ١٢٦٠ هجرية.. ثارت بين أشياعه وبين المسلمين فتن وحروب - سفكت فيها الدماء وكانت عاقبته أن أعدمته الحكومة فى تبريز صلباً عام ١٢٦٥هـ. وكان الميرزا حسين على الذى لقبوه ببهاء الله من شيعة الباب ودعامة فقبض عليه وسجن بطهران بضعة أشهر، ثم أبعد إلى بغداد سنة ١٢٦٩ هجرية. ثم نفته الحكومة هناك إلى عكا بفلسطين، وبقى البهاء بعكا إلى أن هلك عام ١٣٠٩ هجرية فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس الذى لقبوه بعبد البهاء ومنه إلى أخيه الميرزا، على وألفوا كتباً بالفارسية والعربية وطبعوها فى الهند..

ليست البهائية بالنحلة المحدثة ولكنها تقوم دعوة الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية.. وأصل نشأة هذه الدعوة أن طائفة من المجوس رموا عند شوكة الاسلام تأويل الشرائع على وجوده تعود إلى قواعد أسلافهم والتشكيك فى أصول الدين..

ومن الباطنية المتظاهرين بالتشيع آل البيت من ادعى النبوة لبعض آل البيت كفرقة الإسماعيلية ، قالوا بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر.. وكان أهل العلم يقاومون باطلهم ويهتكون أستارهم، ومن تصدى للرد عليهم أبو حامد الغزالى – حجة الحق – وكتابه – فضائح الباطنية–..

وتناول الشيخ ابن تيمية مذهب الباطنية ورد على بعض فرقهم فى بعض مؤلفاته..

يقول الأستاذ عبد الرحمن الوكيل: عرفنا تاريخ الباطنية وقرأنا بعض كتب البابية والبهائية، فوجدنا روح الباطنية حلت فى جسم ميرزا على وميرزا حسين على فخرجت بأسم البابية والبهائية، يستدلون بكلام النبوة ويحرفون كلم القرآن والحديث عن مواضعه، كما فسروا حج البيت العتيق بزيارة شيوخهم!!.. والكثير من مثل هذا الهذيان، مثل أن الباب هو أكمل هيكل بشرى ظهرت فيه الحقيقة الالهية! وأنه هو الذى خلق كل شىء بكلمته والمبدأ الذى ظهر عنه جميع الأشياء!!.. دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٥٦– تاريخ البابية– العقيدة والشريعة ص ٢٤٢..

تكفر هذه النحلة بالقيامة، والجنة والنار، وألغى الباب الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة وصلاة الجماعة إلا فى الجنازة!!. وقرر أن الطهر من الجنابة غير واجب! وأن القبلة هى البيت الذى ولد فيه بشيراز!!..

أما الصوم فمن شروق الشمس إلى غروبها، ومدته شهر بابى وعدته تسعة عشر يوماً وهذا الشهر يقع دائماً فى أول الربيع!!.. وقد أباح الباب لأتباعه قضاء خمسة أيام قبل الصيام فى لهو ومجانة تنطلق فيها النفس انطلاق الشهوة العارمة لا تأبه بدين ولا قانون ولا مجتمع.

أما الزواج فإجبارى بعد بلوغ الحادية عشرة ويكفى فيه رضا الطرفين ويجوز الطلاق تسعة عشر مرة، وعدة المطلقة تسعة عشر يوماً!!. وقد حرم على المرأة الحجاب..

ولا تحكم البابية على شئ بالنجاسة فالإنسان حينما يعتنق البابية يصبح طاهراً أو يصبح كل ما يملكه كذلك!!. (انظر تاريخ البابية جـ٣ ص ١٦٥) (تاريخ الشعوب الإسلامية - جولدزيهر).

قال الباب فى رسالة بعث بها إلى الشيخ محمود الآلُوسى صاحب تفسير - روح المعانى - عن دينه الذى يدعو إليه: من لم يدخل فى دين الله - أى دينه - مثله كمثل الذين لم يدخلوا الاسلام، كل من كان على شريعة القرآن كان ناجياً إلى يوم القيامة.. وقد حرّم الباب على أتباعه جميعاً قراءة القرآن فقام البابيون بتحريق المصاحف وذر رمادها!!..وكل امرئ لا يدخل دين البابية كافر جاحد مهدور الدم. ويقول لعنة الله عليه. إننى أفضل من محمد كما أن قرآنى أفضل من قرآن محمد!!. يقول - جولد يزهر - فى كتابه (تاريخ الشعوب الاسلامية).

وهذه الحركة صدرت دون ريب عن ضرب من ضروب التشيع، غير أن مبادئها الأساسية ترتبط تاريخياً بفكرة صادفتنا فى القسم السابق. ونوهنا بأنها الفكرة الرئيسية - يعنى ما تدين به الإسماعلية -.. ثم يقول عن الباب أنه اعتمد على مقدمات غنوصية كما مزج الثقافة العصرية بالدقائق الفيثاغورية ولعب كالحروفيين بتجميعات الحروف، واهتم بما لها من خطر كبير من حيث قيمتها العددية، وكان أخطرها شأناً فى تقديراته الرقم ١٩ الذى جعل منه نقطة مركزية استند عليها فى حساباته التى تشغل جانباً كبيراً من مباحثـه وأفكاره».

لقد جمع الغرب للبهائية وسائل إعلامه وكبار كتابه يمجدون البهائية، لأنها تستهدف التقريب بين الشرق والغرب كما يدّعون، ويكتبون عنها المقالات الحسان لأن عبد البهاء داعية محبة وسلام؟!!.. وفى الحقيقة أنه داعية هدم للإسلام، ولذلك طربوا لأفكاره ودوى ذكر البهائية فى انجلترا وأمريكا وروسيا. لقد أسرعت روسيا القيصرية إلى مؤازرة البهائية وكفلت لهم الحرية التامة أيام البهاء وبنت لهم معبدين، فقد كان هم روسيا التهام إيران وكانت البهائية سبيلهم إلى ذلك..

ويقول - بروكلمان -: وفى سنة ١٨٩٣م كانت البهائية قد ظهرت فى أمريكا وما هى إلا فترة يسيرة حتى نشأ فى جميع المدن الأمريكية الكبرى جاليات بهائية..

دعا الانجليز عبد البهاء إلى نزهة فى أوروبا فلبى الدعوة ووصل إلى سويسرة سنة ١٩١١م، وهناك عقد له سادته مؤتمراً صحفياً. وقد بهر عبد البهاء من شهدوه وأسكرهم بحديثه وصوته الشجى النبرات!! وكان فى أحاديثه ينال من الأمة العربية الاسلامية ويطعن فيها ويمجد الصهيونية، ولهذا أحيط عبد البهاء وهو فى لندن بكل مظاهر الحفاوة التى تعدها انجلترا لمن يخلصون لها بالولاء والعبودية..

هكذا وبمثل تلك المذاهب المقنّعة بالإسلام، وفى واقعها تنفذ مخطط صهيونى إستعمارى يخدم الأيديولوجيات الصهيونية التى تحاول اختراق المذاهب الاسلامية والمسيحية وتسعى إلى تشويه الأديان وتحريف الكتب السماوية وبث تعاليم وأفكار منحرفة تحت ستار الماسونية، وشهود يهوه التى تدعى أنها جماعة تبشيرية تتمسك بتعاليم العهد القديم، والواقع أنها تطعن فى العقائد والأديان السماوية من خلال الدعاوى التى يرويها أعضاء الجماعة بأسلوب ناعم ومهذب لأجتذاب المشاعر ثم تحرص على عدم الاعتراف بالإنجيل وتدعى إلى التخلى عن الاديان السماوية جميعاً، لأنها سبب الصراعات والحروب المدمرة، والدخول فى دين واحد دينهم! وقد اتخذت الجماعة اسماً آخر فى السنوات الأخيرة ويتخفون وراءه وهو – اتباع هارومجدن – انظر صفحة ٩٧ من هذا الكتاب.

لقد استغلت الصهيونية المذاهب الدينية المنحرفة من أمثال شهود يهوه وغيرها من المذاهب المسيحية، والمذاهب التى تسمى بالإسلامية من أمثال البهائية والإسماعلية وغيرها لكى تغرس الفكر الباطنى فى الأمة الإسلامية ويرسمون مصير جماعة المسلمين حينما يظهر المهدى المنتظر فيهدم الكعبة، ويبيد العرب ويدمر المسجد الأقصى ويستخرج تراثاً ضائعاً مجهولاً لليهود ويشيد هيكل سليمان، وهذه سوف تكون نتائج معارك هارومجدن التى تروج لها شهود يهوه! وليس تاريخ اليهود بالنسبة لهم مجرد صفحات – مضت – يقلبونها للاتعاظ والدرس، وإنما هى مؤشرات لما ينبغى أن يكون عليه الحاضر والمستقبل الذى بدأ منذ ثلاثة آلاف عام، والواقع أن القدس عربية كنعانية أسسها أصحابها قبل أول عهد لليهود بها أكثر من ألفى عام ولم يكن لليهود فيها كثرة فى أى وقت من الأوقات خلافاً لما يزعموه، فاليهود لم يحكموا إلا من عهد نبى الله

داود إلى نبى الله سليمان، وأن العرب حكموا المدينة ١٤٠٠ عاماً من هذه الفترة إلى جانب الآخرين من غير العرب واليهود الذين حكموها فترات متعاقبة مثل اليونان والرومان خلال الثلاث آلاف سنة الماضية..

وآخر ما قرأنا فى هذا الصدد كتاب (عصور فى فوضى) تأليف اليهودى الروسى - إيمانويل فيلكوفسكى - وهو عالم فيزياء - يعيد فيه - تزيفاً وتزويراً- كتابة تاريخ الشرق الأدنى القديم لكى يعطى بنى إسرائيل دوراً رئيسياً فى تاريخ لم يكونوا قد ظهروا فى أثنائه بعد، من خلال اختلاق عدد من الأدلة المزورة..

ومن المؤسف أنه لا توجد إستراتيجية عربية أو إسلامية لإنقاذ - زهرة المدائن - من تدنيس ثالث الحرمين الشريفين على يد الصهاينة إلاَّ نداء المثقفون ورجال الدين بالجهاد لفك أسر المدينة المقدسة؛ فقد جاوز الطالمون المدى فَحَقَ الجهاد وحقَّ الفدا..! وما القتال لدفع الاعتداء إلا دعوة إلى سلام وسلام دائم وعادل والفرق كبير بين السلام وبين الذل والخنوع، إن السلام مع القدرة على رد الاعتداء هو سلام عزيز قوى، أما الاستسلام للأمر الواقع فهو الذل والخضوع لكل معتد وتمكين للظلم والظالمين، وهو ضعف واستخذاء، إن أخذ الأهبة وإعداد القوة ومقاومة الشر سلام. فما استمرأ الذئب لحم الشاة إلا لأنها ليس لها ناب، وما عاف الأسد لحم الأسد إلا لأنه له ناب ومخالب وبراثن يفتك بها، والقوة العادلة سبب العزة والسلام العزيز، ويأيها العرب لا تحسبوا أن عدوكم جميعاً، لأن قلوبهم شتى كما يقول الله عز وجل. وقد وصفت أحد الصحف الاسرائيلية المهاجرين إلى إسرائيل بأنهم يجلسون على حقائبهم، أى أنهم يتحينون الفرصة السانحة كى يفروا من صهيون إلى أى مكان أكثر أماناً..

(الإسلام والإعلام الغربى والصهيونى)

لم يعد الإعلام حريصاً أو مهتماً بالقيم الأصلية التى تدفع الإنسان لاضفاء معنى على وجوده وتعميق جذوره فى الحياة، وتدعيم تواصله مع بنى البشر عبر التثاقف. وتهذيب الحواس والروح، بل يحرص على إعلاء شرعة المنفعة واللذة باعتبارهما المبادئ العليا التى ينبغى أن توجه السلوك البشرى فى الحياة .. ولقد أثبتت الوقائع على نحو بين أنّ خلف احتكار الغرب للكونية تكمن السياسة الخبيثة المرتكزة على المصالح، وليس على المبادئ، وإن الجانب الذى يتطلع إلى الكونية فى الثقافة والحضارة الغربية سرعات ما يتوارى عندما يستشعر الغرب أن مصالحه مهددة ..

والإعلام قوة مقنعة يصعب تبين أهدافها الحقيقية، إذ يبدو الإعلام كقوة محايدة متخصصة يقوم بها مجموعة من المحترفين ذوى تقنيات وتكنيكات وأساليب تعمل بطريقة تلقائية مجردة بعيدة عن الفضاء السياسى والثقافى.

ولا شك أن المظهر البرئ للإعلام البعيد عن الثقافة والسياسة هو محض وهم وخداع، فالإعلام الغربى على وجه خاص يتمثل فى أدائه ويستلهم مختلف التمثيلات الغربية عن الآخر – Representation – المختلف، وعلى نحو أخص الشرقى إن كان مسلماً أو غير مسلم، فهو يبث برسالته عبر العديد من الأشكال والصيغ والمواد الإعلامية عن الشرق المسلم والعربى، فما هو غير غربى فهو – exotique – أى غريب وطريف لأنه لا يدخل ضمن القواعد والمعيارية الغربية، فالشرقى فى الاعلام الغربى ينتمى لعصر الجريم والف ليلة وليلة، وهو غدار بطبعه، يميل إلى العنف والإرهاب، ويرفض التفكير المجرد والمنطقى ويميل إلى التفكير بما قبل المنطقى، وهو غالباً بدائى يخنق النساء والحيوانات، وفوق ذلك فهو يستعلى على التحديث والحداثة ويتمسك بماضيه. وبناء على ذلك فإن عدد من الصفات التى يلصقها الإعلام الغربى بالمسلم هى صفات تكمن فى وعى ولا وعى الغربى ذاته، ويسقطها على الآخر، لأنه لا يستطيع مواجهة ذاته بتلك الصورة المظلمة الكامنة فى أعماقه – أو فى الحدود الدنيا ذلك الجانب المظلم فى شخصيته الذى يريد أن يتنكر له وأن يتهرب منه .. ولا تفلت المواد الإعلامية التى يبثها الإعلام الغربى عن العالم الإسلامى من هذه القاعدة فهى غالباً مواد مبتسرة

وتتوافق مع التمثيليات الغربية عن العالم الاسلامى والمسلمين، وهى مواد تزيد من سوء فهم المواطن الغربى للإسلام ومشكلات العالم الاسلامى، فى الوقت الذى تزعم فيه تعميق هذا الفهم .

فالحركات الإسلامية التى يزخر بها العالم الإسلامى تتميز معالجتها بالسطحية وتعميم الأحكام المسبقة والمتحيزة ولا تحظى بمعالجات تضعها فى سياقها التاريخ الشامل، إذ تنعت بالتعصب والجهل والارهاب، وهذه المعيارية الغربية الاعلامية فى معالجة مشكلات وقضايا العالم الإسلامى، لا تقتصر فقط على هذه المشكلات وإنما تمتد لتطال جملة من قضايا الجنوب، فالأرهاب ليس شراً كله، فبعض منه فيه صلاح الأحوال لأنه يخدم مصالح الغرب، ويكمن الشر فى أن جزءاً منه يناهض ويهدد هذه المصالح، أن المعيارية الغربية تطبق بوعى الكيل بمكيالين فى نظرتها للقضايا التى تتعلق بعالم الجنوب.. وتؤكد الشواهد والدلائل على أن الإرهاب موضوعاً للإعلام الغربى والذى يتخذ منه مادة إعلامية تستهدف النيل من الدول الإسلامية والعربية والتشهير بها فى المحافل الدولية لا يبلغ عدد ضحاياه منذ البدء وحتى الآن عدد ضحايا العنف فى الولايات المتحدة الامريكية فى يوم واحد، وعلينا أن نستخلص دلالة ذلك فى سياق إلصاق تهمة العنف بالعالم الإسلامى. ذلك أن العنف يكمن فى بنية كل الشعوب والثقافات وليس بالضرورة عنصراً تكوينياً فى ثقافتنا، (الأهرام يناير ١٩٩٧، مع بعض التصرف) .

أن الإعلام الصهيونى يستفرد بالرأى العام الامريكى، وهناك قوى اللُّوبى الصهيونى المتعصب فى الولايات المتحدة المعروفة باسم - إيباك - تبث الأكاذيب للشعب الأمريكى وتصور له أن شيطان الحرب هو نبىٌّ للسلام! . وكذلك جمعية - بنانى بريث - التى تسعى ضمن لوبى صهيونى ضخم إلى تشويه صورة العرب والمسلمين وتظهر الدرجة التى تردى إليها تيارات التعصب الدينى لدى الصهيونية، فهم يريدون للعالم أن يقتنع بأن مجموعة الأساطير والأوهام التى تخص أقلية الأقلية فى العالم قد باتت ملزمة لجميع الديانات والشعوب فى الدنيا بأسرها، وهم لا يعتمدون على الحجة والمنطق وإنما على القوة الغاشمة وفرض آرائهم على الواقع ..

يقول الرسول ﷺ : يخرج فى آخر الزمان رجال يَخْتِلُون - يخادعون -

الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله عز وجل : أبى يغترون؟ أم عليّ يجترئون؟ فبى حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم حيرانا ..

أن الرأى العام الأمريكى يعطى الكلمة المسموعة أهمية تصل إلى حد التقديس، ويصد كل كلمة مكتوبة .. ولقد استغلت الصهيونية هذه الصفة فى الرأى العام الأمريكى ، وبدأت منذ أكثر من ثلثى قرن بشن حملات إعلامية وثقافية لبناء صرح ثقافى صهيونى فى عقل الرأى العام الامريكى سمى فيما بعد - التفكير السائد - والذى يعتبر أكبر قوة إعلامية صهيونية ضاربة فى أمريكا وأصبح قوة سياسية عنيفة فيها إلى درجة أن الروس والامريكيين لا يستطيعون منه فكاكاً، بل هو يعدُّ غولاً بالنسبة لهم يلتهم شخصياتهم وأفكارهم ويخضعهم لسلطانه وسيطرته الرهيبة .. إن هذه السلطة التى يسمونها - التفكير السائد - تتلخص فى أربع نقاط هى :

(١) إن إسرائيل ليست دولة صديقة فقط تقدم لها أمريكا المساعدات متى إحتاجت إلى ذلك، بل أنها تشكل مصدراً من مصادر القوة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط، كما تشكل منفعة سياسية وعسكرية لأمريكا فى تلك المنطقة، أى إنها ترتبط معها برباط حيوى، كما عبرت عن ذلك مجموعة من الاستراتيجية الامريكية .

(٢) أن الرفض العربى للوجود الإسرائيلى فى فلسطين هو سبب عربى متعلق بالعرب أنفسهم دون غيرهم فلو تخلص العرب - مثلاً - من عقدتهم النفسية تجاه اليهود، لما كانت هناك مشكلة تعنى فلسطين، فالصراع العربى الاسرائيلى أساسه نفسى لا سياسى وعلى العرب أن يطببوا أنفسهم بأنفسهم لكى يتخلصوا من هذا المرض النفسى !! وعندها سوف تحل المشكلة الفلسطينية أوتوماتيكيا؟!.

(٣) إن مسألة الآمال الوطنية الفلسطينية والشعور القومى العربى فى فلسطين والانتماء الدينى الاسلامى والمسيحى وكل التطلعات الأخرى التى يتحدث عنها المثقفون العرب، ما هى إلا جزء من الخيالات الشعرية التى يمتلئ منها التاريخ العربى، وأغلبها أحاسيس خبيثة وغير صادقة ؟!! .

(٤) إن السلام كالحرب بحاجة إلى استعداد نفسى وحضارى، والأمة العربية

غير مهيأة لا لحرب ولا لسلام !! ، فغاصت إسرائيل بأعمالها أقدس الأقداس عند المسلمين والمسيحيين والعرب أجمعين، وأصبحت مدينة القدس مملوكة للصهيونية بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية التى رمت بثقلها السياسية وغيره لتنفيذ مشروع - تيودور هرتزل - من النيل إلى الفرات ..

تلك هى المبادئ الأساسية لما يسمى فى أمريكا بسلطة - التفكير السائد - أما الرؤساء الذين انتخبوا للرئاسة الأمريكية فقد نفذوا البرنامج الصهيونى حرفياً منذ ثلثى قرن من الزمان ..

والمعروف أن إسرائيل ومعناها - عبدالله - أن نبى الله إبراهيم خليل الله نزل إلى مدينة الخليل سنة ١٨٠٥ قبل الميلاد فغدت منزلا ومدفناً له ولآله من بعده، ثم أصبحت عاصمة لمملكة نبى الله داود ومن بعده ابنه سليمان لمدة سبع سنوات، أما النظرية الصهيونية التى تدعى أنهم - أى اليهود - أصل الحضارة فيما يسمى بالامتثال بالتاريخ فهم يريدون بها إثبات التفوق الحضارى اليهودى وعندما يمتلكون مفاتيح ومقابر الأديان، فأنهم بذلك يمتلكون المستقبل للوحدانية ليخضعوا الديانتين الأخريين - المسيحية والاسلام - للنظرية الصهيونية وهذا هو الهدف الحقيقى لهم ..

إن فى هذه المرحلة التى يتعرض من خلالها الإسلام لحملة شعواء ضارية تحاول النيل منه وتشويه صورته، وهذه الرياح المسمومة التى يتعرض لها الإسلام ليست جديدة عليه، فمنذ بدء الرسالة وهناك من يحاولون قدر جهدهم أن ينالوا منه، وكلما خمدت فتنة أوقدوا غيرها، يجب أن يفطن الإعلام الاسلامى لها، وأن يواكب أحدث النظم الإعلامية المعاصرة ويستفيد من وفرة هذه الدراسات فى مختلف دول العالم لكى يظفر باهتمام كاف الدعوة والإعلام، حيث إن المجتمع الاسلامى قد قام أساساً على فكر جديد وتشريعات مستحدثه لم يعرفها العالم من قبل ونظرة رائدة إلى الإنسان ومفهوم متطور للمجتمع وللدعوة ووسائلها.

ويشير الدكتور عبدالقادر حاتم فى كتابه - الدعوة الإسلامية وأجهزة الاعلام - يشير إلى الموجة الجديدة من الحقد والكراهية التى بدأت تصوب سهامها نحو الإسلام وإلى الذين يتربصون به الدوائر، ويقول د. حاتم : إن رسالة الدعوة هى مواجهة هؤلاء بالأسلوب الاعلامى العالمى الصحيح الذى رسمه

الإسلام، وهو الدعوة إلى سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.. ويشير د. حاتم إلى أن الغرب وضع الاسلام فى وضع الخصم الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وبعد أن أسلمت الشيوعية الروح، فإن الدور الآن على الإسلام .. ويحلو لأجهزة الاعلام العالمية أن تسارع بلصق تهمة الإرهاب بالاسلام ذاته كلما برزت حوادث الارهاب فى أحد بقاع العالم الاسلامى، أو الؤصرار على وصف من يقومون بهذه الافعال بعبارة (الجماعات الإسلامية).

ثم يتحدث د. حاتم فى كتابه عن الهجمة الشرسة المنتظرة ضد القيم والدين، وكيف نقاوم هذا الهجوم المنتظر ويقول لرجال الاعلام : خذوا حذركم فأنه بعد انهيار الشيوعية ستوجه الدعاية والهجوم على الإسلام ومنطقة الشرق الأوسط. والشباب هو المستهدف لأنه ينقاد بسهولة، والواجب تحصين الشباب من الفراغ والقنوات الفضائية ؟

وتتجلى المعيارية الغربية والصهيونية للإعلام على شبكة - الانترنت - فيقول دكتور يوسف زيدان : «أجريت بحثين على شبكة الانترنت الأول عن مصر والآخر عن إسرائيل فوجد ما يلى : مصر ذات العرق التاريخى الممتد سبعة آلاف سنة والامتداد الجغرافى والخضم البشرى الذى تجاوز ستين مليوناً من البشر، يوجد عنها فى الشبكة ٣٨٣٢ ملفاً معلوماتياً !! ..

أما إسرائيل ذات الثمانية وأربعين ربيعا الملفقة التاريخ من شذرات متفرقة، الغاصبة أرض الناس بالقوة زاعمة - الغصب وعد الاله - يوجد عنها فى الانترنت ثلاثة أضعاف الملفات الموجودة عن مصر وعددها بالتحديد فى ليلة اجراء البحث ٩٠١٩ ملفا تحت كلمة إسرائيل.. وباستثناء عدد محدود من الملفات، فإن غالبية ملفات مصر فى الشبكة هى ملفات قصيرة، بلا صور أغلبها من وضع إفراد أغلبهم غير مصريين.. اما إسرائيل فإن ملفاتها التى تربوا على التسعة الآلف ليس فيها صور ملونة فحسب بل لوحات كرنفالية تعمل بأسلوب الوميض. وبخط ملون جميل وسط بعض الصور فتأتى الملفات بكل شاردة وواردة. تصنع تاريخا لهم من قطع الفخار، تصوغ ملحمة ملفقة من غبار القرون، ثم تخبر عن واقع وردى معاصر، وهى الدولة التى لم يكن لها وجود قبل ٤٨ سنة !! .. وتظل ملفات إسرائيل فى الشبكة الدولية تضع أمام العالم تاريخاً لليهود وحاضراً

لإسرائيل ومستقبلا للمنطقة بأسرها، كل هذا بحسب ما يرونه هم ووفقاً لما أرادوه هم وطبقا لما يخططون به ! .. وبعد أن يذكر الدكتور زيدان الواقع الصهيوني ومخططه والتاريخ الإجرامي المشين لهذه الحركة العنصرية التي لم يذكر منها شيئاً على الشبكة يقول :

«أن أغلب مؤسسات العالم والملايين من أفراده يستقون معارفهم من ملفات الانترنت، فلماذا لا نطرح عليهم قضايانا التي يشهد الحس الإنساني السليم بأنها قضايا عادلة، باختصار - ليكن لنا قول في هذا العالم الصاخب بالأقوال على الشبكة الدولية الانترنت - باعتبارها أحد أهم تجليات عصر المعلومات وهو عصر معرفة جديدة ونظم تفكير متطورة ..» .

وقد جاء في كتاب - العرب وعصر المعلومات - في مسلسلة عالم المعرفة للدكتور نبيل على ورسالته - لا وقت للهزل، ومضمونها : ان المجتمع الذي يستهلك أقل من ١٠ ٪ من مجموع المعلومات المتاحة في شبكة دولية واحدة هو مجتمع جائع معلوماتياً - أما المجتمعات التي تستهلك أقل من ٥ ٪ إلى ٢ ٪ فهي مجتمعات لا أمل لها في البقاء العضوي خلال القرن القادم - إنها المجتمعات المرشحة للانقراض المادي - إما بأيديها أو بأيد الآخرين، ربما بدون حاجة لاستخدام أسلحة الدمار الشامل، وستكون مرشحة لأن يتم استيعابها ثقافياً في ثقافات أخرى أقوى منها، لأنها ستكون مرشحة لأن تندثر لغاتها وعقائدها الأساسية، وبنياتها الثقافية الاجتماعية تحت وطأة الهجوم المخطط والانتشار التلقائي للثقافات الأخرى .. هذا كلام لا مبالغة فيه، فقد حدث من قبل في التاريخ الإنساني عشرات بل مئات المرات - كلما تمكن مجتمع من اكتساح مجتمع آخر - والواجب هو تحصين مجتمعنا بالمزيد من المعرفة الواعية بقيمه الاصلية حتى يتعامل مع ما ينتجه الآخرون تعامل الفاعل الند لا تعامل المفعول به والتابع، وقادر على العيش والتطور، حتى لا نتعرض إلى ما تعرضنا له في القرن الماضي من تخلف، وحتى لا ننقرض مادياً وثقافياً يجب أن لا نرضى بقهر الفقر وذل السؤال وقسمة المغبون، لا تَنَطّع ولا جمود بل إيمان حقيقي بالله وبكرامة الإنسان .

أن المشاركة بالفعل التقني تستوجب أولاً تغيير الفعل الحضاري بوجه عام

فى أكثر من مجال، والإفادة من التشتت العلمى العبقرى لنا فى مجالات كثيرة دون أن تكون لها - الوعى - المركزى - للعيش فى هذا العالم الجديد الذى يسعى أن تكون الزعامة فيه إلى من يملك الإمكان المعلوماتى العالى، والذى يعيش بالفعل فى ثورة ما بعد صناعية أو ما بعد الموجة الثالثة بتعبير - توفلر - إذن لابد أن نبادر على الفور بالتراكم التكنولوجى عبر قاعدة اقتصادية واعية وإلا سيصبح - رجل العلم - الذى تحدث عنه محمد عبده فى القرن الماضى ورجل التقنية - الذى تحدث عنه - الطيب تيزينى - فى القرن الحالى مجرد وهم بينما يظل رجل التقنيه هو الرجل الوحيد الموجود فى الشمال حتى ولو استوردنا شبكاته التكنولوجية فى الجنوب..

إن الإعلام الصهيونى يقدم الإسلام بأسلوب بارع يكسب كتاباتهم مسحة من الموضوعية المزيفة حيث يصفون الإسلام بأنه ايديولوجية إرهابية معارضة للسامية، على الرغم من أن الارهاب كان ولا يزال أحد المقومات الفكرية الاساسية للحركة الصهيونية وأهم الأساليب التى طبقها الصهيونية لتحقق غرضها الأول وهو إقامة دولة إسرائيل (انظر كتاب - الإرهاب يؤسس دولة نموذج دولة إسرائيل - للدكتور هيثم الكيلانى المثقف السورى الكبير ورئيس تحرير مجلة شئون عربية) الكتاب يضم بين دفتيه أربعة عشر فصلاً تتوالى لوصف الارهاب فى الحركة الصهيونية، وتوضح وسائل ممارسة الإرهاب الصهيونى كالمذابح والقتل، والاغتيال، والابعاد، والطرد، والترحيل، والسجن والاعتقال، والتعذيب، والحصار، والتجويع، وأخيراً العبث بالمقدسات الدينية - نموذجاً متكاملاً للأرهاب - ثم يحلو لهم وصف الآخرين به ؟! .

يقول عالم الجغرافيا الكبير - جمال حمدان - فى كتاب - اليهود أنثروبولوجيا - اكشف التشتت الثقافى والبشرى - الذى يحتم التعصب والعدوان وسائل للتوحيد المصطنع والتكتل المنافى للتطور الطبيعى.

والسؤال الحائر هو : لماذا لم يُقِمْ العرب سلطة - تفكير سائد - أخرى مضادة فللثقافة الأمريكية؟ والتى هى جزء لا يتجزأ فى الثقافة الأمريكية السياسية على حد تعبير - ما لكم كيد - والتى أصبحت العنصر الأساسى فى صناعة القرارات السياسية الأمريكية الخاصة بالشرق الأوسط ، فبرغم ما يقال عن

- التأثير السرطانى - لمنظمات الإعلام الصهيونى على الرأى العام الامريكى، فالمؤكد أنها لم تستطع بعد انتزاع العقول من كل الرءوس وليس فى مقدور الضغط الصهيونى أن يعيد صياغة كل الأفكار وأن تجتث كل احساسات الإنسانية من كل القلوب البشرية، وليس هذا تقليلا من شأن الإعلام الصهيونى وبعد أثره فى طمس الحقائق، فهناك من لا يسمع ولا يقبل التأييد الاعمى المزمن لإسرائيل والتبعية لها ولا يجدون مبرراً كافياً يتفق مع تحضرهم وإيمانهم بالعدل والشرعية الدولية لحقوق الشعوب من الشعب الأمريكى والشعوب الاوروبية، حتى من الشعب الإسرائيلى نفسه والذى أكثر من نصفه يؤيد التعايش السلمى محب للسلام وعلى رأسهم حزب - ميريتس - فإذا ما تمكن الإعلام العربى من تنمية روح السلام ووجدوا كلمتهم ومجهودهم فى كل المجالات لكسب أعداد أكبر من الإسرائيلين إلى عملية السلام، وذلك بالتخلى عن موقف الرفض لوجود دولة عبرية، والانتصار على الصهونية لا يتم بترديد الموقف التاريخى بأزالة دولتهم، إنما يحتاج الأمر إلى جانب القوة العسكرية والمهارة الدبوماسية، والقدرة على الحرب وفق معايير فنية ومهنية صارمة وليس على حماس وعنف الشعار الغائى أو الايديولوجى السلبى الذى نردده.

اننا لا نعادى العقيدة الدينية لليهود، ولكننا نعادى ايديولوجية صهيونية سياسية مبادئها مادية إلحادية تتستر برداء الدين والدين منها براء .. إن العرب لا يعادون السامية ولكنهم يعادون الصهيونية العنصرية البغيضة، أما المعتدلون من اليهود فهم - أبناء عم للعرب - فكلنا أحفاد إبراهيم عليه السلام وكلنا أخوة فى عقيدة التوحيد، وأمن الدولة العبرية لا يحققه غير السلام وليس الحرب معهم، والتعايش السلمى فيه خير للجميع .

وبمناسبة مرور مائة عام على المشروع الصهيونى هذه الأيام يونيو ١٩٩٧م تنظر هذه الحركة وراءها بفخر حيث إن قائمة إنجازاتها تفوق طموحات أعظم قادتها جنوحا وتطرفاً ... فبعد نصف قرن من قيادتها أو قيامه تمكنت من إنجاز الحلم بدولة يهودية متسقلة على جزء من أرض فلسطين .

وخلال النصف التالى تمكنت من تحويل الدويلة إلى قوة إقليمية كبرى، وها هى تتهيأ لتحقيق انتصارها الكامل بكسر إرادة المقاومة لدى العرب وحملهم

على التسليم بحقها فى كل فلسطين وفى قيادة المنطقة، ولا يوجد خلاف حول إداء طبيعة هذه الحركة لدى أصدقائها وإعدائها على السواء ...

وطبيعة المشروع الصهيونى هى تلك الركائز الفكرية والأيديولوجية التى يقوم عليها والتى بدونها ينتفى مبرر وجوده ذاته، وتتمحور هذه الركائز حول فكرتين رئسيتين الأولى هى فكرة – الأرض الموعودة – والثانية هى فكرة الشعب المختار – وما كان يمكن للحركة الصهيونية أن تتشكل إطاراً قادراً على حشد وتعبئة الجاليات اليهودية فى العالم أجمع دون تبنى مقولة – أن فلسطين هى الأرض التى وعد الله بها شعبه المختار من اليهود – وبصرف النظر عن البعد الأسطورى فى تلك الدعوة إلا أنها أتسمت – شأنها فى ذلك شأن العديد من الاساطير الدينية والسياسية على السواء – بقوة تعبدية جبارة مكنتها من التمتع بديناميكية هائلة ، ساعد عليها التاريخ اليهودى ذو الطابع المأسوى، وقد انطوت هذه الدعوة على تحديد واضح دقيق لجوهر الأهداف الرئيسية للحركة الصهيونية ، وهو تمكين يهود العالم أجمع من العودة إلى أرضهم التاريخية فى فلسطين بحدودها التوراتية، لذلك تعدُّ إسرائيل نفسها مسئولة قانونا عن كل يهود العالم. ويحق لأى يهودى فى العالم اياً كانت نسيته فى أن يصبح مواطناً فور عودته إلى إسرائيل دون حاجة إلى أن يقتدم بطلب للحصول على الجنسية ..

وفى هذا السياق يمكن القول أن المشروع الصهيونى لم يكتمل بعد، حيث إنه لا يوجد اعتراف دولى كامل بالسيادة الإسرائيلية على كل فلسطين التاريخية، وأيضاً أن معظم يهود العالم ما زالوا يعيشون – حالة الشتات – بعيداً عن حضن الوطن الأم ؟ !! ، أما اليهود الذين يعيشون داخل الأرض المحتلة فهم مجتمع صهيونى بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات فى الفكر اليهودى، عندما يتعلق الأمر بإدارة الصراع مع – الأغيار – ولا توجد رؤية إسرائيلية أو صهيونية واحدة حول قضية التسوية النهائية مع أصحاب الأرض الأصليين – الفلسطنيين – ويجب أن نحذر من الوقوع فى وهم الاعتقاد بوجود معسكرين فى إسرائيل أحدهما يطالب بالسلام مع العرب والاخر يدفع فى اتجاه الحرب، فهذا النوع من التقسيم ليس ساذجاً أو سطحياً فقط ولكنه مغلوط عن قصد بهدف اصطياد العقل العربى وتفكيك حصون مقاومته تمهيداً لفرض المشروع الصهونى بكامل

أبعاده وإعلان أنتصاره النهائى.. والواقع أننا لم نتوصل إلى هذا الاستنتاج استناداً إلى تحليلات ذات طبيعة ايديولوجية أو قيمية وإنما من خلال مقارنة عملية صارمة لمواقف التيارين من عملية التسوية، وتؤكد هذه المقارنة بشكل قاطع عدم وجود خلافات جوهرية بينهما، لا من حيث منهج التسوية ولا من حيث مضمونها، فلم نعثر فى برامج أى منهما على أية أوهام تتعلق بسلام مع العرب يدور حول حل وسط تاريخى - والمعنى الوحيد الذى يمكن استخلاصه هو أن الحركة الصهيونية بجناحيها الرئيسين لا تزال موحدة حول شروط التسوية النهائية، وهى شروط تؤكد جميعها أنه لم يطرأ على هذه الحركة أى تغيير يذكر حول مفهومها للسلام مع العرب، اللهم إلا إذا كان هذا التغير فى اتجاه المزيد من التشدد..

إن الجانب المحير فى عبقرية الحركة الصهيونية والذى يفسر سر نجاحها فى الواقع، يكمن فى قدرتها على ربط مصالحها ربطاً عضوياً بمصالح القوة المهيمنة فى النظام الدولى وخاصة تلك التى تتمتع بالنفوذ الأكبر فى منطقة الشرق الأوسط، إنها تخلق تطابقاً شبه تام فى المصالح مع القوة المهيمنة أو الطامحة نحو الهيمنة على المنطقة، وقد حرصت الحركة الصهيونية على تنظيم صفوفها وتعبئة قواها الذاتية وخاصة المالية والإعلامية لتشكل قوة ضاغطة فاعلة على مراكز صنع القرار خاصة فى الدول الكبرى وحظيت الولايات المتحدة باهتمام خاص، وتصاعد تأثير اللوبى الصهيونى هناك تدريجياً باقناع كل إدارة وأى إدارة امريكية بأن ما يحقق مصلحة إسرائيل يحقق مصلحة الولايات المتحدة ..

والمأساة الحقيقة أن الصهونية تدرك علامات الضعف عند العرب، وتتعامل معهم على أساسها وهو إدراك عنصرى بطبيعته، وهذا جوهر المأزق الذى وصلت إليه عملية التسوية، ولو استمر المنهج العربى الحالى فى إدارة الصراع مع الحركة الصهيونية على ما هو عليه، فمن المؤكد أن الهزيمة الكاملة آتية لا ريب فيها لا قدر الله .. والسؤال المطروح هنا هو : هل يمكن انطلاقاً من معطيات الواقع الراهن ترشيد الإدارة العربية للصراع على النحو الذى يمكن معه تقليل الخسائر إلى أدنى حد ممكن ؟ (الأهرام ١٩٩٧/٦/٢٠ د. حسن نافعة).

إذاً ما أسلوب التعامل مع الصهيونية ؟ هل القوة بمعناها المجرد القائم على الثورة والدم والجهاد وما إلى ذلك هو الحل؟ .. أن هناك أسبابَ قوة أخرى كثيرة

نستطيع بها مواجهة ما يفرض عليها من تحديات فى هذا العالم ، أو لها – الوعى بقيمة الإرادة التى لم تهزم أمام النكسات، وترفض بإصرار أمر واقع غير عادل..

ثانياً – الوحدة العربية التى تظل مرهونة بالتنبيه إلى التطورات العالمية المتسارعة وهى تتحدد فى التالى :

(١) الجانب الاقتصادى وتنسيق مقدراتنا الاقتصادية وبها نحرز أحد أسباب القوة.

(٢) الثورة التكنولوجية، فهى أكثر ما يجب التنبيه إليه فى عصر العولمة، وخصومنا يعيشون اليوم فى المقدمة مع العالم المتحضر فى ثورة تكنولوجية هائلة، ومن ثمَّ فإن غياب استراتيجية عربية موحدة فى هذا الصدد يحول بيننا وبين التنبيه إلى المستقبل. والنظر إلى الواقع فى برامج الخصوم والتى تعج بتشويه صورة الاسلام والعرب أجمعين، من شأنها أن تجعلنا نصغى إلى الأصوات التى ترتفع هنا وهناك لتحذر من – الجولة الثالثة – .. ويقول أحد العلماء : إن حروب المستقبل ستكون حروباً من نوع جديد تعتمد فى المقام الأول على القدرات العلمية والتكنولوجية. وعلى القدرات الاقتصادية فى المقام الثانى، وعلى القدرات العسكرية فى المقام الثالث، وحتى هذه الأخيرة ستعتمد فى معظمها على النوعين الأول والثانى من القدرات ..

ليس أسلوب القوة إذن هو الأسلوب الوحيد لمواجهة الخصوم، فقد تخطى فجوة المعاصرة المعرفية والتكنولوجية من خلال استراتيجية عربية موحدة.. إن العالم يعيش الآن عصر التكتلات ولا مكان فيه للتفتت والكيانات الصغيرة والدائرة الاسلامية والعربية هى دائرة واسعة كبيرة وتاريخ الأمم الإسلامية فى أزهى العصور يشهد بذلك. والصحوة الإسلامية الحالية تحاول استعادة هذا الكيان القوى الفعال والمؤثر فى العالم، لذلك يتخوف الغرب بعد سقوط وتفكك الاتحاد السوفيتى، ويرى أن الإسلام من الممكن أن يكون هو البديل كعقيدةً ونظاماً، سيما وأن الاسلام قد قدم نموذجاً حضارياً إبَّان قوته وازدهاره وعاش العالم فى كنفه فى أمان وتقدم..

ومن تلك اللحظة التى بدأت فيها الصحوة، بدأ الصراع يتخذ شكل التشويه وتقديم الصورة المزيفة غير الحقيقية عن الإسلام .. ومن المعلوم أن الاسلام فى

مسيرته قد واجه حضارات كثيرة، منها الحضارة المصرية والحضارة الفارسية والحضارة الرومانية والحضارة الهندية، وواجه أديانا متعددة كاليهودية والنصرانية والبوذية والمجوسية، وواجه أعراقاً مختلفة وأجناسا متباينة. وقدم الإسلام النموذج الأمثل للتعايش بين هذه الأعراق والأجناس فى مجتمع يسوده السلام والحب والوءام .

وأخيراً نقول، لا يفل الحديد إلاّ الحديد، ولا يمكن الانتصار على الحركة الصهيونية إلا بحركة مثلها .. والحركة المضادة تكون بفضح ضلال الصهيونية وكشف افتراءاتها وكبح تطرفها، وتظهر لليهود أن الله عز وجل اختارهم ليقيموا دعوة الحب والعدل والسلام، تلك الدعائم التى أقام الله عليها الكون، وليس الكذب والافتراء والتعالى على الناس ، إن الله عز وجل لم يفضل أحداً على أحد إلا بالتقوى، ولم يختر قوم بنى إسرائيل ليتعالوا ويفسدوا فى الأرض، هذه ليست تعاليم إلهية أو حججاً توراتيه ، ولكنها مسالك شيطانية أفترتها الصهيونية.. أن الله لا يعطى أجراً بدون عمل صالح، فأين هذا العمل الصالح؟ .. هل سلوكهم الاستعمارى النازى مع الشعب الفلسطينى عمل صالح يرضى الله تعالى ؟ .. إن الحقوق لا تعود إلا بمثل ما أخذت، ليس بحرب منظمة ولكن بسواعد أبناء الوطن المحتل - بالانتفاضة - حرب العصابات - التى تعرفه الصهيونية .

هذا إذا فشلت تنمية روح السلام لدى الشعب اليهودى الذى نعتقد أن أكثر من نصفه يؤكد التعايش السلمى مع أبناء الوطن الفلسطينى، أما النصف الآخر فهو فى حاجة إلى توعية سليمة للديانة الموسوية الحقة. وليس ديانة يهودية كما تريدها الصهيونية، التى تجمع اليهود من أنحاء العالم لكى يحتلوا أرض غيرهم وتسلحهم بالخرافة والبندقية معاً وتغرس فيهم أحط المشاعر العنصرية وتضع أمامهم خريطة - إسرائيل الكبرى .. إن الصهيونية طاعون القرن الذى تتوارى النازية خجلاً منه، ومن المذابح التى ارتكبها وما زال فى حق العرب. إن هتلر ونظامه النازى لم يفعل باليهود ما فعله. ويفعله يهود إسرائيل بالفلسطنيين.. لقد أنفرد المتعصبون الصهاينة دون باقى المتعصبين من كل الأجناس، وفى كل دول العالم بأنهم لم يكتفوا باستخدام العنف ضد أعدائهم الفلسطنيين. وإنما أضافوا إلى تلك الجرائم التقليدية والمعتادة من المحتلين والديكتاتوريين والغزاة، جريمتهم

العظمى التى تتعمد إهانة الدين الاسلامى وتحقير رسوله ﷺ بالقول الفعْل بما لا يمكن تصوره أو قبوله أو حتى محاولة تبريره. هذا آخر ما أفرزته الفئة الباغية من سموم فى ثقافاتها الحاقدة، أقوال منسوبة إلى فاجرة تهاجم الإسلام فى أهم أركانه. وهذا الاستخفاف بثوابت المقدسات الدينية نتيجة حركة فكرية وحربا ثقافية إعلامية موجهة إلى كل من هم من غير اليهود، فى صورة صراع إعلامى دائر على أشده ضد الأديان إسلامية ومسيحية من قبل خصوم العقائد والإيمان وأعداء الشرائع المساوية، ولا يفرز مثل هذا الإعلام غير مفسدين سفهاء، أقوالهم سيئة وتصرفاتهم عدائية منحطة يتحرشون بالمقدسات الدينية الإسلامية والمسيحية.. وما يصدر عن المتعصبين الصهاينة ليس بمستغرب ولا جديد، بل يتفق مع سجية طائفة من البشر ومع سلوكهم وطبائعهم التى كانوا عليها مع رسلهم وأنبيائهم وتوراتهم، وما زال الخلف يتوارثها عن السلف موجهاً ضد المجتمع الإنسانى، فهم فى الماضى كانوا يلصقون أفظع الاتهامات وأفحش الصفات برسلهم وأنبيائهم، وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا ، وما زالوا يواصلون نشر بهتانهم امتداداً لطبيعتهم النكراء وسلوكهم السيء. ومن يقرأ التلمود يجد فيه أسوأ وأحط الأقوال عن المسيح والمسيحية والعائلة المقدسة.

إن الصهاينة يمثلون أبشع أنواع التعصب الدينى والعرقى فى تاريخ الشعوب، لذلك يجب وجود حركة إعلامية مضادة تفضح افتراءات الصهيونية، حيث إن بيانات الاستنكار وتصريحات الرفض والاحتجاج لما يحدث فى أراضى العرب المحتلة، لا تكفى لردع الاعتداء على الحريات والمقدسات الإسلامية والمسيحية.

إن أساطيرهم تدعوهم إلى هدم المسجد الأقصى – أول القبلتين وثالث الحرمين بالنسبة للمسلمين – لأن غفران الخطيئة فى عقيدتهم متوقف على تقديم الذبائح، ولكى يقدموا الذبائح لابد من هيكل. وهم يعتقدون أن الهيكل يوجد تحت أساسات المسجد الأقصى ؟! .. إن هذا أمر خطير جداً، يتعلق بالكرامة والعرض والحقوق والوطنية، إن التفريط فى الأرض خيانة للوطن، أما التفريط فى المقدسات فهو خيانة لله عز وجل، وما جرى فى الأراضى العربية المحتلة وفى المدينة المقدسة يضعنا كعرباً ومسلمين أمام تحد خطير بأن نكون أو لا نكون.

والجواب معروف لكل محب لوطنه ومخلص لدينه وعقيدته، وتعصب الصهيونية لعقيدتها ليس بأقوى من إخلاصنا لعقيدتنا ..

وإذا كانت الدعاية الصهوينية المصقولة تتحدث عن – الصابر المتفائل المقاتل – فإن الوجدان الإسرائيلى يحكى قصة مغايرة تماماً . فهو وجدان مدرك للورطة التاريخية التى وضعت الصهيونية فيها المستوطنيين الصهاينة، هى ورطة لها أبعادها المختلفة، المترابطة، المتعددة، وهذا الاحساس بالورطة يعبر عن نفسه أحياناً بطريقة مأسوية، وأحياناً أخرى بطريقة ملهاوية حين يتحول الاحساس بالنكبة إلى – نكتة – ويعرفون بأن كيانهم الصهيونى يستند إلى أكذوبة تاريخية.. وقد عبر أحد الصحفيين اليهود عن هذا الاحساس بقوله : «إن المهاجرين الصهاينة جالسون دائما على حقائبهم» أى على استعداد دائم للذهاب إلى أى مكان آخر يحقق لهم قدراً أكبر من الحراك الاجتماعى».

ويقول الشاعر التاريخى للشعب اليهودى، وأى شئ يقيمه الإسرائيليون مهما كان جميلاً، إنما يقوم على ظلم الأمة الأخرى، ولسوف يخرج شباب إسرائيل ليحارب ويموت من أجل شيء قائم أساساً على الظلم، إن هذا الشك وحده يشكل أساساً صعباً للحياة» ..

أن الاسرائيليين يدركون ورطتهم التاريخية كدولة استيطانية ليهود العالم، الذين يرفضون الحضور إليها، فغالبيتهم الساحقة صهاينة توطينيون أى أنهم على استعداد كامل أن يطلقوا الشعارات الصهيونية الملتهبة عن الوطن القومى، وأن يتظاهروا من أجله. وأإن يدفعوا التبرعات له، ولكنهم لا يظهرون أى استعداد للاستيطان فيه، صهيونية بدون استيطان..

ويقول الإسرائيليون – إن أهم دولةٍ يهودية فى العالم – دولة نيورك اليهودية – فهم أمريكيون يتمسحون فى الهوية اليهودية – بدفتر الشيكات – كما يقولون فى اسرائيل، وحينما يذهبون إلى إسرائيل يقول بعضهم: لتذهب إلى – الكوتيل – حائط المبكي – ويطلقون عليه اسم – الديسكوتيال – !!.. لكل هذا عرف الصهيونى على أنه يهودى يجمع المال من يهودى ثان لأرسال يهودى ثالث إلى أرض الميعاد، وهم يعرفون أن الدولة الصهيونية – المستقلة – لا يمكن أن توفر لنفسها البقاء والاستمرار، إلا من خلال الدّعم الاقتصادى والسياسى والعسكرى الأمريكى المستمر، ما دامت إسرائيل تقوم بدور المدافع عن المصالح

الأمريكية، أى - دولة وظيفية .. لقد أراد الغرب أن تظل الحرب القديمة التى خاضها ضد الإسلام مشتعلة بصورة أكثر مكراً ودهاءً بإقامة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين، وتظل الحروب الصليبية دائرة، وقد وصف أحد الصحفيين الإسرائيلين الدولة الصهيونية بأنها - كلب حراسة رأسه فى وشنطن وذيلة فى القدس - وهو وصف دقيق وصريح لشاهد من أهلها !! . فعلى الرغم من كل الحديث المستمر عن الانتصارات الاسرائيلية الساحقة والتقدم الاقتصادى المذهل والقوة العسكرية المتزايدة، فإن الاسرائيليين يشعرون فى أعماق أعماقهم بما سماه المؤرخ الإسرائيلى - يعقوب تالمون - عقم الانتصار، فالانتصارات الاسرائيلية لم تؤد إلى تطبيع الحالة الصهيونية الإسرائيلية ، فالدولة الصهيونية لا تزال قلعة مدججة بالسلاح فى حالة حرب نفسية مع كل جيرانها، وفى حالة حرب فعلية مع بعضهم. وفى حالة رفض كامل للشعب الفلسطينى، وفى حالة اعتماد مذل على الولايات المتحدة الامريكية ..

إن الرؤية الامريكية حينما يتعلق الأمر بإسرائيل، هى رؤية انتقامية مكيافيلية «الغاية تبرر الوسيلة» - فإسرائيل تمتلك جميع أنواع أسلحة الدمّار الشامل وفى مقدمتها النووى، وتواصل احتلال الأراضى العربية ، وترفض مواصلة عملية التسوية، وتسعى إلى فرض سلام مسلح - سلام بقوة السلاح - وتسعى الولايات المتحدة إلى منع أى دولة عربية من حيازة معادل موضوعى للسلاح النووى الإسرائيلى، واستثناء إسرائيل من التوقيع على معاهدة منع الانتشار النووى ؟!.. هذه هى المعايير والموضوعية الأمريكية - الدولة العظمى الأولى فى العالم .. وهذا الموقف المزدوج حيال القضية العربية - الإسرائيلية لم يأت من خواء، ولكنه بنشاط وتأزير اللوبى الصهيونى الأمريكى، وتوجيهاته التى هى حقيقة من حقائق الحياة السياسية فى امريكا، فهذا اللوبى الصهيونى الخطير فى الولايات المتحدة يجعلها تؤيد المواقف الاسرائيلية مهما يكن إجماع الرأى العام العالمى على رفضها واستنكارها، وهذا اللوبى ينجح دائماً فى الضغط على الكونجرس الأمريكى حتى يصدر القرارات لصالحها، وإحباط كل الجهود التى تحاول تغير الواقع الذى يفرضونه، وهم يفعلون ذلك بسن أوراق شبه بحثية تدعى الموضوعية، وتعيد تكييف المصالح الامريكية من منظور إسرائيلى بحت، حتى ولو لم تظهر إسرائيل

فى الصورة اطلاقاً، وبعد ذلك يتم توزيع هذه الأوراق على أوسع نطاق على رجال الكونجرس حيث يتلقفها مساعدوهم الذين يقومون بتحويلها إلى مواقف وسياسات، يتبناها الاعضاء فى مجلس الشيوخ والنواب، ويظهرون أن السياسة الإسرائيلية متطابقة مع السياسات الأمريكية، وأن ما تقوم به إسرائيل هو فى الحقيقة المصلحة الأمريكية ذاتها؟! .. أكاذيب يعمل اللوبى الصهيونى على نشرها وترديدها فى الولايات المتحدة، حتى تجد من يصدقها و يتبناها، ونحن نرى كيف تحول المجتمع اليهودى الأمريكى إلى إداة طيعة لتوجيهات الحكومة الإسرائيلية ..

إن التغلغل فى دوائر صنع القرار الغربى والأمريكى، وقوة الأخطبوط الصهيونى، لا مبالغة ولا تهويل ولا تهوين فيه، ولكنه واقع سياسى - براجماتى - يخدم المصالح الصهيونية بشكل موضوعى، لكى تلعب دوراً مؤثراً فى توجيه السياسات الغربية إزاء الصراع العربى الإسرائيلى وإزاء العالم العربى عموماً .. وفى هذا الاطار ترتكز الصهيونية فى توجهها على عدة محاور ، دعائية ، وسياسية ودبلوماسية، وأهمها جميعا - الإبادة النازية - أو - الهولوكوست - قيام النازية بتطبيق ما عرف فى تاريخها - بالحل النهائى - للمسألة اليهودية. من خلال إعدام وحرق اليهود فى أفران الغاز فى معسكرات - تشفيتز وتربيلانكا وغيرها - وهو تاريخ معقد متداخل مع تاريخ الحرب العالمية الثانية، تحجب الوثائق الخاصة بهذه الفترة لظروف سياسية وقيود مفروضة على مثل هذه الوثائق .. ونظراً لافتقاد الوثائق يتشكك البعض فى مصداقية النموذج التفسيرى الذى تبنته الصهيونية وروجته بمختلف الاشكال والوسائل، لاستثمار هذه الواقعة فى تاريخ اليهود والتاريخ العالمى، فقد تمكنت الأساليب الدعائية الصهيونية من صياغة خلفية إدراكية للرأى العام الغربى ودوائر صنع القرار فيه، تصب فى النهاية لمصلحة تبنى السياسة الإسرائيلية ودعمها والانحياز لها ..

وقد نجحت معالم هذه الخلفية الإدراكية فى تنمية عقدة الذنب. حيث دأبت الصهيونية على استثمار قضية إبادة اليهود لتعويضهم عما لحق بهم منذ البدء لدعم قيام إسرائيل، والاعتراف بها وتأييد سياساتها ووجودها ودعمها، عسكرياً ومادياً وأصبح وجود إسرائيل حقيقة مقبولة والالتزام بأمنها عنصراً

موروثاً فى السياسة الغربية الأمريكية وتفوقها على العرب من الثوابت الأساسية فى السياسة الغربية الأمريكية .

وقد دأبت الصهيونية على تحصين الذاكرة البشرية ضد النسيان، فلا تمر مناسبة دون أن تقوم أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة فى أمريكا وأوروبا، بتذكير المواطن الغربى بالإبادة النازية ورقم الستة ملايين يهودى الذين راحوا ضحية أفران الغاز، حتى تتوارث الأجيال الجديدة عقدة الذنب إزاء اليهود، وتدفع التعويضات ؟! . برغم أن التصفية النازية لم تقتصر على اليهود فقد ذهب عديد من الأجناس والشعوب ضحية للنازية من الغجر - والسُّلاف - والبولنديين - والشعوب السوفيتية - والمجريين - والاوروبيين، وغيرهم، فلماذا يدفع الغرب لليهود فقط ؟! ..

ولا شك أن فاعلية الأداء الإسرائيلى الصهيونى فى التأثير على الرأى العام الغربى، ودوائر صنع القرار الغربية، يتقرر فى جزء كبير منه على ضوء وجود الأداء العربى، وعدم قدرته على استثمار الأوراق المادية والمعنوية والرمزية والحضارية التى تمتلكها الشعوب العربية - ونحن قادرون - إذا أردنا - أن نبرئ أنفسنا من تهمة معاداة السامية بصفتهم الطائفية والدينية وأن نضع أو نصيغ خطاباً ديناميكياً مركباً فى الدوائر الاعلامية والدبلوماسية الغربية، يتمحور حول المساواة والتعددية والتسامح الدينى، وما دون ذلك من المفردات والمفاهيم التى يزخر بها القاموس السياسى الحديث والمعاصر، ويمكننا أن نرصد جرائم الصهيونية إزاء الشعوب العربية من قتل وعدوان وتخريب ومصادرة الممتلكات المادية للشعب الفلسطينى. وأن نطالب المجتمع الدولى بانطباق مفهوم جريمة - الإبادة - فى الحالة العربية الاسرائيلية، وكسر احتكار اليهود للتصفية والإبادة وبذلك نتساوى فى صياغة المطالب وتسجيلها وتدعيمها، والقيام بعمال دعائى حولها ونقلها من الحيز الصهيونى الضيق، إلى الفضاء الغربى الواسع عبر شبكة تحفل بالعناصر النشيطة والخبراء فى مجال تسويق هذه المطالب، وعلى العرب أن يتجهوا نحو تدعيم لوبى عربى فى الولايات المتحدة الامريكية وبلدان أوروبا الغربية بحسبان أن ذلك هو السبيل لصد آثار الأداء الصهيونى، إلى جانب القيام بنهضة سياسية عربية وتجديد قنواتها ومصادرها ووضع خطة عربية عامة تتوافق مع التحديات المفروضة. فالعرب

لا ينقصهم المال ولا مراكز البحوث أو المراكز الاستراتيجية والسياسية. والسياسات الإعلامية الخارجية والدبلوماسية، لمواجهة الأكاذيب التى تسعى إلى تغييب الرأى العام الغربى والأمريكى عما تقوم به الصهيونية واللوبى المؤيد لها فى الولايات المتحدة، اندفاعاً إلى طريق الهاوية بعيداً عن المصالح الحقيقية الأمريكية وبعيداً عن السلام والعدل والاستقرار فى العالم. ونحن نؤمن بأن فى أمريكا كثير من الرؤوس العاقلة، والتى تعرف أين المصالح الامريكية ومع من تدير - ليس من اسرائيل وأنما من واشنطن - وليس وفقا للمصلحة الصهيونية المعبأة بالسموم والصلف والغرور وقصر النظر.. ورحم الله السيناتور - فولبرايت - الذى أطلق صيحته المدوية محذراً بلاده من غطرسة القوة التى أسقطت أمماً بأسرع مما كان تؤمنه لها إمكاناتها . إن الولايات المتحدة بصفتها قوة كبرى فى العالم أجمع، مطالبة باتخاذ مواقف أكثر حزماً تجاه إسرائيل والقوانين والأعراف الدولية تحت مظلة الإحساس بأنها بمنأى عن أى عقاب دولى فى ظل الحماية الأمريكية لها.. أما سياسة - ضبط النفس - التى تطلبها أمريكا من العرب، لا يمكن أن تدوم إلى الأبد، وأن الظلم المستمر ليس من نتيجته إلا الانفجار، وإذا أنفجر الغضب المكتوم ضد أبشع جريمة عرفتها البشرية - جريمة اغتصاب وطن وتشريد شعب، فسوف ينطلق هذا الشعب يدفع حياته رخيصة ثمناً لحقوقه المشروعة وأرضه المحتلة.

وهناك حقيقة مهمة وجذرية نخلص إليها من خبراء التوازن الاستراتيجى فى منطقة الشرق الأوسط، هى أنه برغم أن التقيم الشامل فى التوازن الاستراتيجى لا يميل لصالح إسرائيل، إلا أن التمزق والفرقة وعدم توحد الإرادة العربية جعل من المميزات لدى الجانب العربى نقاط ضعف. ومن ثَمَّ فإن التاريخ والجغرافيا والموقف الچيوستراتچى سيكون فى جانب العرب إذا استطاعوا فهم حقيقة حركة التاريخ، ومكامن القوة الاستراتيچية فى أنفسهم وذاتهم، وأدركوا ذلك، فليس معنى تكديس ترسانات الأسلحة فى إسرائيل هو القوة، بل أحيانا يكون أكثر دلالة على عمق الخوف الأمنى. فهم يشعرون بأنهم يعيشون فوق قنبلة على وَشْك الإنفجار.

أن لدى العرب القدرة على إحداث تغيير فى الذهنية الادراكية لدى إسرائيل والغرب، ويمكن اقتراح آلية لإحداث هذا التغيير الادراكى، والذى يقوم على أن التعايش السلمى بين العرب واليهود هو الحل الأمثل، ليس مطالبة اليهود بالرحيل من فلسطين والبحث لهم عن وطن أخر والعودة إلى حيث بدأت الحركة الصهيونية تاريخها فى مؤتمر - بازل - الشهير فى أغسطس عام ١٨٩٧م وهو المؤتمر التأسيسى للصهيونية كعقيدة سياسية قومية استعمارية تبحث عن جسد لها إما فى الأرجنتين، أو قبرص، أو أوغندا، أو فلسطين، وقد ارتأى - هيرتزل العلمانى الملحد - أهمية أن يكون الجسد هو فلسطين، كإدراك ذكى منه لأهمية القوة السحرية للأسطورة فى صياغة التاريخ، فى نفس الوقت كان هناك مؤتمر آخر ينعقد فى مونتريال بزعامة الحاخام اليهودى - إسحاق مايرويز - ليصدق على قرار يشجب أية مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية لأن السعى لإنشاء هذه الدولة يعد فهماً خاطئاً لرسالة إسرائيل - يعقوب النبى -، الذى دعا إلى يهودية روحية تجمع كل البشر فى إطار مملكة الرب، وليس إلى قومية سياسية، وبعد ذلك بخمسين عاماً أعلنت الدولة اليهودية لأن هرتزل كان أقوى ولأن الحركة الصهيونية برغم جوهرها الأسطورى احتكمت لحركة الواقع، ثم منحتها حق تأويل التاريخ فأخذت الأسطورة عبر واقع موات تنتج أسطورة أخرى.

وفى عام ١٩٥٨ دعا المؤرخ الصهيونى الأمريكى «مارتن بوبر» الذى توفى فى إسرائيل إلى تعاون إسرائيلى - عربى فى فلسطين ، لأن ذلك بمقدوره إحداث تنمية فى الشرق الوسط، بفضلها يستطيع أن يسهم بشكل كبير وجوهرى فى مستقبل الإنسانية؟! . وربما يكون من الأفضل أن نتعايش مع هذا الواقع ونعمل بنصيحة بوبر حتى يحدث الله أمراً كان مفعولاً ؟! .

إن اليهود يشكلون قومية مستقلة بحكم وحدتهم اللغوية - العبرية - وبحكم وحدة ونقاء واستمرار أصولهم العنصرية، إذ يقال إنهم يعودون جميعاً إلى الاسباط اليهودية الاثنى عشر، التى أسست ممالك يهودية فى فلسطين منذ ثلاثة الآلف عام - وبالتالى فإن الموطن الأصلى لليهود هو فلسطين كما تعرفها التوراة، وخاصة أن هذا الوطن هو أرض وعدها الله لليهود وحدهم دون غيرهم من الشعوب التى

سكنتها بصفتهم شعبه المختار، والصهيونية تستهدف إعادة اليهود شعباً وقومية لها حق تقرير المصير والسيادة إلى أرضهم الموعودة، والواقع أن هذه الأطروحات جميعاً لا تشكل سوى أساطير اختلقتها الصهيونية على نحو مفعتل وكلها تتناقض أصلاً مع أصول وجوهر مفهوم العلم والعقل والعدالة، فبرغم الابهام الذى يحيط بأصول اليهود المعاصرين، فإن أفضل ما لدينا من البحوث التاريخية تظهر أن ٨٥٪ منهم على الصعيد العالمى، قد جاءوا من أصول سلافية وتركية، ولم يكن لأجدادهم أدنى صلة بأرض فلسطين، ويؤكد المؤرخ اليهودى - أرثركوستلر - أنهم ينتمون إلى خليط عنصرى يسميه - القبيلة الثالثة عشرة - دلالة على أنهم لا ينتمون للقبائل الأثنتى عشرة التى تتحدث عنها التوراة، ولم يقدم الباحثون الصهاينة لأنفسهم أدنى دليل مقنع، لأنتماء أجداد اليهود المعاصرين لأرض فلسطين، أو للشرق الأوسط فى مجموعة، وليس ثمّ أدنى أساس منطقى أو قانونى يسمح لهم بالعودة غصباً إلى فلسطين بعد ثلاثة الآف عام من شتاتهم، وفقاً للأساطير الملفقة. فالتاريخ الإنسانى حافل بحركة الشعوب فى كل الاتجاهات، واختلاطها بسبب الغزو والتجارة، ولم يزعم أحد من نسلِ هذه الشعوب بأحقيتها فى الأراضى التى غادرتها سوى الصهاينة، وإذا عممنا هذه القاعدة فلن يبقى شعب واحد فى مكانه الحالى ، ولكن من الأجدر بكل الشعوب البيضاء التى هاجرت إلى الأمريكتين وغيرها فى غضون القرون الخمس الماضية، مغادرتها ببساطة وتركها للشعوب الأصلية، ولدى الفلسطينيين المعاصرين أساس قوى يثبت انتماء أجدادهم، وعلى نحْو مستمر جيلاً بعد جيل لهذه الأرض وللحضارات المتعاقبة التى تكونت فوقها عبر العصور، وعلى هذا فليس لإسرائيل الحالية وهى ظاهرة لا يزيد عمرها على خمسين عاماً، الحق فى الحديث باسم اليهود التاريخين، والذى لا يعيش فيها أكثر من ثلث اليهود فى العالم.. لقد فشلت الصهيونية فشلاً ذريعاً فى حجب وإنكار وجود الشعب الفلسطينى، وطمس هويته. ويبقى هذا الشعب علامةً لا تنكر على حدود نجاح المشروع الصهيونى، حتى تنفك هذه الأيديولوجية من الداخل، ولا أحد فى العالم من غير اليهود لا ينظر للصهيونية بأى قدر من الاحترام على الصعيدين الأخلاقى

والفكرى، أما الأمل الحقيقى فى تفكك الصهيونية ذاتها، إنما يأتى عبر التطورات المادية الداخلية والخارجية، وما تحتمه من نقد تاريخى للايديولوجية المؤسسة للدولة المغموسة فى الأساطير. إن الصراع الفلسطينى الإسرائيلى هو بمثابة - حرب أهلية - التى تنتهى دائماً على قاعدة - لا غالب ولا مغلوب، وهذا الصراع ليس حرب دولة سوف تنتهى بفرض إرادتها وشروطها على دولة أخرى مهزومة، أما الحل لهذه القضية المعقدة هو - الوطن لمشترك - من الفلسطينين واليهود. وهو خير لكل منهما مما هو فيه، وخير من الدولة المستقلة التى يسعى إليها الطرفان، وأن يقتنع الجمهور اليهودى فى إسرائيل بأن دولته مهما تسلحت وتحصنت وعلقت مصيرها بخدمة الأقوياء، فلن تنجو من التهديد، وأنها إن عاشت ستعيش رهن العداء المعلن أو المكتوم، أما فكرة التعايش المشترك فهى ليست جديدة، فقد جاء ذكرها فى مناسبات ثلاث عام ١٩٤٦م، وعام ١٩٤٧م فى قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وأن تكون لمنطقة القدس وضع خاص تحت إدارة دولية تشرف عليها الأمم المتحدة، وفى عام ١٩٦٨م حيث تبنت بعض المنظمات الفلسطينية، فى مقدمتها كبراها «فتح» دعوة إلى إقامة دولة يعيش فيها الطرفين على قدم المساواة، إذن الفكرة ليست جديدة، ولكن أدت عوامل مختلفة إلى إحباطها كما طرحت فما مضى.

وعلى هذا، فيجب أن يتنامى رأى عام دولى يرى فى التعايش المشترك المتكافئ، طريقا إلى حل أزمة الشرق الأوسط التى أرهقت العلاقات الدولية على مدى ما يزيد على نصف القرن العشرين..

(واقع العالم الإسلامى)

يُعَدُّ واقع العالم الإسلامى اليوم شيئاً متعصياً على الفهم، ففى الوقت الذى يملك فيه العالم الإسلامى ثروات مادية هائلة، يدعمها تاريخ حضارى عريق، إلا أن واقع بعض الشعوب التى ترفع راية الإسلام يثير الأسى، حتى إن دول الغرب أجمعت على تصنيف شعوبنا - بدول العالم الثالث - رمزاً للتخلف..

إن عالمنا الإسلامى يعانى أساساً من افتقاره لما يملك؟! أما من حيث البشر فعالمنا الإسلامى بمحاوره الثلاثة، المحور البشرى العربى وهو محور الارتكاز ما

يقرب من مائتى مليون، والمحور الثانى ويتجسد فى الدول الإسلامية المستقلة - فأندونيسيا ١٥٠ مليونا - وباكستان وبنجلاديش ١٠٠ مليون - وتركيا وإيران وأفغانستان وبقية الدولة المستقلة فى إفريقيا المسلمة يقترب عددها من ٧٠٠ مليون إذا ما أضفنا إلى ذلك المحور الثالث وهو ما يسمى خطأ - بالأقليات الكبرى - ويبقى بعد ذلك ما يقرب من ٩٠ مليوناً فى الهند، وما يزيد على ٦٠ مليوناً فى الاتحاد السوفيتى - روسيا - هذه الأعداد التى تزيد على المليار كان من المفروض أن تشكل القوة الكبرى فى العالم بما يتمتع به من ركائز التجانس والانسجام أرضاً ووجداناً وديناً متكاملاً ..

والسؤال الحائر ، هل يمكن أن تعود الشعوب الاسلامية إلى موقع الريادة الحضارية؟ . والجواب نجده فى الآتى : فمنذ أفول نجم الإمارات الإسلامية الإندلسية، نتيجةً طبيعية للخلافات والحروب والمنافسات بين هذه الامارات، والعالم الإسلامى يتعرض لهجمة مضادة شرسة أخذت اتجاهين: اتجاهاً نحو الشرق للسطو على نفوذ الخلافة العثمانية وسلبها ممتلكاتها ثم تسليمها للمرض حتى تم القضاء عليها، وأتجاه جنوبى انطلقت فى مقدمته الأساطيل البرتغالية حتى وصلت إلى الإمارات الإسلامية فى الهند، وتوالت فصول الاستعمار فصلاً بعد فصل، وهى كلها تمثل حلقات فى سلسلة واحدة متصلة أو استراتيجية محكمة واضحة الهدف .

وإذا كان الاستعمار الذى بدأ دينياً قد انتهى سياسياً أو اقتصادياً، إلا أنه لم يتوان لحظة عن محاولة مسخ الشخصية الدينية لأبناء المنطقة، عبر التغلغل الثقافى ونشر الأنماط الغربية فى الأخلاق والسلوك. وإذا كان المستعمر قد خبأ راية الصليب، ورفع راية العلمانية فلم يكن ذلك إلا لتفادى استثارة الحماس الدينى، الذى كان وما زال يخاف منه أشد الخوف.. وعندما حان رحيل الاستعمار القديم كان قد ترك الساحة مملوءة بغراس من الفرقة والتنابذ وعناصر الكره والبغض والتشرذم ودواعى الانفجار ومسبباته. وبرغم أن دول العالم الإسلامى أصبحت اليوم حرة إلا أنها مازالت تعانى إلى درجة بعيدة مما زرعه المستعمر.

إن الجهد الإعلامى القائم على أساس من العلم، يستطيع أن يواجه التشويه

المتعمد الذى يحاول أن يلحق بصورة الإسلام والمسلمين فى الغرب، ففى كتب المستشرقين منذ عشرات السنين، جهود منظمة بذلت لتبدو أفكارهم فى ثوت موضوعى، وهى تخفى ببراعة فهماً مغلوطاً وتشويهاً مقصوداً، وكذلك قام فى الصحافة الغربية من الأدلة ما يكفى ويزيد بما تنطوى عليه السطور، خفية أو ما تشير إليه صراحة، وبكل وسيلة من وسائل الاعلام وفنونه لاقناع الغربيين بأن الاسلام خطر على الحضارة الحديثة، ويجب أن نعترف بأن هذا التشويه الذى أصاب صورة الإسلام لم يكن نتيجة حملات المستشرقين أو أعداء الإسلام وحدهم، ولكن كان نتيجة أفعال جماعات ترتكب الجرائم باسم الإسلام وتقدم فكراً وسلوكاً يتعارض مع الإسلام وتدعى أنه الإسلام الحق ؟! .. أن أخذ الإسلام بجريرة هؤلاء الاتباع، هو ظلم وتشويه للدين خاتم رسالات السماء للناس كافة وأنهم يستطيعون فى إطاره - المنهج الإسلامى - أن يعيشوا فى سلام، وحب ووئام يقول «فردهوليداى» فى كتابه «الإسلام وخرافة الغرب»:

«من الثابت أن كل المصطلحات التى تتردد الآن عن صراع الحضارات، خُلقت واستخدمت لأغراض معاصرة»، والتأمل مع المؤلف يمنحنا الاقتناع بالبواعث الرئيسية وراء الغرب فى عنفه مع الشرق الإسلامى، وهو عنف ليس وراءه دائماً الدين كما يقال، وعلى هذا فإن العبارات التى تستخدم من آن لآخر ضد الشرق الاسلامى هى عبارات مضللة من الغرب فى محاولة البحث عن مصالحة فى هذا العالم الذى لا يرى فيه - العم سام - غير نظام عالمى واحد لابد أن يعم ويستمر، ويعبر هوليداى عن هذا الوضع بالقول : الخطر القائم على الإسلام - وليس خطر الإسلام؟ .. وهى رؤية نجدها فى محاصرة المسلمين فى ديارهم مرة، وحصارهم فى بلاد الغرب كمهاجرين مرة أخرى بخديعة ما يسمى - بحقوق الإنسان - ويرى «هوليداى» أن الغرب ليس فى مثل هذه الحاجة إلى عدو سواء كان هو الشيوعية أو الإسلام أو أى شىء آخر، وإذا كان هناك خطر من العالم الثالث اليوم فالأرجح أن يأتى من القوى الصناعية الصاعدة فى الشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية أكثر من العالم الإسلامى، وما يجب التنبيه إليه الأوهام التى ترسم خرافة الواقع الغربى اليوم وهى : أن التهديد الاسلامى أو حتى التطرف ليس غير أهم الخرافات التى يجب أن نتنبه لطرحها وننحيها جانباً، ويقول هوليدى: إن خرافة المواجهة يروج لها فى الغرب، يمكن أن تبدأ من الغرب

بأكاذيبه وتتحول عبر مراكز الأبحاث الغربية، والمخابراتية والعسكرية إلى وسيلة كاذبة ووقحه، والسبب ببساطة أن هذه الخرافة من صنع الغرب نفسه..» إن على الاتباع الذين لديهم أفكار متطرفة أن يعلموا أن هناك تحديات تحدق بالأمة الإسلامية، ووجود محاولات لتضخيم الخلافات فى بعض الفروع من أجل تفتيت وحدتهم والترويج لبعض المفتريات والمزاعم، لكى يقف المسلمون فى موقع المدافعين عن أباطيل ليست فى المجتمع الاسلامى، ومن هذه التحديات بقاء المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى محتلاً، الذى ما كان ليحدث لو كانت الأمة الإسلامية متحدة وهى فريضة عليهم ..

إن التشرذم فى جماعات متفرقة ومتناحرة تضعف قوة الأمة وتسهم فى إيجاد تناحر بين فئات المجتمع، وهى سبب التشتت والتفرق بينهم، ويترك المجال للغزو الفكرى الذى يستهدف تغريب أبناء الأمة وإبعادهم عن ذاتيتهم الثقافية والدينية..

إن الأمة الإسلامية حينما ضعفت ووهنت عانت وفلت من يدها الزمام، ولمن يرغب فى التقصى أن يرجع إلى الأحداث الجسام التى حلت بالأمة الإسلامية. فطرد العرب من الإندلس وتشريدهم وقتل بعضهم وإحراقهم. وسقوط بغداد فى أيدى التتار- دمرها هولاكو سنة ١٢٥٨م، ثم تيمورلنك سنة ١٤٠٠م - هو سبب ضعفهم وتشتتهم ..

لقد حان الوقت لاتباع الإسلام أن يعود الإسلام الحقيقى والمعرفة المباشرة بتعاليمه وقواعده الصحيحة والسليمة والتى تتعرض لمخطط كامل وشامل لتشويهها، والانقضاض منها، وتفريغها من محتواها ومضمونها، عن طريق جماعات وجمعيات تتستر بالإسلام وتتسمى بأسمائه وتلبس زيه، زمرة من الناس اندست بين المسلمين وأتخذت من الدين- أشرف ما للبشرية من مشاعر- سلاحا تخدع به الملايين من البسطاء والأبرياء لتقنعهم أن حل مشكلاتهم هو فى تعلم مراسم دخول المرحاض، وفى إلغاء فوائد الادخار وفى قتل السياح ؟! .. ومنهم تنظيمات متصارعة تسعى للسلطة متسترة بالدين، أن الواقع مؤلم مرير مما دعى أحد الكتاب المتشائمين إلى القول : إن الدعوة لقيام أمة إسلامية دعوة بين الوهم والخيال والحماس العاطفى وتطلع تعوزه الجدارة ...

إن التطرف الديني يرتبط بالضرورة بالإحياء الديني، لأن التطرف جزء من ظاهرة أعم وهي التطرف الفكري، فنجد المتطرف يتشبث بأساليب حياة تجاوزها العصر، وهذا ما يسميه علم النفس الاجتماعي - العقول المغلقة - وهي تلك العقول التي تصدر في العادة عن نسق فكري ضيق وجامد، وليست لديها القدرة على الحركة للتكيف الخلاق مع المتغيرات الجديدة، وفوضى القيم هي أحد أسباب الصحوة الدينية في المجتمعات لرغبة ملايين البسطاء في الاحتماء بنسق ثابت نسبياً من القيم، يوجه سلوكهم الاجتماعي ويقودهم في دروب الحياة، يجدونه في الدين والتمسك بقيمه والمثاليات التي يحض عليها..

إن الصحوة المعاصرة للحركات الإسلامية في العالم، يجب أن تنسق بحيث تكون منسجمة مع الروح التأصيلية للتعاليم الإسلامية، لكي يلتحم الأصل مع متطلبات التغيير المنشود، ولكي يكون المجهود على مستوى عال لتصدي الغزو الثقافي الغربي وتحامله على الإسلام، واجبنا إعادة ترتيب البيت الإسلامي والقيام بعملية نقد ذاتي لبنيته وأساليبه ورموزه. فالأصولية في بعض المذاهب الدينية تعدُّ حركات سرطانية مغلقة جامدة تهدد المستقبل والحضارة بأثرها، وفي بعضها الآخر في مثل المصطلح الاسلامي هي الاجتهاد والتجديد، وهي عندهم نقيض العلمانية. أما التطرف فهو ليس إسلامي الأصل والمنشأ كما يدعون، ولا يعدُّ التطرف حكراً على المسلمين، بل يظهر في كل الأديان الأخرى، فقد وضحت أصول التطرف الذي يجتاح العالم وظهرت أسبابه ودوافعه ممثلة في ما يحدث في اليابان وأمريكا، وفي حوادث داميه أخرى في العالم يرتكبها المتطرفون من المنتمين إلى المذاهب والفلسفات المختلفة والمتعصبين الذين يفرقون بين الجنس واللون والدم والعقيدة.

إن التطرف مرض وانحراف خلقي تصاب به النفس البشرية، ويصبح ظاهرة تتفشى في المجتمعات بين أناس حاقدين وكارهين، ولهم تطلعات فاسدة وتسيطر علهيم أفكار ضالة لا فرق في ذلك بين غني وفقير أو متحضر ومتخلف أو مثقف وجاهل أو منتسب إلى دين ومن لا دين له ، فالتطرف والارهاب الصادر عنه يعدُّ جريمة عنف وتخريب بلا وطن ولا هوية ولا عقل. فهو حيوانٍ أخرق بلا رأس

يمارس جرائمه مدفوعاً بفكر مريض لا علاقة له بالأديان والعقائد والقيم، وإن كان يتخفى وراءها ويدعى ذلك زوراً وبهتاناً.. لقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ومن خلال الأحداث الدامية فى العالم والتى تطالعنا بها دائما وسائل الاعلام المختلفة، أن التطرف ظاهرة عالمية وأن المتطرفين فى كل بلاد العالم ينتسبون إلى هوية واحدة، ألا وهى وحشية الطباع والمروق من الإنسانية، وهم بوشائج الاجرام والدسائس والفتن يؤلفون كيانا سرطانيا فى جسم المجتمع الإنسانى بأكمله.. ولكن الغرب فى سعيه إلى البحث عن عدو جديد يتمثل فى الإسلام أو الأصولية أو الأرهاب العربى .. إلخ - يحاول تصويره كأنه المرادف الآخر للإسلام وأنه السلوك الطبيعى للمسلمين ؟! ..

إن موجة الإرهاب القائمة حالياً، أعطت مجالاً خصباً للطوائف الحاقدة والكارهة، مما سوف يؤدى فى النهاية إلى تكوين صورة ذهنية بغيضة وكريهه فى نظر الشعوب غير المسلمة، مما يؤثر على إدراكهم لحقيقة هذا الدين، وقد زرع فى عقولهم اتجاهات معادية للشعوب والمجتمعات الإسلامية التى كانت يوماً نوراً للعالم وقوة دفع للحضارة الإنسانية، وكانوا هم أول من وضعوا أسسها من الجذور والأسس التى بنى عليها وسار على هديها علماء الغرب ومفكروه .. إن الإسلام دين السماحة والحب والسلام تكاثرت حوله الاتهامات والتشهير وإسقاط كل أفعال التطرف والتخريب وإلصاق العنف والإجرام بتعاليمه ومبادئه من أجهزة الإعلام العالمية غير المنصفة وراثها من الكائدين والمرجفين الذين يتهمون الإسلام بكل رزيلة ويشوهون صورته النقية الطاهرة بدون وجه حق أو علم به.

هذا ما تعانى منه الجاليات العربية والإسلامية المغتربة فى بلاد الغرب، وهذا ما يفرض على المجموعة العربية أن تفكر فى صياغة سياسة مشتركة قابلة للتطبيق من أجل التكفل بالمشاكل التى توجهها الجاليات، والسعى إلى تحقيق توازن ثقافى ونفسى يضمن صياغة خصائصها من جهة، ويؤمن انسجامها مع متطلبات البلد المضيف من جهة أخرى، والتغلب على مشكلة انعدام قاسم مشترك ثقافى - دينى بينهم وخلق نوع من الانسجام الوطنى بين الجميع.

إن التطرف والارهاب ظاهرة عالمية وليست أسلامية، ومن ثم فمن

المهم توضيح هذا عالمياً وإحتشاد كل العقـول والقـدرات بهـدف تأصيل جذوره وتعرية حقيقته وكشف مخططاته، في ضوء توجيهات عالمية واستناداً إلى الشرائع الدينية والقيم الإنسانية والمواثيق الدولية للقضاء على هذه الظاهرة المدمرة التي تعد من أخطر ما يواجه البشرية وهي تبدأ قرناً جديداً من الزمن تحلم فيه بغد أفضل..

«إن الارهاب أشرس أنواع الجريمة، الأمر الذي يقطع أي صلة له مع الفكر الذي هو قبس جاء من السماء، وأنبل ما توصل إليه العقل الإنساني عبر عصور، خاض فيها البشر معارك ضد الجهل والتخلف والشعوذة، ومن ثم فلا سند ديني أو عقائدي أو ثقافي أو ما إلى ذلك من المعاني السامية لهذا الفعل الذي ينمو في الظلام، مستهدفا تدمير الحياة ومن فيها، فاستناداً إلى حقائق برزت في السنوات الأخيرة، أن الإرهاب والجريمة المنظمة قد أصبحا وجهين لخطر واحد - وأن الارتباط بينهما قد صار عضوياً ومستمراً، تبادلاً للمصالح والمنافع، وقد وضح هذا من التعاون بين شبكات الإرهاب وعصابات الاتجار بالسلاح، وتزوير الوثائق الرسمية والدعارة وتهريب العملة وتجارة المخدرات - إنها مافيا من نوع جديد تملك المال والسلاح ووسائل وأدوات الترهيب والترغيب، وتسيطر على مؤسسات اقتصادية وأعلامية وغيرها، تمثل غطاء لها بهدف غسل الأموال ومضاعفة النشاط الاجرامي المنظم والارهابي المدمر بوسائل وتقنيات حديثه، إذن وجب دق ناقوس الخطر، والتحذير من هذه الظاهرة والتصدي لها بكل الوسائل، وعلى هذا، ينبغي أن يكون للأمم المتحدة دور ذو شأن في معالجة ظاهرة الارهاب، بصفتها الهيئة العالمية الأولى المسئولة عن الأمن والسلم على الصعيد الدولي، ففي ظل حسبان الارهاب ظاهرة دولية تؤرق دول العالم بأسره ، لم تعد دولة في العالم بمعزل عن مخاطر الإرهاب. ولم يعد في إمكان الدول مواجهة هذه المخاطر فرادى، ولم يعد هناك جزء في العالم بمنأى عن الإرهاب الذي تحول إلى شبكة دولية تعمل مرة تحت عباءة الإسلام، وأخرى تحت عباءة اليهودية، وثالثة تحت عباءة المسيحية، ومرات تحت عباءة عقائد شاذة غير سماوية.

لقد أصبح الإرهاب دولياً بالمعنى الحقيقي للكلمة ودون أدنى مبالغة، لا يعرف حدوداً وليس له وطن. ويعود ذلك في جانب منه إلى وجود شبكات دولية

للإرهاب تتخطى الحدود الوطنية. ولقد أسهم فى تدعيم هذا الاتجاه ما قدمته دول معينة إلى أفراد وجماعات الارهاب التى تنتمى أصلاً إلى خارج حدودها لمباشرة نشاطها، وليس من شك فى أن تقدم تكنولوجيا الاتصال الدولى بالاضافة إلى ذلك فإن عمليات الإرهاب الدولية فى ذاتها تساعد على إيجاد منطلق للتصاعد الذاتى حيث تكتسب مع كل عمل قوة دفع ذاتية لتعطى لتلك الظاهرة مصدراً للحياة والاستمرار.

وبالرغم من أن أغلب الدول فى العالم الآن قد أصبحت تدرك أهمية اتباع أسلوب عالمى موحد فى سعيها للتغلب على الارهاب، فما لم يتم إيجاد آلية جديدة لضمان تنفيذ أية اتفاقيات للتعاون الدولى على هذا المستوى، فسيظل أى أثر لهذه الاتفاقيات هامشياً ..» (مقتطفات من ندوة للأهرام عن الإرهاب والتطرف، ١٩٩٧/٣/٧).

إن منطق التبرير، ولغة الإيديولوجية يقلل من شأن الحقائق ويزيفها، وفى هذا الجو المسموم بالتزييف تترعرع الاتجاهات المتطرفة والنزعات المتعصبة، والادعاءات العدوانية، وليس أدل على صحة ذلك، من أن كثيراً من اليهود ما زالوا يعيشون فى نفس الأفكار والمقولات التى عاش عليها بنو إسرائيل منذ ٣٠ قرناً مضت، ولقد بدأت دولة إسرائيل على أيدى عصابات - شتيرن وأرجون زوفاى ليومى والهاجانا - وهى أقذر عصابات للقتل والإرهاب، وتحولت دولة إسرائيل إلى الجريمة المنظمة على طريقة المافيا تماماً فى عهد «جولدا مائير»، ومجلس إدارة هذه المافيا الاسرائيلية يعطى الضوء الأخضر لقتل كل من يقف فى وجه أطماع إسرائيل، وكذلك الغرب فى عنفه مع الشرق الإسلامى ما زال يعيش أجواء الحروب الصليبية والادعاءات التى اختلقها لتشويه الدين الإسلامى، خوفاً من أن يسود مرة أخرى .. وكثير من المسلمين ما زالوا يعيشون فى نفس المعارك وذات الشعارات التى حدثت بها الفتنة الكبرى فى الإسلام منذ أربعة عشر قرناً مضت ..

إن الحقائق العلمية والشواهد العملية تشيران إلى ضرورة وجود تفاهم مشترك بين أصحاب الديانات والأيدولوجيات التى تسود العالم المعاصر، وبدون ذلك سيظل الصراع الفكرى والتوجس وسوء الفهم سمة مميزة فى العلاقات بينهم .

(الإسلام والبديل الحضارى)

إن العلاقة التى تحكم الفكر الإسلامى والفكر الغربى، ذات أبعاد تتفاوت فى الخلفية وواقع عالمنا وعالمهم . يوضح هذا فشل كل محاولاتنا للحوار معهم، فنحن نعيش فى عالم مفكك يشعر أفراده بانهزامية، تجاه عالم يعيش فى ذروة التقدم، ومن ثم لا يجدون ضرورة للحوار معنا وهدفهم الأول هو إزاحة الإسلام من الساحة العالمية فى الألفية الثالثة ..

إذن ، فالإسلام فى حاجة ماسة لعلماء يستطيعون تقديمه بطريقة عصرية بعيدة عن الانفعال والوقتية، وامتلاك وسائل التغيير الصالحة للعصر، إذا كنا نريد تقديم الإسلام بديلاً حضارياً، يجب أن نستوعب التحديات الراهنة ونحسن تقديم هذا البديل إلى أبناء الحضارة الغربية، الذين يشعرون بالهوة، ويتطلعون إلى عالم أخر أفضل من عالمهم المادى، يقول الدكتور - مراد هوفمان - السفير السابق لألمانيا فى المغرب والذى اعتنق الإسلام ونذر نفسه لخدمة القضايا الدينية يقول:- «إن الإسلام لأول مرة فى العصر الحديث، يكاد أن يصبح ديناً عالمياً بفضل هجرة المسلمين إلى مختلف أنحاء المعمورة، وبفضل القوة الاقتصادية الهائلة لدول النفط، وبسبب التوسع فى شبكات الانترنت والقنوات الفضائية ومختلف وسائل الاتصال، ويستشهد على ذلك بأن الولايات المتحدة بها ستة ملايين مسلم، وأوروبا بها عشرون مليوناً، كما أن دولا عديدة مثل أسبانيا وفرنسا وبلجيكا والنمسا قد أبرمت معاهدات رسمية مع الجاليات المسلمة، وتعاملها معاملات مماثلة لطوائفها المسيحية، ونشاط الجالية الإسلامية فى - براد فورد - فى المملكة المتحدة تكاد لا تجد له نظيراً، وينبه د. هوفمان إلى خطر العلمانية على الهوية الإسلامية، وهو خطر مساو لكفرة الدين العالمى ويقول :

«إن النظرة التعددية التى جاء بها القرآن الكريم تختلف تماماً عن أن يضحى المرء بهويته الإسلامية، لصالح شعارات غامضة عن المحبة والسلام» . ويقول : «إذا كان مشروع الحداثة أخذ فى التفكك، وإذا كان الدين أخذ فى العودة إلى العالم الغربى فلماذا لا يصبح الإسلام دين الغرب فى القرن الحادى والعشرين؟» .

إن الإسلام يحمل نموذجاً حضارياً متميزاً بشهادة كل المنصفين فى العالم، ويعجز اتباعه اليوم عن تحقيقه تحت وطأة التخلف، وإننا إذا نظرنا نظرة شمولية

متكاملة إلى المنهج الاسلامى، نجده محكوماً بحقيقة مطلقة تتعلق بالوجود ذاته، وعقيدة التوحيد والإيمان بإله واحد ليس كمثله شئ تستقر حقيقةً كبرى فى أعماق الفطرة والوجدان والعقل، ومن خلال تشريعاته وآدابه وسلوكياته وإطاره القيمى نجده قد أحاط بالحياة وعالج ما يحتمل فيها من صراعات النفس وهجمات الغرائز ، يبعدها عن ما يضرها ويقربها إلى ما ينفعها من الطيب والحلال، فى منهج يتطابق مع الحياة ويناسبها فى كل زمان ومكان بمبادئه الأخلاقية وعدالته الإنسانية والاجتماعية، وقد استوعب المنهج الاسلامى كل الأديان الالهية السابقة له. وصهرها فى بوتقة الإسلام الذى صار خاتماً لها ومهيمنا عليها ..

إن الإسلام هو الدين الذى أطلق العقول من عقالها، وفك أغلال الفكر البشرى وأزال عنه القيود التى كان مكبلاً بها، ونفى عن الأم ما كانوا فيه من أسر التقليد للأباء والسابقين من الأجداد، وأعلن أن اتباع الآباء والأجداد بغير سلطان أتاهم حجة داحضة .

لقد انتشر الإسلام لأنه معقول ومنطقى، يقبله كل من يفكر ويتدبر بعقله وتفكيره، وهو ملائم للطبيعة الإنسانية، صالح لكل جنس وكل عصر ومكان، لا تكلف فيه ولا غموض، ولا خفاء ولا إلتواء.. فالإسلام دين المستقبل لأنه دين الحق، دين الله، نظمه تنظيماً كاملاً بأحكامه المنطقية وتشريعاته الالهية وجعله صالحاً لكل بيئة وحضارة، ووضع له أحسن التقاليد وأسمى المبادئ الاجتماعية والاقتصادية والسياسة والخلقية والإنسانية، إن الإسلام قد أنقذ الإنسان من الضلال، ورسالته خالدة وهو دين علم ونور أثره فى الحضارة الأوروبية والمدنية العالمية لا يستطيع أن ينكره إلا المتعصبون ..

يقول چورچ برناردشو الأيرلندى: إن دين الإسلام كان موضع تقديرى دائماً، لما فيه من حيوية عظيمة مدهشة لأنه على ما يبدو لى هو الدين الوحيد الذى يلائم أطوار الحياة المختلفة، والذى يستطيع لهذا السبب أن يجتذب إليه كل جيل من الناس، وقد تنبأت من قبل، بأن دين محمد ﷺ سيكون مقبولاً لدى أوروبا.

ويقول – إدموند يورك – الانجليزى : إن القانون الإسلامى قانون ضابط للجميع من الملِك إلى أقل رعاياه، وهو قانون نسج بأحكم نظام قضائى وأعظم

قضاء علمى، وأجمل تشريع منير، لا يوجد له مثيل فى هذا العالم، وإن المستقبل للإسلام وإنه هو الدين الحق الذى جاء لجميع الناس بمبدأ واحد وهو مبدأ المساواة ..

إن جمال وجلال الإسلام وروعته لتتجلى لأعين من لا يدينون به، فى أنه الدين الذى كتب له الصيانة من عبث العابثين لأنه ليس فيه كهنوت، ولأنه بعيد عن – الأكليروس – بقول شارل جان بيير – مدرس مقارنة الأديان فى السربون، ومؤلف كتاب «تطور الأديان»:

«إن كلّ دين من الأديان يحمل فى طياته عوامل تطوره وتحوله، والدين الوحيد الذى نجا من هذا التطور إنما هو دين الإسلام. والسر فى ذلك أنه ليس فيه إكليروس – أو بالمعنى». ولكن البعض يريد إدخال الإسلام فى طور كهنوتى، على مثله قامت محكمة التفتيش البابـاوية فى القرون الوسطى – the inquistion – فى أوروبا فقد كانت الكنيسة تهيمن على عقائد الناس، وعلى خطرات أنفسهم وهواجس أفكارهم فكل إنسان محرم عليه أن يقرأ الكتب المقدسة إلا بإذن خاص من الكنيسة، ومحرّم على كل فرد أن ينطق لسانه أو يهجس فى خاطره تفسير غير تفسير الكنيسة. وإذا فعل فجزاؤه التعذيب الشديد ثم الإعدام بالإحراق حيًا، آخر الأمر، وفى جميع أدوار التعذيب والإعدام يقف الأباء الرحماء رجال الدين يرتلون عليه الآيات ويسألون الله الرحمة لهذا العذاب ؟!!.. ولْتنظر أيها القارئ العزيز إلى تفسير البروتستانت لسفر دانيال فى التوراه، ورؤيا يوحنا فى الإنجيل بصدد هذا الموضوع ..

وقد يسأل سائل، ماذا حدث لجمال وجلال وعظمة الإسلام وروعته وعطائه الحضارى؟ . ونجيب.. إن الإسلام أصبح محاصراً من أعدائه وبعض أتباعه بما ليس فيه!! . فالأولون يستغلون آلة الإعلام لتضخيم أخطاء بعض المسلمين وتحميلها على الاسلام. والآخرون يسيئون للدين من حيث يحسبون أنهم يحسنون صنعاً؟! .. واستجلاءً وإثباتاً للحق ودفعاً للباطل الذى يحيط بالإسلام نذكر الآتى :

لقد حاول الغرب استخدام المسيحية الغربية للسيطرة على العالم باسم الدين، فمنذ تحول الامبراطورية الرومانية من الوثنية إلى المسيحية، ونقل قسطنطين

العاصمة من روما إلى تركيا، وترك السلطة فى روما للباباوية فى الفاتيكان، وجدت نزعة سعى فيها الغرب للسيطرة على العالم باسم الدين، وأصبحت مملكة الله تسعى للسيطرة على مملكة العالم خلال توسعها، مستخدمة فى ذلك أدوات الدين وعناصره، وحاولت الاستفادة بالدين المسيحى خاصة الرموز التى يمكن توظيفها لدى المؤمن لإحكام السيطرة على العالم ..

ونجد جذور هذه الشهوة الغربية للسيطرة على العالم والشرق، بوجه خاص فى التاريخ، وكيف سعى الغرب ممثلاً فى الفاتيكان فى وقت مبكر من ظهور المسيحية، لاستخدام هذا الدين للسيطرة به على العالم، وحينما ظهر الإسلام وانتشر فى أوروبا وانتزع السيادة على الشعوب التى كان يسودها الغرب، نشأت العداوة لهذا الدين .. إذن العداوة للاسلام ليست وليدة الحروب الصليبية ولكن الحروب الصليبية هى الوليدة لهذه العداوة ..

يقول الأستاذ عبدالرحمن الوكيل : «وما زال الاستعمار يحاربنا بصليبيته ليحول بيننا وبين التوحيد، ولينكس العلم الذى ارتفع فى عزة وكرامة ، إنه يرى القلوب تتجاوب فى حب مع روح البعث الجديد، وتنادى بصيحات الحرية الكاملة والوحدة الشاملة، إن الصليبية الاستعمارية تخشى أن تعود الروح الإسلامية علوية الإشراق، قدسية الغايات، تفيض بالحياة التى يقومها صدق الإيمان وجلال الحق وجمال الخير وبر الأخوة المؤمنة، تلك الحياة التى استطاعت من قبل فى عدة فروق أن تجعل من الدنيا للإنسانية ربيعاً نضراً يزهو بأعراس النور وأفراح الجنة وأرفع الأمجاد وينتشى بالأناشيد التى تنشدها مواكب النصر الأعظم على لعنة الشر، ونذالة الأحقاد. إن ذنب الإسلام عند عدوه أنه هدى الإنسانية الحائرة إلى حقيقة الإيمان، والإيمان توحيد وعزة وحرية وشرف وبر وأخوة شاملة واستقامة، وما يكره عدوَ الإسلام شيئاً كما يكره هذه القيم الرفيعة.» .

إن ذنب الإسلام أيضاً هو أن الله فرض على المسلمين أن يبَرُّوا النصارى واليهود ما داموا لا يرفعون فى وجه الحق سيفاً، ولا يدبرون له كيداً، انظر سورة «الممتحنة الآية الثامنة»: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

ويقول السير توماس أرنولد - فى كتابه القيم - الدعوة إلى الإسلام - صفحة ٨١، وهو يتحدث عن الحروب الصليبية : «كان البون شاسعاً بين المعاملة الرحيمة التى لقيها الحجاج - يعنى المسيحيين الذاهبين إلى بيت المقدس - من المسلمين وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم السخرة وضربوهم، وابتزوا ما ترك لهم من متاع قليل، حتى أن كثيراً منهم دخلوا فى دين منقذيهم بمحض إرادتهم» ..

إننا لا يمكن أن ننظر للحضارة العربية بدون قلبها الإسلامى، كذلك لا يمكن النظر للحضارة الغربية بدون روحها المسيحية، فالشمالى الغربى لا ينظر للآخر الإسلامى إلا بعين الاستغلال والاستعلاء والمؤامرة، ولا يوجد طرق فرعية للالتقاء مع الغرب بدون أخذ هذا الموقف السلبى للغرب فى الاعتبار، والدليل على ما نقول هو ظهور - هنتنجتون - الامريكى الذى قال بصدام الحضارات - وفوكوياما - الذى بشر بالعدو الإسلامى الذى يهدد الحضارات الغربية ولا مفر من مواجهته!! .. وهذا الطرح الفكرى لم يأت من فراغ، ولكنه تعبير عن روح عدائية أوروبية قديمة، كانت تخمد حيناً وتستيقظ فى أحيان أخرى، رؤية جعلت العداء بين الحضارات بديلاً للعداء بين الأيديولوچيات .. لقد فرض الغرب باستعماره هيمنة وتغريباً واستلاباً حضارياً، ولا يزال يمارس أشكال المسخ والتشويه للهوية الإسلامية. فقد استثمر الكارهون للإسلام من المستشرقين ما نشهده بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة من أحداث عنف وامتثال بين أبنائها أو مع غيرهم، فقاموا بترويج دعاوى يزعمون فيها أن الإسلام دين دموى يصادر الحريات ولا يقبل من الناس إلا أن يسالموا أو يقتلوا، وأنه لا يرى فى الوجود حياة لغير المسلم أو من يختلف معهم فى الرأى وأن الإسلام طبع على التوحش والبطش فصار بذلك عدوٌ للإنسانية وحضارتها ؟! ..

وقد إستند هؤلاء الكارهون فى مزاعمهم على عدد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية بدون فهم لمقصدها، من ذلك قوله تعالى: **﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾** «سورة التوبة الآية ٥»، وقول تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ**

وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ «سورة التوبة الآية ٧٣». كما حاولوا تأيد مزاعمهم عن الإسلام بالحديث الشريف: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا – لا إله إلا الله –»**.

ولأهمية بيان حقيقة موقف الإسلام من هذه القضية ليس فقط لغير المسلمين بل لأبناء الإسلام أنفسهم يجب أن نعرف سبب نزول الآيات القرآنية والأحكام المستفادة منها وكيفية تطبيقها ..

فالآية الأولى كانت ضمن توجيهات من الله لرسوله وللمسلمين تجاه حالات خاصة بين المسلمين والمشركين، فقد عاهد النبى ﷺ وأصحابه مشركى العرب بأذن الله فنكث المشركون ما عاهدوا عليه صاحب الرسالة وربه، وفى هذا يقول الله تعال: **﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾** «سورة التوبة الآية ٧». أى لا تقاتلوهم، واستثنى الذين أوفوا بعهدهم للمسلمين برغم أنهم مشركون .. والدليل على أن الأمر بالقتال كان خاصاً بمشركى العرب فى الآية الأولى قوله تعالى بعد ذلك: **﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾** «سورة التوبة ١٣» فالهم بأخراج الرسول ليس عاماً من كل – المشركين – فى كل زمان ومكان بل خاص بمشركى العرب فى مكة قبل الفتح، ويضاف إلى ذلك أن صاحب الرسالة عام فتح مكة عفا عن هؤلاء المشركين جميعاً بعد كل الذى فعلوه معه ومع أصحابه، وقال لهم فى عفوه العام عنهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) فكانت هذه السماحة الإسلامية سبباً فى إسلام المشركين العرب جميعاً ..

ولكن الآية التى يقول فيها الحق تبارك وتعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾**. تعد من أقوى الأدلة التى يستند عليها هؤلاء الكارهون للإسلام حيث يقولون إن هذه الآية قد نسخت كل آيات العفو والصلح!!..

يقول الدكتور – المطعنى – الأستاذ بجامعة الأزهر: القول بالنسخ المذكور غير مسلمٌ به؛ لأن نزول هذه الآية كان قبل غزوة تبوك، وقد عقد النبى ﷺ عدة

معاهدات صلح فى أثناء قيامه بغزوة تبوك، وخلفاؤه الراشدون عقدوا مصالحات كذلك من بعده وما كانوا يفرضون الإسلام أو القتال إذا استجاب العدو للصلح، إذاً لو كان هذا النسخ مسلماً به لورد الخبر به عن السلف الصالح.

أما قول الرسول ﷺ فى الحديث الشريف : «**أمِرْتُ أن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُـولُوا – لا إله إلا الله –**» فهو حديث صحيح أستندوا عليه فى ترويج دعواهم بأن الإسلام دين الدم والارهاب ، هذا الحديث ليس فيه دليل للقائلين بأن علاقة المسلمين بغيرهم هى الحرب لا السلام، لأنه كما أخبر كثير من العلماء خاص بمشركى العرب وليس عاماً فى جميع الناس.. ثم إن الآيات سالفة الذكر تذكر – المشركين – والكفار – والمنافقين – فلماذا هم غاضبون ؟ هل وجدوا فى أنفسهم تلك الصفات فغضبوا ؟! ..

ويقول الشيخ الشعراوى فى تفسير الآية ﴿ **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾«التوبة الآية ٣٣» ليس بمفهوم أنه سيقضى على الأديان الأخرى، ولكنها ستأخذ به وهذا هو معنى الظهور الوارد فى القرآن الكريم ..

وعلى هذا تكون حجتهم ضد الإسلام باطلة، وليس لها أساس غير الحقد والكراهية، أن من المعهود فى جماعة المستشرقين أن الكثير منهم يقرنون سوء الفهم بسوء النية، لأنهم يخدمون الأيديولوجية الغربية، وينظرون فى بحوثهم نظرة الغربى الذى ينظر إلى الشرق نظرة المتعالى عليه فى حاضره وماضيه، غير أنهم ما عدا القليل منهم محدودون سطحيون يعومون حول المسائل الحسية ولا يتوسعون فى النظر أو يتعمقون وراء الظواهر التى لمسها شاهد الحس لمساً. يقول الأستاذ العقاد: –

«ومن فهاهة المستشرقين أنهم لا يختارون من تاريخ العرب مطعناً يصيبونه غير اللغة والأنساب، وكلهم يتحذلقون على العالم فى شكوكهم الموكلة بالتاريخ العربى الاسلامى من أقدم عهوده، ثم يأتى العالم فيثبت بالكشوف المحسوسة صدق الخرافة المزعومة، وكذب العلماء الزاعمين، حتى لقد أصبح التخريف حقا لهؤلاء المحققين الذين لا يعرفون من التحقيق إلا اتهام كل رواية عربية أو إسلامية بالتحريف ..

ومما أثاره الملحدون من المستشرقين والمبشرين وغيرهم من أعداء الإسلام، أن الشريعة الإسلامية جامدة غير متطورة، فهى لا تفى بمصالح الناس فى مختلف أحوالهم ولا تساير متطلبات حياتهم على مر الزمان، والحقيقة أن هذا افتراء باطل وشبهة مزعومة مردود عليها من قبل المؤتمر الدولى المقارن الذى عقد - بلاهاى - فى أوائل أغسطس سنة ١٩٣٧ جاء فيه ما نصه :

«إن الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور ومسايرة المدنية الحديثة، وإنها لذلك جديرة بأن تشغل مكانة ممتازة بين مصادر القانون المقارن، وإنها تحمل العناصر الكافية التى تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية» (التشريع الإسلامى - دكتور شعبان إسماعيل، صفحة ٨٤) ..

إن أوروبا فى علاقتها بالعالم الإسلامى سارت على خطة علمية مدروسة لا مرتجلة، تغزو بالسيف والقلم وتجمع بين اللطف والعنف. فقد نشأت طائفة من المستشرقين لتيسير وضع اليد الغربية على الشرق الاسلامى، هذا مع تجنيد جيش كثيف من المبشرين لتحويل المسلمين عن إيمانهم، وكل هذا فى مواجهة تراث إسلامى يعدُّه العالم العربى تراثاً نزل من السماء، ولم ينبت من الأرض، إنها جملة العقائد والعبادات والقوانين والاخلاق والحدود والحقوق والقيم والمثل التى حوتها رسالة محمد ﷺ . ويقول الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - فى كتابه (ظلام فى الغرب) :

«إن ثقافتنا الذاتية هى ديننا ودنيانا، وماضينا ومستقبلنا، وهى أصلنا الذى انبثقنا منه وفرعنا الذى نمتد معه، إن العرب لا يمثلون قومية خاصة، وإنما يمثلون رسالة سماوية. وكل زعم وراء ذلك فهو إفك» . ويقول فضيلته :

«وطبيعى أن يكون لهذا الخط الإسلامى أعداء يضيقون به عن جهل أو جحود، ولكن هذه العداوات لم تنل منه، فقد بدأت الأمة الإسلامية من هذه الجزيرة مجتمعاً وسيم الملامح جميل القسمات مبارك الآثار، واستطاع هذا المجتمع القوى الغنى أن يطوى الوثنيات القائمة فتلاشت! وأن يكسر العسكرية اليهودية فتبددت ! وأن يطارد الاستعمار الرومانى فعاد إلى أوروبا من حيث جاء! بل لاحقه المسلمون هناك، ولو صدقوا النية والعزم لاجتثوه من جذوره ..» .

على أية حال استطاع الإسلام تكوين أمة بين المحيطين الهادى والأطلسى، لها ثقافة عامرة وتقاليد شريفة أسدت للإنسانية خيراً لا حدود له، وإن شابه هذا كله أخطاء شتى، ربما بَدَتْ تافهة، ثم نمت على مر الزمان فجّرت على الاحفاد الكوارث الشداد!!. ونظرة عَجْلى إلى الماضى، لقد أبى الاوروبيون التسليم بالهزيمة التى أصابت الدولة الرومانية وأنزلت أعلامها من أفريقيا وآسيا، وانتهزوا فرصة من غفوة المسلمين واسترخائهم، فشنوا حرباً صليبية طويلة الأمد هجمت فيها ألوف مؤلفة من المتعصبين القساة، كلما انتهى زحف، تبعه آخر فى حركات متشنجة مشبوبة الحقد ميتة الضمير، وظلت كذلك مئتى عام دون جدوى، فإن المسلمين الذين انهزموا أولاً واحتلت أرضهم توارثوا المقاومة المستميتة، فأمكنهم بعد بلاء شديد أن يصدوا العدوان ويغسلوا كل ما خلف، والغريب أن المسلمين الذين انتصروا لم يستفيدوا من هذا النصر ولم يأخذوا من العبرة الواضحة، أما الصليبيون الذين انهزموا فقد درسوا أسرار الهزيمة وقرروا أن يتلافوها فى هجوم خر يدكون به أسوار الإسلام، وأكد ذلك - لويس التاسع - فى وصيته.

استطاع الغرب أن يضع يده على العالم الاسلامى كله منذ أكثر من قرن، وكان المسلمين فى حال يرثى لها من التخلف، المادى والأدبى، على حين كانت النهضة الصناعية مزدهرة فى أقطار أوروبا وتيقظت معها علوم وفلسفات إنسانية كثيرة، فلما قدم الصليبيون الجدد كانت الأرض ممهدة لهم كى يصنعوا ما شاءوا، ومثل الغزو العسكرى بين طلائع من الغزو الفكرى، وأحكم المغيرون خطتهم هذه المرة، فإذا الغارة الجديدة تفتك بالإسلام فتكاً ذريعاً. وتحقق فى القرن العشرين ما لم تحققه فى حروبها من عشرة قرون، وظهرت فى العالم الإسلامى بدعة ازدواج التعليم . وانقسامه إلى دينى ومدنى، واتجه الغزو الثقافى إلى لغة القرآن فأصابها إصابات قاتلة، وكذلك إلى الشريعة الإسلامية ليخلع عن رأسها التاج ويعزلها عن مكان الصدارة ! ..

والمدهش أن الرومان يفخرون بقانونهم ويخلدون مبادئه ومواده ! وما القانون الرومانى إلى جانب الشرع الإسلامى؟ أنه كبئر آسنة إلى جانب النيل أو

الفرات!!، إن الفقه الإسلامى استبحر فى حضارتنا، وأستوعب من مصالح الدنيا والدين ما يبهر ويعجب له العالم، وقد كتب الفقهاء المسلمون ألوفاً مؤلفة من المجلدات التى عمرت بالآراء الذكية والاجتهاد الحر. وظل هذا الفقه يحكم المسلمين وغيرهم، بين الأطلسى والهادى حكماً راشداً كافيا مغنياً حتى دخل الاستعمار الحديث، فأخذ ينفث عن حقده على الإسلام بمكر وخبث، فألغيت شرائع الحدود والقصاص، وعطلت المقررات الإسلامية فى شتى القضايا.. لقد اتفقت جميع الدول الاستعمارية على إلغاء التشريع الإسلامى، وقصدت بذلك إلى أمرين : أولهما إبعاد الإسلام عن الحياة العامة وتجريده من سلطة الأمر والنهى، واتهامه بعدم الصلاحية للبت فى شئون الناس .. والأمر الثانى تمزيق الضمير الدينى عند الرجل المسلم لأنه إذا رأى أمر الله معطلاً فى شأن من الشئون هان عليه أن يعطل فى شأن آخر..

والواقع إن الاحتلال القانونى الأجنبى لم يدمر الشريعة وحدها وإنما دمر كذلك عقائد وعبادات، لقد أبيح الزنا والربا والخمر والقمار، واختلطت حرية الفكر بحرية الهوى. والقانون الوضعى وراء هذا كله .. فى بعض الأقطاب الاسلامية ظروف اجتماعية واقتصادية معقدة مكّنت التبشير أن يتوغل فيها ويستفيد منها، بل إنه رتع فيها كما يرتع الداء فى جسم لا مناعة له ولا تماسك به!! وظاهر أن الاستعمار التبشيرى يتوسل بالخدمات الاجتماعية والتعليمية كى ييسر الارتداد على أبناء المسلمين .. ومن رعى غنماً فى أرض مسْبِعَةٍ ونام عنها تولى رعيها الأسد ! ..

ان الاسلام جدير بسيادة الدنيا، لو وجد رجالاً يجيدون عرضه كما جاء من عند الله دون نقص أو تزيد، وقد كان العلماء فى العصور الزاهرة كثرةً تسر، وكان معارضو الإسلام قانطين من مواجهته فى ميدان فكرى، لأنه يجتاحهم أجتياحاً، لكن الجبهة الاسلامية اليوم تتسم بالعجز أو القصور فى ميدان العلم، والحديث مستفيض عن الأزمات التى يعانيها الاسلام فى الدعاة وفى الفقهاء، والآن يوجد متحدثون عن الإسلام يتمنى المرء لو سكتوا فما قالوا حرفا، إن فقرهم مدقع فى الكتاب والسنة.

والقليل الذى عرفوه يفهموه على وجهه الصحيح، وإدراكهم للكون الذى

يعيشون فيه، والإنسانية التى تعمره أضعف.. ولا ندرى كيف أتيح لهؤلاء التحدث عن الإسلام وهم دون ذلك المستوى، أن حديثهم عنه يكاد يكون ضرباً من الصد عن سبيل الله.. إن المذاهب المادية والأديان الخرافية رزقت دعاة على درجة ملحوظة من الذكاء والقدرة، فاستكثرت من الاتباع وأغرت الكثير بالدخول فيها، وإذا أنتصر الالحاد على الإيمان فليس العيب فى الإيمان ولكن فى أتباعه المنتسبين إليه .

«إن جذور التعصب والحقد على الإسلام لم تهدأ على مر الايام، بل لعل مر الأيام كان ينفخ فيها ليزيدها وهجاً ولذعاً، فعندما كانت الدولة الإسلامية تترنح إبان تضعضع الخلافة التركية، وذهاب ريحها كان الورثة يترقبون بصبر نافذ أن يتدخلوا باسم المسيحية لنهب ما يمكن نهبه، وفى ذلك يروى المؤرخون أنه عندما أصبحت الدولة العثمانية تسمى – رجل أوروبا المريض – بدأ من كانوا يعدون أنفسهم لوراثتها فى حصر التركة، فتدخلت فرنسا لحماية رعايا الإمبراطور من الكاثوليك، وتدخلت روسيا لحفظ مصالح الكنيسة الأرثوذكسية، وطالبت المانيا برعاية المذهب الثالث من النصرانية وهم البرتستانت. ولم يكن قد تبقى بلا حماية أجنبية من رعايا الامبراطورية المتداعية سوى اليهود فسارعت بريطانيا إلى احتضانهم ..

لقد استيقن المستعمرون أن مآربهم فى استبعاد الشرق وانتهاب خيراته لن تخلص لهم إلا إذ قضوا على الإسلام روحاً ونصاً، وأجهزوا على بقاياه حكومة وشعباً، وأقاموا الحجب الكثيفة بين أمسه ويومه وغده، ثم قسموه بينهم أشلاء متناثرة لا يأوى أحدها إلى الآخر ولا يعرف وشيجة تربطه فى الأولين والآخرين.

هذه هى سياسة الغرب التى نفذتها انجلترا وأمريكا وفرنسا وهولندا وروسيا، وسائر الدول التى أتيح لها أن تحتل شبراً من أرض الشرق الاسلامى، وقد تفاوتت أساليب التنفيذ، كما تفاوتت ضروب المقاومة التى أبدتها الشعوب المغلوبة، أجل فإن جماهير المسلمين لم تستسلم لهذا الإفناء المبيّت فنشطت عشرات الطوائف والهيئات لمكافحته، إن النزاع بين العرب والفرس، وبين العرب والترك، وبين

بيوتات العرب أنفسهم جعل الاشتغال بالمعايب وتتبع السقطات أهم من دعم الفضائل وتسجيل الحسنات، ثم اختلطت الأهواء السياسية بالتوجيهات الدينية فأدّى ذلك إلى زلازل حاطمة، جعلت المسلمين فرقاً يأكل بعضها بعضاً، حتى جاء الاستعمار الحديث فأتى عليهم جميعاً .

من الجور أن يتحمل الترك أو الفرس أو السود أو الصفر أوزار حاكم منهم حاد عن الصواب يوماً. فتكتب سيئة على الأخلاف أبد الدهر. والحل هو إنشاء مجمع علمى يرد للشعوب الإسلامية كيانها ويجمع شتاتها - ظلام من الغرب ص ٢٩٩ ».

يقول أحد فلاسفة الألمان تعليقا على تعاليم الإسلام : **«لقد حرمتنا المسيحية من ميراث العبقرية القديمة - يقصد فلسفة الإغريق - ثم حرمتنا بعد ذلك من شريعة الإسلام .. لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة فى الأندلس لأنها نشأت من أصول رفيعة، ومن غرائز شريفة، نعم من غرائز رجال الإسلام، إن تلك المدنية الإسلامية لم تتنكر للحياة، بل تجاوبت معها وفتحت لها صدرها، ولقد قاتل الصليبيون تلك المدنية بعد ذلك، وكان الأولى بهم أن يسجدوا على التراب - شكراً لله - ويأخذوا بها، وما مدنيتنا فى هذا القرن إلا متخلفة وآلية بجانب مدنية الإسلام فى ذلك الوقت»**، ويقول شاخت العالم الألمانى الذى اشتُهر بدراسات عن الشريعة الإسلامية: **«بعد أن عرفت الإسلام بكل معانيه تأكد لى أن الإسلام هو النهاية الحتمية للمادية التى تسيطر على العالم ذات يوم، وأن الإسلام سيصبح المظلة الحقيقية للعالم »**..

وقال برناردشو : **«بعد أن قرأت حياة رسول الإسلام مرات ومرات، أصبحتُ أضعه على رأس قمم الرجال الذين يجب أتباعهم، وقرأت ما كتبه كهنة العصور الوسطى فوجدتهم قد أظهروا الإسلام بشكل لا يمت للحقيقة بصلة، وأستنتجت أنهم خائفون على مناصبهم، فالإسلام قادم ليصبح العالم فى حب الإسلام»** ..

وقال جوتيه المفكر الفرنسى المعروف فى كتابه - أخلاق المسلمين

وعاداتهم- : **«التسامح بمعناه الإلهى غرسه رسول الإسلام فى نفوس المسلمين وكانت وما زالت هذه الصفة إحد المميزات الراقية لدين الإسلام»** ..

وقال غاندى الفيلسوف الهندى : **«لقد درست الإسلام وعرفت من خلاله قيمة الإنسان وحقوقه ..»** .

ونعيد قول توماس كرلّيل المصلح الاجتماعى الانجليزى الشهير والمؤرخ المرموق : **«لقد أصبح من أكبر العار علينا وعلى أى فرد متدين من أبناء هذا العصر، أن يصغى إلى الاتهامات التى وجهت إلى الإسلام ونبيه وواجبنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة »** ..

وهكذا، فقد قام فى الماضى والحاضر صفوة من الشرفاء، فلاسفةً ومفكرين وعلماء وأعلنوا آراءهم فى بلادهم ونشروها على الملأ فى مؤلفاتهم، إلى من يريد تعرُّف الإسلام، ذلك الدين الالهى الشامخ صاحب أعظم حضارة إنسانية عرفها التاريخ، متوخين الأمانة العلمية من خلال نصوص قرآناً وسنة، ومن بين هؤلاء العلماء من كان مخدوعاً ومضللا بكتابات فئه من المستشرقين الحاقدين وأعوان التعصب الدينى والعرقى فى العالم، فلما وقفوا على الحقائق وأدركوا الصواب قالوا الحق وأنصفوا الإسلام ذلك الدين السماوى السمح، وعندما يتحدث المنصفون فلا يجوز الالتفات إلى أقوال المشوهين للحقيقة، ولا إلى الذين ينتسبون إلى الإسلام وهى كغثاء السيل لا وزن لهم ولا قيمة فى الحياة..

الإسلام برىء من كل دعوة أو فكر أو كلمة أو حتى إشارة تسىء إلى أبناء الديانات الأخرى، وبرغم هذا، تنصب علينا عداوات الغرب وترفع ضدنا الشعارات ويقف وراء هذا صاحب المصلحة فى الوقيعة بيننا وبين الغرب، وصاحب الأطماع فى مقدرات الأمة العربية والإسلامية، الذى أستطاع أن يستغل الشعارات المرفوعة من قبل بعض الفصائل المنسوبة إلى الإسلام، ويحرك أجهزته الإعلامية الضخمة فى الغرب للحديث عن اليقظة الإسلامية، ثم عن الأصولية، أو القنبلة الذرية الإسلامية فى حملة تنفير وتجريح موجهة إلى الإسلام والمسلمين، تمهيداً لموجة من التصفية المعنوية والجسدية لهذا العدو الجديد والخطير.. !

ومن الغريب أن - صاحب المصلحة - استطاع أن يقيم المعابر فى الغرب بين المسيحية وبين اليهودية، على الرغم من النصوص الواضحة فى الأناجيل.

وكلنا يذكر أن الغرب سبق أن أقام جسوراً من التعايش والإخاء بين المسيحية (التى يعتنقها) وبين اليهودية، وذلك فوق أخاديد الصراع التاريخى القديم. ولعل أبرز إنجازاته فى هذا المجال قرارات المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى الذى بدأت فكرته سنة ١٩٦١م ونشرت قراراته سنة ١٩٦٥م، والتى تقول فى الجزء الثانى:

«وإن تكون سلطات اليهود وأتباعها هى التى حرصت على قتل المسيح، إلا أنه لا يمكن مع ذلك أن نعزى ما اقترف أثناء الأمة إلى كل اليهود الذين كانوا يعيشون آنذاك دونما تمييز ولا إلى اليهود اليوم ... والكنيسة التى تشجب الاضطهاد ضد الناس أيًا كانو تتأسف للبغضاء والاضطهادات ولكل مظاهر مقاومة السامية التى استهدفت اليهود فى أى زمان كان والكنيسة لا تدفعها إلى ذلك الدوافع السياسية بل محبة الإنجيل متذكرة التراث المشترك مع اليهود..» .

كانت هذه القرارات نقطة تحول تاريخية فى الخلاف بين المسيحية واليهود، لأنها جاءت بالرغم من الموقف المعروف لليهود من المسيح عليه السلام **ونحن لا ندرى كيف لم يطلب المجمع المسكونى للفاتيكان قبل إصدار هذه القرارات شيئاً فى مقابلها؟ ولا ننتظر من اليهود الاعتراف بنبوة المسيح والديانة المسيحية كما هو الحال معنا نحن المسلمين، ولكن على الأقل الاعتذار عن ما جاء فى تلمودهم عن المسيح وكل العائلة المقدسة واقتلاعه منه، فكيف تهادن من يعاديك فى دينك؟** ..

ألم يحن لليهود أن يتصالحوا مع الناس ومع ربهم الذى وصفهم فى التوراة:
«كل الرأس مريض وكل القلب سقيم - اليدان إلى الشر - مجتهدتان - الفهم مملوء لعنة وغشاء وظلماً - اللسان سهم قاتل - شفاهم تكلمهم بالكذب - لهم عيون مملوئة فسقاً - شعب صلب الرقبة - قساة الرقاب

صلاب الجباه وقساة القلوب - جافى الوجه فاهم الحيل - وجوههم تخجل - حلقهم قبر مفتوح - فى أحضانهم العار - مشحونون حسداً وقتلا - ذابت أنفسهم بالشقاء» هذه بعض أوصاف بنى إسرائيل كما وردت فى التوراة. انظر كتاب - تشريح الإسرائيلى - للدكتور ابراهيم خليل.

وإذا كانت هذه هى شهادة التوراة فيهم، إلا أنهم يحاولون نقل هذه الصورة إلى غيرهم بتشويه صور العربى وتحقيرها، فهو محتقر ومزور بحيث لا يمكن لأحد أن يأخذه مأخذ الجد، ولديه تراث عريق من شهادة الزور، وأنه تراث القتل والاجرام صار طبيعة ثانية له. هكذا صوروا العربى فى صورة شديدة السلبية، فيصف أحدهم العربى بقوله : مخلوق غريب ، يرتدى جلباباً ممزقاً وغطاء قذراً للرأس وأطفاله يسيرون حفاة، إنه ليس قذراً فحسب بل هو أيضاً لص وكذوب وكسول وعدوانى ..

ولا يهتم العربى برأى الصهيونية فيه لأنه يعلم بأنه ينتمى إلى خير أمة أخرجت للناس، وقد تكون الصهيونية قادرة على إلحاق بعض الأذى بالعرب، حين تبث الأكاذيب التى تلد العدواة والبغضاء بين اليهود والعرب، ولكنها غير قادرة على تطبيق موقف الوصول إلى نهاية سعيدة بينهم كما عبر عن ذلك الكاتب - ابن عيزر - فيقول : إن الحرب مع العرب هى تضحية علمانية بحق، أى أنها تضحية بشرية لا هدف لها ولا معنى - وتظهر أساطير قومية تترجم هذا الوضع إلى بناء أيديولوجى أسطورى محكم مثل أسطورتا - ما سادة - وشمشون - وفى كلتا الأسطورتين ثمة حالة حصار نهائية مغلقة لا يمكن الفكاك منها إلا بتدمير الذات وتدمير الآخر، فنهايتها ليست سعيدة وإنما إبادية للجميع، وهم يميلون إلى تمجيد الوهم والإخفاق فى إدراك الواقع، وترى ذلك فى قصة - بركوخبا - الذى تحالف مع بعض الحاخامات وقرروا مواجهة الإمبراطورية الرومانية دون حساب موازين القوى فيما يعرف بالتمرد اليهودى الثانى ضد الرومان - ١٣٢ ، ١٢٥ ق.م - وبطبيعة الحال تم القضاء على المتمردين وعلى الباقية من الوجود اليهودى الهزيل فى فلسطين، أى أنَّ النزعة الانتحارية الشمشونية لم تؤد إلى القضاء على الآخر، وإنما على الذات وحسب، فالنزعة

الانتحارية مرض يصيب صاحبه بالدمار، فتنطلق قوى التطرف الدينى والقومى فى إسرائيل بنعت العرب بأقبح الصفات وتسبيح أرضهم المقدسة، وتدعوهم بصلف إلى قبول الأمر الواقع دون حساب لعواقب الأمور التى لا تميل لصالحهم، ولو أخذوا بنصح عقلائهم لكان خيراً لهم، يقول الأديب الاسرائيلى – يهوشع ميلدما – ١٨٨٠ – ١٩٥٧ :

«إن الأصل السامى – يُنْسَبُ إلى سام بن نوح المشترك للعرب واليهود على حد سواد كفيل بإيجاد لغة ومصالحة مشتركة بين الطرفين» ، ويقول : **«دماؤنا بدمائهم ، ولْنَعِشْ معا، ولنشكل جنساً واحداً، إننا ننتمى إلى عائلة واحدة..»** .

ولكن حينما تصبح السامية هى الوجه الآخر للصهيونية ويُمزج الدين بأيديولوجية عنصرية، لا يمكن أن توجد مصالحة إلا بالرجوع إلى الدين، دينهم وديننا الذى أمر بالمعروف والحق والعدل، إن النبوات والرسالات وقفت دهراً طويلاً محصورة فى بنى إسرائيل، فلما لم يصونوها حلت عليهم لعنة الله، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد، ومن أجل ذلك كانت أنتقال الرسالة إلى سيدنا محمد ﷺ انتقالا بالقيادة الروحية فى العالم من أمة إلى أمة ومن ذرية إلى ذرية، من ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل، والأمة الإسلامية هى الوارثة لأبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ولعهد الله لهما، وكان عاقبة التحويل ان اشتعلت قلوب اليهود غيظاً.وحقداً وأخذوا يتسارعون بالأنكار والتكذيب وركبوا موجة الشطط والبغى، على أن ينزل الله وحياً على من يشاء من عباده من غير بنى إسرائيل، وينزل الوحى القرآنى ليصور غضب الله ولعنته على بنى إسرائيل، يقول سبحانه وتعالى :

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ «البقرة ٩٠» .

ونفذ ما أراده الله وورث النبى العربى تعاليم ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وكان من وصْل الحاضر بالماضى أن يكون المسجد الحرام ثالث الحرمين فى الإسلام الذى كان كلمة الله الأخيرة إلى خلقه .. وقد جاء ذكر المسجد

الأقصى فى القرآن الكريم صريحاً فى أول سورة الإسراء، إلى جانب أحاديث الرسول ﷺ يبشر بافتتاح مدينة القدس وحث المسلمين على حمايتها والقيام على شئونها، ولقد دخلها جمع من كبار أصحاب الرسول ﷺ وكان على رأسهم أبوعبيدة الجراح، ومعاذ بن جبل، وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أنه قال : **«قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولاً؟ قال : المسجد الحرام، قلت ثم أىّ قال : المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال : أربعون سنة ..»** وهذا يدل على أن المسجد كان موجوداً قبل داود وسليمان عليهما السلام، وأن ثقات المؤرخين يقولون إن القدس مدينة عربية أول من أختطها سام بن نوح عليهما السلام، وأول من اتخذها وطناً بطن من بطون العرب الأوائل التى عاشت فى فجر التاريخ فى الجزيرة العربية، وذلك منذ حوالى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، ثم كان تيه العبرانية فى الصحراء حتى تمكنوا من دخول هذه البقعة التى فيها القدس حوالى عام ١٠٤٩ قبل الميلاد، أى بعد وجودها بأكثر من ألفى عام وكان دخولهم إليها على يد داود وسليمان عليهما السلام، وكان يمكن له أن يعيشوا فى سلام فى هذه الأرض المقدسة لو أطاعوا الله وصانوا عهده. وكما سبق القول إن الرسالة تحولت عنهم لما عصوا واعتدوا..

يقول روچيه جارودى الذى اتهمته الصهيونية بمعادته للسامية، أتهامات فاقت اعداء سقراط فى المغالطة المنطقية، يقول جارودى : **«لا توجد أمة تحمل اليوم كلمة الله بأمانة وصدق غير الأمة الإسلامية»** ويقول: **«أن اليهودية دين يحترمه، أما الصهيونية فهى شىء أكرس حياتى لمقاومته، لأنها استعمارية وصانعة للحروب»**.

ولقد شنت الصهيونية حرباً شعواء على جارودى وكتابه - أحلام الصهيونية وأضاليلها - والذى قال فيه :

«إن الإسلام ليس كفراً كما صوره المغرضون القدامى فى الحروب الصليبية وليس إرهاباً كما صوره المغرضون الجدد، والإسلام ليس آثراً يشاهده المستشرق ثم يصدر عليه أحكاماً مسبقة وظالمة، إنه الدين العالمى الذى يقدم للإنسان نظاماً كاملاً شاملاً لحياة إنسانية كريمة بكل مقوماتها واحتياجاتها وليس مجرد عقيدة وحدانية منعزلة عن دنيا الناس» ..

إن الإسلام ينتصر فى كل مكان ينزل فيه الميدان مع كل الايديولوجيات، إلا أن هناك عملية تتم فى السياسات والاستراتيجيات لتصوير الإسلام بشكل عام أنه هو العدو، ونلاحظ أن هذا القول جاء من أعلى مسئول فى إسرائيل وكان من أوائل الذين روجوا لفكرة أن الخطر القادم الذى يتهدد الغرب هو الموجة الإسلامية والارهاب الاسلامى؟! .. ولن تتسبب هذه الافتراءات الصهيونية إلا فى إندلاع حرب عالمية ثالثة على حد قول المفكر الفرنسى روجيه جارودى والذى يشاركه فى هذا الرأى مفكرون يهود وفرنسيون بدأوا يتنبهون إلى السياسات الانتحارية لإسرائيل ..

يقول الأستاذ – باول شمتنر – : **«اتفق المستعمرون على ضرب الإسلام، فتعاونوا فيما بينهم على خلق إسرائيل للحيلولة دون سيادة المسلمين فى هذه المنطقة الحساسة من العالم، وهم يتسابقون – بأساليب مختلفة لسلب ثروات هذه الأمة، من أجل هذا كله تخلق الصهيونية أساطير تستند فى إقناع الغرب بمساندة إسرائيل لكى لا ينهض الشرق الاسلامى، دون أن يعى الغرب أن الصهونية قد عملت وتعمل على إفساد الشرق بل الغرب نفسه، وأمامنا الحركات الفكرية والاجتماعية والسياسية فى الغرب وأصداؤها هنا وهناك فإن دراستها على حقيقتها دون عناوينها تدل على عبث الصهيونية بأقدس القيم وتسخيرها كل حركة ما استطاعت لإفساد العقول والأخلاق سبيلاً ..»** .

إن النفوذ الصهيونى لديه قدرة فائقة على ملاحقة وتشويه من يجرؤ على نقد وتفنيد الأكاذيب والمزاعم التى ترددها الحركة الصهيونية، والتى نجحت فى إرساء وترسيخ إدعاءات ومزاعم مع إكسابها مرتبة القداسة – والألوهية – عن هذه الحركة التى لم تحظ بها الاديان الثلاثة الكبرى التى هى جديرة بالاحترام والتقديس ..

ومن الأمور المثيرة للهول والفزع أن الصهونية حولت الأكذوبة إلى أسطورة، يضفى عليها طابع القداسة وينفى عنها بالتالى أى منطق موضوعى أو علمى ويحيلها إلى – تابو – مقدس وحتمية لا منطقية تجافى سيرورة التاريخ والفعل البشرى، والويل لمن يحاول أن يجرؤ على كشف زيف الأسطورة فتحشد له

الصهيونية أكبر ترسانة ممكنة من القوانين والتشريعات، وتمارس مختلف صور الاضطهاد والضغط والاغتيال المعنوى، ثم يتجه بعد ذلك إلى ممارسة نوع شرس من التعصب للأسطورة ومن التميز الإنسانى والعنصرى ضد الاغيار وضد الآخرين، ولا يتسامح مع أى تشكيك فى محتوى الأسطورة، فى حين يخلق أجواءً من الشكوك والاتهامات ضد الآخر الدينى والفكرى والسياسى بأنه هو الذى يمارس التعصب وخلْق دعاية مليئة بشتى أنواع التعصب والانغلاق ضد من يعتنق آراء مخالفة أو داحضة للأسطورة ..

وقد نجحت الصهيونية بإمكانياتها الهائلة هذه فى أن تفرض حدوداً على التفكير ذاته فى الدول الغربية، وعلى رأسها فرنسا والولايات المتحدة فالمناخ الثقافى العام فى هذه الدول والأثر الكاسح لوسائل الاعلام فيها يخضع كل ذلك لسيطرة مصالح معينة تروْج لنوع معين من الأفكار، والأمثلة كثيرة آخرها ما فعلته الجمعية الصهيونية - ليكرا - التى تمكنت من تقديم روچيه جارودى إلى المحاكمة بتهمة - النيل من الجنس اليهودى - فى كتابه - الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية - الذى صدر عام ١٩٩٦، وقد تلقى جارودى تسعة خطابات تهدده بالقتل، وقد سبق أن أبرز جارودى أمام المحكمة عام ١٩٨٢ أن الصهيونية السياسية التى أسسها - تيودور هرتزل - والتى أدانها كل حاخامات العالم فى ذلك الوقت بوصفها نوعاً من الخيانة للديانة اليهودية تنبع من القومية الأوروبية والاستعمار فى القرن التاسع عشر، وليس من الديانة اليهودية، وفى عام ١٩٨٢م برأت المحكمة جارودى ورفضت القضية وحملت على - ليكرا - بالمصروفات، وهذه الأساليب فى مطاردة المفكرين تعيد إلى الاذهان الذكريات المريرة والاليمة لمحاكم التفتيش الأوروبية التى تصبها رجال الكنيسة للمفكرين وللمصلحين الدينيين، وكذلك فترة المكارثية الرهيبة فى الولايات المتحدة فى الستينات بزعم التصدى للشيوعية ..

إن البعض يرى أن العالم المعاصر ليس إلا فيضٌ من تجليات الصهيونية، فصعود وسقوط الامبراطوريات وشروق وأفول الأمم، وتعاظم الدول من نبع الإرادة الصهيونية، وكذا فإن ظهور الفلسفات وإنهيار الاخلاقيات وبزوغ مقدمات يوم القيامة، جميعها مما قرره حكماء صهيون، وأسطورة - البروتوكولات - ووعد

نشوب الحرب عام ١٩٩٧م والتى تستطيع فيها إسرائيل إقامة دولتها الكبرى من النيل إلى الفرا، والتى تجد خريطتها داخل الكنيست طبقاً للخطة المئوية الأولى للصهيونية، وقد رحل عام ١٩٩٧م دون أن تقع الحرب المزعومة أو تنشأ الأسطورة الكبرى .

إنَّ حفنةً من الناس أنتجوا ما يسمى بـ «البروتوكولات» ظنوا أنهم قادرين على إدارة الكون لقرونٍ طويلةٍ بجلسةٍ واحدةٍ تمت قبل عشرات السنين، وها هى الأسطورة تفضح نفسها والحتمية التاريخية التى اعتقدوا أنها قدراً محتوماً لا مفر منه لم يكن سوى وهم أساطير، إنَّ الأكاذيب التى يروجها أعداؤنا والتى قمعت بعض العرب عن التحرك ضد المؤامرة فى تفسير التاريخ يجب ألاَّ أن تدغدغ وجداننا ويعفينا من تحمل المسئولية، ونجد فيها شجباً نعلق عليه إخفاقاتنا .. وما يجب تأكيده أن فى التاريخ مؤامراتٍ وأن فكر المؤامرة يسود عربيا لأنه فكرٌ مريح يبرئ الصفوات الحاكمة بالأساس وينزع عنها تهمة الإهمال ويعفيها من المسئولية، وعلى أهل الفكر أن يقاوموه لا أن يرسخوه كما فعل جارودى كما أننا يجب إلاَّ نضع اليهود كلهم فى تصنيف واحد ولا الإسرائيليين جميعاً فى سلةٍ واحدةٍ وإنَّما يجب التمييز والتفرقة. فقد ألقى — ليزلى جليب – Leslie Gelb – وهو يهودى وشخصية معروفة وذات احترام فى كافة محافل الفكر السياسى فى الولايات المتحدة، ألقى محاضرة بتاريخ ١٩٩٨/٢/٢ فى أحد مراكز الدراسات الرئيسية فى العاصمة الأمريكية قال فيها:— إن إسرائيل هى فى أقوى أحوالها عسكرياً ومعنوياً الآن ، وإنما الحال لن يبقى هكذا إلى ما لا نهاية، والتفوق لن يظل ثابتاً لصالحها والميزان الاستراتيجى سوف ينقلب ضدها فى العشر سنوات القادمة. فالفجوة فى التفوق العسكرى ستضيق إن لم تتلاش.. ولذا نصحيتى لإسرائيل أن تقيم سلاماً مع جيرانها الآن لأن التأجيل ليس فى صالحها.. ويرى «جليب» أن بناء المستوطنات فى القدس أو فى غير القدس خطأ وضرر وبلا نفع سواء فى الماضى أو فى الحاضر ولابد أن تتوقف .

«الإعلام الإسلاميّ فرض جهاد»

– لقد أصبح الإعلام من أهم فنون وأدوات إدارة الحروب الحديثة سواء الباردة أو حتى الساخنة، وقد احتكر اليهود وسائل الإعلام العالمية بجميع أشكالها وأنشأوا منظمات وهيئات ذات مسميات خادعة تتخفى وراء الثقافة والعلم وحقوق الإنسان ليوجهوا الرأى العام العالميّ كيفما شاءوا، وواجب الإعلام الإسلاميّ إيقاظ الوعى الذى زيفه الإعلام الصهيونيّ وتبعيته وأنسياقه وراء الإعلام الغربى الذى تسيطر عليه الدعاية الصهيونية، والأفخاخ التى ينسجونها لأمتنا استعدوا للتحالف مع الشيطان من أجل القضاء على عدوهم الجديد، الإسلام؟!.. وإنّ الحرب اليوم بين الإسلام وأعدائه فى المقام الأول هى حرب إعلامية شرسة يقودها الإعلام الصهيونيّ والعلمانيّ، ولك أن تنظر إلى ألعاب الأطفال وأفلامهم والشخصيات الكرتونية التى تغرس كراهية العرب والإسلام فى نفوس أطفال الغرب ليشب الجيل القادم منهم كارهاً للعرب والإسلام محتقراً لهم، وفى نفوس أطفالنا الذلة والدونية.

– وأن حتمية الخروج العاجل بالإعلام الإسلامى من حيز المؤتمرات والدراسات ووضع الأسس والمفاهيم إلى مجال التطبيق والتنفيذ الفعليّ أمر لا يقبل الانتظار حيث إن مفهوم الإعلام أشمل من الدعوة، ولابد من التفريق بين الدعوة والإعلام، ليس بمعنى الانفصال ولكن يكون لكلٍ مجاله المحدد، فالدعوة تتعلق بالأعمال الدينية من عقائد وعبادات والتاريخ الإسلاميّ. أما الدعوة بمفهومها الواسع أى بمعنى ترسيخ مجموعة الأخلاق والقيم والمناهج التى جاء بها الإسلام ومفاهيمه التى تؤدى إلى العديد من الطرق منها القدوة والمعاملات، وهذا يكون إعلاماً إسلامياً أشمل وأرحب من الدعوة فقط عن طريق وسائل الاعلام المختلفة.

– ويجب أن يتنبه الإعلام الإسلاميّ إلى الظروف التى تفرض عليه التبعية من استخدام المصطلحات الإعلامية الغربية التى تشارك فى تزييف الوعى لدينا بدلاً من تنميته، نظراً لتلقى الأخبار والمعلومات من وكلاء ومن مندوبين أجانب، وعلى سبيل المثال فإن مصطلح – الأصولية – فى مفهومها الغربيّ تعنى – حركة جمودٍ ورجعيةٍ تنظر إلى النصوص بحرفيةٍ وتعادى العلم والعقل،

بينما الأصولية والأصوليون في فكرنا هم أهل الاجتهاد والتجديد، فهى عندنا شرف نتطلع إليه، وعندهم سبة ولعنة يوصف بها التيار الإسلامىّ، والسلفية والسلف هو الماضى فكل إنسانٍ لابد أن يكون سلفياً يستلهم من ماضيه ما يعينه على مستقبله وعندهم يقصدون بها الرجعية، «التنوير» وهو يعنى إقامة قطيعة معرفية مع الثقافة الموروثة وخاصة الدينية وهو ما حدث فى الغرب فى القرن السابع عشر بسبب موقف الكنيسة هناك المتعنت ضدهم ، «الإنسانية» ويقصد بها اعتبار الإنسان مكتفياً بذاته، وليس فى حاجةٍ إلى خالق يوجهه، لأن مرجعه إنسانيته وذاته فقط، وهو مصطلح يخفى وراءه عزل السماء عن الأرض.

– وعلى هذا وجب على الإعلام الإسلامىّ أن يتميز بأستقلاله وإلا سنكون مضطرين أن نظل على تبعيتنا نتلقى المفاهيم والمضامين الخادعة والمزيفة والمسميات التى ينعتنا بها ويطلقها علينا بخبثٍ الإعلام الغربىّ الذى يسيطر عليه الإعلام الصهيونىّ الذى يهدف إلى تكوين قوالب سابقة من الرفض والنفور من الرأى العام العالمىّ قبل المسلمين، ويستثمر ذلك العلمانيون فيستخدمونها لإرهابِ المسلمين الملتزمين وخداع عامة الناس بأن تلك المصطلحات والمسميات مرادفة للإرهاب. رغم أنها شرف وليست سبةً.

إنَّ واجب الإعلام الإسلامىّ وعلماء المسلمين أن يقدموا فهماً بين الحياة فى حضارة العصر والمحافظة على الدين الإسلامىّ، وأن يقدموا للغرب الصورة الصحيحة للإسلام بعد أن تعرضت هذه الصورة للتشويه والتحيز والتجنى، وواقع الأمر أن ليس كل ما لدى الغرب يتصف بالكمال. وليس كل ما يصدر عن المسلمين متفقاً مع تعاليم الإسلام، ولابد من إعادة النظر فى تفسير النصوص التى تحدد العلاقات الاجتماعية بين الناس فى الإسلام، وعلى علماء المسلمين أن يبحثوا لاستخراج النصوص والوثائق الصحيحة التى تؤكد عمق الفكر الإسلامىّ فى حقوق الإنسان للتعريف بها والإفادة منها فى تطوير مفاهيم معاصرةٍ واستدعاء التراث الإسلامىّ العريق فى حقوق الإنسان وشرحه ليكون مادةً أصيلةً للأجيال مستمداً من القرآن والسنة النبوية الصحيحة وسيرة الخلفاء والصحابة والأخيار من الأمة.

– إنَّ الإعلام الإسلامىّ هو فرضٌ وجهادٌ فلم تكن الفتوحات الاسلامية

فى عصور الإسلام الأولى إلا من أجل حرية الإعلام بدين الله وتوصيل كلمته سبحانه وتعالى للناس كافةً، ولم تكن مهمة الفتوحات أن تجعل الناس مسلمين فكما قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِى الـدِّينِ﴾ «سورة البقرة. آية ٢٥٦». وبما أن الرسول (ﷺ) هو خاتم الرسل فمن واجب الإعلام القيام بهذه المهمة المقدسة، وتوصيل الرسالة الحقة للناس وإن لم نفعل لم نؤد حق الله علينا وخلافته لنا فى الأرض، إن الاجتهاد فى استنباط الأحكام ونشر الدعوة هو فرض من فروض الإسلام على المسلمين فى كل زمانٍ ومكانٍ، والاجتهاد فى حق العلماء على ثلاثة أنواع «فرض عين - وفرض كفاية - وندب». وهنا نذكر قول الإمام الغزالى: «أن أشد الخلق تعرضاً للفتن العلماء لأن بعضهم لا يبعثهم على نشر علمهم بين الناس إلا طلب الحمد والثناء والظهور، والشيطان يلبس عليهم فى أغراضهم أكثر مما يلبس على غيرهم»، وواجبنا الحذر من هؤلاء البعض الذين يسدون باب الاجتهاد ويرفعون رايته. والإمام «ابن تيمية» -رحمه الله - أحد مجتهدى الحنابلة فى عصره حمل على المبالغين والمعطلين لآيات الاجتهاد والذى جعل الناس يبتعدون عن الشريعة - الكتاب والسنة - وكذلك «ابن القيم» - رحمه الله - قد أبطل قول الذين يسدون باب الاجتهاد وقالوا:- «لم يبق فى الأرضِ عالم من الأعصار المتقدمة وأن الأرض قد خلت من قائم لله بحجةٍ ولم يبق من يتكلم بالعلم.. إنَّ خلو العصر من مجتهدٍ لا يجوز إلا عند ظهور أشراط الساعة وأنها لا تقوم إلا على شرار الناس». يقول «الرسول» (ﷺ):- إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل.. فمتى وجدت القدرات والإمكانيات وجب الاجتهاد والاستنباط والقول بانقطاع الاجتهاد أو سدّ بابه يخالف طبيعة التشريع الإسلامىّ المستمرة الشاملة الخالدة.

إنَّ الإعلام الإسلامىّ يجب أن يتصدى لما يتعرض له أبناء الأمة الإسلامية من هجومٍ فكرىّ منظمٍ من أبواق المستشرقين والذين معهم من - المستغربين - يزعمون بأن السبيل الوحيد المتاح لهم لنجاة سفينة عقيدتهم الغارقة فى بحار التخلف هو سرعة اقتباسهم لقيم وأساليب وفكر الحضارة الغربية شكلاً ومضموناً لاسيما وأن الإسلام وفقاً لرأيهم دين جامد ولم يعد مسايراً لروح العصر.

- ولقد أجمع علماء التجديد على ضرورة الانفتاح على الحضارة الغربية لنأخذ منها العلوم الطبيعية والمعارف والحقائق التى لا تختلف باختلاف العقائد، والفلسفات مع ضرورة تميُّز حضارتنا بالجمع بين الروح والمادة أو الدين والدنيا ورفض الطابع المادىّ البحت للحضارة الغربية، أى أن أعلام التجديد رفضوا العزلة والانغلاق كما رفضوا التبعية والتقليد والذوبان وفقدان الهوية.. لقد دعا المجددون إلى التتلمذ على الحضارة الغربية، لأن هذه العلوم هى التى سبق لسلفنا أن أخذوها عن اليونان وطوّروها ثم تتلمذ عليهم فيها الأوروبيون إبان نهضتهم وطوروها فهى مشترك إنسانى عام لا تختلف حقائقها وقوانينها باختلاف الديانات والمعتقدات. وعلى سبيل المثال «فرفاعة الطهطاوى» دعا إلى الأخذ عن أوروبا العلوم التى يقوم عليها تقدم الوطن، بينما وصف فلسفة الأوروبيين ونظرياتهم الوضعية وصفاً سلبياً فقال:- «ولهم فى الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية، وقال أنه لابد من الشرع أيضاً مع العقل والتجربة ولا عبرة بالنفوس القاصرة الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التى ركنوا إليها تحسيناً وتقبيحاً، وينبغى ألا يعتمد على ما لا يحسّنه العقل أو يقبّحه إلا إذا ورد فى الشرع فيحسّنه أو يقبّحه».

- ونفس الموقف تجده عند الإمام «محمد عبده» الذى قال:- إن هذه المدينة هى مدينة الملك مدينة الذهب والفضة مدينة الفخفخة والبذخ، مدينة الخداع والنفاق وحاكمها الأعلى هو الجنيه عند قوم، والليرة عند قوم آخرين، ولا دخل للإنجيل فى شىء من ذلك ودواء هذه المدينة هو الرجوع إلى الدين الذى كشف الطبيعة الإنسانية وعرفها إلى أربابها فى كل زمان».

- وهكذا فإن أصحاب منهج الإحياء والتجديد الدينىّ قد رفضوا التنوير الغربى الذى غالى فى تقديس العقل حتى جعلوه السلطان الأعلى، فكان شعار ذلك التنوير الوضعىّ المادىّ «لا سلطان على العقل إلا العقل» واعتبروا العقل هداية من الهدايات الأربع التى منحها الله تعالى للإنسان وهى العقل، والنقل، والتجربة، والوجدان، فإن أعلام هذا التيار التجديدىّ لا يختزلون سبل المعرفة فى العقل وحده لأنهم يرون أن العقل على عظمته هو ملكة من ملكات الإنسان. أى أنه نسبىّ الإدراك. وعندما تنتهى حدود القدرات العقلية يبدأ الإنسان

فيلتمس المعرفة والعلم من الوحىّ الإلهىّ أى من النقل والأدلة السمعية، هذه هى نظرية المعرفة الإسلامية التى تتمثل فى وسائل وسبل العقل والنقل والتجربة والبرهان، فإن أحوال الحياة الأخرى لا يمكن لعقلٍ بشرىّ أن يصل إليه وحده كما يقول الإمام «محمد عبده»، ونجد فى فكر التيار التجديدىّ مؤاخاةً بين آيات الله فى كتابه المسطور وآياته فى كتابه المنظور أى بين آيات الله فى الوحىّ وآياته فى الأنفس والزمان وبلور لنا فى هذه القضية عقلانية إسلامية مثمرة ترفض التقليد والجمود وأيضاً الغلو العقلانىّ الغربىّ الذى تنكر للدين وتنكر أن تكون معارف الوحىّ علماً حقيقياً ومعرفةً حقيقيةً.

- لقد وهب الله تعالى العقل للإنسان تشريفاً وتكريماً وهدايةً وهذا العطاء الكبير هبةٌ غالية منه سبحانه المعطى الوهاب، ومن الناس من يحاول أن يصرف العقل بعيداً عن مواطن العقل ويجره إلى مهابط الظلم ومدارك الظلمات يتصيدون أصحاب العقول الهوائية التى لا تراعى الحق والانصاف وتميل إلى الاجحاف والمهاترات، منقادةً بالاستهواء والاستخفاف واقعةً تحت قهر البغض والكراهية.. ولا يقوى على التصدى لهؤلاء سوى عقلٍ راجحٍ مبرأ من الأهواء لا يشكٍ ولا يعايشِ الأوهامِ والأباطيلِ وفقدانِ المنطق، ومثل هذا العقل له مسلماتٌ وبديهيات وثوابت ومرجعيات وحقائقٌ متمسكاً بما جاء فى شريعة الحق سبحانه وتعالى على لسان رسله وأنبيائه، ولا يخوض فى مجادلاتٍ وحواراتٍ عقيمةٍ غير هادفة تدفع إلى الصراع والمناطحة، لأنه يعلم أن هناكَ معايير للخطأ والصواب والحق والباطل وضوابط وآداب للجدل والحوار وحسم الأراء بالحق بعيداً عن الفوضى الفكرية والعبث بالعقول.

- ولقد طمس الله تعالى على بصيرة المضللين وأظهر خبث طويتهم ولؤم طباعهم فديننا قوىّ فى ذاته لا يقوى على مصارعته أحد، والزحف الإسلامىّا استطاع أن يهزم أكبر امبراطوريتين فى العالم إذ ذاك وهما الفرس والروم، واستطاعت حضارة الإسلام أن تستوعب هاتين الحضارتين وأن تقيم على أنقاضهما حضارةً إسلاميةً زاهرةً، ولن يستطيع أعداء الإسلام أن يوقفوا الصحوة الحديثة وإن حاولوا فى مخططهم الخبيث إلى ضرب الإسلام بيد أبنائه بأساليبهم الكثيرة مثل النيل من نصوصه عن طريق التأويل الفاسد أو نسبة ما

ليس من الدين إليه، وهى فى جملتها محاولاتٍ ساذجة لم تخفَ على حراس العقيدة وعلماء الإسلام، فردوا كيدهم إلى نحورهم وأفسدوا عليهم مرماهم وغاياتهم، ولقد مكن الله تعالى للمسلمين من أعدائهم حين وجد فيهم «صلاح الدين» وانتصاراته فى حطين، وكذلك «قطز» فى عين جالوت، وبعدهم أصبح المسلمين غثاء فنزع الله تعالى مهابتنا من قلوب أعدائنا وقذف فى قلوبنا حب الدنيا وصدق فينا قول «الرسول» (ﷺ).

– لقد دافع أديب روسيا الكبير «تولستوى» عن الإسلام عندما رأى سهام الظلم توجه إليه من كل جانب، ولقد كتب رأيه مؤكداً أنه قد أحب الإسلام وأحب رسوله (ﷺ) وأنهما معاً قد نالا تقديره واحترامه وإكباره، قال «تولستوى»:– لا ريب أن هذا النبى من كبار المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمةً جليلةً ويكفيه فخراً أنه هدى أمة بأكملها إلى نور الحق وجعلها تجنح إلى السلام وتكف عن سفكِ الدماءِ وتقديم الضحايا، ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقىّ والتقدم وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتى قوةً وحكمةً وعلماً ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال، وقد كتب إليه الإمام «محمد عبده» حينئذ يقول:–

– أيُّها الحكيم الجليل «مسيو تولستوى»:– لم نحظ بمعرفة شخصك، ولكننا لم نحرم التعارف مع روحك ، سطع علينا نور من أفكارك وأشرقت فى آفاقنا شموس من آرائك ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك، هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التى فطر الناس عليها ووفقك إلى الغاية التى حدى البشر إليها فأدركت أنّ الإنسان جاء هذا الوجود لينبت بالعلم ويثمر بالعمل، إلى قوله:– وإنا نسأل الله أن يمد فى حياتك ويحفظ عليك قواك ويفتح أبواب القلوب لفهم قولك ويسوق النفوس إلى التأسى بك فى عملك والسلام.

– وهكذا تخرج من حين لآخر بعض الأصوات الغربية الموضوعية المحايدة، وأن تحاول توضيح زيف الصورة الخاطئة عن الإسلام فى الإعلام الغربىّ.. فقد صدر أخيراً عن دار نشر – فيشر – فى فرانكفورت بألمانيا، كتاب «الإسلام والغرب بداية للحوار» ويقدم الكتاب تصحيحاً وتوضيحاً وافياً لمفاهيم خاطئة عن الإسلام . وألمانيا تعدُّ نقطة التقاء محورية ومهمة فى العالم الغربىِ لامتلاكها

مجموعة من أبرز مراكز البحوث والاستشراق فى أوروبا، وبما تضم جامعاتها من كوادر علمية معنية بدراسة الإسلام وصورته فى العالم الغربىّ، والكتاب يضم مقالات وأبحاثاً لخمسة عشر عالماً وأستاذاً وباحثاً من الجامعات ومراكز البحوث الالمانية المختلفة يهدفون - كل فى مجاله - إلى الإسهام فى تصحيح صورة الإسلام السلبية فى الغرب. كما يضم الكتاب الخطبة التى دعا فيها الرئيس الالمانى إلى البدء فى حوارٍ خلاقٍ وسليمٍ مع العالم الإسلامىّ عام ١٩٩٥م فى حفل تسليم جائزة السلام الألمانية للمستشرقة «انيمارى شيمل»، وهذا الكتاب مهم جداً لكل باحثٍ وكل مهتمٍ بهذا الموضوع.

وآخر ما وصل إلينا من كتب لهؤلاء العلماء الشرفاء كتاب - سيرة النبى محمد - ومؤلفة الكتاب بريطانية مجالها البحث فى تاريخ الأديان «كارين أرمسترونج» Karen Armstrong- قضت شقاً من حياتها راهبةً، يتضح من خلال كتاباتها المتعمقة أنها تؤمن بأن الديانات السماوية التوحيدية تحمل رسالة الحب والعدل والسعادة للإنسان هنا على الأرض وتحاول تصحيح المفاهيم ودحض الأساطير المختلفة والأحقاد والكراهية وما يتبناه الغرب إزاء - الآخر - الإسلام، وما تعتقد أنه رسالة الأديان السماوية أى القبول والمحبة والوفاق، وتحدد عداوة الغرب للإسلام فى الجهل والخوف على كيانهم وهويتهم، فبثوا سمومهم الكراهية وخاضوا الحروب الوحشية المدمرة ضد المسلمين والإسلام، أى أنهم نصروا تلك المخاوف والجهالات والأطماع وألبسوها لباس الدين، وبعد سيادة العقلانية ونهضة الغرب استمرت تلك الأساطير تحكم وجدانهم وتشكل توجهاتهم ومواقفهم، وإزاء الازدراء والكراهية والظلم من جانب الغرب للمسلمين كره المسلمون الغرب، وتحاول الكاتبة شرح ما يسمى بالأصولية الإسلامية من خلال هذا المفهوم. وأن امتهان الإسلام «ورسول» الإسلام (ﷺ) هو امتهان لعقيدة المسلمين وتاريخهم وقيمهم وأسلوب حياتهم ووجودهم. وتنتهى «ارمستروئج» بقولها:- أن محمداً (ﷺ) أتى بالإسلام والإسلام دينٍ سلام ووفاق وأنه لن يختفى أو يذوى أبداً، وأن بقاءه فى عنفوانه وقوته هو خير للبشرية لأنه يدعو كما دعا محمد (ﷺ) إلى إرساء قواعد الحب والعدل والسلام الإنسانىّ.

إننا نعدُّ «كارين ارمستروبخ» من مسلمات أهل الكتاب التى اكتشفت من خلال تحليلها لسماحة الإسلام وصحبة المسيحية كشفت عن روح كل منها فيما يتعلق بالعلاقة مع الآخر، كشفت عن ملمح التعددية فى الإسلام وملمح المحبة فى المسيحية وكلا الملمحين يؤكد التعايش والاندماج وليس الأحقاد والكراهية التى يروجون لها، وبهما أيضاً يمكن إجراء حوارٍ حقيقيٍ وموضوعيٍ بين المسيحية والإسلام ومد جسور المحبة بما يعزز الإيمان والأخوة فى الدين ومحبة الله، جزاها الله عنا كل خيرٍ.

أعمال وأفكار وأبحاث العلماء والمفكرين الشرفاء، تدحض نظريات الصدام والصراع التى قال بها بغض المفكرين الغربيين والتى تسعى إلى بعث التعصب الدينىّ وتقضى على المحبة والسلام بين الأمم.

العلاقات بين الإسلام والغرب عميقة الجذور وترتبط بأبعادٍ تاريخيةٍ شائكة تمثلت فى جانبين متعارضين، فمن ناحية اتسمت هذه العلاقة بالصراع كما اتسمت بالتفاعل الثقافىّ من ناحية أخرى، فقد استوعبت الحضارة الإسلامية التراث الإغريقىّ الذى يمثل لدى الغرب المعاصر تراثه الكلاسيكىّ، كما استوعب الغرب معطيات الحضارة الإسلامية، وقد تزامن نهوض إحدى الحضارتين مع إنحسار الحضارة الأخرى وبذلك استقر فى الوعى أن صعود إحدى الحضارتين مشروط بتراجع الحضارة الأخرى، وهذا يرتبط بفكرة صراع الحضارات التى عبر عنها بعض مفكرى الغرب مؤخراً بخاصة بين الإسلام والغرب فى ظل ما تبثه وسائل الإعلام من تشويه للإسلام من خلال الربط بين الإرهاب والإسلام فى حملة مغرضة تزعم أن الإسلام وراء كل عملٍ إرهابى أو أى أسلوب متخلف أو عجز عن مسايرة التقدم وتغفل عمداً التمييز بين الممارسات الإرهابية التى يقوم بها الزنادقة والمارقين المأجورين عن الاسلام، وبين الكفاح الوطنىّ ضد المحتلين والتى تستهدف تحرير الأوطان واستعادة الحقوق المغتصبة، وأن الاسلام لا يقرُّ الفساد فى الأرض، يقول الله تعالى فى سورة «المائدة» الآية «٣٢».

﴿أنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾.

وقد سماه الفقهاء المسلمون - الحرابة، فكل أعمال العنف تندرج فى إطار الإرهاب نبذه الإسلام ودعا إلى مكافحته والتصدى له لأنه دخيل على دين - الوسطية - ووسطية الإسلام تدعو للتوازن وترفض الكيل بمكيالين ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ «سورة البقرة. آية ١٤٣». وأن الوسطية فى الإسلام تتمثل فى التوازن بين المادة والروح والتوسط فى العبادات ورفض الغلو والبعد عن الإفراط والتفريط. وكل مظاهر التطرف والغلو فى الدين والانحراف عن التعاليم والقيم الدينية، أن الوسطية هى أبرز سمات المنهج الإسلامىّ الذى هو رسالة الرحمة والهداية للعالمين والاحترام المتبادل بين بنى البشر والعيش المشترك بين سكان هذا الكوكب.

- ولننظر إلى التطرف والأصولية فى عصر محاكم التفتيش فى أوروبا والذى كان أحد حكامها يعتقد أنه وحده على حق ويمتلك الحقيقة وإن الذى لا يقبل معتقده يقوم بحرقه!. أو البابا الذى كان يأمر بقتل كل سكان المدينة بعد احتلالها فى الحروب قائلاً:- اقتلوهم جميعاً لأن الله سيعرف أنصاره من أعدائه.

- وأجهزة الإعلام المأجورة تستخدم معايير مزدوجة فى معالجتها لقضية الإرهاب تثير الكثير من علامات الاستفهام. فأعمال الجيش الجمهورىّ الأيرلندىّ، والجيش الأحمر اليابانىّ، وكثيراً من هذه الحركات حول العالم لا تصفها أجهزة الإعلام الغربية بأنها حركات إرهابية، أما الكفاح الوطنىّ العربىّ فإنه إرهاب يؤذى!، موقف منحاز فى الغرب يعادى الإسلام ويهدف إلى تشويهه بدون مبرر إلا تخويف شعوب الغرب من الإسلام والذى يطلقون عليه الآن - إسلامفوبيا - كلمة جديدة فى مصطلح اللغة الإنجليزية وقد أسهمت الصهيونية العالمية فى الترويج لهذا التشويه المتعمد والذى يخلط بين أعمال بعض المارقين عن الإسلام والدين الإسلامىّ ذاته، والعمل على إظهاره عدواً بديلاً بعد سقوط الشيوعية، وهذه الحملات الإعلامية المغرضة تمهد لموجة من التصفية المعنوية والمادية للعالم الإسلامىّ الذى يعدونه العدو البديل. وظاهرة العنف والإرهاب تحظى باهتمام خاصٍ فى وسائل الإعلام ومراكز الأبحاث والقرار فى المجتمعات الغربية وتعتبر هذه الظاهرة مناوئةً لمنظومة القيم الغربية وتهدد كيانه لذلك تدمغ الاسلام بالتطرف والعنف.

أما الذين يحركون الإرهاب يبغون الدمار الشامل للجميع لتسيطر قوى أجنبية لا تريد خيراً للإسلام ولا للعرب يستخدمون جماعات مرتزقة مخدوعة فيها بينما هي مجرد أدوات، فقد صار الإرهاب مثل الحصار على الدول – من أسلحة العصر – تستخدمه الدول ضد مجتمعات أخرى بديلاً عن التدخل العسكريّ الذى أصبحت له موانعه وقيوده بهدف تركيع الأمة الإسلامية واحتوائها والسيطرة على مواردها وخيراتها ومقدراتها وعلي المسلمين والعرب أجمعين.

– التنبيه للوعى بالتعاليم الإسلامية والقيم العربية يمكن أن تعصمنا من طوفان العالمية ومؤسساتها، التى تلعب دوراً مغايراً لما يجب أن تكون عليه ووضع منظومة متكاملة للمواجهة مع الارهاب والذين يحركوا على أسسٍ علمية تستثمر وتستفيد من الإمكانات المتاحة وأولها البشر، يجب أن تستنفر الأمة كل قواها وقدراتها وتتحرك إيجابياً فى مواجهة ما يحدث لها فتحدد رؤيتها وأهدافها فى حركةٍ شاملة ونشيطةٍ ترتكز إلى ما يجرى من حولنا من غزوٍ ثقافيّ، وتصدير الإرهاب إلينا أشد أسلحةَ التدمير الشامل مثل القنابل النووية والحرب الكيماوية، لما يسببه من قتلٍ عشوائيّ وتشريدٍ وتجويعٍ وإهدارٍ للطاقات ووقف للتنمية، من أجل هذا يجب أن تتحرك الأمة العربية التى تتعرض إلى كل هذا الذل والهوان، والتى تستهدفها مؤامرة التركيع بالحصار والارهاب والتفتيت والإيقاع بين البلاد العربية وزرع الشقاق بينها، ويجب ألاّ ننتظر حتى نجد أنفسنا مهمشين تابعين، بلا حول ولا قوة، وهذه ليست مهمة الحكومات وحدها، ولكن أيضاً مهمة المفكرين والمثقفين والمنظمات والاتحادات والمؤسات العربية الأهلية، يردونٍ على الذين خاصموا الإسلام وانشغلوا بمعاداته والتطاول عليه، وهو دين متربع على عرش العقائد والأديان بتعاليمه وتشريعاته وسموه وكماله ولن يستطيعوا ولو اجتمعوا أنَ يحجبوا ومضةً من ضيائه الإلهيّ الباهر أو كما قال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ**﴾ «سورة الصف. آية ٨». تصوير رائع من ربّ العالمين. فهيهات هيهات أن يؤثر هذا النفس الضئيل فى ذلك النور الإلهيّ اللانهائى، إنهم يقومون فى ساحة الفكر والرأى ببلبلة وإثارة واضطراب وتهييج وجلبة، يهاجمون الثوابت والمرجعيات والحقائق ممثلة فى الإسلام الذى أستقر عقيدةً وعلماً وواقعاً وتاريخاً، والشاهد على أنهم عابثون.

- وبرغم الحقائق المعلومة ومؤلفات العلماء الشرفاء منهم، فما زال الحاقدون فى غيِّهم يواصلون عداءهم للإسلام ويصرون على أنه دين التخلف والظلم والإرهاب رغم دراسات الباحثين المنصفين المنشورة، والتى تجمع على أنه دين الرحمة والسلام والعدل والعلم والذين حددوا أثر التراث العربىّ الاسلامىّ فى الحضارة الإنسانية، وأن ترجمة التراث العربىّ الإسلامىّ إلى اللاتينية وغيرها ساعدت فى إحياء عصر النهضة الأوروبية وكان لإحياء تراث السلف المزدهر أثر فى النهضة الروحية والتعليمية عند الغرب، وأدت الاستعانة بإحياء التراث الإسلامىّ إلى الإسهام فى مواجهة مشكلات الحضارة المادية الوافدة من الشرق والغرب مثل التيارات الشرسة لمناهضة الإسلام والعرب والقيم الروحية وعلى هذا، وجب على المسلمين جمع أمرهم على إحياء التراث الفكرى الإسلامىّ والتعاون تعاوناً مبنياً على أسسٍ علميةٍ على جمع التراث وصيانته بالطرق العلمية الحديثة، من برّديات وكتب إلخ، لإحياء التراث الإسلامىّ، ومن المعروف أن الظروف التى مرت بتاريخ الأمة العربية الإسلامية كانت سبباً فى إحراق كثيرٍ من مخطوطات تراث الحضارة الإسلامية وضياع كثيرٍ من عيونها، وقد تمّ نقل أحسن ما بقى من مخطوطات تراث الحضارة الإسلامية إلى القسطنطينية أثناء الحكم العثمانىّ لبعض الأقطار العربية ثم جاء الاستعمار الأوروبى فنهب ما بقى بعد ذلك من أمهات التراث وخير ذخائره، ويقدّر الخبراء أن عدد ما بقى من مخطوطات التراث العربى الإسلامىّ المبعثرة فى شتىّ أنحاء العالم يصل إلى حوالى مليونى مجلدٍ.

- إنّ القوى الامبريالية استنزفتنا حضارياً ومادياً وبشرياً تضخيماً لثرواتهم وإفقاراً وإضعافاً لنا واستقواءً علينا، بما استنزفوه حتى نظل دائماً نهباً لهم. ففى الماضى كانوا كثيراً ما يلجأون إلى العمليات العسكرية لضمان استنزافهم إيانا، أما الآن فقد كفاهم الغزو الثقافىّ مئونة لهذه العمليات.. ففى عصر - الكوكبة أو - الأمركة - التى تسعى إلى الهيمنة على العالم كله، تستنزف العقول خدمةً للإنسانية عبر شبكات الإنترنت دائمة التغير دائبة الامتداد حول العالم والمفروض علينا اعتبار هذا مثلاً أعلى وقدوةً تحتذى راضين بالهوان وبأن تدهسنا الأقدام كما دهستنا فى الماضى.

«العولمة Globalistion»

انتشر هذا المصطلح منذ أوائل التسعينات بعد سقوط وتفكك الشيوعية أو النظام الشيوعىّ، ففى علم الاقتصاد التقليدىّ المعاصر يشير المصطلح إلى تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة بسيادة نظام إجتماعى واحد فى العالم كله تقريباً، غير أنَّ هذا التشابك المتزايد على مستوى العالم كله بين منظومتى الاقتصاد والإعلام المرئىّ والناطق بالصورة المتحركة ونقل المعرفة أدى إلى ظهور ما يسميه علماء الثقافة وفلاسفة المعرفة الآن: «التنميط» أو «التوحيد الثقافىّ» للعالم كله الذين يرون أن هذا التنميط الثقافىّ للعالم يتم باستغلال ثورة وشبكة الاتصالات العالمية الجبارة لنقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال ويعكس تصور صناع العولمة المستفيدين منها فى أن يتماثل البناء الثقافىّ للإنسانية مع البناء الاقتصادىّ المعلوماتى للعالم.

- ويجب التنبيه إلى الدلالات السلبية لهذا التصور. فالعولمة لم تكتمل ولم تستقر بعد على شكلٍ نهائىّ، ومن جانب آخر فإنَّ الثقافات القومية تتفاعل مع حضارات العالم الكبرى فى إطار حضارتها المتمايزة والحضارة التكنولوجية العالمية فى آنٍ واحد، فإن تلك الثقافات تتمايز وهى تتفاعل أيضاً وتواصل تمايزها واحتفاظ كلٍ منها بخصائصها الجوهرية تماماً كما حدث للأديانِ العالميةِ واللغاتِ العالمية عبر التاريخ، وعملية العولمةِ لا يمكن لها تسريح قيم خلقية وسلوكيةِ وجمالية وعقلية أو ذهنية منهجية ومعرفية لترسيخ عولمة لم تكتمل ولم تستقر بعد، تدفع الثقافات نحو توحيد دون النظر إلى التمايز وإبقاء خصوصيات تلك الثقافات فى إطارٍ من التفاعل الإيجابى وحسها على التخلص تدريجياً من آثار التاريخ السيئة المتمثلة فى التعصب والاستعلاء وإزدراء الثقافات الأخرى وأصحابها والعداء لكل ما هو آخر أو مختلف. وهذه سلبيات وصفات العولمة.

- العولمة تفرض بغطرسة شديدة قوالبها ونظمها وأطروحتها على بقية دول العالم بصورةٍ فجة. وينظر البعض فى العالم الإسلامىّ لما يحدث الآن فى العالم على أنه امتداد للحروب الصليبية والاستعمار - المقنع - وينظر البعض الآخر للعولمة فى حد ذاتها ليست شيئاً مكروهاً وعلى العالم الإسلامىّ أن يغتنم

الفرصة المتاحة للتكنولوجيا الحديثة وسهولة الحصول عليها عن طريق شبكة الإنترنت أو بالوسائل السمعية والبصرية الأخرى.

– وعلى أية حالٍ فإن كل ما يكتب ويقال حالياً فى العالم الإسلامىّ حول موقف الغرب من الإسلام لن يحقق تقدماً فى العلاقة بين الجانبين حيث إنها تأتى بنتيجةٍ عكسيةٍ فى الغرب، لأنها لا تراعى الخلفية الثقافية والتاريخية والاجتماعية والدينية لعقل الغربىّ ولا تضع فى الاعتبار أساليب تفكيره.

– والغرب وإذا كان قد انتصر على الشيوعية. إلا أن هناك تناقضات ومشاكل فى مجتمعه وأزمات داخلية فيه تزداد حدتها باستمرار مثل مشكلة الادمان وانتشارها وتفكك الأسرة وهى ظاهرة مفزعة وازدياد معدلات الجريمة وارقامها مفزعة أيضاً، وهذه نتائج لأسلوبٍ خاطئٍ فى التفكير ساد المجتمعات الغربية منذ عصر التنوير، وهو إعمال العقل فى كل شيءٍ وإرجاع كل شيءٍ فى هذا الكون للعقل – انظر مؤلفات فريدريك نيتشه –، لذلك يرى الكثير من عقلائهم فى الإسلام بديلاً إيجابياً قائماً وموجوداً يسعون للاعتراف به بصفته دواءً وعلاجاً جاهزاً لظاهرة فشل الحضارة الغربية، ويمكن للمجتمعات الغربية أن تحاول ابتلاع هذا الدواء المر لعلاج السلبيات الاجتماعية والأخلاقية فيها، ولا بصفته يعنى ذلك بالضرورة إنهيارها وتخلفها فالانجازات التى تحققت لن تتأثر.

– فهل يدرك الغرب إن انتقال القيادة من المسلمين إليهم لم يكن فى الحقيقة نصراً لهم، ولكنه تسليط سياط تجردها الأقدار الإلهية على ظهور أولئك الذين كان لابد أن يتلقوا التربية والتأديب من الله عزّ وجلّ، لما قد فرط منهم.

– المقومات المادية لعودة مجد وحضارة الإسلام متوافرة فى أيدى هذه الأمة، بل تحت أقدامها أيضاً وأنها لتمتلك من هذه المقومات أكثر مما تمتلكه أى أمةٍ أخرى فى هذا العصر فقد ملكها الله تعالى ما فى بطن أرضها من كنوزٍ مدخرة، وما على ظاهرها من خيراتٍ منتشرةٍ، فإن هم أرادوا حقاً عوداً حميداً إلى أمجادهم الحضارية الغابرة وجب وجود الرغبة الصادقة فى النهوض بها والقضاء على التجزء وأسبابه والفرق الذى يقصينا عن أهدافنا ويجعل العدو يستهين بنا ونحن كثرة وأن يتجرأ علينا ونحن إذا اجتمعنا أشداء.

والأهم من كل ذلك تزكية النفوس وهو الشرط الأساسىّ لتحمل الإنسان مسئولياته الحضارية بصدقٍ وجدٍ، فبمقدار ما تتزكى النفس وتصفو من كدورات الأهواء والرعونات يخلص صاحبها فى تحمل كل ما يجب أن يتحمله فى سبيل قضاياه.

– وكذلك يجب أن يكون لدينا دعاة على مستوى هذه المهمة الكبرى – لتبليغ الرسالة وتأدية الأمانة التى بدأتها البعثة المحمدية، كما أرادها الله عزَّ وجلَّ، دعاة يعلمون أن هناك قدراً مشتركاً من التراث الدينىّ العام بين الأديان السماوية، وما تمثله الأديان من أهدافٍ إنسانيةٍ نبيلةٍ يمثل وحدة وقاية كافيةً لتحقيق المثل الإنسانية المنشودة وانسجاماً روحياً بدلاً من الصراع والحروب وفرض الأيديولوجيات، بل احترام الانسان لذاته واحترام ثقافة الآخرين ومعتقداتهم.

– وكذلك نتوجه إلى مفكرينا وبعض علمائنا الذين اتجهوا إلى تنظير الإسلام فى دعواهم وأقوالهم وكتاباتهم، أى عرض الإسلام كنظرية فى شأنٍ من شئون الحياة والمجتمع والتى نتج عنها عرض مفاهيم إسلامية متنوعة وقد تكون متباينة للنصوص والتوجيهات الإسلامية ونقول أن التنظير آفة ظهرت لدى المفكرين الوضعيين فى محاولة وضع نظريات عامة لنواحى الحياة الإنسانية مع أن الإسلام أكبر فى ذاته وفى غاياته ويختلف فى طبيعته ومقاصده عن كل تفكير وضعى، فالاسلام عقيدة دينية ونظام إلهىٌّ للإنسانية كلها كامل ودائم ولا يصح عرض الدين لنظريات منفصلة ولكن كل إصلاحٍ يكون على هدى الدين، فالبشرية الآن فى أمس الحاجة إلى الأيديولوجية الإسلامية التى تعكس حضارة الإنسان حيث أن حضارة الغرب المعاصر هى حضارة الإنسان المتضائل الذى يعانى الأرق والقلق، ولابد من العودة إلى توازن الإسلام واعتداله وعدالته مع الآخرين وهو الأقدر على تقديم الحلول الشافية لكل المشكلات، التى تؤرّق العقل ويحمل المنهج لكل القيم النبيلة لخدمة المجتمع الإنسانىّ وترشيده فى إطارٍ من التصور الإسلامى المستمد من القرآن والسنة النبوية.

«الدعوة والدعاة مرة أخرى»

الحديث سالف الذكر يعود بنا إلى موضوع هذا الكتاب وهدفه الأساسى ونتساءل، أين الدعاة الذين يستطيعون نشر الدعوة التى يدين بها أكثر من مليار مسلم حول العالم ليشاركنا غيرنا عدالة هذا الدين وسماحته؟

- الحقيقة التى نرفض الاعتراف بها أننا لدينا دعاة غير متسامحين يكرهون غير المسلم، لا يريدون أن يشاركنا غيرنا الرحمة المهداة والمنهج القيِّم لهذا الدين، وتزدحم أدبياتنا الدينية المعاصرة بكل ما هو مشين بحق الآخرين من أهل الكتاب، كذلك فى بعض خطب الجمعة يدعون عليهم بالذل والمسكنة!، فلا عجب إذن بعد كل هذه الروح العدائية المنتشرة فى مجتمعاتنا ضد أهل الكتاب، أن يعادونا ويختلقون الأكاذيب ضدنا ويروجون العدواة والبغضاء ضد الإسلام. النزاهة والتجرد يجب أن تكون سعى الفقيه وهمه فى إظهار الحق مع كائنا من كان ومنصفاً مع كل مخالفٍ فى الرأى أو العقيدة أميناً فى حكمه ولا ينسبه إلى الله ورسوله بغير حقٍ ويقول قوله هو الصحيح ولا يصح غيره، ولكن يقول هذا حكمي أو هذا مبلغ فهمى والله أعلم. وأن سعة الصدر والتأدب مع المخالفين ضرورةٌ أخلاقيةٌ ودينيةٌ، وكذلك فإن الفقيه الذى يعادى أهل الكتاب دعوته جاهلة بنواميس الكون وأسرار التشريع. فتعدد الأديان واختلافها مقصود ربانىٌ وناموس كونىٌ، ولو شاء الله لجعل الناس أمةً واحدةً، لكن الله عدد الأديان ونوعها حتى تتسع المدارك وتنفتح الآفاق وتتعدد الآراء فتكون بها السعة والرحمة، إن الخلاف مع أهل الكتاب أثمر عن كنزٍ هائلٍ وتراثٍ ضخمٍ من مناهج البحث والاستدلال من قبل علمائنا الأفذاذ رحمهم الله، ونضرب مثلاً على ما نقول من الكتاب الذى بين أيدينا الآن للدكتور «البوطى» كبرى اليقينيات الكونية - وجود الخالق ووظيفة المخلوق يشرح فضيلته وحدة الأديان ومصدرها ويقول فى صفحة ٧٠ :-

«بل أنك إذا تتبعت آيات القرآن الكريم لاحظت أن اسم الإسلام كان هو الاسم القديم والدائم لهذه العقيدة، تأمل مثلاً قوله تعالى فى سورة «آل عمران» الآية «٥٢» : **﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**.. وأيضاً الآية «٦٧»، من نفس السورة: **﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**.

ومن هنا يتبين لك أن الدين الحق واحدٌ لم يتعدد وإن كلمة «الأديان السماوية»، التي يتكرر على ألسنة عوام الناس اليوم لكلمة خاطئة فليس ثمة إلا دين حق سماوى واحد تعاقبت الأنبياء والرسل على الدعوة إليه والبعثة به، وإن الذى تطور وتغير مع الزمن وعن طريق بعثة الرسل والأنبياء إنما هو التشريع على اختلافه من عبادات وغيرها، والحكمة فى ذلك أن التشريع إنما هو إقامة الأحكام التى يتوخى فيها تنظيم حياة المجتمع والفرد، إذ أن فكرة التشريع من أساسها قائمة على ما تقتضيه مصالح العباد فى دنياهم وآخرتهم، وهذه المصالح كثيراً ما تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، والخلاصة أن بعثة كل رسولٍ تتضمن عقيدةً وتشريعاً. فأما العقيدة فعمله بالنسبة لها ليس سوى تأكيد نفس العقيدة التى بعث بها مَنْ قبله دون أى تخالف أو تغير. وأما التشريع فإن شريعة كل رسولٍ ناسخةٍ للشريعة السابقة إلا ما أيده التشريع المتأخر أو سكت عنه وصدق الله العظيم القائل:- ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ، وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ «آل عمران آية ١٩».

ويقول الدكتور «البوطى» فى صفحة ١٩٩ :- لابد من الإيمان بالكتب التى بعث الرسل بها إلى أقوامهم وجماعتهم، نؤمن بها إجمالاً، بالنسبة لما لم يأت فيه تفصيل وذكر أسماء، ونؤمن بها تفصيلاً بالنسبة لما ورد تفصيل فى شأنه كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف التى أنزلت على بعض الرسل كإبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومعنى الإيمان بها الاعتقاد بأنها وحىٌ من الله للأقوام الذين أرسل الله إليهم الرسل الذين بعثوا بها.

- وإلى هنا نحن نتفق مع الدكتور «البوطى» حيث أنه فسر لنا الآية «١٩» من سورة «آل عمران» ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وبناء على هذا التفسير فأن الدين الذى ارتضاه الله تعالى لجميع البشر سماه الله الإسلام، أما اليهودية والمسيحية فهى أسماء سماها أصحابها وكل من أخلص دينه لله فهو مسلم، لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ «سورة آل عمران. آية ٨٥» ولك أن تقرأ سورة «آل عمران» الآيات «٨١ إلى ٨٥»، وأيضاً «الشورى آية١٣»، لكى تتضح لك الصورة.. ثم يعود الدكتور «البوطى» إلى مسيرة ما اتبع بعض السلف فى إنكار ونسخ عقيدة الآخرين، ويقول:-

وهذا لا يستلزم الاعتقاد بأن مسمى هذه الكتب اليوم لا يزال حقاً من عند الله بل الواقع اليقيني أن التبديل والتحريف قد شاع في كلٍّ منهما «التوراة والانجيل» مع تطاول الزّمن، إلى قوله:- والخلاصة أن معنى ضرورة الإيمان بالكتب السماوية أنها كتب موحى بها في الأصل من الله، وأنها تحتوى على عقيدة التوحيد الخالص الباقية مدى الدهر، كما تحتوى أحكاماً تشريعية قلت أو كثرت، ولكن معظمها منسوخ بما قد جاء بعدها. إن شريعة خاتم الأنبياء «محمد» (ﷺ) ناسخةً لجميع الشرائع السماوية السابقة. وقد وقع الخلاف عند علماء التشريع، فبعضهم قال:- إن شرع من قبلنا يعتبر شرعاً لما ما لم يرد ما ينسخه، والبعض قال:- هو ليس شرعاً لنا مطلقاً، إذ إن مجرد بعثة سيدنا «محمد» (ﷺ) يعتبر نسخاً لمجموع الشرائع السابقة. ومكان تحقيق هذه المسألة علم أصول الفقه فلن نطيل البحث فيها هنا، ومن هنا صح لك أن تقول «الشرائع السماوية» لتعددها وإختلافها، ولا يصح لك أن تقول «الأديان السماوية» لعدم تعددها أو تخالفها، إلا إذا أطلقت الدين على الشريعة مجازاً.

هكذا فهناك خلاف عند علماء التشريع، ولكننا نسخنا عقائد الذين من قبلنا على أى حالٍ؟!. وبجرة قلم ذهبت عبادتهم هباء الريح، وما تبقى لدعاتنا إلا أن ينصحوا أهلَ الكتاب باغلاق دور عبادتهم ويتركوا ملتهم ويعتنقوا ملتنا أو يتبوءوا مقعدهم من النار، حيث يقول الدكتور فى صفحة ٣٦١ :-

«غير أن الذين يستقرون خالدين فى عذاب الله إنما هم الكافرون بمختلف فئاتهم وأضرابهم، من مشركين وملاحدة وأهل كتاب ممن لم يؤمنوا بنبوة الأنبياء كلهم» ويقول:- حاذر أن تطوف بذهنك تلك اللوثة التى يعاني منها بعض الجهال والمنافقين ممن يزعمون أن أهل الكتاب مؤمنون، وأنهم فئة أخرى غير الكفار، فلا يعاقبون عقابهم ولا يخلدون فى النار خلودهم فإن هذا الزعم تحدٍ صارخٍ لقول الله تعالى فى «سورة البينة الآية ٦»:-

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ، أُوْلَٓئِكَ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ ونعتقد والله أعلم أن الذين تتحدث عنهم هذه الآية الكريمة هم اليهود أو النصارى الذين ولدوا على هذه الملة ولا يؤمنون بها، ونستند فى قولنا إلى قول الله تعالى فى «سورة آل عمران الآيات ١١٣ إلى ١١٥»:-

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَآءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

– فكيف نكيل لأهل الكتاب بمكيالين نرى فى القرآن الكريم ما يكفرهم ولا نرى رحمة الله بهم؟ ثم كيف يجرؤ الداعى إلى دين الله أن يزكى أو يكفر قوماً قال الله تعالى أنه هو سبحانه سوف يفصل بينهم؟. يقول عزَّ وجلَّ فى سورة «الحج الآية ١٧»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. وانظر أيضاً الآية «٦٢ من سورة البقرة».

– إذن لم يأمرنا الله أن نفصل أو نحاسب أو نكفر أحداً من أهل الكتاب أو غيرهم ولكن قال لنا سبحانه إن هذه مهمة الإلهية ليست موكلة إلينا وإن قلوب الناس ملك لله تعالى وبعض دعاتنا يملى على الناس عقيدته وما علم أن العقائد لا تغرس بالسياط ولا تسقى بالقوة ولكن تتشربها القلوب بقناعة ولطف، وقد صدق الدكتور «البوطى» حين قال:– أن أمر هذا الدين ليس بيد مشايخه، فإذا أعجبهم شيئاً منه دعموا الأحاديث الواردة فيه وإذا لم يعجبهم أغلقوا طريق النقاش فيه بالتضعيف أو الإنكار أو ادعاء الوضع أو النسخ، وانظر أخى القارئ كيف يكيل علماؤنا بمكيالين يقول «ابن عربى» وغيره وينصح بأن لا نتمسك باحتمال نسوغ به تكفيرهم ويقول:– ومن المعلوم أنك لو عشت العمر كله لا تقول عن الكافر المتيقن كفره: كافر لم يؤاخذك الله يوم القيامة على ذلك، وإنك لو أطلقت الكفر مرةً واحدةً فى حياتك على مَنْ هو عند الله غير كافر، عرَّضت نفسك للعقاب العظيم من الله، إلى قوله:– فهذا يكفيك فى أداء أمانة العلم والدين ويكفى الناس فى التنبه إلى الحق وما كلفك الله بأكثر من ذلك، وينصح الدكتور بعدم قراءة كتب الشيخ «ابن عربى» «الفتوحات المكية– ونصوص الحكم» فأين نحن من تطبيق قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ، وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ، اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. وَاتَّقُواْ اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ «المائدة آية ٨».

وقد جاء فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/٧/٣ عن مؤتمرٍ دولىٍّ أقيم فى كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الازهر، دعا المؤتمر جميع العاملين فى حقل الترجمة بالتزام الموضوعية **واحترام الأديانِ السماوية** والثوابت الشرعية عند القيام بالترجمة بحيث تكون هذه المهمة وسيلةً للتقريب بين الحضارات والثقافات المختلفة وما أكثر المؤتمرات والتوصيات التى تصدر عنها فى الحوار مع أهل الكتاب، فمن أى منطلقٍ نتحاور معهم؟ تكفرهم ام احترام عقائدهم؟. وقد كان فى النيه أن نتوجه بهذا السؤال إلى فضيلة الداعية الإسلامىّ الكبير الشيخ «محمد متولى الشعراوى» ونعرض على فضيلته كتابنا هذا، ولكنه توفى فى ١٩٩٨/٦/١٧ ، كان رحمه الله إمام العلماء وسيد الفقهاء وأبلغ البلغاء، وكلمته فصل الخطاب كان العارف بالله عملاق عرف الله حق المعرفة، فعرفه الله بسر الفيض وجمال الاشراق وبديع الإلهام. علم من أعلام الإسلام فى العصر الحديث، فلكل عصرٍ مجددٍ وكان فضيلته مجدد هذا العصر. أستاذاً متفرداً بمنهجه الخاص فىّ الدعوةَ إلى الله عزّ وجلّ، يجمع علماء الدين ورجال الفكر الإسلامىّ على أن الإنجاز الحقيقى للإمام ليس مجرد تفسير القرآن الكريم. فقبله قد توافرت للأمة عدة تفاسير لكتاب الله. ولكن الانجاز الفعلى له هو نجاحه فى تصحيح تعامل الناس مع القرآن وقدرته الهائلة على تبسط معانيه، وتقريبها إلى عقول العامة وقلوبهم بطريقته المبسطة فى الشرح وأسلوبه المتميز فى الإلقاء، وإنه كان بحق إمام الدعاة وشيخ المفسرين مثّل نقلةً فكريةً فى هذا العصر، علّم المثقف كيف يفكر إسّلامياً وعلم المفكر الإسلامى كيف يعتمد فى خطابه الثقافىّ على القرآن والسنة. وسوف نظل دائماً طلاباً فى محراب علمه بعد رحيله إلى ملكوت ربّه. فالله نسأل أن يتغمده برحمته، ونحن نتوجه إليه هنا حتى بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى أن يبت لنا فى هذه القضية من خلال تفسيره للقرآن الكريم «خواطر حول القرآن الكريم».

- لقد تمّ لقاء بينٍ «عمرو بن العاص» رضى الله عنه «والبطريق القبطى» - بنيامين - الذى ظلّ ثلاثة عشر عاماً هارباً فى الصحراء بسبب الاضطهاد المذهبىّ الذى تعرض له الأقباط على أيدى الرومان المسحيين، لقد استقبله «عمرو» بحفاوة وودعه مكرماً وكتب له العهد والأمان والسلامة من الله ليدبر أحوال بيعته وطائفته، وأصبح «البطريق بنيامين» من أعز أصدقاء القائد العربى «عمرو بن العاص» الذى أقتدى «بالرسول» (ﷺ) وعمل على تنفيذ وصيته،

ومن منطلق هذه السماحة فى العقيدة الإسلامية كانت هناك صداقة تربط بين فضيلة «الشيخ الشعراوى» وقداسة «البابا شنودة الثالث» وفى إحدى المقابلات بينهما عام ١٩٩٤ أدلى «الشيخ الشعراوى» بالتصريح الآتى:-

«إن مساحة الاتفاق بين المسلمين والمسيحيين واسعة، ويمكن أن نعمل جميعاً من خلالها»، ولننظر إلى مساحة الاتفاق من خلال تفسير فضيلته للقرآن الكريم.

يقول الله تعالى فى سورة «آل عمران الآية ١٩٩»: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.. يفسر فضيلة الشيخ «الشعراوى» هذه الآية بقوله:- والحق سبحانه وتعالى يؤرخ للإيمان تأريخاً صادقاً أميناً، فالقرآن لم يتحامل على أهل الكتاب لأنهم عاندوا «الرسول» (ﷺ) وواجهوا دعوته وصنعوا معه ما يمكن أن يحبط الدعوة ويقضى عليها، فالقرآن يقول فى شأن بعضٍ منهم منصفاً لهم: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ «سورة البقرة آية ٢٧٧». وهذا أسمه كما قلنا - صيانة الاحتمال وعدم التعميم - إلى قوله فضيلته: إذن فلابد أن هذا القول تبشير بأن كثيراً من أهل الكتاب يفكرون فى تصديق الرسول (ﷺ) فى البلاغ من الله عزَّ وجلَّ وهم بصدد أن يؤمنوا، لأنهم يقولون: أن الرسول الذى يقول ذلك هو مبلغ عن إله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور حيث أنهم كانوا يفكرون فى أنفسهم عن قضية الإيمان بالرسالة المحمدية «الجزء ١٩٧٩/٤».

- ويقول فضيلته عن اليهود فى تفسير «الآية ٦٥ من سورة البقرة»، «والمائدة الآية ٦٠» أيضاً: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ٦٥ البقرة.. يقول الشيخ «الشعراوى»:-

«أنه لم يكن كل اليهود عاصين ولكن كان منهم أقلية هى التى عصت ومسخت ألم يكن فى كل زمانٍ ومكانٍ وكل عصرٍ أناسٍ أقليةٍ وأغلبيةٍ مؤمنةٍ والأخرى غير مؤمنةٍ ولم ينته موكب الإيمان والكفر.

وفى تفسير الآية ٧٥ من سورة البقرة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ

﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.
يقول فضيلته:- فريق منهم ليس كلهم. هذا هو ما استنبط منه العالم نظرية -صيانة الاحتمال-، وهى عدم التعميم بحيث نقول إنهم جميعاً كذا، لابد أن تضع احتمالاً فى أن شخصاً ما سيؤمن أو يشذ أو سيخالف «٤١٥/١»، وفى تفسير الآيات «١٣١ - ١٣٦ من سورة البقرة»: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.. إلى قوله تعالى: وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.. يقول فضيلته:-

- والدين عند الله منذ عهد آدم إلى يوم القيامة هو إسلام الوجه لله وهو سبحانه يريد من الانسان أن يسلم قيادته لله، بأن يجعل إختياراته فى الدنيا لما يريد الله عزّ وجلّ وإذا كلف بشىء يفعله لأن هذا فى صالحه ويجعل مراداته فى الحياة الدنيا طبقا لما أراد الله، وفى هذه الحالة يكون قد انسجم مع الكون كله وتجد الكون يخدمه وهو سعيد، أما من يسلم وجه لغير الله فقد اعتمد على الضار وترك النافع، وقوله عزّ وجلّ: ونحن له مسلمون، أى إن ابراهيم كان مسلماً وكل الأنبياء كانوا مسلمين وكل ما يخالف ذلك من صنع البشر، ومعنى الإسلام أن هناك مسلماً ومسلماً إليه وهو الله عزّ وجلّ ونحن نسلم له فى العبودية سبحانه، وفى اتباع منهجه.. ولا يوجد إلا الوجود الأعلى لتسلم وجهك له.. ٦٢٦/١.

- ونفهم من هذا التفسير أن كل الأديان السماوية عند الله هى الإسلام وكل من أخلص دينه لله عزّ وجلّ فهو مسلم.

- وفى تفسير الآيه «٤٤ من سورة المائدة»: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾.. يقول الشيخ «الشعراوى»:-

«لماذا إذن يأتى الحق تبارك وتعالى بإسلام الأنبياء هنا؟ جاء الله سبحانه بأمر إسلام الأنبياء تشريفاً للإسلام لأنه هو جوهر منهج كل نبىّ وأن النبيين أسلموا قيادتهم وزمامهم إلى الله تعالى لأنهم وجدوه الخير لهم وإسلام النبيين هو إسلام بمعناه الكامل، أى هو الانصياع لأوامر الله».

- وعن قوله تعالى فى نفس الآية «٤٤ المائدة»: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول فضيلته:- وإن آمن الإنسان بالله ثم جاء إلى

أحكام الله التى أنزلها وقال: لا ليس من المعقول أن يكون الحكم هو هكذا. فهذا لون من رد الحكم على الله وهو لون آل الكفر، وأما إن آمن الانسان بالحكم وقال: أننى أصدق حكم الله ولكن لا أقدر على نفسى فهل هذا كفر؟ أم هذا ظلم؟، أنه ليس كفراً ويكون ظلماً إن كان حكماً بين ثنين وهو فسق إن كان بين الانسان وبين نفسه لأنه يفسق عن حكم، فالفاسق هو من له إطار من التكليفات ويخرج عن هذا الإطار كالرطبة التى خرجت من قشرتها، والحق أنزل فى الإنجيل أن الأحكام تؤخذ من التوراة أى أن الإنجيل تضمن إلى جانب روحانياته أسس الأحكام الموجودة فى التوراة ولذلك أوضح الحق: من لم يحكم بما أنزل الله فهو فاسق مادام قد خرج على الطاعة فإن خرج أحد على الطاعة فى أمر الألوهية والربوبية فهو كافر، ومن خرج على الأحكام بالنسبة للحكم بين الناس فهو ظالم. إذن فالمسألة كلها متداخلة، فالشرك ظلم عظيم أيضاً، وكان هذا تفسير «الآية ٤٧» من نفس السورة. ٣١٦٢/٥.

وفى تفسير الآية ٥ من سورة المائدة ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ، وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾.. يقول فضيلته:-

- إياك أن تقول بمقاطعة أهل الكتاب لا. ولكن انظر إلى طعامهم فإن كان من جنس الطعام المحلل فى الإسلام فهو حلال. ولا يصح أن تمنع أحداً من أهل الكتاب من طعامك لأن الله يريد أن ينشئ شيئاً من الألفة يتناسب مع الناس الذين سبق أن السماء لها تشريع فيهم ويعترفون بالإله وإن اختلفوا فى تصوره، ويذكر فضيلته الآيات واحد إلى خمسة من سورة الروم ويقول:-

لقد أوردنا ذلك هنا حتى نفهم أن عواطف «الرسول» (ﷺ) كانت مع الذين يؤمنون بكتاب وبرسول، ونحن هنا نجد الحق يحلل لنا مطاعمة أهل الكتاب حتى تكون هناك صلة بيننا وبين من يؤمن بإله وبنهج السماء. وأوضح الحق سبحانه ذلك فى آيات أخرى حينما قال سبحانه وتعالى

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً، وَٱللَّهُ قَدِيرٌ، وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، لَّا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ، إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا

يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ. وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ «الممتحنة آية ٧ -٩». ويقول فضيلة «الشيخ الشعراوى» فالله عزَّ وجلَّ يريد أن نوازن فى أسلوب تعاملنا فلا نساوى بين ملحدٍ مشركٍ ومؤمنٍ بصلة السماء بالأرض وإن كفر برسول الله (ﷺ) وأن يكون هناك قدراً محدوداً من التواصل الإنسانىّ، فقد أحل الله تعالى لنا أن نتزوج من بناتهم. (٢٩٤٧/٥).

- ويقول فضيلته فى ميلاد المسيح ورفعه. الآية «١٥٧» من سورة «النساء»: فنحن لا نستعجب لأن من بدأ بعجيبٍ لا عجب أن ينتهى بعجيبٍ، ولماذا التقى النصارى مع اليهود فى مسألة القتل والصلب؟ هم معذورون فى ذلك، الحق لم يأت ببيان فيها آنئذ. وقوله تعالى: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾** يدل على أنهم معذورون إن قالوا ذلك، إلى قوله فضيلته: ويأتى الإسلام ليبرئ «عيسى» عليه السلام من هذه المسألة ويعين أتباعه على تبرئته منها، وسينزله الله كما رفعه ليسفه هذه القضية، وبعد ذلك يجرى عليه قدر الله فى خلقه وهو الموت. إلى قول فضيلته: فهب أن إنساناً قال أن المسيح لم يرفع بل مات، فما الذى زاد من العقائد وما الذى نقص؟ ذلك أمر لا يضر ولا ينفع، لأننا كمؤمنين لا نأخذ الجزئيات الدينية أولاً فإن صدقناها آمنا، لا، نحن نؤمن أولاً بمنزل هذه الجزئيات ونصدق بعد ذلك كل ما جاء منه سبحانه وتعالى (٢٨٠٢/٥).

وعن الآية «١٦٢» من سورة «النساء» يقول فضيلته: إذن لم يعمم الله عزَّ وجلَّ الحكم على أهل الكتاب الذى سبق بكفرهم وظلمهم لأنفسهم وأخذهم الربا وغير ذلك. بل وضع الاستثناء (٢٨١٨/٥).

- وإلى هنا ونرى فضيلته يتحدث بلسان حالنا - المؤلف - حتى يعود إلى التراث القديم، وانظر معى عزيز القارئ إذا كان ما سوف يأتى من تفسير ينطوى على شىءٍ من التناقض؟. يقول الشيخ الشعراوى فى تفسير الآيات «١١١» إلى «١١٣» من سورة «البقرة»:

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ، قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ. بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ

ربّه ولاَ خوْفٌ عليْهِمْ ولاَ هُمْ يحزَنُونَ. وقَالَتِ الْيهُودُ ليْسَتِ النَّصارَى علَى شيْءٍ وقَالَتِ النّصارَى ليْسَتِ الْيهُودُ علَى شيْءٍ وهُمْ يتْلُونَ الْكتابَ. كذَلكَ قَالَ الّذينَ لاَ يَعْلَمُونَ مثْلَ قَوْلهِمْ، فَاللّهُ يحْكُمُ بيْنهُمْ يوْمَ الْقيامَةِ فيمَا كَانُواْ فيه يخْتَلِفُونَ﴾.

- يقول فضيلته: فالقرآن كلام الله فلو أنه قال لن يدخل الجنة إلا من آمن بمحمد (ﷺ) لكان فى هذا تجاوز، لأن هناك من آمن بموسى وقت رسالته وحسن دينه ومات قبل أن يدرك محمد (ﷺ).. فهل هذا لا يدخل الجنة يجازى بحسن عمله، وكذلك الحال مع النصارى، أهذا لن يدخل الجنة؟ لا يدخل الجنة وتكون منزلته حسب عمله، ولكن بعد أن بعث محمد (ﷺ) وجاء الإسلام ونزل القرآن فكل من لم يؤمن برسول الله (ﷺ) لن يدخل الجنة بل ولن يراها. وأصدق قول قالته اليهود وقالته النصارى عن بعضهم البعض فاليهود ليسوا على شيءٍ والنصارى ليسوا على شيءٍ وكلٍ منهما صادق فى مقولته عن الآخر. «٥٤٧/١». ويقول فضيلته: أن كفر أهل الكتاب بالرسالة المحمدية هو كفر بالتوراة والإنجيل حيث أنه جاء فيها بشارة بالبعثة المحمدية وبالرسول نفسه (ﷺ). ويقول فضيلته فى تفسير الآيات «٦٢ البقرة»، «٦٩ المائدة»، «١٧ الحج» أن الحق سبحانه وتعالى يعرض لنا حساب الأمم التى سبقت أمم الرسول (ﷺ) وحسم الله هذه القضية بالآيات «٨٥ آل عمران» و«١٩ من نفس السورة» ويقول أن التصفية النهائية لموكب الإيمان والرسالات فى الوجود حسمت، فالذى آمن بالرسول (ﷺ) لا يخاف ولا يحزن والذى لم يؤمن يقول له الله إنّ الله يفصل بينهم يوم القيامة، ونقول:- لم يقل الحق سبحانه وتعالى لن يدخل الجنة ولن يراها؟. وكما ذكر فى الصفحات السابقة إن كل الأديان السماوية عند الله الإسلام وكل من أخلص دينه لله عزّ وجلّ فهو مسلم عند الله، وخسارة من لم يؤمن بمحمد (ﷺ) تكون فى الدرجة والله أعلم. يقول (ﷺ): الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.. انظر الآيات، «الإسراء ٢١، ٥٥» - «آل عمران ١٦٣» - «النساء ١٥، ٩٦» - «المجادلة ١١»- «الحديد ١٠»- «البقرة ٢٥٣»- «التوبة ٢٩»- «النساء١٤٥».

وكما يقول الشيخ «الشعراوى»: والحسنات نفسها متنوعة، فهناك جناتٍ

الفردوس وجنات عدن، وجنات نعيم، وهناك دار الخلد، ودار السلام، وجنة المأوى، وهناك عليون الذى هو أعلى وأفضل الجنات وأعلى ما فيها التمتع برؤية الحق تبارك وتعالى، وهو نعيم يعلو كثيراً عن أى نعيم، ولكننا نفهم من سماحته أن الإسلام نسخ ما قبله من أديان فى تفسيره للآية «١١٦ من سورة النساء» والتى لا نراها موجهة لأهل الكتاب بدليل «الآية ١٢٣» فى نفس السورة، يقول الله تعالى:-

﴿إنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلكَ لمَن يَشَاءُ، وَمَن يُشْرِكْ باللَّه فقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعيداً. إن يَدْعُونَ من دُونه إلاَّ إنَاثاً وإن يَدْعُونَ إلاَ شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾ إلى قوله تعالى: **﴿لَّيْس بأَمَانيكُمْ ولاَ أَمَانيِّ أَهْلِ ٱلْكتَاب، مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ به ولاَ يجدْ لَهُ من دُونِ ٱللَّهَ وَليّاً وَلاَ نَصيراً﴾**..

- يقول فضيلته:- لقد جاءت رسالة محمد (ﷺ) تصفية لكل الرسالات التى سبقت، وعلى الناس جميعاً أن يميزوا، ليختاروا الحياة الإيمانية الجديدة، لقد كان الناس قبل رسول الله (ﷺ) على ملل وعلى أديان ونحل شتى، فجاء البرهان بأن الاسلام قد جاءنا ناسخاً وخاتماً، والبرهان هو تعاليم هذا الدين وأدلته، فلا حجة لأحد أن يتمسك بشيء مما كان عليه، وجاء (ﷺ) بالنور الذى يهدى الإنسان إلى سواء السبيل، وهذه تصفية عقائدية شاملة، أو كما نقول بالعامية - أوكازيون إيمانيّ - تتخلص به البشرية من كل ما يشوب عقائدها ولنبدأ مرحلة جديدة «٢٨٦٣/٥». ونرى أن فى هذا منتهى الغلو فى الدين.

- يقول الله تعالى: **﴿يَأَهْلَ ٱلْكتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دينكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّه إلاَّ ٱلْحَقَّ﴾** «النساء ١٧١»، ويفسر فضيلة الشيخ «الشعراوى» هذه الآية فيقول:-

- والغلو هو الخروج عن حد الاعتدال فى الحكم وقد وقع أهل الكتاب فى هذا المأزق فلم يأخذوا الأمر بالاعتدال دون إفراط وتفريط، لقد كفر اليهود «بعيسى» واتهموا مريم بالزنا، وهذا غلو فى الكره. وغالى النصارى فى الحب لعيسى فقالوا:- إنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة، وهذا غلو، ويقول الله تعالى:- **﴿لاَ تَغْلُواْ فِي دِينكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّه إلاَّ ٱلْحَقَّ﴾** «سورة النساء آية

«١٧١». أن أمر المنهج لا يحتاج إلى غلوٍ، ولذلك جاء (ﷺ) من عند الله بالدين الوسط الذى يضع كل أمرٍ فى نصابه، وشرح لنا بإخبارات النبوة وإلهامها ما سوف يحدث للإمام «على بن أبى طالب» رضى الله عنه، قال (ﷺ) لعليّ:-

«إن فيك من عيسى مثلاً أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه. وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذى ليس له»، وقد حدث ما تنبأ به (ﷺ) فالخوارج كفروا علياً، والمسرفون بالتشيع قالوا:- إنه نبى، وبعضهم زاد فى الإسراف فجعله إلهاً «٢٨٦٦/٥». وفى صفحة ٢٨٧٣ يقول:- ونلاحظ أن كثيراً من المفكرين والمثقفين فى الغرب صاروا يبتعدون عن فكرة بنوة «عيسى عليه السلام» ويقولون إنها بنوة حب، وإذا كانت المسألة بنوة حب فالله يحب جميع عباده ونصير نحن مثل المسيح ويصير المسيح مثلنا، والحديث القدسى يقول «الناس كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله». ولو أخذنا هذا القول بالدقة التجريبية المعملية نجد أن هذا القول صدق وحق لأننا جميعاً قد صدرنا عن قدرة الله وإرادته وكل منا فيه شيء من صنع الله منذ بداية خلق آدم، إذن هو بشر مثلنا ويتميز عنا بأن السماء اختارته رسولاً، ويرفض فضيلته كما يرفض كل عاقلٍ فكرة التثليث ويقول:-

وما الذى يجعل الحق سبحانه وتعالى ينجب ابناً منذ ألفى سنة؟ ثم يترك الله الأزمان السابقة على ميلاد المسيح محرومة من ميلاد ابن له؟ ولماذا يحرم الله إذن بقية الأزمان من بدأ الخليقة إلى يوم القيامة من هذا الشرف؟ حيث بشارة المسيح دامت ثلاث سنوات فقط، سبحان الله عما يصفون.

– ونجد فى هذا الشطر مجادلة بالتى هى أحسن وتيسير دون تعسير على عكس الشطر السابق عليه الذى يحمل تقريع وتعسير، لا نجده فى القرآن والسنة عن أهل الكتاب.

– وإنَّ القرآن الكريم لم يذكر لنا أن الرسالة المحمدية جاءت ناسخة لما سبقها من ديانات ولكنها مصححة لما أدخل عليها من افتراءات، فنجد الحق تبارك وتعالى يصور لنا يوم الحساب وقد جاء كل نبىٍّ يتقدم قومه ثم يقضى الله بينهم بالحق، ولو كان النسخ قد وقع على أهل الكتاب لأنتهى الأمر وكل مَن لم يؤمن بالرسالة المحمدية حق عليه الخلود فى نار جهنم، ولك أن تنظر إلى الآيات التالية: «المائدة ١١٦ إلى ١٢٠»- «الإسراء ٧١»- «النحل ٨٩»-

«الزمر ٦٩». ثم انظر كيف حسم الله عزّ وجلّ وفرق بين كل رسالة سماوية وبين الإيمان الحق والعمل الصالح لكل أنسان بصرف النظر عن الديانة التى يعتنقها فى الآيات التالية: «الاسراء ١٣»- «الكهف ٧»- «الملك ٢»- ثم هذه الآيات التى تخص النصارى خاصة، «آل عمران ٥٥ إلى ٥٧». وهناك كثيراً من الآيات التى تحمل هذا المعنى، وأن التوحيد لا يجب أن يكون القنبلة الذرية التى نلوح بها فى وجه النصارى لأنهم موحدون يؤمنون بإله واحد خالق السماوات والأرض ملك يوم الدين، ويؤمنون بالبعث والحساب، وكذلك التثليث لا يجب أن يكون أداةً فى يد النصارى يغيظون بها المسلمون لأنهم يضعون أنفسهم فى موضع المشركين الذين يعبدون آلهة غير الله سبحانه وتعالى، وعلينا أن نذكرهم بأن فى كتبهم الدلالات والإخبارات عن صدق التوحيد الخالص لله عزّ وجلّ والرسالة المحمدية، ونذكرهم بأنهم كانوا يقولون لعبدة الأوثان من العرب:- نحن في انتظار النبى الخاتم الذى سيرسله الله لنسبقكم إلى الإيمان به فإذا ظللتم على كفركم سنقتلكم به قتل عادٍ وإرم، ونذكرهم بأن تعصبهم لدينهم صرفهم عن أصدق رسالة أتت من عند الله وركبوا سفينة العناد الغارقة على حد تعبير الشيخ شعراوى، انظر «الآية ٨٩ البقرة» - «والآية ٤٧ النساء»، ونذكرهم بأن التوحيد من موجبات الايمان بالله تعالى وأول الوصايا العشرة فى التوراة هو التوحيد المطلق لله عزّ وجلّ، يقول الله تعالى: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾** «الآية ٤٨ من سورة النساء» التى نزلت فى وحشىّ قاتل سيدنا «حمزة» حينما أتى رسول الله (ﷺ) مستجيراً، نزلت «الآية ٧٠ من سورة الفرقان»، «والآية ٥٣ من سورة الزمر»، «والآية ٤٨ من سورة النساء»، وإذا نظرنا إلى الآيات «١١٦، ١١٧ من سورة النساء» اتضح لنا إنّ هذه الآيات موجهة إلى عبدة الأوثان، وأيضاً انظر «سورة الجاثية الآية ٢٨».

- ونذكّرهم بأن الشرك هو عند الله الخيانة العظمى«مصطلح القوانين الوضعية» يقول الشيخ الشعراوى:- وحين نعترف بأنه لا إله إلا الواحد الذى لا شريك له، فأنت تدخل حصن الإمان، والله لا يغفر أن يشرك به لأنه لو غفر أن يشرك به لتعدد الشركاء فى الأرض وصار لكل واحدٍ إله وتفسد الأرض ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً، وهذا يخل بقضية عقائدية تشمل الوجود

كله ويمكن الشيطان من تلك العقيدة بتزينه الشر والقبح للإنسان ليبعده عن مسالك الخير والفضيلة، والشرك بالله هى وسيلته المفضلة وعلاقته المميزة. أسلوب رائع فى شرح فضل التوحيد، لقد كان فضيلة «الشيخ الشعراوى» ظاهرة لا يجود بها القدر إلا نادراً يملك من قوة التأثير وغزارة العلم والبلاغة وبساطة الخطاب ما يستحوذ على قلوب وعقول محبية من جماهير المسلمين فى الأرض قاطبةً، كان رحمه الله له مقدرةً باهرةً فى البيان وسعة الاطلاع وغزارة المادة ما يشيع فى جو النص القرآنىّ من تأملاتٍ بعيدة المدى فكان يتصدى للمبطلين وأراجيف الملاحدة الذين عجزوا عن فهم القرآن، فكان الشيخ يتناولهم بالتقريع الهادئ والحوار العفيف وتفنيد أقوالهم بالحقائق الدامغة التى تلقف ما يؤفكون، رحم الله «الشيخ الشعراوى»، وغفر لنا مجادلته فى بعض تفسيراته، ولولا أنَّ الاجتهاد واجب ومسموح به فى الإسلام لتركنا هذا الأمر بعد أن بتَّ فيه علاّمة مثل الشيخ «الشعراوى ولكن ديننا ليس ديناً جامداً يقف عند رأىٍّ أو تفسيرٍ واحدٍ والا ما حاول الشيخ «الشعراوى» تفسير القرآن فقد سبقه الكثيرون فى هذا المضمار، ولكنه فسر القرآن الكريم إيماناً من فضيلته بواجبه الدينىّ والعلمىّ بمسايرة التطور الفقهى، دون المساس بالأسس الراسخة التى لا تقبل التعديل ويحضرنا هنا قول عالم الفلك الشهير «جاليليو جاليليه» ١٥٦٤-١٦٤٢، فى كتابه «الحوار» يقول:- إن الله قد سمح لنا بالبحث فى بناء الفضاء الكونىّ كله إلا أنه قد أخفى عنا إلى الأبد النفاذ الفعلىّ إلى عمل يديه، ربما حتى لا تضمر وتموت وظيفة العقل البشرىّ كله، وهذا ينطبق على العلوم الدينية أيضاً، ومن هذا المنطلق فعلى كل مسلم أن يتفكر فى المتشابه فى القرآن ولا يتوقف عند تفسيرٍ واحدٍ ولكن عليه أن ينظر إلى وجهات نظر متعددة ثم يختار ما يراه أفضل، ويحضرنا هنا أيضاً قول الدكتور «عمارة» فى الفصل الخامس من دراسة له بعنوان «عندما دخلت مصر فى دين الله» يقول:-

-لقد كان الاسلام كما مثلته الشريعة الخاتمة هو «اللبنة» المتممة لمكارم الأخلاق الدينية، ومن ثمّ فإنه قد استهدف إحياء كل مكارم الأخلاق لدى جميع أبناء الشرائع والرسالات السماوية، التى سبقت شريعة الإسلام المحمدية.. وكان الاسلام هو الذى لا يكتمل إيمان المؤمنين به إلا إذا آمنوا بكل الرسل والرسالات والأنبياء والنبوات والكتب التى سبق وأوحى بها الله سبحانه وتعالى على مر تاريخ الرسالات الدينية، يقول الله تعالى فى القرآن الكريم:-

﴿ءامَنَ الرَّسُولُ بِما أُنزِلَ إلَيْه من رَّبه وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءامَنَ بالله وَمَلاَئكَته وَكُتُبه ورُسُله لا نُفَرِّقُ بينَ أَحَدٍ منَ رُّسُلِهُ﴾ «سورة البقرة آية ٢٨٥».

– وكان الاسلام هو الدين الذى يعلِّم الناس أن تعدد البشر فى الشرائع واختلافهم فى الملل هو السنة الإلهية والقانون الدينىّ الذى لا تبديل له ولا تحويل يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿لكُلٍّ جعَلْنَا منكُمْ شرْعَةً ومنْهَاجاً، وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً، ولَكن ليَبْلُوكُمْ فى مَا ءاتَاكُمْ، فَٱسْتَبِقُواْ الخَيْرَاتِ إلَى ٱللَّه مَرْجعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بمَا كُنتُمْ فيه تَخْتَلفُونَ﴾ «سورة المائدة آية٤٨». ويقول عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلفينَ، إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ولذَلكَ خلقَهُم﴾ «سورة هود آية ١١٨، ١١٩» ولذلكَ كان الإحياء الإسلامى إحياءً لمطلق الدين الإلهىّ الواحد الذى تعددت فيه الملل والشرائع والرسالات والنبوات. ويقول الدكتور «عمارة»:– فالإسلام كمال وتمام الدين الإلهىّ الواحد، وليس نقصاً ونفياً لما سبقه من الدين.

إذن فعلينا النصح وعلى الله الحكم، ننصح الضالين الذين اتخذوا منهجاً غير منهج الله فضلوا الطريق وهو التوحيد المطلق، وننذر المضلين الذين يحاولون أخذ غيرهم إلى الضلالة ويغروهم بالكفر وعدم اتباع منهج الله فسوف يأتون يوم القيامة حاملين ذنبهم وذنوب من أضلوهم، انظر سورة النحل «الآية ٢٥» والآية «٦٠» من سورة المائدة – فأولئك المغضوب عليهم من بنى إسرائيل الذين أدخلوا فرية التثليث فى المسيحية ونصبوها العداء، وكذلك فعلوا مع الإسلام فقد تشكلت جبهة يهودية بدأت تشحذ أسلحتها المسمومة لحرب الإسلام منذ اليوم الأول للهجرة، فقد رأوا أن الإسلام ينير بصائر العرب الأميين ويعلمهم الكتاب والحكمة فيكشف لهم ما عن يهود من الدين الموسوى وحرفوا من التوراة وقتلوا من الأنبياء واقترفوا من جرائم أرقت البشرية على اختلاف الأجناس والأزمان. من أول يوم للهجرة بداء قلقهم وكيدهم، وإيذاناً للمسلمين بفتح جبهة أخطر وأضرى من الجبهة المكشوفة مع المشركين من قريش بزعم محاولة الرسول (ﷺ) أن يوادعهم وأعطاهم عهده بالموادعة والأمان على أموالهم وأنفسهم وحرية عقيدتهم مسجلاً فى كتابه إلى أهل المدينة إثر مقدمة إليها (ﷺ) واعترف لهم بحق المواطنة، ولكنهم خانوا الامان والعهد، لذلك نزلت الآية «٦٠ من سورة المائدة» فى بنى إسرائيل.

وما زالوا على ضلالهم إلى يومنا هذا، ولكن الأمانة تقتضى ألا نعمم الحكم على الجميع، فمن بنى إسرائيل الملتزم بالتعاليم الإلهية الصحيحة، كما يجب أن نفرق بين اليهودىّ الملتزم غير المتعصب والصهيونى المتعصب النازى عملاً وميولاً.

«اليهود ولاهوت موت الإله»

– كلمة لاهوت تشير إلى التأمل المنهجىّ فى العقائد الدينية، وعبارة موت الإله مأخوذة من فيلسوف العدمية والعلمانية الأكبر «فردريك نيتشه» ولاهوت موت الإله هو فكر دينىّ مسيحىّ ويهودىّ ظهر فى عقد الستينيات فى العالم الغربىّ، وما يهمنا هنا هو التيار اليهودىّ داخله، وينطلق لاهوت موت الإله عند اليهود عن فكرة قداسة التاريخ اليهودىّ النابعة من قداسة الشعب اليهودى، ومن مركزيته الكونية وما يقوم به من أفعالٍ وما يقع له من أحداثٍ، وأهم الأحداث التى وقعت له فى الماضى هى العبودية فى مصر والخروج منها والسبىّ البابلىّ والعودة منه، ثم سقوط الهيكل والشتات.

– ولكن أهم ما وقع لليهود على الإطلاق هو الإبادة النازيـة ليهود أوروبا وهى حادثة تجسد الشر المطلق، وهى رهيبة لدرجة إنها تنفى وجـــود الخير والعدل واليقين والأمل، وهى أخيراً تنفـــى وجود الإله كما يقولون. ويقولون ولو حتى كان الإله موجوداً فيجب ألا نثق فيه لأنه تخلى عن الشعب اليهودى.

– ويمكن القول بأن كلمة – هولوكوست – أصبحت الأيقونة، وهى كلمة يونانية تعنى – حرق القربان بالكامل – وكانت فى الأصل مصطلحاً دينياً يهودياً يشير إلى القربان الذى يضحى به للرب ويحرق حرقاً كاملاً على المذبح، وكان يقدّم تكفيراً عن جريمة الكبرياء، ويمكن للأغيار أن يقدموه. وهذه الوثنية الحلولية الجديدة هى وثنية بدون إله، إذ تحل الذات القومية محل الإله تماماً، أى الشعب اليهودىّ استوعب فى ذاته كل المطلقية والقداسة الممكنة، وأصبح مركز الكون والكلمة المقدسة «لوجوس» والغرض الإلهىّ «تيلوس» معاً فى آن واحد ومن ثمّ فإن الشعب اليهودىّ يوجد خارج التاريخ ككيان لا يخضع لقوانين أو هو بمنزلة الجسر الذى يصل بين الإله والتاريخ على حد قول – أرثر كوهين – وهذه فكرة حلولية متطرفة تعنى إن الشعب هو

الإله، وأن هذا الإله لا يتجاوز تاريخ هذا الشعب وإنما يتجلى ويحل ويذوب فيه تماماً ويختفى.

– وإذا كانت الجريمة الكبرى هى الفناء فالفضيلة الكبرى هى البقاء، وكل هذا يجسد ظهور دولة إسرائيل وإرادة الشعب اليهودىّ الذى يرفض أن يكون شعباً شهيداً كما تتصوره اليهودية الحاخامية التى ترى أن اليهود تمّ اختيارهم ليكونوا شعباً من الشهداء والقديسين والانبياء والكهنة لا سيادة له عاجز لا يشارك فى السلطة، وهو الدور الذى يرى دعاة اللاهوت موت الإله أنه أدى باليهود إلى الاستسلام للإرهاب النازى، ويرون أن إسرائيل هى حقاً الوسيلة الكبرى لعملية الإصلاح الكونىّ، فمن خلال هذه الدولة يعلن المطلق عن نفسه ويستعاد الحضور الإلهىّ داخل التاريخ على حد قول الحاخام – اليعازربركوفتس – فبقاء الشعب والدولة هو بقاء الإله!!. ومن ينكرها ينكر وجود الإله، ومن يقبلها بلا شرطٍ فهو وحده المؤمن، على حد قول – آرثر روبنشتاين – وقد صرح الحاخام – ايوچين بورويتز – أحد مفكرى لاهوت موت الإله بأن الخطر كان محدقاً بالإله نفسه فى حرب ١٩٦٧م.

– وقد نجح اليهود فى حوارهم مع المسيحيين فى أن يجعلوا من الإيمان بالدولة الصهيونية أحد المطلقات التى لا يجوز فى شأنها حوار، كما لا يمكن مناقشة أفعالها، ولاشك فى أن هذا الخطاب لا علاقة له بأى دينٍ، سواء كان الإسلام أو المسيحية أو حتى اليهودية الحاخامية، الذى قامت بتكفير أصحابه، ولكن التركيب الچيولوچى للعقيدة اليهودية يجعل من الممكن وجود سوابق لمثل هذه الافكار، إن لاهوت موت الإله ووحدة الوجود المادية يعنى صهينة اللاهوت اليهودىّ تماماً وإخفاء الإله والكتب المقدسة ليحل إله جديد هو الدولة الصهيونية. ونذكر مذهب وحدة الوجود الصوفية الحلوليه التى تترجم نفسها إلى أساطير من هذا النوع ويخلع الأتباع القداسة على أنفسهم، وهى مطلقات مادية لها كل صفات الغيب والميتافيزيقا دون أن تحمل من يؤمن بها أى أعباء أخلاقية.

– إنّ لاهوت موت الإله تعبير عن النسق المعرفى الجديد الذى يسيطر فى الوقت الحالى على الحضارة الغربية، أى نسق ما بعد الحداثة، وهى شكل من

أشكال العدمية الكاملة، التى لا تنكر وجود الإله وحسب وإنما تنكر أية مركزية للإنسان والطبيعة البشرية ذاتها، وهى لا تنكر الحقيقة الدينية وحسب وإنما الحقيقة فى أساسها والقيمة الدينية والأخلاقية، وهى لا تختلف كثيراً عن الرؤية النازية للكون، ومن أهم مفكرى لاهوت موت الإله «إرفنج جرينبرج – وريتشارد روبنشتاين – وإميل لودفنج فاكنهايم»، ويقول روبنشتاين فى كتابه «أوشفيتس» :–

– «إذا كان إله التاريخ موجوداً، فكيف يمكن للمرء إذن أن يفسر إبادة ستة ملايين من شعبه المختار؟». ويرفض فكرة اليهود الأرثوذكس القائلة بأن الشعب هو أداة الإله وإبادته كانت عقاباً له على إنحرافه عن الشريعة والوصايا والنواهى.

– ولا يمكن فهم كتابات أهم الفلاسفة الدينيين اليهود المحدثين «مارتن بوبر» إلا من خلال «نيتشه» وتسرى القاعدة نفسها على مفكرى مدرسة لاهوت موت الإله. وليس من قبيل الصدفة أن يكون التشابه بين الصهيونية والنيتشوية مدهشاً حقاً، ويمكننا أن نوجز ذلك فى النقاط التالية:–

١– النيتشوية مثلها مثل الصهيونية، ديانة ملحدة أو حلولية بدون إله – وحدة وجود مادية.

٢– النيتشوية مثلها مثل الصهيونية، تعبر عن حق توثن الذات حينما يحل المطلق فى الإنسان فيعبد الإنسان ذاته أو يعبد أسلافه – الذات القومية المقدسة.

٣– النيتشوية مثلها مثل الصهيونية، ديانة داروانية تسبغ نوعاً من الروحية والقداسة على قانون التطور – فرض الأمر الواقع – النفعية الداروانية.

٤– الحياة بالنسبة للنيتشوية توسع ونمو واستيلاء على الآخر وهزيمة له واحتقاره وتمجيده السادة الأقوياء. وهذا هو جوهر الصهيونية التى لا يمكنها أن تعيش إلا على التوسع وعلى إلغاء الآخر، وقد دعا نيتشه الإنسان إلى أن يعود لحالة الحيوية والطبيعة المقدسة، ويكون كالحيوان المفترس الاشقر ينبذ العقائد الدينية وأخلاق الضعفاء ويبنى بيته بجوار البركان ويعيش فى خطر وفى حالة حرب دائمة، وهذا هو مبدأ الصهيونية والأيديولوجية التى تسير عليها حرفياً، ولهذا يشير أحد مفكرى «جوس إيمونيم» إلى الجيش الإسرائيلىّ

باعتباره القداسة الكاملة، ويتضح التشابه التام بين النيتشيه والنازية والصهيونية وتفصح كل هذه العناصر عن نفسها فى كتابات - هرولد فيس - أحد مناظرى جماعة جوسن إيمونيم التى تؤمن بوحدة وجود مادية حيث يتحد الإله بالإنسان اليهودىّ وبالأرض اليهودية ليكونوا نظاماً مقدساً دائرياً مغلقاً عضوياً يهلك من يقع خارج دائرة تلك القداسة، مثل العرب. والقداسة هى القوة.

- هذه هى العقلانية المادية التى حررت أصحابها من أية أعباء أخلاقية مثالية، وتعاملت مع البشر بمادية صارمة لتسود الواحدية المادية ونظر للجميع بعيون زجاجية وكأنه كمبيوتر متأله لا قلب ولا روح فأباد الملايين من غير النافعين فى حالة النازية، والصهيونية التى تدعو إلى تصفية الجماعات اليهودية وإنهاء التاريخ اليهودى فى المنفى، فهو تاريخ الضعفاء والمهزومين، فالدراسات الجادة للظاهرة النازية تؤكد التشابه والتعاون الفعلى بينها وبين الصهيونية، التى شجعت ودعمت المشروع القومىّ الألمانىّ فى تصدير الفائض البشرى غير المرغوب فيه إلى الشرق أو إبادته، وتشير الدراسات إلى وضع اليهود داخل الحضارة الغربية حتى عصر النهضة والكنيسة الكاثوليكية التى كانت تحتاج إلى شاهد أزلى على عظمتها فكانت الكنيسة تحميهم وتحافظ عليهم لهذه الغاية، وكان النبلاء والإقطاعيون والملوك يستغلوهم لاعتصار ما جمعوه من ثروة من خلال الضرائب، فكانوا مع الكنيسة حماة لليهود، وتغير الوضع بعد ظهور عصر النهضة وظهور البروتستانتية التى رفضت فكرة الشعب الشاهد ولكنها تبنت بدلاً منها العقيدة الألفية، التى ترى أن المسيح سيعود مرة أخرى للأرض ويؤسس مملكته على الأرض لمدة ألف عام. وكان هذا مشروطاً بعودة اليهود إلى أرض الميعاد وتنصيرهم، فكأن اليهودىّ ظل مجرد أداة - كما هو الحال فى الرؤية الكاثوليكية - ولكنه أداة لا يتم الحفاظ عليها وأنما لابد من نقلها إلى فلسطين وتذويبها فى المنظومة المسيحية وكان كل هذا يقف ضد الحركات الشعبية المعادية لليهود، فكانت المسألة اليهودية فى أوروبا تناقش فى إطار مدى نفع اليهود، فكان أعداء اليهود يبينون أنهم لا فائدة لهم. وقد قسم اليهود إلى أقسام مختلفة، فالذين تمّ تصفيتهم غير نافعين وجب التخلص منهم بترحيلهم ومن هنا ظهرت النزعة الإبادية ضد اليهود وغيرهم من الأقليات والجماعات

والشعوب، وهذه رؤية غربية حديثة للكون تعود جذورها إلى عصر النهضة فى الغرب، وقد اتسع نطاقها وازدادت هيمنتها إلى أن أصبحت هى النموذج التفسيرىّ الحاكم فى منتصف القرن التاسع عشر عصر الامبريالية والداروانية والعنصرية، وفى هذا الإطار ظهرت الأخلاق النفعية المادية، التى تعفى الإنسان من المسؤلية الأخلاقية وجعل من نفسه المركز والمطلق المنفصل تماماً عن كل القيم والغايات الإنسانية العامة، وأصبح من حقه أن يحوسل العالم كله وجميع شعوب الأرض لخدمة مصالحه كما عرفه هو «الحوسلة» تعنى تحويل الشىء إلى وسيلة، وانقسم البشر Superman سوبرمان - وSubman سب مان - ودون البشر يذعنون لإرادة السوبر مان، وهى منظومة مَنْ يملك القوة له حق توظيف الآخرين لخدمة مصالحه، وهذا ما يسمى - النفعية الداروانية أى التجرد من أية عواطف أو أخلاق أو أحاسيس انسانية، باعتبار أن الإنسان هو مادة فى نهاية الأمر وفى التحليل الأخير، ومن ثمّ فمثل هذه الأحاسيس هى مجرد ميتافيزيقية أو قيم نسبية مرتبطة بالزمان والمكان، وليس لها أية إثبات أو عالمية.

- وهكذا تبدأ عملية العلمية الشاملة - بعد المرحلة الإنسانية الهيومانية الأولى - بإزاحة الإنسان عن المركز ثم نزع الجوانب الشخصية عنه بحيث يصبح شخص ليست له خصوصيةً أو تفرداً ثم يحرر العالم من سحره وجماله فيصبح الإنسان والطبيعة مادة محضة، ثم تنزع عنه كل قداسةٍ وتهتك كل أسراره ويعرى من أية مثاليات لنصل إلى نوع من أنواع الإباحية الأخلاقية المعرفية، إذ يصبح الإنسان لحماً يوظف فى مزارع البيض فى الجنوب الأمريكى أو مصانع الرأسمالية فى لندن أو يرسل إلى معسكرات السخرة والإبادة فى ألمانيا أو تصور فى مجلات إباحية فى كل أو أى مكان، والمحصلة النهائية لكل هذا هى نزع الصفة الإنسانية عن الإنسان وتحويله إلى مادة محضة قابلة للحوسلة.

- وهذه هى قمة العلمنة الشاملة والتفكيك الكامل، وهذا ما يسميه البعض بـ - نهاية التاريخ end of History، وهذه عبارة تعنى أن التاريخ بكل ما يحويه من تركيب وبساطة وشوق وإحباط، ونبل وخساسة، سيصل إلى نهاية فى لحظة ما، خالياً من التدافع والصراعات والثنائيات والخصوصيات إذ أن كل شىءٍ سيرد إلى مبدأ واحد يفسر كل شىءٍ وسيسيطر الإنسان سيطرةً كاملةً على بيئته وعلى نفسه، وسيجد حلولاً نهائية لكل مشاكله وآلامه، ومثل هذه الرؤية تؤدى حتماً

وبشكل مطلق إلى الابادة والتفكيك وتخلق التربة الخصبة، لانتشار الآراء النفعية الداروانية المادية، وحينما يهيمن هذا المعيار يتم تأسيس الفردوس الأرضى «اليوتوبيا التكنولوجية التكنوقراطية» دولة النعيم المقيم فى الأرض المؤسس على العلم والتكنولوجيا.

– وقد ساعد على هذا المفهوم على ظهور أيديولوجيات علمانية شاملة مثل – الماركسية أو الاشتراكية العلمية، والفاشية، والنازية، التى تدور حول مطلق علمانىّ مادىّ شامل يعبر عن نفسه بشكل كامل يتسم بدرجة عالية من التبلور خصوصاً حينما يسانده جهاز الدولة المركزية الحديثة، ومع تزايد العلمنة الشاملة لم يعد من الممكن تصنيف البشر على أساس دينىّ، ولم يكن ثمة مفر من تصنيفهم على أساس مادىّ موضوعىّ وطرح الأساس البيولوجى العرقى أساساً وحيداً أو أكيداً لتصنيفهم، وتمّ المزج بين هذه النظرية شبه العلمية ونظرية أخرى شبه علمية وهى الدارونية الاجتماعية، وكانت الثمرة هى النظرية الغربية فى التفاوت بين الأعراق ذات الطابع الداروينى، وتقسم هذه النظرية الجنس البشرى بأسره إلى أعراق لكل منها سماته التى يمكن تحديدها علمياً «أعراق راقية عليا»، الآريون وبخاصة النورديين، «وأعراق دنيا» الزنوج والعرب واليهود، وتفوق العنصر الآرى الأبيض على كل الشعوب الأخرى يعطيه حقوقاً مطلقةً كثيرةً تتجاوز أى حديثٍ عن المساواة. وكلمة آرى ARYAN – معناها سيد – وقال المفكرون العرقيون وحسب نظريتهم بأن هذا الجنس يتسم بالجمال والذكاء والشجاعة وعمق التفكير ويتفوق على الساميين والصفر والسود الذين يشغلون أدنى درجات السلم العرقى!! «Subman» – مادة بشرية توظف فى خدمته، وهذه المادة يجب أن تعالج، وكانت الوسيلة الأساسية للمعالجة هى تصدير المادة البشرية الفائضة إلى مكانٍ آخرٍ لتحويلها إلى مادةٍ نافعةٍ إن أمكن مع عدم استبعاد الحلول الأخرى إنْ لزم الأمر، ومن أهم الشخصيات التى ساهمت فى إشاعة هذه الافكار المعادية لليهود على أساسٍ عرقىّ المؤرخ والسياسى الألمانى «هنريس فون ترايشكه» ١٨٣٤– ١٨٩٦– الذى كان يعدّ من أهم المفكرين الألمان فى عصره وهو ما أكسب هذه الأفكار قدراً كبيراً من المصداقية والاحترام، ولا يمكن إنكار أن معاداة اليهود ظاهرة غربية تشمل شتّى دول العالم الغربى شأنها فى هذا شأن الصهيونية، ولهذا لم تقتصر كتب معاداة

اليهود على ألمانيا – انظر كتابات «هيوستون تشامبرلين» وهو فرنسي، و«أكلونت جوبينو» فرنسي أيضاً، «وإدوارد أدلوف درومون» فرنسي، ومن المفكرين الإنجليز الذين بادروا بمعاداة اليهود المؤرخ «جولدوين سميث» ١٨٢٣- ١٩١٠- الذى حاول أن يبرهن على استحالة أن يصبح اليهود مواطنين في دول أوروبا المضيفة، وأن وجودهم يشكل خطراً سياسياً على بلده، ونادى سميث بحل صهيونيّ للمسألة اليهودية، فالعداء العنصريّ لليهود ليس ظاهرةً ألمانيةً وإنما هي ظاهرة غربية عامة أكتسبت حدة خاصة في ألمانيا، وقد تبنت النازية النظرية العرقية الداروينية الغربية وأكدت التفوق العرقي للشعب الألماني على كل شعوب أوروبا، ولشعوب أوروبا على كل شعوب العالم. ورفض «هتلر» فكرة مساواة البشر باعتبارها فكرة دينية، وحيلة يهودية مسيحية كنوع من التنويم المغناطيسي تمارسه اليهودية الغازية للعالم بمساعدة الكنائس المسيحية، ورأت العقيدة النازية أن الجيش الألمانيّ لابد أن يسيطر على العالم بأسره وكلمه نازى مأخوذة من اختصار «الاشتراكية القومية» وقد رأى النازيون أنه يجب على الشعب الألماني أن يغزو مجاله الحيوى أولاً حتى يصبح مجالاً ألمانياً صرفاً خالياً من السلاف بالدرجة الأولى، ومن العناصر العديدة غير النافعة والمستهلكة دون أن تكون منتجة. من بينها المعوقين والشواذ جنسياً والشيوعيين والغجر والمصابون بأمراضٍ وراثيةٍ مزمنةٍ بل الأقزام واليهود خصوصاً الأقلية المالية اليهودية، فهم يتركزون في القطاعات الهامشية للاقتصاد غير النافع، بل الضار إلا أنهم يدعون أنهم يشكلون عرقاً سامياً وشعباً مختاراً ويحاولون دائماً الهيمنة على الحياة السياسية والاقتصادية للشعوب الأخرى.

– وقد أشار «هتلر» إلى أن اليهود يحيكون مؤامرةً عالميةً للسيطرة ولذا فهم يحاولون إشعال الحروب والتورات– وهذه هي الأفكار الأساسية في بروتوكولات حكماء صهيون. كما بين هتلر أن المركسية والماسونية ليست إلا مجرد حيل يهودية للسيطرة على العالم، ولأسباب عديدة أخرى قرر الألمان أن يجعلوا المجال الحيوىّ الألمانيّ خالياً من اليهود وقد بدأ النظام النازى حملته على اليهود عقب تعيين هتلر مستشاراً في ١٩٣٣/١/٣٠، ويقول بعض المحللين أن النازين تعلموا الإبادة والتصفية الجسدية ومعكسرات السخرة من الشيوعية السوفيتية ومن ممارسات ستالين الإبادية، والواقع أن الحضارة التى أفرزت الامبريالية

والشمولية والمنفعة المادية والداروينية وفلاسفة العرقية الحديثة، هى الحضارة التى أفرزت رؤية إبادية وصلت إلى قمتها فى اللحظة النازية، فكلها تدور داخل الإطار العرقىّ المبنى على الإيمان بالتفاوت بين الأعراق، ولا يلتزم بأية منظومة أخلاقية سوى منظومة المنفعة المادية والتخلص من الفائض البشرى، وكلها ترى فى اليهود عنصراً غير مرغوب فيه، وقد تمّ الحل النهائى فى حالة وعد بلفور بنقل اليهود خارج انجلترا وأوروبا إلى فلسطين وإعطائهم حق الاستيطان فيها، وكذلك فعلت ألمانيا بمنحهم حق التمتع برعاية الحكومة الألمانية خارج ألمانيا، وقد رضيت القيادة الصهيونية بمبدأ – العنصر اليهودى غريب غير منتج يجب أن يتم تصديره عن طريق التهجير فى محاولة الحركة الصهيونية فى إنشاء دولة عبرية، وكان لهذه الحركة فرع فى ألمانيا تأسس عام ١٩٠٤ وأصبح المقر الرئيسى داخل ألمانيا للمنظمة الصهيونية والذى أصدر قرار عام ١٩١٢ جعل من الهجرة إلى فلسطين هدفاً أساسياً لكل يهودي. وكانوا يروجون إلى هذا بأن: اليهود شعب آسيوى أساساً وأنهم عنصر هدام في كل المجتمعات لأنهم غرباء وهذا سبب ازدواج الولاء عندهم، وأنهم عنصر فائض يقف فى حلق الأمة الألمانية مزج القومية بالدين، وهذه شعارات روجها «هرتزل ومكس نوردو» اللذين وضعا أساس الصهيونية فى ألمانيا، وقد أشاعت هذه الدعاية صورة سلبية للغاية عن اليهود وعن عدم إمكان دمجهم فى الشعب العضوىّ الالمانىّ، وفى هذا المناخ ظهر هتلر، وكانت الجماعات اليهودية رافضةً للمنطق الصهيونىّ النازىّ، فقد أخذت النازية مبادئها عن الصهيونية وقد اعترفوا بهذا فى محاكمات نورمبرج. وكانت الصهيونية التى أيدتها النازية وأخذت عنها مبادئها وراء الإبادة من خلال التجويع والسخرة والتهجير والإبادة الجسدية، وبعد هذا تحاول الدعاية الصهيونية توظيف واقعة الإبادة فى تعبئة أعضاء الجماعات اليهودية باعتبارهم الضحية الوحيدة وراء الأهداف الصهيونية، وعلى أن الأغيار يتربصون دائماً بالضحية اليهود الذين يقدمون قربان على المحرقة وهم يشيرون إلى أفران الغاز فى «أوسفيتس» على الرغم من أن سياسة هتلر فى الإبادة كانت موجهةً أيضاً نحو الغجر والكاثوليك والمعارضين السياسيين والمرضى والمتخلفين عقلياً والسلاف عامةً البولنديين والروس على وجه الخصوص، وقد بلغ عدد ضحايا الحرب ما بين ٣٥ مليون وخمسين مليون، ناهيك عن عدة ملايين من

الألمان أرسلهم هتلر للموت في ساحة القتال كما كان هناك كثيرون من جنود الحلفاء ضمن من قتلوا في الحرب مع الجنود الفارقة والآسيويين الذين جندوا رغم أنفهم ليشتركوا في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، حيث كانوا يوضعون في الصفوف الأمامية باعتبارهم مادة بشرية رخيصة، وهذا لا يعنى بحالٍ من الأحوال التشكيك فى الجريمة النازية لأنها أحد جرائم الحضارة الغربية الحديثة العديدة التى لا يمكن التهوين من شأنها، ولكنها جريمة ضد قطاعات بشرية عديدة وليست جريمة ضد اليهود دون سواهم.

– وقد سئل هتلر عن سبب معاداته لليهود، فكانت إجابته قصيرة بقدر ما كانت قاسيةً:– لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران، ونحن شعب الله المختار، هل هذه إجابة شافية للسؤال؟

– وتتصور الصهيونية أنها سوف تجد الحلول النهائية لكل مشاكلها وتؤسس «فردوس صهيون – مملكة المسيح – المهدى المنتظر – اليوتوبيا التكنولوجية» على الأرض وإنهاء التاريخ والزمان، ويحاول الصهاينة تقديم قراءةً كافيةً لما يسمونه «التاريخ اليهودى» بحيث تصبح الإبادة أهم معلم فيه، فيقال «قبل الإبادة – وبعد الإبادة» تماماً مثل «قبل وبعد هدم الهيكل» والإبادة إذن هدم الهيكل للمرة الثالثة، ولذا فإن من الضرورى حسب رأيهم الحديث عنه لاهوت ما بعد أوشفيتس – أو لاهوت الإبادة وهى أكثر الحوادث أهميةً وقداسةً، ويصبح الشعب اليهوديّ هو المسيح المصلوب، ومن ثمّ ضرورة مناقشة مدى عدالة الرب، وهل هو ربٌّ خيرٍ أم شرٍ، وهل يتدخل فى التاريخ بمنحه الغرض والغاية أم يترك التاريخ فى حالة فوضى كاملة؟.. ويساعد التركيب الجيولوجى لليهود على السماح بإفراز مثل هذه الأفكار وإعطائها قسطاً من الشرعية– وترى الجماعات الأصولية ذات التوجيه الصهيونى المسيحى الواضح أن الإبادة هى بالفعل دليل على أن الرب قد هجر اليهود بسبب الذنوب التى اقترفوها، ويذهب بعض المفكرين الدينين اليهود الأرثوذكس إلى أن الإبادة ذات مغزى دينى عميق، فيرى بعضهم أن إبادة اليهود هى هدم الهيكل الثالث وأن هتلر هو أداة الخالق فى حرق اليهود، كما يذهبون إلى أنهم بمثابة – المسيح – المذبوح الذى سيولد العالم من جديد بعد ذبحه.

وهناك رأىٌ مغايرٌ لهذا، إذ يذهب بعض الحاخامات - مثل (مناحم هارتو)، «واليعازر شاخ - الاب الروحى لحزبى شاس وديجيل هاتور» إلى أن الإبادة لها حقاً مغزى دينىٌ ولكنها عقاب على خطيئة اليهود لابتعادهم عن تنفيذ الأوامر والنواهى، وسوف يقوم الإله بتدميرهم مرةً أخرى إن لم يندموا ويعودوا عن طريق المعصية.. أنظر كتاب «الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ» للدكتور «عبد الوهاب المسيرى».

- لقد دمر قيام الدولة الصهيونية جانباً مهماً من حضارات منطقة الشرق الأوسط وبالذات تقاليد التعايش والتسامح، حين أجج الصراع الدينى وأشعل نيران الكراهية المذهبية بين أبناء الديانات الإسلامية والمسيحية واليهودية بكل مذاهبها، وأدى قيام الدولة العبرية إلى إشعال نيران التعصب فى المنطقة وإحياء الانتماءات الضيقة العرقية والطائفية وأفكارها مما ولد ردود أفعالٍ عنيفةٍ وتطرفٍ دينىٍّ وعنصرىٍّ بل وإرهابٍ على مختلف المستويات، ولو نظرنا إلى حصيلة الدمار والخسارة فى الأموال والأرواح والممتلكات والموارد، يتضح مدى ما تكبدته منطقة الشرق الأوسط بسبب الشعب المختار وقيام تلك الدولة العنصرية، ونذكّر هنا بعمليات الإعدام الجماعية وحمامات الدم التى ارتكبتها إسرائيل ضد المدنيين العرب فى تحدٍ سافرٍ لكل الأعراف الدينية والمشاعر الإنسانية قتل جماعى فى سيناء فوق خط الموت أثناء عدوان ١٩٦٧م ومناورات الجيش الإسرائيلىّ بالذخيرة الحية على أجساد المواطنين العرب ومذبحة قانا عام ١٩٩٦ ومجزرة المسجد الأقصى عام ١٩٩٠م ومذبحة الحرم الإبراهيمى عام ١٩٩٤م وقائمة انتهاكات حرمة ودم الإنسان العربىّ على يد الصهاينة لا تنتهى باسم شعب الله المختار، ويقول الله تعالى فى حديثه القدسى:- «**إذا عصانى من عرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى**»، وهكذا سلط الحى القيوم الشيطان على الذين اعتنقوا مذهب موت الإله، لقد انفك الصهاينة من حبل الله فوقعوا فى فخاخ الشيطان الذى اختارهم ليدمرهم، ويدمر الله بهم عالم الظلم والفساد فى اليوم الذى ينتظره الصهاينة، يوم «ارامجدن» الذى هو ليس منهم ببعيدٍ، انظر سورة «الإسراء الآيات من ١ إلى ٨» وأن نعمة الله على قومٍ لا تستمر إذا

كفروا كما قال فضيلة «الشيخ الشعراوى»، ويقول فى تفسيره «الآيه ٣» أن جمع اليهود فى مكانٍ واحدٍ - أرض الميعاد - ليس خيراً لهم، وإنما جمعوا ليقتلوا على يد المسلمين بما عصوا وأعتدوا، ويستعيد المسلمون المسجد الأقصى - ويدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرةٍ - .

إنَّ الاختلاف والنزاع بين العلمانيين الصهاينة والمتعصبين اليهود الذى سوف يفرِّق جمعهم ويخرب البيت الصهيونى بأيد أبنائه ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيد المؤمنين - لقد بنى بيتهم على شفا جرفٍ هارٍ وسينهار هذا البيت على كل ساكنيه وعلى كل من ساهموا فى وضع لبناته وغرروا باليهود إلى مذابحهم وإلى مجزرةٍ كبرى فى أتون الشرق، لتتخلص منهم بالعرب وتتخلص بالعرب من اليهود، وسوف يكون فيه آخر هزائمهم. وأن الصهيونية شأنها كشأن كل عادٍ متعدٍ إلى زوالٍ، كما تؤكد حقائق التاريخ إن عاجلاً أو آجلاً فهذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً، وسوف يبقى الجهاد المقدس هو الطريق الأمثل والأفضل والأكمل لحماية الأرض المقدسة، ولقد بشرنا الرسول (ﷺ) بأن الإسلام سينتصر فقال وأقسم:- «والله ليظهرن الله هذا الدين حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

- ولنقرأ فى التوراة قول الله عزَّ وجلَّ فى الذين عصوا من بنى إسرائيل:-

هم لم يرفضوك أنت إنما إياى رفضوا - صموئيل ١-٨:٧ - وقال تعالى:- **ارجعوا إلى أرجع إليكم** - ملاخى ٣ : ٧ - وأيضاً: **توبوا وارجعوا تمحى خطاياكم** - اعمال ٣ : ١٩- ويقول سبحانه: **وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم وتركوا إله آبائهم،** إلى قوله تعالى: **فحمى غضب على إسرائيل فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا على الوقوف أمام أعدائهم..** قضاة ٢ : ١١-١٤..

وفى كل مرة كانت تشتد عليهم الضيقة كانوا يرجعون إلى الله فيرجع ويخلصهم، ثم يرجعون إلى خطاياهم، وقد جاء فى المزمور ١٣٧ : **وبكى أولاد الله على أنهار بابل وعلقوا قيثاراتهم على أشجار الصفصاف، وفيما هم**

مسببون، كانت ترن فى آذانهم عبارة - ارجعوا إلى فأرجع إليكم - وظهر فى السبى قديسون مثل دانيل النبى والثلاثة فتية وحزقيال النبى، وظهر رجال إيمان لهم غيره مقدسة مثل نحميل وعزرا وزربابل، ورجع الرب ورد سبى شعبه بموع نحميا وعزرا لما سمع نحميا أن سور أورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار إلتهبت قلبه وقال: جلست وبكيت ونحت أياماً وصليت وقلت أيها الرب أنا وبيت أبى أخطأنا وقد أفسدنا أمامك، يا سيدى لتكن أذنك مصغية إلى صلاة عبدك - نحميا ١ : ٣-١١ .. ورجع الرب وأعطى نعمه لنحميا فى عينى - كورسن - ملك فارس، وأستطاع أن يبنى أسوار أورشليم، وعزرا بكى بسبب أخطاء الشعب وفى وقت تقدمة المساء قام من تذلله، وجثا على ركبتيه فى ثيابه الممزقة، وبسط يديه إلى الرب وقال: اللهم إنى أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهى وجهى نحوك، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء- قد جازيتنا يا إلهنا أقل من آثامنا. وأعطيتنا نجاه كهذه. أفنعود ونعتدى وصاياك، إيها الرب، أنت بار لأننا بقينا ناجين إلى هذا اليوم عزرا ٩٠ : ٣-١٥ - وصام عزرا وصام الشعب معه - وبكى وأبكى الشعب معه بكاء عظيماً - ١:١٠ - وسمع الرب وعاد إلى شعبه.

- لقد سبقت التوراة القرآن فى ذم بنى إسرائيل على لسان موسى عليه السلام - لقد نعتهم الله تعالى بالفساد والتمرد، أما الذين قال فيهم الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ «الأعراف ١٥٩»، فهم أخوتنا فى الدين والانسانية لا يظلمونَ ولا يُظلَمونَ، إلهنا وإلاههم واحدٌ مؤمنون موحدون.

- وعلى ذكر التوحيد نرجو مخلصين من علماء التشريع وعلم أصول الفقه الإسلامىّ أن يبتوا فى تعريف «الإشراك - والمشرك» وهل يستوى المسيحىّ مع الذين يعبدون إلهاً آخر غير الله؟ مثل الاصنام والأوثان والحيوان الخ، ولقد حاولنا فيما سبق ذكره فى هذا الصدد على هذه الصفحات أن المسيحىّ وبرغم فرية التثليث التى يؤمن بها إلا أنه لا ينكر وجود الله ولا يجحد به ولا يطعن فى ذاته أو شيءٍ من صفاته وربوبيته أو سلب صفة الكمال عنه سبحانه وتعالى.

ونصل إلى ذلك عن طريق القياس اليقينى للتعاليم المسيحية والأناجيل ، وعن طريق القياس اليقينى أيضاً من آيات القرآن الكريم وميزان آياته الجامعة فى أتباع «عيسى عليه السلام» تدل بظاهرها على أن الله تعالى لا يدخل المسيحىّ فى زمرة الملحدين والكافرين والجاحدين من أصحاب الكبائر التى سوف تخلدهم فى النار.

كتب الأستاذ «جمال بدوى» فى جريدة «الاخبار» بتاريخ ١٩٩٨/٧/١٨ يقول:- من واجبنا أن نتصدى لهذه الأفكار السامة التى تسعى إلى إيغار صدور المسيحيين ضد أخوانهم المسلمين وخاصة فى بلادنا العربية، حيث يتعايش المسلمون والنصارى فى وئام وصفاء، ولم يذكر التاريخ فى صفحاته الطوال والحمد لله مصادمات بين أبناء الدينين مثلما جرى بين الكاثوليك والبروتستانت فى أوروبا. ولم نسمع عن مثل تلك المذابح التى أوردها المستشرق «توماس ارنولد» فى كتابه «الدعوة إلى الإسلام» عن الملك «شرلمان» والذى فرض التعميد على الفرنجة بالسيف، أو عن الملك النرويجى «أولاف ترايجنسيون» والذى كان يقوم بذبح هؤلاء الذين أبو الدخول فى المسيحية أو بقطع أيديهم وأرجلهم أو ينفيهم ويشردهم. وإذا انتقلت إلى الشرق فلن تجد فى تاريخ الإسلام مع النصارى ظلاً من هذا القهر، ولن تعثر على قطرة دماءٍ مسيحيةٍ أوريقت على سبيل الاضطهاد والعنت، وما عليك إلا أن تقارن بين حياة النصارى فى ظل الإسلام وحياتهم فى ظل الدولة الرومانية، التى كانت تنتسب إلى المسيحية لتعرف الفرق الشاسع بين حضارةً تحترم العقائد والأديان وحضارةً تضطهد المخالفين.

- ويروى الأستاذ «شنودة» فى الجزء الأول من موسوعته «تاريخ الاقباط» ويقص علينا سلسلة هذه الاضطهادات والتى بدأت فى عهد الامبراطور «نيرون» سنة ٦٤ ميلادية، الذى أشعل النار فى روما ثم أتهم المسيحيين باحراقها وشنّ عليهم حملةً شعواءً فى كل أنحاء المملكة الرومانية مبتدعاً أبشع الوسائل فى الفتك بهم.

- وبلغت هذه المذابح ذروتها عام ٢٨٤ ميلادية فى عهد الامبراطور «دقلاديانوس» الذى صمم على إبادة المسيحيين حتى تصل دمائهم إلى ركبة

فرسة وهدم الكنائس وأحرق الكتب وقبض على الأساقفة وأغرقهم فى مذابح دامية، لم يسبق لها نظير فى التاريخ وأنه ليعسر على الكاتب الماهر أن يصف مقدار ما تجرعه الشهداء من ألوان العذاب القاسية أو الآلام، التى تشيب من ذكرها النواصى. وكان هذا مسلك الحضارة الرومانية مع أتباع المسيح فماذا كان مسلك الحضارة الإسلامية؟.

– بعد ستة قرون من المسيحية ظهر الاسلام، وفى القرن السابع الميلادىّ بدأ الاحتكاك بين دولة الإسلام الناشئة وبين دولة الروم البيزنطية وقامت بينهما حروب طاحنة، انتهت باندحار الروم فى خلال مائة عام فقط وانتقلت القيادة إلى حوزة دولة الإسلام العالمية، التى سرعان ما امتد نفوذها من – كاشغر – على حدود الصين إلى ساحل المحيط الأطلسى وأسبانيا حتى جنوب فرنسا، ثم اندلع الصدام مرةً أخرى فى مطلع القرن الثانى عشر الميلادىّ مع الغرب المسيحىّ واستمر قرنين مما يعرف بالحروب الصليبية التى انتهت هى الأخرى باندحار الغرب وزوال المستعمرات التى أقامها فى عقر دار الإسلام، وسارت العلاقات بين الغرب والشرق فى خطٍ بيانىّ يتراوح بين الارتفاع والهبوط إلى أن بلغ الصراع ذروته فى الهجمة الاستعمارية، التى شنتها أوروبا على عالم الإسلام فى القرن التاسع عشر وفرضت عليه هيمنتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ورغم انحسار موجه الاستعمار فلا يزال «الإسلام» هو الشبح الذى يؤرق مضاجع الغرب، وعكف مفكروا الغرب المحدثون على تصوير الإسلام فى صورة العدو اللدود للمسيحية والخطر الذى يهدد بزوالها، وهم يعتمدون فى ذلك على إثارة الأحقاد الصليبية القديمة وتفسير حركة الفتوحات الإسلامية، على أنها كانت حرباً دينيةً قام بها المسلمون لإزالة المسيحية وتصفية المسيحيين وإكراههم على اعتناق الإسلام.

والواقع أن الحروب التى اندلعت فى عصر الفتوحات لم يكن مسيحيوا الشام أو أقباط مصر طرفاً فيها وإنما دارت المعارك وعقدت معاهدات الصلح والاستسلام بين قادة الفتح الإسلامىّ وبين قادة الروم المدحورين وكان موقف المسيحيين من العرب الفاتحين موقف التأييد والترحيب، لما تنامى إلى أسماعهم عن سماحة الإسلام وأحترام عقائد الغير.

لم يكن موقف الاسلام من النصرانية فى يومٍ من الأيام موقف عداءٍ أو تربصٍ كما يشيع الجهلة والحاقدون ومن يطلع على تعاليم القرآن والسنة لا يجد ما يقال بأن الإسلام يعادى النصرانية ويعمل على زوالها.

لقد كانت مجادلة الرسول (ﷺ) لأهل الكتاب على أساس مذاهبهم ولم يشتد فى جدالهم شدته فى جدال المشركين وعباد الأصنام، بل كان (ﷺ) يحاجيهم بالوحى ومن كتبهم وما جاء فيها بشأن التثليث وألوهية المسيح ومريم والفداء والصلب وكل ما يلقى ظلاً على فكرة التوحيد، وما على الذين يطعنون فى الإسلام إلا النظر فى القرآن والسنة ليروا فحش وافتراء مخلفات الحروب الصليبية، التى أصر على تشويه صورة الإسلام وإثارة الضغائن بين المسلمين والمسيحيين وتخويف المسيحيين من مكائدٍ مزعومةٍ وأوهامٍ باطلةٍ.

- يقول الشيخ «محمد الغزالى» - رحمه الله - فى كتابه - «حقوق الانسان بين تعاليم الإسلام وإعلان حقوق الأمم المتحدة »:- إن الحرية الدينية التى كفلها الإسلام لأهل الأرض لم يعرف لها نظير فى القارات الخمس ولم يحدث أن أنفرد دين بالسلطة ومنح مخالفيه فى الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار مثلما صنع الإسلام. ويقول فضيلته:- أن الاسلام لم يفرض على النصرانىّ أن يترك نصرانيته أو على اليهودىّ أن يترك يهوديته بل طالب كليهما مادام يؤثر دينه أن يدع الإسلام وشأنه يعتنقه مَنْ يعتنقه دون تهجمٍ مرٍ أو جدلٍ سيءٍ.

- والفقهاء المسلمون يرون أنه لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته الكتابية من أداء عبادتها وشعائرها، والإمام «الشافعى» يرى أنه لا يحق للزوج أن يفاتح زوجته فى هذا الأمر، والإمام أبو حنيفة يرى أن للزوج أن يعرض الإسلام على الزوجة لمصلحةَ من غير إكراهٍ.

- ومن المبادئ الأساسية المقررة فى الشريعة الاسلامية أنه لا يجوز للمسلم أن يتزوج بأمرأةٍ لا تدين بدينٍ سماوىٍّ كالمسيحية واليهودية لأنها لا تؤمن بكتابٍ منزّلٍ ولاً بنبىٍّ مرسلٍ من عند الله.

إنَّ النزعة الاصولية لدينا تجعل من الحاضر القائم انحرافاً وتدهوراً عن أصل قديمٍ كان يمثل فى نظرها العصر الذهبى لهذه الحضارة وينبغى استعادته، أما

أصولية الغرب فإنها تعيش عصرها الذهبي فى حاضرها تحاول اصطناع جذور قديمة لتفسير حاضرها ويبنون هذه الحضارة بهمة وحماس، أما الأصولية الإسلامية فهى تخرب ماضيها وحاضرها بنفس الهمة والحماس وأن تحرير الماضى من المستقبل وتحرير المستقبل من الماضى ضرورة طبيعية لتجديد الحياة والتطور بما يتلائم ومناهج التشريع والفقه الإسلامىّ، والتجديد لا يجب أن يكون مقصوراً على كل مرافق الحياة دون الدين فكل شيء فى الحياة فى تجديد وحركة ذاتية مستمرة، لذلك كان من خصائص الدين الذى أنزل ليتعامل مع بعدىّ الزمان والمكان أن يكون مبنياً على سنة الله فى الحياة وهى سنن التغير والتطور، فالإسلام وإن كان مؤسساً على عقائد ثابتة وحقائق خالدة ومادة صالحة لكل زمان ومكان إلا أن تشريعاته تلائم التنوع فى المكان والتغير فى الزمان، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد وإلى أن تفى ظواهر النصوص ببيانها.

- ومن هنا تبدأ فكرة التجديد عند فرد أو أفراد قلائل، تأتيهم هذه الفكرة من شدة شعورهم بسوء الحاضر فيدعون إليها ويؤلفون الحجج العقلية والشعورية المبرهنة على صحتها، فيكونون بذلك المعبرين فكرياً وعملياً عن تلك الضرورة.

- ولكن كل هذا يكون فى إطار الأصالة والمعاصرة بحيث التمسك بالأصول القديمة فى غير تجاهلٍ للأصول الحديثة، وبدون الدعوة إلى العصبية الدينية، التى يدفع بها الغلو إلى الاجتراء على حقوق الله والمزايدة على رسله أنفسهم قبل الاجتراء على حقوق البشر والافتئات على بنى الانسان.

- إنّ العصبية بطبيعتها تلغى المنطق وتعطل العقل وتشل الضمير، أنها تعبير عن الهوى الذى هو مضلة يطفئ نور العقل ويلغى دور البرهان ويخرس صوت الضمير، وجماع الرسالة الدينية كما هو معلوم أخلاقى قبل أن يكون تشريعيا، وعلى هذا تكون العصبية مناقضةً لطبيعة الدين، فكل دينٍ أنزله الله تعالى فمن أجل الإنسان الذى جعل منه شعوباً وقبائل ليتعارفوا بمعنى التعارف والتعامل بالمعروف ولا يجور بعضهم على بعضٍ باسم الدين أو بأى تعلة من تعلات الفكر أو خديعة من خدع الهوى، أن الإنسان معمار الله فلا يحل لأحد ولا يحق له أن يهدم منه شيئاً أو ينقص من حقوقه أو إدعاء احتكار الفهم لرسالة الله وانتزاع حقه سبحانه وتعالى فى حساب عباده يصادر كل فهمٍ آخر أو تفسيرٍ

مختلفٍ لمقاصد الرسالة الإلهية. إن هذا يثير الفرقة فى استخدام ملكات الفهم فى الإنسان ويعطل قوى العقل والاجتهاد.

– وأنه يكفينا رحمة الله مؤنة أن الرسول (ﷺ) قال:– «من دعا إلى عصبية فليس منا» والعصبية هى أن يحتكر فرد أو جماعة حق الفهم لنصٍ من نصوص الدين أو حتى تفسير الدين نفسه وفق فهمه الخاص ثم يفرضه أو يحاول فرضه على الغير فرضاً باعتباره هو الدين ذاته ويصبح الذى يخالفه يخالف الدين ذاته مخولاً لنفسه بمقتضى ذلك حق التفكير أو التبديع ومن ثمَّ طرد العباد من الدين أو إدخالهم فيه.

– إنَّ هذا المنحى ليس نادراً فى تاريخ الأديان، بل فى الواقع هو حالةٍ متكررة كأنما تواصى بها أتباع الأديان أو توارثها جيلٍ بعد جيل، أنها ظاهرة ماثلة فى التاريخ على اختلاف الملل والنحَل والأمم والأجناس، والقرآن الكريم يحدثنا فى أكثر من موضع بأن الناس لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم، ومن الواضح أن هذا البغى يحدث حين يحتكر فردٌ أو جماعة حق ذلك الفهم ويحاول فرضه على الآخرين فيحصل الاختلاف وتندلع الخصومة، التى إنما تنبعث من التعصب حسب تعبير الشيخ «أبى زهرة» رحمه الله.

– ويعرف من له إلمام بالتاريخ الآثار المخيفة للتعصب الدينىّ، بلغ الأمر بهذه العصبية الدينية فى الهند حداً جرد ملايين البشر من إنسانيتهم، وقد اصطبغ تاريخ أوروبا بلون الدماء التى أوريقت بين الطوائف المسيحية ذاتها بعد أن سقاها التعصب اليهودىّ والرومانىّ قبل ذلك سوء العذاب، ثم ما لبثت أن مارسته ضد نفسها، لقد دفعتها العصبية الدينية إلى الحروب الصليبية المشئومة بما انطوت عليه من ألوان بالغة الوحشية لا يزال عارها وشماً ثابتاً فى عرض التاريخ الإنسانى وأشعلت ذات العصبية حرب المائة عام بين مسيحى أوروبا أنفسهم أو داخل الوطن الواحد، حتى لقد ذهب أربعون ألفاً من البروتستانت قتلى فى معركةٍ واحدة على أيدى الكاثوليك فى فرنسا، وقد تجاوزت هذه العصبية كل حدٍ حين قامت محاكم التفتيش شاهداً موغلاً فى الفظاعة والوحشية على جنون هذه العصبية والتحكم فى مصائر الناس والحكم بالموت والحياة بأبشع الصور والوسائل باسم الدين، ومجمل القول وخلاصته أن العصبية إذا دخلت

على الاعتقاد أفضت به إلى الجمود على رؤية جانبية أحادية النظرة تؤدى إلى التكفير الذى يؤدى إلى إعلان الحرب على المجتمع كما فى حالة الخوارج القدامة والجدد، تلك الفتنة التى تطحن بعضها فى صراع مفزع من كل معنى لم تصب إلا الدمار لذاتها ولتدمير غيرها، وهكذا فكل من دعا إلى العصبية احترق فى أتونها، وقد حذر الرسول (ﷺ) الذين يخالفون أمره أن تصبهم فتنة أو يصبهم عذاب أليم.

– ولذلك وجب على دعاتنا وعلمائنا تقديم الإسلام للغرب وفى مواقع الإنترنت بالصورة التى ارادها الله تعالى والسنة المطهرة، حيث أنه وللأسف مازال الإسلام يقوم على أنه لا دين ولا إسلام غيره، ولذلك كان موقف بعض الدوائر الغربية من الإسلام فى الإعلام وشبكات الإنترنت هو موقف تعصب بتعصب وعداء بعداء، فيطلقون على الإسلام «القنبلة الإسلامية» أو Islamic Sub – أو الغواصة التى تدمر بدون أن يشعر بها أحد.

– وهم يربطون بين الإسلام والإرهاب ويشعلون بهذا حروب الهوية والصراعات العرقية، ويربطون بين الرعب النووى وفناء البشرية بين وضد أفراد الجاليات العربية الإسلامية، التى تعيش فى الغرب، فالإسلام كعقيدة وسلوك مستهدف بشكل منظم فى دوائر الإعلام الغربية والإنترنت ويواجه بسيل من المواقع المشوهة للإسلام.

– أما إذا قُدِّم الإسلام بأسلوب القرآن الكريم الراقى لكان هذا وحده كافياً فى توضيح الإسلام والدفاع عنه فى آن واحد، وهناك يقظةً حدثت فى الثقافة الإسلامية على مدى العشرين عاماً الأخيرة، إلا أنها مازالت تفتقر إلى ضوابط ومعايير المنطق العلمى للإسلام ذاته، وهى على هذه الصورة سوف تتحول إلى ما يشبه الفوضى وخلط الأوراق والالتباس بين المفاهيم الصحيحة والمذاهب والاهواء الشخصية والجماعية، وهذا بسبب إقصاء العقل وإلغاء دوره فى عملية الاستنباط والاستنتاج والميل كلياً إلى ظواهر غير مرادها أو التشبث برؤية ما، حتى لو تصادمت مع صريح القرآن والسنة.

– إنَّ أصل الإسلام من ألفه إلى يائه كان وما يزال مصدر خير وبركة ويسر فى الدين للمسلم وغير المسلم والإنسان الغربىّ يقدِّر هذه النزعة ويحترمها

ويفهمها جيداً لأنه مطبوع فى حضارته على مشروعية تعدد الآراء واحترام وجهة نظر الآخر، حتى وإن كانت تتعارض مع وجهة نظره، فضلاً عن أنه لا يعرف من القيود غير قيد الحرية الإنسانية على اختلاف مذاهبها وفلسفاتها. لذلك يجب أن تقدم للغربى كل ما هو حق وخير وجميل عندنا وعند الآخر أيضاً مهما اختلفت عقيدته ومذهبه الاجتماعى والسياسى ونظهر له سمات الإسلام وحقيقته ودوره فى خدمة البشرية وانقاذها من مشاكلها، ونظهر له بساطة الإسلام وسماحته تجاه العقائد الأخرى مع التركيز على البعد الروحى والاخلاقىّ الكامن فى جوهر هذه العقيدة وكذلك قوانينه وحقوق الإنسان فيه، ودعوة الاسلام إلى الحب والتآخى فى الدين والإنسانية، وتحريم الظلم والتسلط والاعتداء والفحشاء والمنكر، ويجب أن يعرض كل ذلك فى إطار الهدىّ الإلهىّ والنبوىّ وما يدرج فى إطار هذا الرأى من أقوال علمائنا وفقهائنا الأجلاّء وبعيداً عن كل ما أضيف إلى هذا المصدر الكريم عبر العصور من مواريث ليست من الإسلام فى قليلٍ أو كثيرٍ، وإلا كنا كمن ينشر عوراته الفكرية للآخرين لينفروا منه ويديروا له ظهورهم.

– كما ينبغى أن يتضمن خطابنا إلى الآخر جوانب من اختلاف آراء العلماء فى القضية محل النقاش، ثم نرجح رأياً من هذه الآراء على أن نانى بالدليل على صحته مع عدم تشكيكنا أو تقليلنا من شأن آراء الآخرين، كما قال الإمام «مالك»: «رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأى الآخر خطأ يحتمل الصواب»، وعندما نأتى بتعدد الآراء فى الموضوع يثبت لدى المتلقى او للعس الغربى أننا نحترم التعددية والاختلاف فى الرأى وهذا ما يقبله ويتفق تماماً مع عقليته لأنه يرفض الاعتداء بالرأى الواحد وإلغاء كل الآراء الآخرى.

- يقول الدكتور «السيد الشاهد» أستاذ بجامعة الأزهر:– «أن الإسلام على مدى تاريخه الطويل لم يشهد يوماً اتفاقاً مع كل العلماء فى أى موضوع حتى فى أزهى عصور تفوقه، وإنما تعددت فيه الآراء واختلفت، وكما يقال اختلاف الأئمة رحمة للأمة. الأهرام ٩٨/٩/٢٥..

– إذن لابد من إعادة النظر فى خطابنا إلى الغرب من حيث اللغة والمنهج بحيث يكون ذلك مركزاً ومفيداً ومؤثراً فى المستمع والمشاهد، وأفضل شىء

يجب أن نبدأ به في خطابنا الإسلامي أن نركز على ما هو مشترك بيننا وبين الآخر وأن نوضح بأننا نعبد إلهاً واحداً وأن كل الأديان تدعو إلى الفضيلة والوسطية ورفض الظلم ومساعدة الآخر، ثم نقوم ببث ما نريد توصيله للآخر عن الاسلام دون اتهام الآخر بالجهل، أو الضلال أو التعصب، مع توضيح اختلاف وجهات النظر الدينية والثقافية بيننا وبينهم، وهذا الأسلوب يمكن تطبيقه في كل أنواع الخطاب الدينيّ والثقافيّ وغيره، خطاب تعاملي مع الآخر وليس خطاب عداءٍ أو تنافرٍ، وهذا ما يمكن الوصول به إلى أفضل النتائج من حوارتنا الثقافية والدينية مع الآخر.

- يقول الدكتور «مصطفى محمود» في كتابه «علم نفس قرآني جديد» :- : «لابد من الاعتراف بأننا نحن المسلمين أخفقنا في الدعوة إلى ديننا، وأننا لم نبلّغ الإسلام بقيمه الرفيعة ومعانيه السامية إلى العالم، وأننا أسوأ داعية للإسلام وأسوأ صورة للمسلم»، وعلينا أن نبدأ باصلاح أنفسنا إذا أردنا أن يبدل الله من حالنا، فنحن الآن أحوج ما نكون إليه إلى رحمته ومغفرته ومعونته، وأن الخراب في داخلنا هو سبب الكارثة، ومن يصلح هذا الخراب في نفسه سيكون هو البطل الذى سيبدل الله على يديه الاحوال»، واللهم ارزق علمائنا الرشد والرشاد ووفقهم فيما يدعون إليه لما فيه صلاح العباد والبلاد وجنبهم الشطط والزلل وقسوة الخلاف. آمين.

- ونذكّرهم وأنفسنا بقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ «العنكبوت آية ٤٦».

- يقول الدكتور «عبد المعطى بيومى» عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر:- «أننا ينبغى أن نضع الفقه القديم في المسائل المتغيرة في موضعه الصحيح من ثقافتنا فنعتمد الفقه بالمصادر الأصلية التى هى القرآن والسنة والإجماع والقياس، ويبقى الفقه مصدراً فرعياً لأن آراء الفقهاء القدامى، التى وردت في مثل هذه المسائل المتغيرة كانت متأثرة بالأعراف السائدة والظروف التى عاش فيها الفقهاء، إلى جانب أنهم جميعاً كانوا رحمهم الله يذكرون أن

آراءهم متغيرةٌ بحكم أنهم بشرٌ فقد قال «أبى حنيفة» لتلميذه «أبى يوسف»:- «ويحك يا يعقوب لا تكتب ما تسمعه منى فإنى قد أرى الرأى اليوم فأتركه غداً وأرى الرأى غداً فأتركه بعد غد»، كما رفض الإمام «مالك» رضى الله عنه عرض «أبى جعفر المنصور وهارون الرشيد» أن يجعلا كتاب «الموطأ» فى الفقه المالكى كتاباً عاماً واجب الاتباع فى الدولة الإسلامية الواسعة. ويقول:- إذا كان الفقه بهذه المثابة عرضة للتغييرو والتبديل ومحلاً للنقد فأنه لا يصلح أن يكون مصدراً أصيلاً أو دائماً من مصادر الثقافة الإسلامية بل يكون مصدراً فرعياً، حتى لا نخطئ كما أخطأت الأمم السابقة أو جعلت الشروح، التى وضعها الأحبار على الأسفار نفسها. الأهرام ٩٨/١٢/٤..

- وأن الفقه عملٌ بشرىٌ متفرعٌ من القرآن والسنة اللذين هما الوحىَ المعصوم الذى لا يتغير ولا يتبدل، ومع هذا لا يجب أن نهون من شأن الأقدمين أو طرح الفقه القديم كله فتلك دعواة هدامة نعوذ بالله منها، لا يدعوها إلا من يريد تحطيم الشريعة ولا يدعوها أى مسلم يعتز بإيمانه، وهناك فرق بين الشريعة التى هى وحىٌ من الله فى العقائد والعبادات أما الفقه فهو الفهم البشرى لهذا الوحى الالهى فالفقه يعنى الفهم، والذى يرى دعوة التجديد مزعجة لم يصل إليه حديث الرسول (ﷺ) بشأن التجديد:- «أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه «أبو داود». وهذا يعنى إحياء الوعى بالرسالة المحمدية ليمارس المسلم مهمته فى إلحاق الرحمة بالعالمين، وتشكيل العقل الهادف الذى صنعه الإسلام فى ضوء الوحى، وأن الله عزَّ وجلَّ لم يعرض رسالته للإنسان ليبحثها وإنما ليخضع لها خضوعاً تاماً لاشك فيه ونستعمل العقل فهم الشريعة ولا نملك لها تبديل ولا تغيير فالعقل مهيأ لأمورٍ كثيرةٍ كعمارة الأرض والاستدلال، أما عالم الغيب الذى أُمرنا بالإيمان به دون أن نراه فهو ليس للعقل دور فيه لأن مصادر المعرفة فى الدين تعلو على العقل وقدراته المحدودة، لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ «سورة البقرة. آية ٢٨٢». فعلوم الدين تتم بقدرة الله ونستعين بالعقل بعد أن نستعين بالله سبحانه وتعالى، ويقول «الحارث المحاسبى»:- إن العقل نور فى القلب تدرك به النفس ما لا تدركه الحواس، ونحن نفهم أحكام الشريعة فهماً صحيحاً إذا كانت منوطة بالعقل نور القلب ولا مجال للعقل فى

الإيمان بالغيبيات فهو لا يستقل بإدراكها فيلجأ فيها إلى مدد السماء العظيم، وأما الإختلاف فى الرأى والفكر فهذه سنة الله فى خلقه فالعقل البشرى مطبوعٌ على التباين والكون كله منسوخ على التنوع الغنى وهذا سر تقدم الإنسانية فى مختلف المراحل، وهذا يؤدى إلى قيام الحوار وقبول الآخر لأن غيابه يفتح الباب للصوت الواحد الذى هو المقدمة الطبيعية لنفى الآخر والعنف الغوغاء، وأن نشر الثقافة التى توصل إلى قبول الآخر فى المجتمعات البشرية أى بين الأجناس المتناحرة أو الأديان المتناقضة ليس بالأمر السهل، حيث أنه عمل ثقافى وتعليمى من الطراز الأول، والحوار العلميّ الرزين، ففى وسط الخضم الهائل من التيارات الجارفة يقف الإنسان تائهاً حائراً، ودور العلماء والدعاة غائم غير محدد، ولقد مر بالمسلمين ليل طويل بعد سقوط الدولة العباسية منذ قرابة ألف عام كانوا أسرى الضعف الذى شمل الحياة كلها ومنهم العلماء، وعندما جاءت اليقظة فى العالم الإسلامى، والتى تمثلت فى رموز «كالأفغانى ومحمد عبده» وغيرهم ظهر أثر وجودهم فى الوعى بأمور الدين، فاصلاح المناهج وتطويرها هى مهمة العلماء فى كل موقعٍ لتنوير مفاهيم الناس وإرشادهم لصحيح الدين والتراث الإسلاميّ، وهذا من خلال المؤسسات الدينية والإعلام ووسائله المختلفة، ببث المعلومة الدينية السليمة لتواكب الإيقاع السريع للحياة فى شكلها الجديد.

إنَّ البناء الفقهى الشامخ الذى تركه لنا علماء القرون السبعة الأولى لا يزال مرجعاً غنياً صالحاً ونافعاً، ولكن إجتهاد علماء تلك القرونِ ليس نهاية المطاف فى تطور الفقه، وأمةٌ يمثل سكانها خمس سكان العالمِ بمكانتها التاريخية والحضارية ومقوماتها الروحية بل والمادية أيضاً التى تشتمل على كل خيرات الدنيا لا يجب أن تعيش فى حالة التهميش التاريخيّ والحضاريّ المفروض عليه من الغرب وطلب النصر من الله دون الأخذ بأسبابه لن يخرجهم من الواقع الذى يعيشونه، والحل هو نبذ التواكل والعيش على أساس من الفعل العقلانيّ وإعلاء دور العقل فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله للتصدى للغزو الفكرى الآتى من الغرب، وأن الحداثة لا تعنى قطع الصلة بماضى الأمة الاسلامية عقيدةً وتاريخاً وتراثاً. ولكن يجب إظهار عظمة الإسلام وإعجازه فى أنه الدين الكامل الشامل الذى يصلح لكل زمانٍ ومكانٍ سواء فيما يتعلق بثوابته

الراسخة المتفق عليها أو التى قننها السلف الصالح إذا ما طبقه بما أراد الله فى كتابه وسنة رسوله لكى يستعيد المسلمون دورهم الرائد فى عصر أصبح فيه الاسلام هو البديل الأفضل للنظم الحياتية المتساقطة، ورحم الله إمامنا «أبو حامد الغزالى» حجة الإسلام، الذى يصور لنا من وراء حجب الغيب واجب العلماء فيقول:- «ولعمرى الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش، فهم - أى العلماء - قد تقلدوا أمراً لابد فيه من صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله ﷺ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء»، وللأمام «أبو حامد الغزالى» المعروف بتشدده فى الدين مقولةً مشهورةً أيضاً فى كتابه «إحياء علوم الدين» وهى أن الإسلام ثلاثة: إسلام العامة، وإسلام الخاصة، وإسلام خاصة الخاصة. ذلك أن العامة لا يدركون من الدين إلا وجهه الخارجى فقط، أما الخاصة أو النخبة فتدرك الدين إدراكاً أعمق.

«علامات الساعة»

يقول الله تعالى في سورة «الزخرف الآية ٥٧»: **﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾**. ويقول تعالى في نفس السورة «الآية ٦١»: **﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ، هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾**.

ويقول سبحانه وتعالى فى سورة «الشورى الآية ١٣»:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ، أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾..

ويقول سبحانه وتعالى فى سورة «محمد الآية ١٨»:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا، فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾.

– وقال رسول الله (ﷺ):- «**والذى بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم فى أمتى خلقاً من حواريه**». وقال عليه الصلاة والسلام. «**لن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها**». التذكرة للقرطبى ٧٥/٢.

– وموضوع هذا الفصل سوف يفسر هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

إنَّ سفر دانيل ورؤيا يوحنا فى الكتاب المقدس هما كتابان توأمان يحملان رسالة مستقبلية لعلامات الساعة يوم القيامة، وليس لأصحاب الكتاب المقدس وحدهم ولكن لبنى البشر جميعاً. ولكى تثبت الرسالة صدقها تنبأت بأحداث تاريخية تحققت جميعها بدقة تامة. ونحن نعيش الآن فى الأحداث ونشرف على الجزء الأخير من هذه التنبآت، ونجد فى طول التوراة وعرضها أقوال الأنبياء وتنبآتهم تؤيد السفرين، ويتأكد الباحث بأن هذه التنبآت صادرة عن مصدرٍ علوىّ ليس للبشر دخل فى المعلومات التى جاءت بها، ولقد نجح علماء اللاهوت البروتستانت فى فك الطلاسم والأرقام التى جاءت فى سفرى دانيل ويوحنا وكشف هوية المسيخ الدجال الذى غير الوصايا الإلهية وأدخل على التعاليم الإلهية ما لم ينزل الله بها من سلطان. ويرى البروتستانت أن ما يسميه المسلمون بالدجال هو مدير مؤسسة الڤاتيكان فى روما – Anticrist– إذن

فالدجال كان موجود منذ أن أنشأت البابوية فى روما، ونرى أنه سوف يأتى بصفاته المعروفة عند المسلمين فى آخر الأيام والله أعلم، وإلى جانب التنبآت المستقبلية التى تحملها الرسالة فإنها تحث الأتباع على التوحيد والرجوع إلى الوصايا والتمسك بها والمعروف أن أول الوصايا العشرة فى التوراة هى التوحيد المطلق لله تعالى، ومن المؤسف أن هذه الرسالة لم تصل إلى الأتباع ومازالوا مصرين على التثليث ونرجو من الله العليّ القدير أن ينير بصيرة الأتباع قبل أن يأتى المسيح عليه السلام الذى ينتظره اليهود والمسيحيين والمسلمين، كلاً حسب رؤيته ومعتقده.

– ونحن نميل إلى تفسير – السبتين – لسفر دانيل ورؤيا يوحنا حيث أنها تتفق مع الفقه الإسلامى والسنة النبوية الشريفة، فقد جاء فى الأثر أن قيام الساعة لها علامات منها فتح مدينة الروم أو الرومية، قال «الترمذى» عن «أنسٍ» عن الرسول (ﷺ) أنه قال:– «أن المهدى ومن معه من المسلمين يقتحمون كنيسة الذهب عند خروج الدِجال»، التذكرة ٣٠٢/٢ والدجال فى اللغة على عشر وجوه، منها الكذاب، مَنْ يغرِ الناس بشره، والدجال هو ماء الذهب الذى يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخَله خزف أو عود، سميّ الدجال لأنه يحسب الباطل، مموه، وأنظر البخارى كتاب الفتن، باب ٣٦– يطأ الدجال جميع البلاد إلا مكة والمدينة، و يقتله المسيح عندما يعود.

وعلامات الساعة حسب الرؤية الإسلامية هى: قبض العلم وغلبة الجهل واستيلاء أهله، وبيع الحكم، وظهور المعازف، واستفاضة شرب الخمر، واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال، وإطالة البنيان، وزخرفة المساجد، وإمارات الصبيان، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وكثرة الهرج، وآخرها، خروج الدجال، نزول عيسى وقتله الدجال، خروج يأجوج ومأجوج، خروج دابة الأرض، طلوع الشمس من مغربها، وهذه هى الآيات العظام على ما سوف يتحقق قبل قيام الساعة، وروى من حديث «حذيفة» عن النبى (ﷺ): أن المهدى ومن معه من المسلمين يأتون إلى الرومية فيقتحمون كنيسة الذهب – «الفاتيكان» – فيجدون فيها الأموال التى أودع فيها ملك الروم – «قيصر» – حيث غزا بيت المقدس، فيأخذ المهدى تلك الأمور فيردها إلى بيت المقدس الذى ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودّر وياقوت وزمرد، فإن بنى إسرائيل لما

عصوا وقتلوا الأنبياء سلط عليهم الله بخت نصر وهو من المجوس، فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والاطفال، وكان بينهم نبى الله «دانيل» وأخذوا الأموال وجميع ما كان فى بيت المقدس من هذه الأصناف وأودعوها أرض بابل، ثم رحمهم الله على أيد أحد ملوك فارس، فاستنقذ بنى إسرائيل ورد ما سلب من بيت المقدس، فلما عادوا إلى بيت المقدس رجعوا إلى المعاصى فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر وفعل بهم ما فعل بخت نصر، وأخذ حلى بيت المقدس، وكل ما فيه وأودع كنيسة الذهب، وهو فيها إلى الآن حتى يأخذه المهدى ويرده إلى بيت المقدس ويكون المسلمون ظاهرين على أهل الشرك، ثم أن المهدى ومن معه يصلون إلى كنيسة الذهب فيجدون فيها إلى جانب الحلى والأموال تابوت السكينة، وغفارة «عيسى» وعصا «موسى» عليهما السلام، وهى العصا التى هبط بها آدم من الجنة حين أخرج منها، وكان قيصر ملك الروم قد أخذها من بيت المقدس فى جملة السبى حين سبى بيت المقدس، وكان هذا حديث طويل مختصر جداً، رواه ابن ماجه فى كتاب الجهاد باب ١١.

وعن عبد الله بنى عمر قال، قال رسول الله (ﷺ) :- أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعاً يده على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ فقالوا هو المسيح ابن مريم، ورأيت وراءه رجلاً قططاً أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعاً يديه على منكبى رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا هو المسيخ الدجال، وسوف نفهم هذه الرؤيا للرسول (ﷺ) حينما نتبحر فى هذا الفصل، وقبل أن نسترسل فى هذا الموضوع نعرف القارئ على مصدر معلوماتنا لتفسير سفر «دانيل» ورؤيا «يوحنا» وهو من - السبتين - وهم أحد فروع البروتستانتية الذى بدأها مارتن لوثر فى ألمانيا فى القرن السادس عشر الميلادى، كان لوثر أستاذاً فى الجامعة تحدى الكنيسة فى تدخلها فى معتقدات الناس الدينية، انتشرت تعاليمه وأثارت ضجة دينية وسياسية فى مكان يعرف - بالامبراطورية الرومانية المقدسة - فأصدر الامبراطور «شارل الخامس» أمراً بتقديم مارتن لوثر للمحاكمة، ولم يعرف تماماً ما قاله لوثر ولكن من المؤكد أنه قال أن الإيمان شيء خاص بين

العبد وربّه وليس للكنيسة الحق فى فرض معتقداتها على الناس والإيمان يجب أن يكون بالإختيار الحر، وقد حكم على لوثر بتجريده من كل حقوقه المدنية ومنع من التدريس فى الجامعة وأحرقت كل مؤلفاته، ولكن رغم كل الاضطهاد الذى تعرض له انتشرت رسالته بين الناس، وبعد ثمانية سنوات من المحاكمة ساند لوثر مجموعة من الأمراء وكونوا جبهةً ضد الكنيسة، التى كانت تحاول تحطيم جهود المصلحين من أمثال مرتن لوثر ومنذ تشكيل هذه الجبهة ولد اسم البروتستانت عام ١٥٢٩ ، وانتشرت تعاليم لوثر فى جميع أنحاء أوروبا، ثم انشقت عن مذهب لوثر عدة مذاهب منها السبتيين، وقد مات لوثر قبل أن يرى حلمه يتحقق فقد كانت الكنيسة غارقةً فى ظلمات العصور الوسطى.

– وبدأ نشاط الكنيسة السبتية منذ أوائل القرن التاسع عشر فى أمريكا الشمالية وكان جلُّ نشاطها منصباً على دراسة تنبآت التوراة وعودة المسيح، وإذا كانت الكنيسة قد تأسست عام ١٨٤٠ إلا أنها لم تنظم نشاطها إلا فى عام ١٨٦٣ . أحد مؤسسى هذا المذهب هى – إلين وايت Ellen white– أصيبت فى حادث عندما كانت فى السنة الثالثة الابتدائية 3d Grade – أقعدها هذا الحادث عن الدراسة ولم تحصًل أى تعليم بعد هذا، ورغم هذا فهى مؤلفةٌ لأكثر من خمسين كتاب فى مواضيعٍ شتّى وأكثر كتبها انتشاراً – Steps to Christ – خطوات إلى المسيح – ترجم إلى ١٢٥ لغة – موهبة إلهية فريدة – كانت إلين فى السادسة عشر عام ١٨٤٤ ، وكان هذا العام وحسب حسابات علماء اللاهوت هو العام الذى سوف يعود فيه المسيح، أكد هذا أول أهم شخصية لدى السبتيين «وليم ميلر» ٢٥ عام قبل هذا التاريخ وهو ٢٣٠٠ يوم أو سِنة، اليوم= سنة حسبَ أسفار التوراة، ويبدأون من عام ٤٥٧ ق.م عام إعادة بناء المعبد، وسوف نلقى مزيداً من الضوء على هذا التاريخ فى الصفحات المقبلة، ولم يظهر المسيح فى ذلك العام وأصيب علماء اللاهوت وكثيراً من الأتباع بخيبة الأمل، وفى عيد ميلادها السابع عشر وأثناء صلاة جماعية مع بعض أصدقائها رأت إلين وايت أول رؤيا لها كانت الأولى من حوالى ألفين ٢٠٠٠ رؤية خلال حياتهـــا. وكانت هذه الرؤيا بشرى بشرح الـ ٢٣٠٠ يوم، سنة– ورأت أن عودة المسيح كما جاء ذكرها فى أسفار التوراة هى دخول

المسيح إلى المعبد الذى فى السماء فى ذلك التاريخ - The Sanctuary - الذى يوجد فيه التابوت الذى يحتوى على الوصايا وكتاب الحياة «الوح المحفوظ»، وكان دخوله عليه السلام فى هذا التاريخ استعداداً ليوم الحساب. وحسب حسابات وليم ميلر يبدأ هذا التاريخ فى ربيع عام ١٨٤٣، وينتهى فى ٢٢ أكتوبر من عام ١٨٤٤ وهو يوم الغفران يوم تنظيف المعبد، وبالرجوع إلى الكثير من أسفار العهدين القديم والجديد سوف نذكرها فى حينها تؤيد جميعاً هذا الاعتقاد، توفيت إلين وايت فى شهر يوليو عام ١٩١٥ عن عمر يناهز ٨٤ عام، انظر كتاب مارفين مكس «قلها للعالم» Mervyn Maxwell- tell it to the world.

- ويشارك السبتيين جميع فرق البروتستانت فى معتقداتهم ومن المؤسف منها ألوهية المسيح والتثليث إلا أنك لا تجد فى كنيستهم أى أثر لصورة أو تمثال أو حتى صليب ويعتبر اقتناء مثل هذه الأشياء داخل الكنيسة عمل وثنى، مذهبهم هو الوحيد الذى يتمسك بيوم السبت كيوم للعبادة حسب تعاليم التوراة - الوصية الرابعة - سفر الخروج- ٢٠: ٩، ويوجد لهم نشاط فى ٢٠٧ دولة حول العالم يعتنق هذا المذهب أكثر من ٩ ملايين نسمة.

- ولكى نفهم سفر دانيل ورؤيا يوحنا يجب أن نعرف معنى الرموز التى جاءت فيهما سوف نذكرها بعد ذكر الآتى:

كثيراً من الناس حينما يقرأون التوراة يجدون سفر دانيل فى التوراة ورؤيا يوحنا فى الإنجيل صعب الفهم لما جاء فيهما من ذكر حيوانات غريبة ورموز عجيبة لا يفهم لها معنى فيعزفون عن قراءة هذين الكتابين فيفوت عليهم أهم ما جاء فى التوراة والإنجيل من تنبآت عن أحداث الماضى وما سوف يحدث فى آخر الأيام وعلامات الساعة ويوم القيامة، وقد أوصى السيد المسيح بقراءة وفهم هذه التنبآت - انظر متّى ٢٤: ١٥- رؤيا ٢٢، وعلى الرغم من ذلك فقد تجاهل العالم المسيحى وصايا المسيح عليه السلام وتنبآت دانيل ويوحنا عن أحداث الأمس واليوم وغداً والصراع بين قوى الخير والشر حتى قيام الساعة، والسبب هو أن فى هذين الكتابين جاء ذكر انحراف الكنيسة عن التعاليم والوصايا الإلهية وما سوف يترتب على هذا الانحراف والغضب الإلهى الذى سوف يحيط بالمنحرفين، ولقد لعن حاخامات اليهود فى التلمود كل من يقرأ سفر دانيل لأنه كشف افترائهم على الله.

ونحن لا نجد فى هذين الكتابين ما يتعارض مع القرآن والسنة وهما يتفقان مع تعاليم الإسلام وفقهه من علامات الساعة أنظر الآيات والأحاديث التى بدأنا بها هذا الباب، وعلى هذا وجب علينا الرجوع إليهما حتى نكون على بينة واستعداد لاستقبال السيد المسيح عند عودته إلى الأرض، لأن الشيء الذى يتفق عليه علماء الدين يهود ومسيحيين ومسلمين هو أن البشرية تكتب الآن أخر السطور فى تاريخها، وسوف يطوى هذا التاريخ قريباً جداً والله أعلم.

والشيء الهام الذى يتصوره كاتب هذه السطور هو أن المسيح عليه السلام سوف يقول للناس «استيقظوا فأنتم فى ثبات عميق لا ترون الحق» وسوف يقول لليهود أنا هو الذى جاء من قبل وكفرتم به وسوف يقول للمسيحيين لماذا أشركتمونى بالله فالله واحد لا شريك له، وسوف يقول للمسلمين لماذا جعلتم قومى كافرين ومشركين وسويتم بينهم وبين الوثنيين؟ وسوف يكون دليله القرآن، والله أعلم، فهل سيصدق الناس ولا يصدون عن المسيح مرة أخرى؟ الله أعلم.

«سفر دانيل»

- وفى سفر دانيل الإصحاح الثانى نقرأ عن تفسير دانيل لحلم «نبوخذ نصر» ملك بابل، ودانيل وجد فى بابل مع سبى يهوذا بعد غزو نبوخذ نصر للقدس، وقد رأى الملك حلماً ولم يتذكره ولم يستطيع أحداً من عرافين القصر أن يساعد الملك على تذكر الحلم ناهيك عن تفسيره.

- قام دانيل بعون الله وبعد صلاة ودعاء الله تعالى بتفسير الحلم للملك ويخبره بالمعانى والرموز التى يحتويها، فقد رأى الملك تمثالاً عظيماً هائلاً، رأس هذا التمثال من ذهب جيد وصدره وذراعاه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف ويقول دانيل للملك:- كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه التين من حديد وخزف فسحقهما، ورموز التمثال هى - رجل مكتوف الذراعين - الرأس ذهب = مملكة بابل وصدوره وذراعاه فضة= مملكة فارس وبطنه وفخذاه نحاس= اليونان وساقاه حديد = روما وقدماه حديد وخزف= ممالك متفرقة ووقد تنبأ دانيل من خلال هذا الحلم بتعاقب هذه الحضارات

وهيمنتها الواحدة على الأخرى وتحققت هذه التنبآت بكل تفاصيلها وبدقة تامة، وكان هذا فى صيف عام ٦٠٥ قبل الميلاد، وقد سقطت بابل أثناء حكم بلشاصر ابن نبوخذ نصر فى يد داريوس ملك فارس، وحينما رفض دانيل أن يعبد آلهة الفرس أمر الملك أن يوضع فى جب الأسود وحينما ذهب داريوس فى اليوم التالى وجد دانيل سليماً معافاً جالساً بين الأسود فأمن بإله دانيل ونبوته.

– وفى الإصحاح السابع يروى دانيل رؤيا رأها فى السنة الأولى لحكم بلشاصر ثم حفظها فى قلبه إلى حين، ثم فى السنة الثالثة ظهرت لدانيل رؤيةً أخرى، أما رموز هذه الرؤيا فهى كالآتى:–

الأسد= بابل، الدب= فارس، النمر= اليونان، الوحش، حيوان هائل= روما، القرون العشرة والتى يتوسطها قرن صغير= ممالك متفرقة يتوسطها الفاتيكان، الحجر الذى حطم التمثال= يوم الحساب، الماء= أمم، أناس كثيرين، الهواء= صعود وهبوط هذه الأمم ويصور على أنه جناح الصقر – الضلوع الثلاثة بين أسنان الدب= ثلاث دول، بابل، ليبيا، مصر، النمر الذى يمثل اليونان والذى له أربع أجنحة ترمز إلى قوة وسرعة قوات الكسندر الأكبر التى سيطرت على نفوذ فارس، رؤوس النمر الأربع= انقسام امبراطورية الكسندر الأكبر بين قواده بعد موته، وفى الإصحاح السابع يشير دانيل إلى المملكة الرابعة أو روما والتى بدأت كافرة وملحدة فى المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية والتى تشير إلى القرن الصغير بين القرون العشرة أى الفاتيكان الذى تمكن من السيطرة الدينية والسياسية على الأرض وهناك سبع طرقٍ للتعرف على حقيقة القرن الصغير والفاتيكان – أولاً أنه سوف ينمو بين عشر دول فى أوروبا الغربية وفى روما المجزئة وثانيا سوف ينشأ بعد تقسيم الامبراطورية الرومانية فى القرن الخامس الميلادى – دانيل ٨: ٢٠ – ٢٤، وقد تمكن الفاتيكان فى عام ٥٣٨ من انتزاع الحكم الذاتى وفرض إرادته وممارسة سلطاته كقوة سياسية ودينية فى البلاد بعد سحق آخر قوات الآرين الاستراجوث Arian-Ostrgoths فى مدينة روما، ثالثاً كانت طبيعته تختلف عن القرون الآخرى، وبارزاً بمعنى أنه سوف يلعب دوراً كبيراً فى التأثير السياسىّ والدينى – دانيل ٧: ٨ – ٢٠ – ٢٤، رابعاً سوف يتطاول القرن الصغير

الله ويغير الوصايا ويتصرف حسب هواه فى القوانين الإلهية. دانيل ١١ : ٣٦– رؤيا ١٣ : ٥، خامساً – يرى أن القانون الإلهى فى حاجة إلى تغيير، وغيره فعلاً. سادساً– اضطهاد القديسين واتهامهم بالكفر وتعذيبهم وقتل الملايين من المؤمنين بأمر من البابا قتل المصلحون البروتستانت أنظر – تاريخ الكنيسة المسيحية ٥٢٤/٥ للكاتب ديفيد شاف مؤرخ – David Shaff، سابعاً حدد سفر دانيل المدة المسموح له بالحكم وتمكينه من السلطة، سوف يحكم وقت ووقتين ونصف وقت، وتبين رؤيا يوحنا هذا التوقيت على أنه يرمز إلى ١٢٦٠ يوماً، رؤيا ١٢ :١٤، وهى تظهر أن الوقت ٣٧٠ يوماً واليوم يرمز إلى سنة انظر حزقيال ٤ : ٥–٦، وبناءً على تنبآت دانيل ورؤيا يوحنا فالقرن الصغير سوف يسود حكمه ١٢٦٠ سنة. وقد وعد الله دانيل أن بنهاية ١٢٦٠ سنة سوف يظهر الحق وتنتشر معرفة النبؤات بين العلماء، وهذه الفترة التى بدأت منذ عام ٥٣٨– وبعد ١٢٦٠ سنة أى عام ١٧٩٨ يدخل الجنرال الفرنسى برثيير Berthier– روما ويقبض على البابا وينهى حكم وسيطرة الفاتيكان، وتشير رؤيا يوحنا إلى هذه الحادثة على أنها «الجرح المميت» وبناءً على الرؤيا أيضاً أن الجرح سوف يطيب وترجع السلطة للفاتيكان مرة أخرى، الرؤيا ١٣ :٣، وإذا كانت هذه التنبآت تدين مؤسسة الفاتيكان إلا أنها لا تدين الأتباع المؤمنين بالله الملتزمين بدينهم والممسكين بتعاليم الكتاب المقدس حتى يعود المسيح ويصحح أوضاع الكنيسة.

لقد أمر الله تعالى موسى عليه السلام ببناء خيمة الاجتماع – المعبد Sanctuary وفى إصحاح الخروج ٢٥ :٨ وهذا المعبد له نظير فى السماء مثلما يقول الفقه الإسلامى أن للكعبة نظير فى السماء و «البيت المعمور» فى السماء السابعة الذى وجد فيه الرسول (ﷺ) سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يوم الإسراء والمعراج، يدخل هذا البيت ٧٠ ألف من الملائكة للصلاة كل يوم.

– فى هذا المعبد الذى بناه «موسى» عليه السلام يحضر المذنب ويعترف بذنبه وينحر ثم يرش دم الضحية على المبخرة، التى فى الجزء الخارجىّ من المحراب والذى تفصله ستارة عن قدس الأقداس والذى يوجد بداخله التابوت

الذى يحتوى على التوراة والوصايا العشرة وكتاب موسى ، ويرس دم الضحية على الستارة من الخارج وبهذا يكون سجل المذنب اعترافه وتوبته. ويدخل الكاهن مرة كل عام فى يوم الغفران أو يوم كيبور للصلاة وطلب الغفران للمذنبين ثم تغسل الستارة وتبدل بأخرى وغسيل الستارة ترمز إلى ذهاب الذنوب وتسمى هذه الطقوس - بتطهير المحراب، وقد قال جبريل عليه السلام لدانيل فى الإصحاح الثامن أن يفهم الرؤيا وهى أن جزء من الـ ٢٣٠٠ سنة سوف تعطى لليهود ليثبتوا ولاءهم لله عزَّ وجلَّ وهذا الجزء هو ١٧٠ أسبوع أو ٤٩٠ يوم - سنة- وهذه الفترة الزمنية سوف تمنح لليهود ليوفوا بعهدهم لله تعالى، ولكنهم أخفقوا ولم يوفوا بالعهد، وفى عام ٤٥٧ ق.م صدر قرار من ملك فارس - ارتكسركس Artaxerxes - بإعادة بناء المعبد فى القدس، وبعد هذا التاريخ سقط الاختيار عن اليهود ولم يعودوا شعب الله المختار - وبناءً على ما جاء فى الاصحاحين ٨: ١٤- و٩: ٢٥ من سفر دانيل فإن فى نهاية ٢٣٠٠ سنة التى بدأت فى عام ٤٥٧ قبل الميلاد عام بناء المعبد وهذا يعنى عام ١٨٤٤ ميلادية وسوف يبدأ تطهير المعبد السماوى بدخول المسيح فيه وبعده ليوم الحساب حسب قول المفسرين ويقرأ هذا الملخص مع قراءة سفر دانيل فهو لا يغنى عن قراءة السفر المكون من ١٢ إصحاح فى صفحات قليلة.

- ملاحظات حول سفر دانيل. وفى الإصحاح الثالث ذكر أن أصدقاء دانيل الثلاثة رفضوا السجود للتمثال الذى صنعه نبوخذ نصر لنفسه فألقاهم فى أتون النار فلم يصبهم أذى مثلما حدث للخليل ابراهيم عليه السلام وقال الملك أننى أرى شخصاً رابعاً معهم يشبه ابن الإلهه؟ وهذا يثبت نظريتنا عن الملائكة التى كانت تعيش بين الناس فى هذا الزمان، ٣: ٢٦. وفى الإصحاح ٥: ٢٢- ٣٠ يظهر الله غضبه على بيلشانصر ابن نبوخذ نصر لتدنيسه آنية بيته، التى أوخذت من بيت المقدس بالخمر فقسمت مملكته وأعطيت لمادى وفارس، فى هذا دليل على أن الخمر رجس من عمل الشيطان يذكر فى التوراة قبل القرآن.

- وفى الإصحاح ٧: ١٤ يذكر المسيح على أنه ابن إنسان كما كان يحلو للمسيح عليه السلام أن يذكر نفسه، وكذلك فى الإصحاح ٩: ٢٥ يذكر المسيح ولا يذكر شيئاً عن ألوهيته، وفى الفقرة ٢٧ من نفس الإصحاح

يذكر قطع المسيح – توقف الرسالة – ليس بالموت ولكن بالرفع تصديقاً لقصص القرآن الكريم، ونعتقد أن الإصحاح ٧ : ٢٨ يشير إلى الإسلام.

– وفى نهاية الإصحاح العاشر يفهم منه أن لله جنود يسيطرون على الأحداث وينفذون مشيئته سبحانه وتعالى على الأرض، وفى الإصحاح الحادى عشر يظهر لدانيل الصراع بين قوى الخير والشر، ويرمز ملك الشمال إلى قوة الشر عبر التاريخ ويظهر له أيضاً الدراما الكونية التى نشهدها الآن. أما الملك الجبار فهو الكسندر الأكبر الذى انقسمت مملكته إلى أربع ممالك بعد موته، ويظهر هذا الإصحاح سقوط وصعود الامبراطوريات مثل بابل وفارس واليونان وروما والقرن الصغير – الفاتيكان –، كما يظهر أن السماء مهيمنة على الاحداث فى الأرض، وفى الإصحاح الثانى عشر يظهر أن الإيمان سوف ينتصر على الكفر والخير على الشر، والعمل الصالح لا يضيع وكل شيء مكتوب فى الكتاب المحفوظ، وفى رؤيا يوحنا تفاصيل أكبر وأكثر عن كل ما جاء فى سفر دانيل.

«رؤيا يوحنا اللاهوتى»

– وهذه الرؤية ليست كتاب مغلق لرسالة سرية ولكنها تنبآت وصورة إلاهية لما سوف يحدث فى المستقبل وما يخبئ لنا القدر، ويظهر الله تعالى قدرته وحكمته فى إدارة الأحداث لصالح عباده الصالحين. ولقد ظهرت الرؤية ليوحنا أثناء وجوده فى السجن على جزيرة باتموث Patmos – وكتبها أثناء نهاية حكم الامبراطور الرومانى – دومتيان Domitian – طاغيةً عدواً للمسيحية والمسيحيين – كان هذا عام ٩٦ ميلادية.

– ونحن نقدم هنا اختصاراً للرؤية وما جاء فيها من رموز ولا يكفى قراءة الملخص دون قراءة الرؤية ولا قراءة الرؤية بدون الملخص لصعوبة فهم الرموز. وتتضمن الرؤية الرسائل إلى الكنائس السبع أو الأسفار السبع أو الأبواق السبع أو النمر ذات الرؤس السبع، والضربات السبع والتنين الأحمر ورسائل الثلاث ملائكة – عاهرة بابل – تقيد الشيطان وتجديد الأرض.

– وعبر رموز الرؤية يظهر الله تعالى الصراع بين الخير والشر على الأرض

والتى بدأت فى الأرض المقدسة وسوف تنتهى بالولايات المتحدة ودورها فى إدارة أحداث نهاية العالم رؤيا إصحاح ١٣ : ١١– ١٨.

– أولاً الرسالة إلى الكنائس – أفسس = جميل – التاريخ عام ٣١ ميلادية إلى ١٠٠ تحمل هذه الرسالة – فقدان الحب الأول، حب المسيح – وسيرنا – الرائحة الحلوة – التاريخ عام ١٠٠ إلى ٣١٣ – تحمل هذه الرسالة كثرة العمل الصالح–، برغامس= المثالية – التاريخ ٣١٣ إلى ٥٣٨– تحمل هذه الرسالة – استمرار الإيمان برسالة المسيح – وثياتيرا= حب التضحية التاريخ ٥٣٨ إلى ١٥٠٠ – تحمل هذه الرسالة – العمل الصالح – الحب – الإيمان – الصبر – ساردس= الباقين أو الهاربين– التاريخ عام ١٥٠٠ إلى ١٧٩٠ – تحمل هذه الرسالة – مقاومة الأقلية –، فيلادلفيا= حب أخوى– التاريخ ١٧٩٠ إلى ١٨٤٠– تحمل هذه الرسالة – الحفاظ على تعاليم المسيح–، لاودكيه= محاكمة الناس – لا تحمل هذه الرسالة تعليق على سلوك الناس. وقد تحققت هذه التنبآت فى كل المراحل التاريخية للكنائس، وقد تحققت أيضاً نبؤة الإصحاح السادس فقرة ١٢ إلى ١٧ والخاصة بالزلزال العظيم وكسوف الشمس إلى آخره، فقد حدث بعد حركة التصحيح في القرن السادس عشر وفى مدينة لزبونا عام ١٧٥٥ زلزال هو الأكبر من نوعه هزّ أوروبا وافريقيا وأمريكا الجنوبية وغطى مساحة أربع ملايين ميل مربع، وفى شهر مايو عام ١٧٨٠ حدث كسوف للشمس والقمر لساعات طويلة غطى كل نيوأنجلند – وعند حلول الظلام كان الجو مفزعاً وبعد منتصف الليل ظهر القمر فى لون أحمر دامى، وفى شهر نوفمبر عام ١٨٣٣ أمطر مذنب Comet سماء القارة الأمريكية – أمريكا الشمالية كلها – كما ذكرت الرؤية: ونجوم السماء سقطت إلى الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة، ولم تتحقق هذه التنبآت فقط ولكن جاءت متتابعة مثلما ذكرت فى الرؤية.

رموز الرؤية: الفرس الأبيض والجالس عليه= ملاك، الفرس الاحمر = نزاع وحروب، الفرس الأسود= جشع، انحطاط اخلاقى، الفرس الأخضر= الموت، اللون الأبيض= طهارة، تاج= انتصار، القوس= الانتصار على الباطل، السيف الكبير = إراقة الدماء، الزيت= الروح القدس، النبيذ= دم المسيح، نداء الروح=

طلب النجدة، الحبل الابيض= النصر بالمسيح، وجاء فى الإصحاح ٨:١- ولما فتح الختم السابع حدث سكوت فى السماء نحو نصف ساعة - نصف ساعة= سبع أيام ونصف أو سبع سنين ونصف، الجبل= حكومة، دولة، ماء البحار= مكان مأهول بالسكان، مخلوق أو مركب فى البحر= ناس وأمتعتهم، والنجم= زعيم، رجل دولة، وخشب محروق= مرارة، أسف، موت، وانخفاض ضوء الشمس والقمر والنجوم = غياب التعاليم الإلهية، والدخان= ظلام روحىّ، والأشجار= المؤمنون، وصوت الأجنحة= صوت المعارك، والجراد= جيوش، وبئر الهاوية= الصحراء، والمفتاح= قيادة، ودخان يخرج من أفواه الخيل= مدافع، وحسب قول المفسرين فإن الإصحاح التاسع لسفر الرؤيا يشير إلى الفتوحات الإسلامية وأنظر عزيز القارئ كيف تنطبق كل كلمة فى هذا الاصحاح على الرسالة المحمدية ويبدأ الإصحاح التاسع بذكر كوكباً قد سقط من السماء، الكوكب= زعيم أو رجل دولة، وهذا يعنى الرسول (ﷺ) أعطى مفتاح بئر الهاوية، وهذا يعنى الرسالة، وفى الفقرة الرابعة جاء ما يلى: ومن الدخان خرج الجراد، والدخان= جاهلية حولها الاسلام إلى خير أمة أخرجت للناس، ويستمر الإصحاح ٩: ١٥- فأعطى سلطاناً كما لعقارب الأرض سلطان، وقيل له ألا يضر عشب الأرض ولا شيئاً أخضر ولا شجرة ما إلا الناس فقط- الذين ليس لهم ختم الله على جباههم، أى الكفار والمشركين وهم غير أهل الكتاب، والمعروف أن الرسول (ﷺ) كان يأمر الأتباع ألا يقطعوا الأشجار ولا يضروا الحرث.

- وفى الفقرة السابعة يصف يوحنا جيوش المسلمين فيقول:- وشكل الجراد شبه خيل مهيأة للحرب وعلى رؤوسها أكاليل شبه الذهب= العمامة، إلى قوله: ولها أذناب شبه العقارب = السيوف، وكانت فى أذنابها حُمات- قوة - وسلطانها أن تؤذى الناس خمسة أشهر، فقد اجتاحت القوات الإسلامية - جيوش الامبراطورية العثمانية وهزمت الجيوش الرومانية عام ١٢٩٩ ميلادية، ثم قضت على آخر معاقل الامبراطورية البيزنطية فى عام ١٤٥٣ وقالت النبؤة أن هذا سوف يكون لمدة خمسة أشهر وهذا يعنى ١٥٠ سنة.. والإصحاحين

الثامن والتاسع يشيران إلى الحروب التى دارت فى أوروبا والفتوحات الإسلامية. لما عمّ الفساد فى الأرض سلط الله عباداً يؤمنون به سبحانه وتعالى ليعذب على أيدهم الكافرين وكان هذا على مدى ١٥٠ سنة كما يذكر الإصحاح، وقد سحقت الامبراطورية العثمانية الامبراطورية البيزنطية كما يذكر لنا التاريخ. وعند البوق السادس رأى يوحنا قوة ساحقة لمدة ٣٩١ يوماً وساعة واحدة، ولقد حار علماء اللاهوت فى تفسير الرموز التى جاءت فى هذا الإصحاح ولكن اتفق علماء حركة التصحيح على أن بعد البوق الرابع - البوق أو صوت النفير= الإنذار أو قدوم الأعداء - وظهور النسر ليوحنا أن الثلاثة أبواق الباقين سوف يأتى بالدينونة- يوم الحشر - والنسر فى اللغة اليونانية يرمز إلى يوم الحساب أنظر متّى ٢٤ : ٢٨.

- ومنذ حركة التصحيح وعلماء اللاهوت مثل «مارتن لوثر - جوزف ميد - جون نابير - سير أيزكز نيوتن - چوناثن أدوارد - جون وسلى» وغيرهم أكدوا بأن البوق السادس يشير إلى الحضارة الإسلامية، وهذا التاريـــخ المشار إليه فى الإصحاح التاسع للرؤيا هو عام ١٨٤٠ ميلاديـــة. وفى نفس التاريـــخ الشهر واليوم والساعة سقطت الامبراطورية العثمانية فى شهـــر أغسطس من عـام ١٨٤٠ - راجع كتـاب - The Creat Contravensy - المناظرة الكبرى - لألين وايت ص ٣٣٤، وهكذا ينزل الله عقـابه لذنب ولا يرفع إلا بتوبة فلما كانت الفتوحات الإسلامية فى سبيل الدعوة لدين الحق ونشر كلمة الله كانت هذه الفتوحات مؤيدة بعونه سبحانه وتعالى، فلما تخاذل الحكام نزع الله من أيديهم السلطان ولن يسترد إلا بالتوبة والرجوع إلى دين الحق التى جاءت به الرسالة المحمدية. كل الرموز المذكورة هنا مؤيدة بإصحاحات التوراة والأناجيل.

فى الإصحاح الثانى عشر يظهر الله ليوحنا الصراع بين قوى الخير والشر، ويظهر له امرأة ترتدى - الشمس - وتشع بنور الله وعظمته سبحانه وتعالى، أنظر المزمور ١١:٨٤ - و١٠٤ : ٢ واشعيا ٥٤: ٥-٦، وعبر أسفار التوراة يصف الله تعالى الحقيقة كامرأةٍ طاهرةٍ، ورأى يوحنا أثناء استعداد هذه المرأة

للولادة يتربص منها – التنين إبليس – ليقتل المولود والتينن له سبع رؤوس وعشر قرون تركز إلى السيطرة على العالم– أنظر دانيل ٧ :٦– ٢٤ ، ٨ :٨– ٢١– ٢٢ ، زكريا ١ : ١٨–١٩ ، حزقيال ٢١ : ٢٥–٢٦ فعبر التاريخ البشرى على كوكب الأرض استعمل إبليس الممالك والحكومات كأدوات ضد الإرادة الإلهية. وقد ذكر بعض الأنبياء التنين كرمز لقوى الإلحاد، انظر حزقيال ٢٩ : ٣ ، ٣٢ : ٢ ، وبرغم أن ابليس كان طاووس الملائكة إلا أنه عصى أمر الله فكان من المطرودين من رحمة الله، أنظر تكوين ٣ : ١٥ ، اشعيا ٢٨ : ١٥ إلى ٢٠ ، ومنذ ذلك الحين وهو يبث الفساد فى الأرض وينشر العدواة والبغضاء بين عباد الله، انظر حزقيال ١٤ : ٦ ، ودانيل ٧ : ٧، والرؤيا ١٣ إلى ١٨ ، ونقرأ فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الرؤيا عن الحرب التى دارت فى السماء بين الملائكة والتنين ١٢ : ٧.

– ويظهر الله ليوحنا كيف أن ابليس استخدم مؤسستين يبث من خلالهما الفساد ويحكم قبضته على زمام الأمور، ونقرأ فى الإصحاح الثالث عشر أن يوحنا رأى وهو واقف على شاطئ جزيرة باتموش وحش يصعد من البحر له سبع رؤوس وعشر قرون، الوحش كان له جسم نمر والأقدام لدب، والفم لأسد، وهذه الرموز تجدها فى سفر دانيل الاصحاح السابع، والذى يشير إلى أن المستقبل سوف يكون فى يد أربع قوى تسيطر على العالم أو على التاريخ كما رأينا. بابل وفارس واليونان والامبراطورية الرابعة أو الوحش روما، وبناء على الرؤيا فإن روما سوف تكون تحت سيطرة القرن الصغير فى مرحلتها الأخيرة، قوة سوف تطهد العباد وقت ووقتين ونصف وقت. من عام ٥٣٨م وهو عام تقسيم الامبراطورية الرومانية، وانتقال العاصمة من روما إلى القسطنطينية واستقلال الحكم والسيطرة للفاتيكان من روما حتى عام ١٧٩٨ العام الذى قبض على البابا ووضعه فى السجن من قبل الجيش الفرنسى، وهذا ما ذكر فى سفر دانيل الاصحاح السابع، يتكلم بكلام ضد العلى ويبلى قديس العلى ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان، دانيل ٧: ٢٦ وهذا الإصحاح مطابق لسفر الرؤيا الإصحاح ١٣ : ٣ ، الوحش أعطى سلطاناً أن

يفعل ٤٢ شهراً أو ١٢٦٠يوم - سنة - خلال هذه الفترة سوف يغير الوحش= إدارة الفاتيكان، وصايا الله ويبدلها بتعالى لم ينَزِّل الله بها من سلطان وسفر الرؤيا لا يدين الاتباع ولكن الاتهام موجه إلى - القرن الصغير - المؤسسة ونظامها. انظر الرؤيا ١٤ : ٧، ١٨ : ٤.

- وبعد ظهور الوحش ليوحنا من البحر رأى حيواناً له قرنين يخرج هذه المرة من الأرض والحيوان هو - تيس RAM - البحر = منطقة مأهولة بالسكان، الأرض= منطقة عدد سكانها قليل والوحش أو الحيوان= دولة - ويظهر سفر الرؤية أن هذا الوحش= نبى كاذب، وهناك على الأقل أربع علامات تظهر هوية هذا الحيوان وأولاً أنه يظهر فى نهاية الـ ١٢٦٠ سنة أى عام ١٧٩٨- صعود وسقوط السلطة فى الفاتيكان وثانياً بدأت هذه الدولة بعدد قليل من السكان وسوف تظل هذه الدولة حتى عودة المسيح. رؤيا ١٩ : ٢٠- ثالثاً سوف يكون لهذا الحيوان - الدولة - نفوذ عالمى يؤثر به على العالم. ويعمل بسلطان الوحش الأول ويجعل الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول الذى شفى من جرحه المميت- الفاتيكان - ١٣ونبت هذا الحيوان من الأرض مثل الزرع حسب تعبير القديس يوحنا ثم تعاظم شأنه، ولا يوجد غير الولايات المتحدة الأمريكية التى ينطبق عليها هذا الوصف وهذه التنبآت وحسب سفر الرؤيا فأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تلعب دوراً هاماً فى آخر الزمان وتكون إدارة فى يد إبليس - التنين - رؤيا ١٣ : ١١، وسوف يضل هذا الوحش - الدولة - سكان الأرض بمعجزات تشبه السحر - المنجزات العلمية - متّى ٢٤ : ٢٤، ويرغم الوحش الناس على اعتناق معتقداته، وتضغط على الشعوب اقتصادياً للوصول لهذا الهدف وانظر كيف تحول مجلس الأمن الدولى إلى إدارة فى يد أمريكا وسلاح تستخدمه كعصا تؤدب به من يخالف أو يتعرض لمصالحها، يفرض العقوبات ويجوع الشعوب ويحاصرهم حتى الموت بالأساطيل والاسلحة الفتاكة ومن ترضى عنه أمريكا ويخدم مصالحها تتركه يخرق كل المعاهدات والمواثيق وكل قرارات الأمم المتحدة ويحمل سمة الوحش أو اسم الوحش وعدد اسمه ست مئة وستة وستون - الرؤيا ٣ :١٨- وما يثبت أن بابا

الفاتيكان هو المقصـود بهذا الرقم فهذا هو اسمه وصفته حسب قول السبتيين:

VICARIUS FILII DEI

V - 5	F - 0	D - 500	501
I - 1	I - 1	E - 0	+53
C - 110	L - 50	I - 1	112
A - 0	I - 1	510	666
R - 0	I - 1		
I - 1	53		
U - 5			
S - 0			
112			

– وجاء فى الإصحاح ١٤ : ٨ ذكر سقوط بابل وهو يعنى كما سقطت بابل فى التاريخ القديم سوف يسقط النظام العالمى الجديد، والخمر الذى شربه الأتباع يعنى الانحلال والصراع على المادة والجنس والعنف الصادر عن الإعلام الأمريكى.

– وفى الإصحاح ١٥ و١٦ من الرؤيا ينزل الله غضبه على الوحش وأتباعه بالضربات السبع بدون رحمة، أما الرحمة فسوف تعم الذين يتمسكون بالوصايا وإيمان المسيح لاحظ أن هذه الرسالة موجهـة إلى أتباع المسيح عليه السلام بصفة خاصة، وباقى الأمم بصفة عامة. والضربة الأولى سوف تظهر ضعف كيد الشيطان ضد عباد الله.

– وتتوالى الضربات على الناس لكى يرجعوا عن ظلمـهم ويتوبوا إلى الله ولكنهم لا يرجعون ولا يتعظون، وتحت وطئة الضربة الخامسة يغطى الظلام مملكة الوحش وبابل الجديدة أو النظام العالمى الجديد، وتنهى الضربة السادسة والسابعة الصراع بين الخير والشر ويجمع الله ملوك العالم وكل المسكونة إلى الموضع الذى يدعى بالعبرانية هرمجدون، رؤيا ١٦ :١٦ – هر تعنى جبل HAR – ويعتقد أن معركة هرمجدون هى إشارة رمزية لتجمع فى مكان فى فلسطين يسمى مجيدو – Megido – حيث وقع كثير من الحروب الهامة فى عصور

التوراة الأولى، إذن معركة هرمجدون هى رمز الصراع الأخير بين قوى الخير والشر فى آخر الزمان.

- أما جفاف نهر الفرات كما جاء فى رؤيا ١٦ : ١٢ ، فالفرات كان أحد مظاهر قوة بابل فى العصر القديم، وهذه الفقرة تشير إلى أن الوحش سوف لا يجدعون ولا مساعدة من أتباعه وسوف يجد النظام العالمى الجديد نفسه معزولاً مع محنته.

- أما الضفادع التى جاء ذكرها فى رؤيا ١٦ : ١٣ فهى تشير إلى مبشرين يفترون الكذب على الله والناس، أو صحوة دينية يحملها أشخاص غير مؤهلين لها.

- أما البرد العظيم الذى جاء ذكره فى آخر الإصحاح١٦ ، والذى يزن ٥٧ أقية فيشرد الناس فيجدفون على الله فقد بدأت بوادره تظهر الآن فى تغير المناخ والكوارث، التى تحدث فى جميع أنحاء العالم من عواصف وفيضانات وخلافه.

- وفى الإصحاح ١٧ يذكر محاكمة الزانية الجالسة على مياة كثيرة= شعوب ذات أعداد كبيرة «بابل الجديدة» أمريكا - وفى الفقرة ٨ من نفس الإصحاح يذكر بلغة رمزية تاريخ الوحش ورؤسه السبع والممالك المتتابعة الذى مارست هذه السلطة وهى «بابل - فارس - اليونان - روما» والتى كان يطلق عليها «روما ذات المرتفعات السبع« و«ممالك أوروبا المجزئة» ، ثم تأتى أمريكا التى بدأ نظامها العالمىّ الجديد فى عام ١٩٩١ والذى ينبغى أن يبقى قليلاً، وقت قصير كما جاء فى الرؤيا ١٧ : ١١ ، ووجه المقارنة هنا أن بابل الجديدة سوف تتسلط على الشعوب كما فعلت الحضارات السابقة عليها، ولكن الحق سوف ينتصر وتهزم الزانية بعد أن تفقد قواها فجاةً وتجف المياه بعد الضربة السادسة= مساندة الأمم الأخرى لها، انظر ارميا ٢٥ : ٣٠ - ٣٨، حزقيال ٣٨ : ١٨- ٢٢ ، زكريا ١٤ : ١٢- ١٣.

- ونقرأ فى الإصحاح ١٩ : ١١ ثم رأيت السماء مفتوحة. وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب. والمعروف أن هذه صفات الرسول (ﷺ) ومن الفقرة ١١ إلى ٢١ نفهم أن هذا الإصحاح يشير إلى ظهور المهدى المنتظر، إلا أن المفسرين السبتين يقولون أن الجالس على

الفرس هو المسيح ولك أن تراجع عزيزى القارئ هذا الإصحاح بإمعان، وقد جاء فى كتاب - Revelation Speaks - الصادر عن دار Seminars Unlinited - Keene, Texas - فى أمريكا- قال مؤلفوا الكتاب أن ما جاء فى الإصحاح العشرون هو رمزى - Symbolie - ومجازى - Metaphors - وهم يتحدثون عن تقيد إبليس لمدة ألف سنة ثم يحل من سجنه بعد هذه الفترة ليضل الأمم فى أربع زوايا الأرض من جديد. فهم يعتقدون أن الجنة والحياة الأبدية سوف تكون على هذه الأرض بعد يوم الحساب الذى جاء ذكره فى الإصحاحات السابقة وبالتالى لا يمكن أن يعود الشيطان بعد ألف سنة ليضل أهل الجنة؟!.. ونحن لنا تفسير مستقل عن تفسير السبتيين تؤيد واقع ما جاء فى هذا الإصحاح. وبالرجوع إلى الإصحاح ١٤ نجده يذكر خروف= المسيح - واقف على جبل صهيون ومعه ١٤٤٠٠٠ - لهم اسم أبيه = ابن أنسان كما كان المسيح يذكر نفسه- مكتوباً على جباههم = آدمين ليس ملائكة - ثم سمع يوحنا ترنيمة جديدة= دستور أو قانون جديد ولم يستطع أحد أن يتعلمه إلا الـ ١٤,٤٠٠٠ الذين اشتروا من الأرض باكورةً لله وللخروف= يحكموا بما أمر الله ورسوله، وبعد أن تمَّ تأمين هذه المجموعة يستمر الإصحاح ١٤ : ١٦ فيذكر قيام الساعة وحصد الأرض ومن عليها، وقد ذكرنا فى كتابنا «الحقيقة المطلقة» أن البشرية أشرفت على نهاية تاريخها وعلامات الساعة أصبحت تطالعنا من قريب وقلنا أنه يوم القيامة وهى ليست أول قيامة ولا آخر قيامة ولكن تتكرر الحياة تكرار أبدى منذ ملايين السنين، بداية ثم نهاية ثم بداية وهكذا، وكانت حجتنا على هذه النظرية موجودة فى الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والقرآن خاصة سفرين دانيل والرؤيا وكثيراً من النظريات العلمية والاكتشافات الأركيولوجية..

- ونلقى هنا مزيداً من الضوء على إصحاحات الكتاب المقدس لتتضح لنا الصورة الأولى والتى دعمتها بآيات قرآنية فى كتابنا الحقيقة المطلقة واتفقت تماماً مع إصحاحات الكتاب المقدس نرجو الرجوع إليه.

نفهم مما سبق ذكره أن الله سبحانه وتعالى سوف يختار من المؤمنين الاتقياء ١٤٤٠٠٠ ليبدأوا الحياة بعد الهلاك الذى سوف يشمل كل الأحياء على وجه الأرض، وعدل الله يقتضى أن تبدأ الحياة على صفحة بيضاء بعباد

أتقياء لا يكون للشيطان عليهم سلطان فقبض الله على التنين الحية القديمة الذى هو ابليس والشيطان وقيده ألف سنة ، رؤيا ٢٠ : ٣.. ونفهم من الفقرة الثامنة أن ابليس سوف يعود ليضل الأمم مرة أخرى متى تمت الألف سنة وحل من سجنه ويبدأ دور الصراع بين قوى الخير والشر مرة أخرى، ونستعين بالله وبما جاء فى الكتاب المقدس على لسان أنبيائه ونقرأ فى اشعيا الإصحاح ٢٤ :١- **هو ذا الرب يخلى الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها**، إلى قوله فى الفقرة ٧ - **لذلك احترق سكان الأرض وبقى أناس قلائل** وفى آرميا ٤ : ٢٨ - **لأنه هكذا قال الرب خراباً تكون كل الأرض ولكنى لا أفنيها**.

- وجاء فى أشعيا الإصحاح ٥٥ : ٩ - **لأنه كما علت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم**، إلى قوله فى الفقرة ١٣- **ويكون للرب اسماً علامة أبدية لا تنقطع**. وفى أشعيا أيضاً الإصحاح ٦٥ : ١٧- **لأنى هانذا خالق سماوات جديدة وأرضاً جديدة فلا نذكر الأولى ولا تخطر على بال**، وواضح من هذه الفقرة أن الأرض التى سوف ننتقل إليها بعد البعث لا علاقة لها بالأرض التى نعيش عليها الآن حيث أنهم يقولون أن الله تعالى سوف يجدد هذه الأرض وينزل عليها أورشليم جديدة من السماء، وهذا غير صحيح، ففى الإصحاح الرابع عشر من سفر زكريا يصور لنا يوم القيامة ويغنى الله كل من فى الأرض ويقول فى الفقرة ٣: **وبقية الشعب لا تقطع من المدينة** - أى قليل من الناس سيبقى لبدء الحياة من جديد، ثم يقول فى الفقرة ١٠ : **ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. فى ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده**. إلى قوله عن أورشليم: **وترتفع وتعمر فى مكامنها، إلى القول: فتعمر أورشليم بالأمن**، ونفهم من هذا الإصحاح ان ليس لهذه الأورشليم شأن بالاورشليم التى سوف تنزل من السماء وسوف نعرف السبب بعد قليل.

- جاء فى الاصحاح الرابع من سفر اشعياء فقرة ٤ : ويكون الذى يبقى فى صهيون والذى يترك أورشليم يسمى قدوساً، كل من كتب للحياة فى أورشليم- نفس المفهوم سالف الذكر.

- وقد جاء فى الاصحاح السابع للرؤيا أن الـ ١٤٤٠٠٠ الذين ختموا

على جباههم ليبدأوا الحياة بعد القيامة والذين هم عباد لله صالحين هم من كل سبط بنى إسرائيل ١٢٠٠٠ من كل سبط وهذا يعنى كل الأديان والملل وليس مسيحيين فقط كما يقولون، يؤكد هذا الإصحاح ١٤ : ٦- بشارة أبدية لكل الساكنين على الأرض.

- أما الإصحاح الحادى والعشرون فهو الذى سوف يصعد بنا إلى الجنة وأورشليم الجديدة ويلغى أى اعتقاد بأن القدس الجديدة ستكون على هذه الأرض. ونقرأ فى الفقرة الأولى ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد فى ما بعد وأنا «يوحنا» رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هو ذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم. وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت، إلى القول:- أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، ولكى نتأكد أن هذا ليس على هذه الأرض نقرأ فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى ٤ : ١٧- ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء. ولك أن تقرأ حزقيال الإصحاح الأول لتعرف كيف سيتم هذا، وأنظر الرؤيا ٣ : ١٢ - ١٥ ، وأيضاً سورة الانشقاق ١٩ أما المدينة العظيمة وأورشليم الجديدة فسوف تنزل على أرض غير أرضنا هذه أرضاً جديدة وسوف تكون تحفة رائعة من صنع الخالق عز وجل، فمدينة بهذه المواصفات لا يمكن إلا أن تكون فى الجنة، وأكثر ما يشد الإنتباه فى وصف يوحنا لهذه المدينة هو حجمها والمواد التى بنيت منها، فالحجم= ٢,٢٠٠ كيلومتر مربع- وسورها ٥٥٠ كيلومتر من كل جانب، والمدينة ذهب نقى شبه زجاج نقى، وأساسات سور المدينة مزينة بكل «حجر كريم- ياقوت أزرق - عقيق أبيض - زمرد ذبابى - جزع عقيقى - عقيق أحمر - زبرجد - زمرد سلقى - ياقوت أصفر - عقيق أخضر - أسمانجونى - جمشت» والمدينة لها إثنا عشر بابا كل باب من لؤلؤة واحدة، وسوف المدينة من ذهب نقى كزجاج شفاف. والمدينة لا تحتاج إلى شمس ولا إلى قمر لأن مجد الله قد انارها والخروف سراجها، ويستمر الاصحاح الثانى والعشرون فى وصف الجنة وما ينتظر المؤمنون فيها.

أن الحياة تتكرر مرة بعد أخرى. وبعد كل نهاية تتبعها بداية جديدة وكأنها بداية الخلق أن حقيقة البدء والاعادة جاءت على لسان الانبياء عبر أسفار التوراة مرات عديدة تلميحاً وتصريحاً كما ذكرنا وهناك المزيد تجده فى الجامعة الإصحاح الأول الفقرة ٩- ١٠ فى المزمور ١٠٤و أشعيا ٦ : ١٣، مراثى ارميا ٥ : ١٩، حزقيال ٧ : ١٠، وكذلك فى أسفار هوشع- وموئيل ٢- يونان ٣- وناحوم ٢- وصغينا ١، وأقوال تحمل نفس المعنى، وأيضاً فى الرؤيا ١٧ : ٩- ١٠ . وأن الله عزّ وجلّ يبدأ الخلق ثم يعيده وكما ذكرت هذه الحقيقة فى التوراة ذكرت أيضاً فى القرآن الكريم بصورة أوضح وأدق، هذه حقيقة مطلقة تثبتها علوم الجيولوجيا وتؤكدها المكتشفات المستمرة، التى لا تنقطع للبقايا الانسانية والحيوانية والنباتية، وعلى هذا يكون التاريخ العبرى لبداية الخلق هو فى الحقيقة بداية صفحة جديدة طويت قبلها الانسانية برمتها إلا قليلاً منها لاستمرار الحياة على الأرض. وعلى هذا تكون حضارتنا هذه هى فصل من فصول تاريخ طويل بطول الازل هذه حقيقة معطيات جوهرية مستقاة من واقع علمى وتاريخى يعطى سنداً قوياً على صحة وصدق الكتب المقدسة والشىء الذى يجعل البدء والاعادة شيئاً عاماً هو ما بها من دليل مادى على الهيمنة الالهية.. راجع كتابنا «الحقيقة المطلقة» ص: ٢٦٤.

– إذن فأرضنا هذه هى مسرحاً يؤدى كل إنسان عليه دوره ثم ينتقل بعد انتهاء هذا الدور إلى عالم آخر وأرض أخرى بعد يوم الحساب يعود الإنسان من حيث أتى أول مرة جنة الخلد فى حالة نجاحه فى الإمتحان. ويقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ «الأعراف ١٠٠» وفى نفس السورة «الآية ١٢٨»: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. وفى سورة «ابراهيم الآية ٤٨»: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ. وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

إن الكتب المقدسة تشرح فى يسر ووضوح تام تاريخ البشرية والكون ماضيه وحاضره ومستقبله وعلم الآثار يثبت هذه الحقيقة ويسد الفجوة بين المفاهيم المغلوطة عن حقيقة الخلق وخرافة التطور والهيمنة الإلهية. انظر الآيات ١٠٤ – ١٠٥ من سورة الأنبياء.

(التوراة رؤيا يوحنا والتوحيد)

– يقول الله فى كتابه العزيز : ﴿ أنّا أنزلنَا التّوراةَ فيهَا هُدىً ونُورٌ ...﴾ (المائدة الآية /٤٤) واقرأ عزيز القارئ من سورة المائدة الآية ٤٣ إلى الآية ٥٠ ، وكذلك من سورة البقرة الآية ٨٩ و ١٠١ ، آل عمران ٨١ – ٩٣ – ١٨٧ ، النساء ١٣٦ ، الانعام ٩١ – ١٥٤ . يونس ٩٤ ، وهناك الكثير من الآيات التى تحمل هذا المعنى نجدها فى القرآن الكريم. ومن هذا المنطلق وبناءً على هذه الآيات فلا حرج على الباحث فى مقارنة الأديان أن يطلع على التوراة والإنجيل ولا حرج على المسلم بصفة عامة أن يطالع كلام الله فيهما . ولكن الشىء الذى لا ريب فيه ان المسلم سوف يتأذى من التعبيرات التى توحى بالإشراك بالله فى الاناجيل خاصةً فى رؤيا يوحنا. فأنك لا تدرى من المتحدث إلى يوحنا فى هذا السفر، أهو الله سبحانه وتعالى ؟ أم المسيح؟ ام جبريل عليه السلام ؟ ومن غير المعقول أن مثل هذا السفر الذى ينطوى على الحقائق سالفة الذكر أن يأتى بأكاذيب، وواجبنا ألا نأخذ التعبيرات التى جاءت فيه على علتها بل علينا أن نحلل المعانى التى تنطوى عليها فنحن نعتقد أن هذه فتنة أصيبت بها المسيحية، نقصد التثليث، ون الاستدلال العقلى وحده يهدينا إلى وحدانية الله تعالى فى التوراة وأى اتجاهٍ غيره فهو ليس من التوراة ولا من منهجه .

– فاليهودية تأنف من الإشراك وتلفظه بإباء، وكل الأنبياء الذين جاء ذكرهم فى التوراة يأمرون بعبادة الله وحده وينكرون إشراك الإنسان فيما استأثر الله تعالى به نفسه فكانو يعلنون عن بشريتهم وعن عبوديتهم لله سبحانه وتعالى ويحرموا تقديس الإنسان ويذكرون كيف بطش الله بالمتألهين أمثال فرعون ونمرود وغيرهم. فإن كان هذا هو منهج التوراة ومن بعده القرآن فكيف يؤمن المسيحى بما لم يأت ذكره صراحةً فى الأناجيل؟ وكيف ترضى المسيحية بكل سموها عن هذه الفرية التى أدخلت عليها والتى هى أساساً من صنع الوثنية؟ .. ولقد ذكرنا على صفحات هذا الكتاب الشىء اليسير فى هذا الموضوع ونضيف هنا الآتى :–

يبدأ يوحنا بمقدمة فى سفر الرؤيا والمعروف ان يوحنا له أسلوبه الخاص فيما يتعلق بألوهية المسيح عليه السلام، ثم يبدأ فى سرد ما رآه وهى رسالة من الله

أعطاها إلى الشاهد الأمين المسيح الذى أعطاها إلى جبريل عليه السلام الذى بينها ليوحنا، وجاء فى الإصحاح الأول الفقرة ٨ : **(انا هو الألف والياء - البداية والنهاية - يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شيء)** ، وتكرر هذا فى الفقرة ١١ ، وفى الفقرة ١٢ يصف يوحنا جبريل وصف مطابق لما جاء في سفر دنيال ١٠ : ٦ فى الفقرة ١٨ يضع جبريل يده على يوحنا قائلا : **(لا تخف، ثم بدأ يقرأ الرسالة : أنا هو الأول والآخر الله تعالى، والحى وكنت ميتاً)** المسيح عليه السلام حيث أنه الشاهد على هذه الرسالة، راجع الفقرة ٢ .

فى الإصحاح ٢ : ٨ هذا يقوله الأول والآخر، الذى كان ميتا فعاش، وهذه العبارة تعنى أن ظن الناس انه مات ولكنه لم يمت - عاش بعد حادثٍ - جرحٍ مميت قد شفى - أنظر رؤيا ١٣ : ٣ وفى ١٢ : ٦ جاء : اختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه : المسيح، لم يذكر صعود الى الله بعد موت ولكنه صعد حياً، وجاء فى سفر دانيال ٩ : ١٦ وبعد اثنين وستين اسبوعا يقطع المسيح، وهذا يعنى تتوقف بشارته ولم يذكر دانيال توقف بعد موت .. وفى ما سبق ذكره يثبت رواية القرآن الكريم، ﴿ **وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ (النساء الآية /١٥٧) فربما يكون ما حدث لإبراهيم عليه السلام حدث للمسيح فقد تعطلت خاصية الإحراق ووضع ابراهيم فى النار . والله اعلم .

- وإذا كان ما جاء فى الاصحاح ٢ : ٨ ، هذا بقوله الأول والآخر، الذى كان متياً فعاش ويقصد المسيح فلابد أن يكون هناك تفسير معقول لهذه الجملة، ولنفترض أنه الآتى : جاء فى إنجيل يوحنا ٨ : ٥٨ **(الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن)** وفى انجيل متى ١ : ١٨ جاء ما يلى : (اما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا - لما كانت أمه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من الروح المقدس ، إلى القول : هو ذا العذراء تحبل وتلد أبناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا، ولا يحمل اسم عمانوئيل أى تصريح بإشراك المسيح بالله؟، وفى انجيل لوق ١ : ٢٦ جاء ما يلى : **(وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة)** إلى قوله : **(لا تخافى يا مريم قد وجدت نعمة عند الله، وها انت ستحبلين وتلدين**

ابناً وتسميه يسوع) إلى قوله : (**الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله**) وفى هذه أيضاً لا يوجد أى تصريح بألوهية المسيح حيث أنه يحمل اسم وليس صفات الإلهية؟.

– ثم ماذا حدث بين مريم وجبريل حينما التقيا؟ شيئاً ما قد حدث. وإذ كان الأمر قد تم بين الله تعالى ومريم لكانت الكلمة كافيةً – كن فيكون – والشيء الذى نتصوره والله أعلم أنه حينما خلق الله آدام عليه السلام أحتفظ فى خزائنه بخليه من خلايا آدم بعد أن نفخ الله فيه من روحه ودبت فيه الحياة وكتب على الأمبوبة التى تحمل هذه الخلية – المسيح عيسى ابن مريم – وكانت مهمة جبريل عليه السلام وضع هذه الخلية فى مكنها، أنظر سورة مريم الآية ١٩.

وقد رأينا كيف تتم عملية الاستنساخ – نزع خليةً حيةً من جسم إنسانٍ – رجل – ثم نزع نواتها ومعالجتها بطريقةٍ خاصة، ثم زراعة هذه النواة داخل خلية بويضة المرأة وذلك بعد نزع نواة هذه الخلية – الخلية الأنثوية – ثم يتم زرعها فى رحم المرأة لتنمو فى صورة جنين – صورة كربون من الرجل – وليس المرأة لأن النواة تعود للأب، فهل لهذا يقول الله تعالى : ﴿ **إن مَثَلَ عسَى عندَ الله كَمَثَلِ آدمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيكُونُ**﴾ (آل عمران/ ٥٩) ، ربما والله أعلم وعلى هذا يكون الأول والآخر ، أول وآخر من خلقه الله بهذا الإعجاز.. وبهذا المفهوم نستطيع أن ننفى عن القديس يوحنا تهمة الإشراك الإشراك بالله أو أنه أوحى بالإشراك ، وإذا كان الحواريون أشركوا لجاء ذكره في القرآن الكريم. وجاء ذكره عن الحواريين هو الآتى : ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عيسَى مِنْهُمُ الكُفرَ قَالَ مَن أنصَارِى إِلى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحنُ أَنصارُ اللهِ وَاشهَد بِأَنَّا مُسلِمُونَ**﴾ (آل عمران ٥٢) .

ويأمرنا الله عز وجل ان نكون مثل الحواريون فيقول فى سورة الصف الآية ١٤ : ﴿ **يأَيُّهَا الذين آمنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّه كَمَا قَالَ عسىَ ابنُ مريَم للحَوَارين مَنَ أنصارِى إلى اللَّه قَالَ الحَوَارِيُّون نَحنُ أَنصَار الله** ﴾ .. ويقول سبحانه وتعالى فى (سورة الحديد الآية ١٧) أنه جعل فى قلوب أتباع المسيح عليه السلام – رأفةً ورحمةً – ويقول تبارك وتعالى عنهم فى (سورة الكهف الآية ١٣) :

﴿ إِنَّهُم فتيةٌ إمنُوا بربِهِم وَزِدنَاهُم هُدىً ﴾ إذن فيوحنا كتب ما رأى وما سمع وحذر كَل من يزيد أَو يحذف نبوءة هذا الكتاب بالضرابات ويحذف الله نصيبه من سفر الحياة والمدينة المقدسة. وعلينا أن نفهم مقصد العبارات كما ذكرنا وأعطينا مثلاً أعلاه، ونعطى مثلاً آخر ونرجع إلى حدث الرسول ﷺ : «ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها» . إذن هو الأول ، معجزة ميلاده والآخر، آخر أمة محمد ﷺ ..وأما عبارة (الحي وكنت ميتا) ما جاء فى (سورة البقرة الآية ٢٨) ﴿كَيفَ تكفُرُونَ بِالله وكُنتُم أَموَاتاً فَأَحياكُم ﴾. بمعنى كنتم أجساداً لا حياة فيها ننفث فيكم من روحه .

– والمسيح عليه السلام كان موجوداً بلا حياة حتى أمر الله بمعجزة ميلاده، ولا نشك فى مقصد يوحنا حينما يذكر نبوة المسيح لله فهو يفعل ذلك بمعنى المجاز ونتصوره إعقل من أن يقصد غير ذلك والدليل ما ذكره فى سفر الرؤيا من تمجيد وتوحيد لله تعالى فيقول على لسان المسيح فى الإصحاح ٣ : ١٢ من يغلب فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى، ولا يعود يخرج إلى خارج واكتب عليه اسم إلهى واسم مدينة إلهى أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهى واسمى الجديد ، ولاحظ فى جملة قصيرة يذكر المسيح كلمة إلهى أربع مرات، ونرى هذا تأكيداً لعبودية المسيح لرب العالمين ثم اقرأ الإصحاح الرابع عزيزى القارىء وأنظر كيف يصف يوحنا العرش والجالس عليه القدوس الرب الإله القادر على كل شىء .

وفى الاصحاح السابع فقرة ١٢ فقرأ ، الملائكة وكل من حول العرش خروا سجداً لله، أما الخروف المسيح كان له حضور فى هذا المشهد كشاهد. أما المجد والشكر والقدرة والقوة فلله، والإصحاح ١٥ : ٤ يقول : أيها الرب الاله القادر على كل شئ عادل وفق طرقك يا ملك القديسية إلى قوله : لانك وحدك قدوس لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون امامك، وفى الإصحاح ١٩ : ٩ يقول : هذه هى أقوال الله الصادقة، فخررت أمام رجليه (جبريل) لأسجد له فقال لى: أنظر لا تفعل أنا عبد معكم ومع أخوتك الذين عندهم شهادة يسوع . اسجد لله، فإن شهادة يسوع هى روح النبوة .. ونتساءل اليس تصريح مثل هذا كافياً للعدول عن فكرة التثليث ؟ ... وفى الإصحاح ١٤ : ٧ – ١٢ يقول : (**خافوا الله**

وأعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعة دينونته واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه ..) إلى قوله : هنا صبر القديسين - هنا - (**الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع..**)ولا نجد هنا أى خلط بين الله سبحانه وتعالى الخالق والمخلوق المسيح عليه السلام .

- وفى الإصحاح ٢١ : ٦ يقول والمتحدث هو الله تعالى : (**انا هو الالف والياء البداية والنهاية ..**) إلى قوله : (**من يغلب يرث كل شيء واكون له إلهاً وهو يكون لى ابناً**).. إذن فالأب والابن هى كناية ومجاز عن العبد وربه الخالق البارئ القادر على كل شيء سبحانه وتعالى .

-أما سفر اشعياء والذى يعتبره البعض السفر التوأم للأناجيل لا لشيء إلا أنه يوحى بالتثليث. فقد جاء فى الإصحاح ٧ : ١٥ الآتى (**ولكن يعطيكم السيد نفسه آية - معجزة - ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل - الله معنا**) إلى القول : (**لأنه قبل أن يعرف الصبيّ أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الأرض التى أنت خاشي من ملكيها..**) وهذا ما جاء فى إنجيل متّى ١ : ١٨ والذى لا نجد فيه أى إيحاء بتثليث، أما الاصحاح) ٩ : ٧ من سفر اشعياء فهو الذى يدعو المتمسكين بهذه العقيدة للإيمان بها. فقد جاء فيه : لأنه يولد لنا ولد نعطى ابنا، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى أسمه عجيباً، مشيراً، إلها قديراً، أباً أبدياً رئيس السلام، إلى القول : غيرة رب الجنود نصنع هذا، .. ونرى أن الصفات التى يحملها لولد المولود هى أسماء - يدعى اسمه - سوف تطلق عليه بدون سلطان من صانع المعجرة لأن غيرة رب الجنود تأبى هذا بدليل إلى الوصايا العشرة : لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. خروج : ٢٠ ك: ٤ .. وبدليل سفر اشعياء نفسه فقد جاد فى الإصحاح ٤٣ : ١١ من سفره : (**قبلى لم يصور إله وبعدى لا يكون أنا الرب. وليس غير مخلص**) .. وفى الاصحاح ٤٤ : ٦ يقول : (**هكذا يقول الرب ملك اسرائيل وفاديه . رب الجنود . أنا الأول وانا الآخر ولا إله غيرى**)، ويسأل فى الفقرة ٩ من نفس الإصحاح : (**هل يوجد اله غيرى، ولا صغيرة لا أعلم بها؟**) .. وفى الفقرة ٢٥ نفس الإصحاح (**أنا الرب صانع كل شيء ناشئ السماوات وحدى باسط الأرض . من معى؟**) .. وفى الإصحاح ٤٥ : ٦ يقول : (**أنا الرب وليس آخر. لا إله سواى.**

إلى قوله : (**ان ليس غيرى. انا الرب وليس آخر**). هل يوجد تصريح أبلغ وأقوى من هذا على وحدانية الله؟ ،وإذا كان هناك ثالوث فلماذا لم يصرح به ويشير إليه سبحانه وتعالى ويقول : أنا وابنى والروح القدس وسوف نفعل كذا وكذا ؟؟ سبحانه وتعالى عما يصفون ، ويصف سفر زكريا يوم القيامة ويقول فى الإصحاح ١٤ : ١٠ (**ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. فى ذلك اليوم يكون لرب وحده واسمه وحده**)، وهذا أيضاً تصريح واضح بأن لله الأمر والنهى والهيمنة لا شريك له فى ملكه سبحانه وتعالى .

- أن من يراجع الكتاب المقدس بعهديه يجده خالٍ من أى إشارة إلى تثليث أو إشراك بالله، بل العكس هو الصحيح فقد ذكرنا التوحيد فى الكتاب المقدس على صفحات هذا الكتاب ، ونضيف هنا الآتى :

- نقرأ فى سفر أخبار الأيام الأول عن معنى البنوة بين الله تعالى وبين عباده وهو معنى مجازى فيقول فى الإصحاح ٢٨ : ٦ (**وقال لى (الله) ان سليمان ابنك هو ينى بيتى ودياري لأنى أخترته لى ابناً وأنا أكون له أباً**)، لقد فهم اليهود المعنى المجاز فى هذه الفقرة ولم يدع من ادعاه اتباع المسيح عليه السلام، حيث يقول نبى الله داود فى نفس السفر الإصحاح ٢٩ : (**وبارك داود الرب أمام كل الجماعة وقال داود مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل ابينا من الأزل وإلى الأبد، لك يارب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد، لأن لك كل ما فى السماء والأرض . لك يارب الملك وقد ارتفعت رأساً على الجميع**).. هكذا عرف داود ربه وقدره حق قدره فستحق منزلته عبدالله، ولقد رفع أنبياء بنى إسرائيل جميعهم راية التوحيد منذ نبى الله يعقوب إلى آخر الأنبياء قبل قدوم المسيح عليه السلام فنقرأ فى سفر هوشع الاصحاح ١٣ : ٥ يقول : (**والهاً سوى لست تعرف ولا مخلص غيرى**)، وفى سفر بوئيل الإصحاح ٢ : ٢٨ يقول (**وانى انا الرب إلهكم ، وليس غيرى**) .

وقد جاء فى إنجيل متى الاصحاح ١٩ : ١٧ يقول المسيح على السلام : (**لماذا تدعونى صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحيوة فاحفظ الوصايا**) . وأول الوصايا هى : (**لا يكن لك ألهة أخرى امامى**) خروج ٢٠ : ٤. وهذا النص موجود فى مرقس ١٠ : ١١٧ ، وفى إنجيل

متى أيضاً الاصحاح ٢٤ : ٣٧ جاء على لسان السيد المسيح وهو يتحدث عن يوم القيامة فيقول : (**وما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده**) . ولكي يؤكد المسيح عليه السلام ان كلمة – أبي – هي مجاز فيذكر كلمة أبي مرةً واحدةً في هذا الإصحاح ٢٤ : ٣٧ ويذكر نفسه بكلمة أبن الإنسان خمس مرات في نفس الإصحاح في الفقرا ٢٨ – ٣٠ – ٣٨ – ٤٠ – ٤٥ ويذكر نفسه بأبن إنسان مرتين في الإصحاح ٢٥ .. وعبر كل الاناجيل الأربعة يحلو للمسيح ان يذكر نفسه بأبن الإنسان وإن كان هو أحق الناس أن يكون ابن الله بالمجاز لأن لم يكن له أب أثناء وجوده على الأرض إله أنه كان يذكر الأتباع بطبيعته الإنسانية فهو كان خلية من جسد أبينا آدم عليه السلام وهو خليه عند الله حتى حملتها مريم وكانت آية من آيات الله. تحمل البتول مريم من رجلٍ مات من آلاف السنين، وهذا ما توصل إليه العلماء أخيراً.

-جاء في انجيل لوقا الإصحاح ٤ : ٨ قول المسيح : (**اذهب يا شيطان – أنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد**) وكان إبليس قد طلب من يسوع ان يسجد له، واذا كانت فرية التثليث حقيقة لكان رد يسوع كالآتي : (**كيف يسجد الخالق للمخلوق؟**) .

وفي نفس الإصحاح الفقرة ١٢ يطلب ابليس من يسوع ان يطرح نفسه من فوق جناح الهيكل ليرى إن كان الملائكة سوف يحفظوه كما دعوه الله، فأجاب يسوع : (**انه قل لا تجرب الرب الهك**)، وهذه المقولة تنفي ألوهية المسيح أيضاً.. وفي الفقرة ٢٥ من نفس الإصحاح يقول يسوع مشيراً إلى نفسه: (**ليس نبيٌ مقبولا في وطنه**) وفي الفقرة ٩ من الاصحاح ١٢ يقول : (يسوع : وأقول لكم كل من أعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله)وفي الفقرة ١١ من نفس الإصحاح يقول المسيح عليه السلام : (**وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له**)، وانظر عزيزي القارئ كيف يفرق المسيح بين شخصه وبين خالقه وبين الملائكة والروح القدس ولم يجمعهم في شخصه كما فعل الذين أخترعوا فرية التثليث . والسيد المسيح كان مؤيداً بروح القدس، وقد جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ وما بعده أن الروح القدس سوف يعود بالوحي مرة أخرى (متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا

يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية) يوحنا ١٦ : ١٤ انظر كتابنا - الحقيقة المطلقة ص ٢٢٦، فاليحظر كل من يجدف على الإسلام فهو يجدف على الروح القدس الذى أتى بالوحى على الرسول ﷺ ؟..

- وكما كان يسوع يقول بالمجاز - أبى الذى فى السماء - كان يقول : للناس ، لوقا ١٢ : ٢١ (وأما أنتم فأبوكم يعلم انكم تحتاجون إلى هنا) وأيضاً فى نفس الإصحاح فقرة ٢٣ **(لأن أباكم قد سر ن يعطيكم الملكوت)**.. وقد جاء فى إنجيل يوحنا ١٤ : ١٠ قول يسوع: **(ألست تؤمن نى أنا فى الأب والأب فى الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى لكن الأب الحال فى هو يعمل. الاعمال، صدقونى انى فى الاب والاب فى)** وبهذا التعبير يخرج المسيح عليه السلام من حوله وقوته إلى إرادة الله فيه، فهو روح الله وكلمته كما يذكر القرآن الكريم، وحتى لا يلبس الأمر على الناس يقول فى نفس الاصحاح الفقرة ٢١ : **(فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى ابى وأنتم فى وأنا فيكم)** . بمعنى أن الأرواح الطاهرة تتلاقى، وفى رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبى الإصحاح الثانى فقرة ٧ يقول : **(الذى إذا كان - يسوع - فى صورة الله - طبيعة طيبة - لم يحسب خلساً ان يكون معادلاً لله)** .وأن تصريح مثل هذا من شأنه ان يلغى اى اعتقاد فى ألوهية المسيح عليه السلام، وفى رسالة يوحنا الرسول الأولى الإصحاح ١ : ٦ يقول : **(ان الله نور وليس فيه ظلمة البتة. أن قلنا لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق)** وهنا ينصح يوحنا بعدم الاشراك بالله، واقرأ الاصحاح الثالث من نفس الرسالة وهو خاص بالبنوة بالمجاز، وكل ما نقرأ فى الاصحاح الرابع من هذه الرسالة يجب أن نعود إلى الإصحاح الثالث لكى نتأكد ان يوحنا لا يناقض نفسه، وهو خاص ببنوة المسيح.. اما الإصحاح الخامس من نفس الرسالة فأستعين عليه بالله وبما ذكرنا هنا على لسان المسيح نفسه من توحيد لله ويشفع لهذا الإصحاح الفقرة الأخيرة فيه حيث يقول : **(احفظوا أنفسكم من الأصنام)**.. يعنى ألا تشركوا بالله.

ولكى نؤكد ان الاصحاح سابق الذكر يناقض تعاليم الأناجيل ونستطيع ان نقول والله أعلم أنه دخيل عليها، نقرأ الآتى فى رسالة بوليس الأولى إلى أهل

كورنثوس الإصحاح ٨ : ٤ – ٥ يقول القديس بولس : (انت كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده. إلى قوله : (وأن ليس إله آخر إلا واحد لأنه وجد ما يسمى آلهة سواء كان فى السماء أو على الأرض كمايوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون لكن لنا إله واحد الأب لذى منه جميع الأشياء ونحن له. ورب واحد – معلم – يسوع المسيح)، وشتان بين هذا التصريح وما جاء فى الإصحاح ٥ : ٨ من رسالة يوحنا الرسول الأولى : فأن الذين يشهدون – فى السماء – هم ثلاثة – الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون فى الأرض هو ثلاثة – الروح والدم والثلاثة هم فى الواحد؟ ، وبعد العرض الطويل من التوحيد الذى ذكرناه لا ندرى مقصد يوحنا من هذا التصريح،. واذا كان هذا التصريح بقصد الإشراك بالله وإلصاق الألوهية بالمسيح فإنه تصريح ضعيف ضعيف جداً جداً لأساس له ولا سند والعكس هو الصحيح . قياس التوحيد فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لا يضاهيه أى إدعاء آخر.

– وقد صدق كلام الله فى أهل الكتاب حيث يقول فى كتابه العزيز : ﴿**وَإِذ أَخذَ اللهُ ميثَاقَ الذينَ أُوتُو الكتابَ لَتُبيننَّهُ للنَّاس وَلاَ تَكتُمُونَهُ فَنَبذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهم واشتَرَواْ به ثَمناً قَليلاً فَبئسَ مَا يَشتَرُونَ**﴾ (آل عمران ١٨٧) .. وفى (سورة المائدة الآية ١٥) يقول تعالى : ﴿**يأهلَ الكتَاب قَد جَاءكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنَ لكُم كَثيراً ممَّا كُنتُم تُخفُونَ منَ الكتَاب وَيَعفُو عَن كَثيرٍ قَد جَاءكُم منَ اللَّه نُورٌ وَكتَابٌ مُبينٌ**﴾ ، ولولا تحريف أهل الكتاب لمعنى ما جاء فى إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ : ٢٦ لما عرف التثليث طريقه إليهم، يقول السيد المسيح فى هذا الإصحاح : «وأما المغزى – الرسالة المحمدية – الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلت لكم» ، ان هذا الإصحاح كله يتحدث عن الرسول ﷺ ورسالته ولا يحتمل تأويل آخر، ولكن هى إرادة الله عزَّ وجلَّ فقد جاءت البعثة المحمدية بعد قرنين من إتخاذ قرار تأليه السيد المسيح فى مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية، وما حدث لهذه العقيدة السمحاء هو الامتحان – الفتنة – سنة الله فى خلقه، يقول تعالى : ﴿ **وَجَعَلنَا بَعضَكُم لبعضٍ فتنَةً أَتَصبرُونَ وكَانَ رَبّكَ بَصيراً** ﴾ (الفرقان ٢٠) وفى (سورة العنكبوت الآيات

٢ - ٣) يقـول تعـالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتركُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُم لاَ يُفتَنُونَ، وَلَقَد فَتَنَّا الذينَ من قَبلِهم فَلَيعلَمَنَّ اللَّهُ الذينَ صَدَقُوا ولَيَعلَمَنَّ الكَاذبينَ ﴾ .. ويقـول تعـالى : ﴿ وَلَنَبلُونَّكُم حَتَّى نَعلَمَ المُجَاهدينَ منكُم وَالصَّابرينَ وَنَبْلُوَ أخبَارَكُم ﴾ (سورة محمد ٣١)، وانظر أيضاً (الانعام ٥٣).

لقد تكرر الحديث عن السيد المسيح فى القرآن الكريم حوالى ٤٠ مرةٍ تارةً باسمه وتارةً بلقبه وهذا يدل على تشريف وتكريم الله لهذا النبى الكريم والرسول العظيم إلى بنى إسرائيل، وهو من أولى العزم من الرسل والذى مدحه الله تعالى مدحاً عظيماً فى آياتٍ قرآنيةٍ متعددةٍ وكذلك فى الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت فى فضل عيسى عليه السلام منها ما جاء فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ : «انا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الأولى والآخرة» .

- ومن هذا المنطلق نحن ندافع عن السيد المسيح من كل افتراء عليه فبرغم ما جاء فى الكتاب المقدس من تكريم وتعظيم شأن المسيح من الله تعالى إلا أنه احتفظ بالألوهية واستأثر بالعظمة والملك لذاته سبحانه وتعالى، وعلى الذين ينشدون الحق ويبحثون عن الصدق من أهل الكتاب ينبغى لهم أن ينظروا إلى هذه الحقيقة ويكفوا عن الغلو فى دينهم ورسولهم الكريم الذى قال الله تعالى فى ﴿ لَن يستَنكِفَ المَسيحُ أن يكُونَ عَبداً للّه وَلاَ الملائكَةُ المقَرَّبُونَ ﴾ (سورة النساء/١٧٢) .

- إن أساس إعتراف الإسلام بجميع الرسل والكتب التى أتوا بها يرجع إلى أن الدين عند الله واحد والهدف منها عبادة لله وتوحيده سبحانه وتعالى دون سواه وإن كل الديانات تكمل بعضها بعضاً وإيمان الإسلام بالرسالات التى سبقته مقرر فى أصول التشريعة الإسلامية بصريح نص القرآن الكريم فى سبع عشر آيةٍ محكمةٍ منها على سبيل المثال الآية ٢٨٥ من سورة البقرة، يوجد آية صريحة مثل هذه الآية تشير إلى نسخ ما سبق الاسلام من ديانات سماوية.

يقول شيخ الأزهر د. سيد طنطاوى وهو يهنئ المسيحيين بعيد الميلاد والسنة الميلادية فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٩/١/١ : «ونحن جميعاً نؤمن بأن الانبياء كلهم قد جاءوا برسالة واحدة فى جوهرها والخلاف بينهم انما هو فى الفروع

والجزئيات وليس فى الأحوال والكليات بدليل قول تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا منكم شرعَةً ومنهَاجاً ﴾ (المائدة ٤٨)، واذن فالناس جميعا من أب واحد ومن أم واحدة ورسلهم جميعاً دعوا إلى عقيدة واحدة وما دام الأمر كذلك فعلينا جميعاً أن نعيش أخوة متحابين موادين متناصحين متعاونين على البر والتقوى لا على الأثم والعدوان .

«صحوة ضمير»

– لقد حدث أخيراً فى العالم الإسلامىّ ما يشبه – صحوة الضمير – نتيجة ما يُشن من هجمات دعائية من أجهزة الإعلام الغربية تزعم بأن المجتمعات الإسلامية تضطهد مواطنيها غير المسلمين فقام رجال الدين الإسلامىّ يدافعون عن براءة الدين الإسلامىّ من هذه الافتراءات، ويظهرون حقيقة علاقة الإسلام بغير المسلمين وموقفه من الديانات السماوية الأخرى بالحق والعدل كما أراد الله، وليس كما فرضت الظروف والنزاعات والمصالح الدنياوية وبهذا قدمت أجهزة الإعلام الغربية خدمة لتحسين العلاقة والتفاهم القائم على التسامح بين المسلمين والمسيحيين ، وفى هذا الصدد يقول الدكتور أحمد السايح أستاذ بجامعة الأزهر: «قد تضمن القرآن الكريم أول درسٍ عمليٍّ فى مجال العلاقة بالأديان فقد حفل القرآن بالحديث المفصل عن الأديان والعقائد والملل والنحل، نجد ذلك جلياً فى حديثه عن أهل الكتاب جاء هذا بفيضٍ غزيرٍ زاخرٍ، فقد جاء الحديث عن بنى إسرائيل فى القرآن من أكثر المسائل نصوصاً بعد العقيدة، ونفهم من هذه النصوص ان الإسلام يدعو إلى التفاهم بين الأديان انطلاقاً من أساسٍ ثابتٍ يتمثل فى وحدة الأصول التى قامت عليها الاديان السماوية وهى الايمان بالله واليوم الآخر والغيب والبعث ، والملائكة والثواب والعقاب، والإيمان بالمرسلين والوحى الإلهىّ . هذه الأصول حملها جميع الأنبياء والمرسلين . ويقول الدكتور (السايح) : «ان الإسلام فى لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء وأنتسب إليه كل أتباعهم، ومن ثمّ فإن الدين منذ القدم هو الإسلام، وقد سمى الله منذ القدم – مسلماً كل من اعتنق أسس هذه الديانة – إسلام الوجه لله – والانقياد له والتوكل عليه سبحانه وتعالى،

لذا وصف الإسلام ليس منصباً على الذين آمنوا بدعوة الرسول ﷺ فحسب بل هو وصف لقب أطلقه الله تعالى على كل مَنْ آمن بالرسول الذى بعثه فى زمنه، وكل من وحد ربه وأسلم قلبه ووجه وأمره كله لله سبحانه وتعالى، ومن هذا المنطلق يمكن التفاهم والحوار بين أهل الأديان السماوية والتسامح بين النفس والآخرين. فالإسلام يكرم الإنسان لذاته وبقدر إيمانه بالله، يقول الله عزّ وجلّ ﴿ يأيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقنَاكُم من ذكَرٍ وأنثى وجَعلنَاكُم إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾ (الحجرات/ ١٣).

- إن الاختلاف فى المنظور الإسلامى هو قانون إلهى وسنة كونية إذ أن الله قد خلق الكون وما فيه على اساس الاختلاف والتنوع يقول تعالى : ﴿ ومن آياته خَلقُ السَّمَاوات والأرضِ واختلافُ ألسنتِكُم وألوانكُم إنَّ فى ذَلكَ لأيَاتٍ للعَالمينَ ﴾ (الروم/٢٢) .. ومن ثم فإن اختلاف الأديان والاجناس والألسنة أمر يرجع إلى إرادة الله حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ولَو شَاءَ ربُّكَ لَجعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحدةً ولا يَزَالُونَ مُختَلفينَ، إلاَّ مَن رَّحِمَ ربُّكَ ولذَلكَ خلَقَهُم﴾ (هود/١١٨، ١١٩).

ويقول جل شأنه : ﴿ ولو شَاءَ رَبُّكَ لأمَنَ مَن فى الأرضِ كُلُّهُم جَميعاً أفَأنتَ تُكرِهُ النَّاس حَتَّى يكُونُواْ مُؤمِنينَ ﴾ (يونس/ ٩٩) د. أحمد السياح ، الأهرام ١٩٩٩/١/١٠.

- هذا هو الأسلوب الأمثل للحوار بين الاديان وهو الأسلوب القرآنى - الحكمة والموعظة الحسنة - القبول والتصحيح - وليس التكفير والتعسير والتنفير - وإن الحوار بين الأديان يمثل أحد الجوانب الهامة على المستوى الفكريّ والثقافيّ والإلتزام بأمانة الدعوة وموقف المفكرين الإسلاميين من هذه القضية ذات اتجاهين الاتجاه الأول يعارض الحوار مع غياب الاعتراف بالاسلام كدين سماويٍّ من جانب المتحاور معه ، وهو رفض متبادل للآخرين المتحاورين ، والإتجاه الثانى يؤيد استمرار الحوار على أساس أن هناك العديد من القضايا التى تهم الإنسانية وتحتاج إلى نوع من التنسيق فيما بين أهل الأديان السماوية لتعزيز قيم التعايش والسلام، إلى جانب إن هذا الاتجاه لديه وعى وتفهم للتعاليم الالهية،

وعلى هذا وجب التنسيق والحوار بين الأديان ويجب ان تجرى دورات من الحوار بين اللجنة الإسلامية العالمية ونظيرتها من الديانات الأخرى لتحقيق إرادة الله تعالى حيث يقول : ﴿ **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ (الشورى/ ١٣) ، فالواجب هو إيجاد نقاط تماس وتلاق وتفاهم ومودة بين كل المؤمنين بالله واليوم الآخر من كل الأديان ومحاولة تجاوز الافتراءات المهلكة وكل أنواع الزيغ والتعصب وإلباس المصالح لباس التقديس ويسهم الجميع فى إقامة حوار بناء بين الإديان لكى لا يكون الاختلاف العقائدى مدعاة للخلاف والتناحر، وأنما يكون فيه إلتقاء البحث فى الأواصر المشتركة وسبل الاتفاق فى الجوهر فلا خصام ولا خصومة بين جوهر الإديان السماوية حيث أن المنهج الحقيقى للإسلام فى مختلف القضايا وجوهره فى السلوكيات والمعاملات قائم على وحدة البشر والعالم من حولهم، كذلك فإن الترغيب والترهيب فى القرآن الكريم لا يجب أن يكون معاول هدم فى أيدينا نهدم وتحاول تقويض عقيدة أهل الكتاب. هذا هو الخطأ الشائع الذى يقع فيه الباحثين يغلفون انتقادتهم بتجاهل ونكران كل العقائد غير الإسلامية ويتخذون الترهيب زريعةً لتكفير كل من يدين بغير الإسلام، فما يكون منهم إلا أن يعملوا بأستماته على تشويه صورة الإسلام وتقديمه لاتباعهم على آنه دين يدعو للتخلف والخرافة فتنشأ العداوة والبغضاء بتوجيه من رجال الدين كذلك علينا رعاية الواقع – فقه الواقع – بمعنى تحكيم العرف بما لا يخالف النص وهذا كان مراعى عند نزول القرآن بل كان القرآن ينزل منجماً بحسب الواقع، ومن ثمّ كان حرص أئمتنا القدامى على أسباب النزول بوصفه علماً لابد منه للمجتهد – ورعاية الواقع هى معرفة أسباب النزول – ويقول (الدكتور عبد المعطى بيومى) عميد كلية أصول الدين بالقاهرة : إن الآيات كانت تنزل مصادفة موقعها لتلقى الحكم بالقبول لدى الناس والتدرج فى الحكم حسب استعدادهم كما حدث فى تحريم الخمر إذ لو حرمت دفعةً واحدةً دون مراعاة الواقع لحدث ما لا يحمد عليه، وقد كان الرسول ﷺ على هذه السنة القرآنية والقانون الإلهىّ فى رعاية الواقع ليسلك الناس أحسن السبل لتلقى الحكم، وما من فقيه إلا وقد وضع الواقع نصب عيناه إلا فريقاً من فقهاء هذه الأيام لا يالون بالواقع شيئاً بل يكبون على الكتب القديمة ينقل منها الأحكام المتغيرة، وقد تكون فى واقع غير واقعنا ولا يدركون أن معرفة النص وتوثيقه جزء من عمل الفقيه، ويقول د. بيومى

: فالدين ليس هو الفقه إنما الدين هو الشريعة التى أوحى بها الله تعالى إلى الأنبياء وآراء الفقهاء مستمدة من أصول هذه الشريعة تختلف باختلاف العصور والاستعدادات وتبعاً لاختلاف الأمم، ومقضتيات الحياة فيها وتبعاً لاختلاف البيئات والظروف. ولو جاز أن يكون الدين هو الفقه مع ما ترى من اختلاف الفقهاء بعضهم مع بعض وتفنيد كل آراء مخالفيه وعدها باطلة لحق على كلمة الله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾. (الأنعام.١٥٩) .

إذن فالواجب هو التحرر من ربقة التقليد وسبغة القداسة على آراء الفقهاء القدامى رحمهم الله لكى يخلص التقديس للشريعة والسنة وليكون النص كتاباً وسنة وجهتنا الأولى، إن الانفتاح الفكرى والاعتراف بالآخر وبكل تيارات الفكر هى عدة بناء الأخوة والمحبة بين أبناء البشر وبهذا يشق الفكر الإسلامىّ طريقه إلى قلوب وعقول الآخرين وتنكسر أمامها موجة التطرف العاصف الذى أصاب أركان الأرض الأربع وتعيد للإسلام رونقه وسماحته فى نظر الآخرين حينما يرون ان الإسلام يتلاقى مع الأرواح ويتعانق مع العقائد السماوية الأخرى، فالدين يجب أن يسهم فى صنع السلام بين أبناء البشر وليس العداوة والبغضاء والتنافر، وأعمالنا يجب أن تدحض ما قيل فى شئننا، أن هذه الأمة لا تنجب وقد أجدبت منذ القرن السادس الهجرى وأن الايداع فى الفكر العربى قد توقف مع ابن خلدون فى القرن الثامن ، فواجبنا أن نقدم فهماً توفيقياً بين العيش فى حضارة العصر والمحافظة على التراث الإسلامىّ العريق. ويحضرنا فى هذا الصدد وفى ذكرى مرور ٨٠٠ عام على وفاة (ابن رشد) معلم الموحدين فى الأندلس أنه أعطى الفلاسفة الحق فى الحوار ورفض سياسة التكفير التى كانت قد تفشت مع فارق علم الكلام. لقد تبنى (ابن رشد) علوم اليونان وفلسفتهم ولخص كتب أفلاطون وغيره من حكماء الأغريق وتعتبر إنجازته رأسمال عقلياً لنا ولغيرنا وعالميته تتجلى فى أثره الفاعل فى الثقافة العالمية وعصر النهضة بالتحديد، وقد كان القياس البرهانىّ هو أهم الصور وانفعها عند (ابن رشد) تبعها لما تأمرنا به الشريعة وهو يعنى مشروعية العقل فى نطاق الشريعة نفسها وهو جوهر المشروع الرشدى والبحث لدور للعقل فى نطاق الشريعة ومحاولة إيجاد مرجعية للعقل فى

نطاق الدين الإسلاميّ ، أى أهمية دور الدين في توظيف قيم العقل والثقة فى قدراته فى نطاق المشيئة والإرادة الالهية، فهى الأداة التى يمكن بواسطتها إدراك عظمة الخالق ومعرفة النظام والقانون الذى يسيربه هذا الكون فالمعرفة العقلية ضرورة أوجبتها العناية الألهية . والقياس البرهانىّ - وهو أعلى صور الاستدلال - اعتماداً على قياس الغائب على الشاهد، حيث الشاهد هو المنصوص عليه فى القرآن والسنة، وفى هذه الحالة نعتمد ونستشهد بكلام الله وتعاليم الرسول ﷺ . فالقياس الفقهى وحده كان من نتائجه جمود العلم الإسلامى وخمود جذوته، فالعلم من حيث هو نسبى يعتمد فى تطوره على نقضٍ ونفىٍ ما تم الوصول إليه فليس هناك أى نظرية أو تصور علمى مطلق وثابت، فيما يميز النظرية العلمية أنها نص مفتوح قابل للمناقشة والتغيير. ويعنى العمل بمبادئ القياس الفقهى أو الأصولى فى مجال العلم وإن كل ما يتم اكتشافه سوف يدخل فى نطاق النص المطلق وهو النص المغلق وغير قابلٍ للمناقشة والدحض، وهذا يؤدى إلى تعثر العلم ويعوق تقدمه .. والجدير بالملاحظة إن الاصلاح الفكرى الأوروبى الذى سبق عصر النهضة العلمية قد تبنى نفس المشروع الرشدى فيما عرف - بالرشدية اللاتينية - كما تبنته الحركة الفلسفية اليهودية فيما عرف بالرشدية اليهودية، فالمعرفة العقلية ضرورة أوجبتها العناية الإلهية، وبذلك فقد كان من جهود رجال الدين فى عصر الاصلاح الفكرى الدعوة إلى قيم العقل، ويقول - طوبى هاف - فى كتابه (فجر العلم الحديث) : ان أسس البحث العلمى قد طورته الصفوة الدينية التى سيطرت على الحياة الفكرية فى ذلك العصر ، والواقع أن الدين ما زل له الدور الكبير على نشأة العديد من الاتجاهات فى المجتمعات الأوروبية وعلى سبيل المثال فإن البرتستانتية وخاصة أكارها الكالفنية - چون كالفن - فى رأى ماكس فيبر فهى مصدر الإلهام الحقيقى لنشأة النظام الرأسمالى المعاصر .

- لقد كان (ابن رشد) شارحاً فقط لفلسفة حكماء اليونان - الأرسطية - والافلاطونية ومشروعة يختلف عن العقل الفعال لأرسطو ، ومنهج (ابن رشد) هو ملائم لنا حيث ان المنطق عنوه يمثل مكانة كبرى بالنسبة لأسلوب - البرهان العلمى - وهو يرى أن المعرفة بمبادئ الفلسفة والمنطق هى جزءٍ من الإيمان الدينى تدعو إليه الشريعة الإسلامية، فالإسلام لا يعرف التناقض والثنائية بين

العقل والنقل وهو برئ من المذاهب الغربية التى تصدم بالدين، والتى قامت بثورة علمية فى عصر النهضة الغربية الحديثة بما يعرف بالعلمانية.

وقد ظلم (ابن رشد) مرتين مرة عندما حُكم عليه بحرق كتبه ومرة عندما لم ينل ما يستحق فى الثقافة العربية ، وعزاؤنا فيه أنه كان موضع حفاوةٍ وتقديرٍ فى الثقافة الغربية ومؤثراً فى فكرها الحديث .

علم الساعة

لقد أخفى الله تعالى علم الساعة عن الناس رحمةً بهم كيلا يتكاسلوا ويقعدوا على الاستعداد لها وكيلا يفتك بهم الخوف والهلع ولو أدركوا بالتحديد شدة قربها منهم. ولمثل هذا حجب الله تعالى عن العباد معرفة آجالهم ليعيشوا فى بحبوبة من أعمارهم فسبحانه من اله حكيمٍ رحمن رحيم، ولكن المؤمن بالله واليوم الآخر لا يخاف ولا ينزعج من الموت أو يوم القيامة فهو فى حساب دائمٍ مع نفسه قبل ان يحاسبه ربه وهو يعمل بما جاء فى الأثر : «من مات فقد قامت قيامته» وأعمل لديناك كأنك تعيش أبداً وأعمال لأخرتك كأنك تموت غدا» .

– وعودة إلى علامات الساعة وما جاء من ذكرها فى سفر دانيال ورؤيا يوحنا وما سوف يحدث فى آخر الأيام – يوم القيامة – وهل تتعارض تلك التنبآت مع آراء العلماء؟ وهل ظهرت لهم علامات النهاية ؟ ... والواقع أن الله عز وجل وضع لكل شيء نهاية ومجموعتنا الشمسية تسير إلى قدرها المحتوم ونهايتها التى ارادها الله، وكوكب الأرض له قرر آيةً محدودةً ومرسومةٍ بنظام دقيق حسب تقدير العلماء مدعماً إلى ما جاء فى القرآن الكريم يقول تعالى فى (سورة يس الآية ٣٨) : ﴿ وَالشَّمسُ تَجرِى لِمُستَقَرٍ لَهَا ذَلكَ تَقديرِ العَزيزِ العَلِيمِ ﴾ وهذه الآية إعجاز علميّ فالحقيقة العلمية تذكر لنا ان الشمس لا تزال فى مستهل حياتها لكنها تسير فى اتجاهٍ محددٍ نهايتها حيث يقل حجمها وتصير إلى ما يعرف علميا بالقزم الأبيض وهو عبارة عن شكل كروى أبيض هذه هى نهايتها المحتومة والتى حددها القرآن فى تصويره ليوم القيامة يقول الله تعالى فى(سورة التكوير الآية رقم واحد(﴿إذَ الشَّمسُ كُوِرَت، وإِذاَ النُّجُومُ انكَدَرَت﴾ وهذا يعنى نهاية الكون يبدأ

حدوث خلل فى نظام المجموعة الشمسية ويحدث الجمع بين الشمس والقمر ويقول سبحانه وتعالى وهو يقسم بيوم القيامة : **﴿ فَإذَا برق البَصَر، وَخَسَفَ القَمَر، وجُمعَ الشّمس والقَمَرُ، يقولُ الإنسَانُ يومئذ أين المَفَرُ﴾** (القيامة ٧/ – ٩).. وهذا حديث خطير عن نهاية العالم وإعجاز قرآنى يؤيده العلم. ويقول عز وجل فى(سورة الدخان الآية ١٠) : **﴿ فارتقب يومَ تأتى السَماءُ بدخَانٍ مبينٍ﴾** غازات ولهيب ويخفق نظام المجموعة الشمسية ويقـول : الدكتور جمال الفندى : وليس هذا بالخيال فقد شوهد مثل ذلك يحدث فى السماوات ومنها نجم انفجر منذ ٣٠٠ سنة.

– وبالرجوع إلى علم نهاية العالم – أو القيامة – وما دار حوله من نبوءات جاءت فى الأناجيل خاصة رؤيا يوحنا وفى كثيرٍ من أقوال الرسل التى نقلت عن السيد المسيح والتى ناولتها بعدهم اتجاهات عديدة تبشر جميعها إلى علامات القيامة.

وأن يوم القيامة أو الساعة تقع فى علم الله وحده ولكنه سبحانه وتعالى أعطى لها علامات وهى ما نراها الآن، وما نراه هو أن التقدم العلميّ قد أتلف الكوكب الذى نعيش عليه فحضارتها أصبحت قائمة على جبال من النفايات التى تخلفها الآلات، كذلك يبلغ معدل استهلاك الفحم فى الوقت الحالى خمس مليارات طن سنوياً ويتزايد ٣ بالمائة كل عام ، ولقد نتج عن ذلك تغيير فى تركيب الغلاف الجوى، فعند احتراق الفحم يمتص غاز الأكسجين من الجو وينطلق غاز ثانى أكسيد الكربون إلى الغلاف الجوى والنتيجة الطبيعية لذلك هو نقص شديد من كمية الاكسجين وتآكل طبقة الأوزون التى تستمد وجودها من هذا الغاز مما أدى إلى حدوث ثقب فيها ، وحرق البترول له نفس التأثير وعلى تركيب الغلاف الجوى كحرق الفحم.

– وأن الثقب الذى حدث فى طبقة الأوزون فوق القارة القطبية الجنوبية تؤثر على الإنسان وكل أنواع الحياة على سطح الأرض فهو الذى يحمينا من الأشعة الكونية القاتلة والأشعة فوق البنفسجية الحارقة، التى تحمل أخطار الموت فى طياتها، وقد حدث هذا الخلل فى طبقة الأوزون بما أتلفنا من تناسق البيئة وبما أطلقت مصانعنا فى الجوى من غازات تآكل طبقة الأوزون كما تآكل

الحشرات أوراق الكتب، ومع تراكم غازات الكربون فى الجو ترتفع درجات الحرارة وتذوب ثلوج القطبين وتملأ المحيطات، وتزحف على السواحل وتغرق الموانى مما تهجم الصحارى مع اشتداد الحرارة فتأكل الأرض الخضراء، يضاف إلى ذلك ارتفاع منسوب المياه الجوفية والصرف الصحى السيئ وزيادة الرطوبة، ولا يوجد بديلاً فى القريب العاجل للتكنولوجيا المستعملة حاليا، والحقيقة المؤلمة أن العلماء بدأوا فى العد التنازلى لحضارتنا التى تحتضر ويقولون أن الطبيعة ستصبح اكثر فقراً وقبحاً ووحشيةً نتيجة لنقص الحبوب والموارد الغذائية ويصرخون محذرين من أن الوقت لم يعد فى صالح البشر وأنه يتعين علينا جميعاً أن نخوض، حربا عالميةً – لإنقاذ الكرة الأرضية من دمار التلوث، ويقول الباحثون فى وكالة الفضاء الامريكية – ناساً – أنه يتعين علينا أن نوقف استخدام هذه الغازات فوراً؟ ولم يصدر هذا التصريح من فراغ ولكن مما رأوا من خطر داهم يهدد الأرض ومن عليها وعشرات الحقائق المخيفة التى أصبحت تهدد كوكبنا، وأن النمو المتوقع لتعداد سكان العالم سيرتفع إلى ٨٫٥ مليار نسمة فى عام ٢٠٢٥ يستخدمون المواد التى تساعد على اتساع ثقب الأوزون، إذن فإن أزمة البيئة قنبلةً قابلةً للانفجار فى وقت ليس ببعيد، وسوف يتعرض العالم كله بدوله الغنية والفقيرة لمخاطر هذا الانفجار فمنذ ثلاثين عاماً بدأ العلماء يحذرون من الآثار الهدامة للأمطار الحمضية ومن تدمير الغابات ومن النفايات والغازات السامة ويقولون الآن أننا دخلنا العد التنازلى للكارثة. وأن ٥٠ بالمائة من الضرر قد وقع فعلاً خلال العقود الأربع الماضية، وأنما فى المستقبل القريب سوف تفقد ٤٠ دولة احتياجاتها من الماء، وإن قارة افريقيا لم تعد تصلح للحياة بسبب التلوث والجفاف وان اكثر من ٥٠ مليون من البشر يعيشون فى أرضٍ متصحرةٍ تهددهم المجاعات كل عامٍ وإن القحط فى افريقيا ينتشر بمعدل ٢٫٣ مليون متر مربع سنوياً ، وكذلك فأن نسبة التلوث فى روسيا وفى أوروبا الشرقية وصلت إلى درجة مذهلة لم تكن تخطر على بال أحد، الأنهار مسممة، الأجواء لوثتها مداخن المصانع ، والغابات قتلتها الامطار الحمضية، وتتعرض أوروبا الغربية أيضاً وخاصة المناطق السياحية بجبال الألب لأمة بيئية نتيجة الأمطار الحمضية والتلوث النووى. وقد أطلق عدد من علماء البيئة البارزين صيحة تحذير إلى العالم للحد من انبعاث كيمائيات غير معروفة المصدر حتى الآن وهو معروف بأسم HALON, 1202 – وهذه

الكيماويات تقوم بإلتهام ثقب الأوزون الذى يحمى الإنسان والبيئة من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، ويعتقد العلماء أن هذه المادة قادمة من روسيا التى تستخدمها فى الأغراض العسكرية ويجب التعامل مع هذه الكيمائيات كعدوٍ يتربص بالأرض والبيئة والإنسان .

– وفى الولايات المتحدة نفسها يوجد مائة مدينة يصل الدخان فى الجو إلى نسب تزيد عن المسموح به مما يزيد من نسبة الإصابة بالسرطان، وقد واجهت أمريكا أزمة قحط كبرى منذ عدة سنوات أفقدتها نصف إنتاجها من القمح وفائضها من الحبوب الذى يشكل أساسا لقوتها الاقتصادية والسياسية فى العالم ، وفى البرازيل احترقت ملايين الافدنة من غابات الأمزون الشهيرة التى تعتبر رئة للكرة الأرضية، ولقد شهد العالم أكثر من تسع سنوات سخونة خلال التسعينات وذلك منذ بدأ تسجيل درجة حرارة الأرض قبل ١٥٠ عاماً. وقد تسبب الجفاف التشديد نتيجة ارتفاع درجات الحرارة فى اشعال الحرائق فى غابات آسيا ومنطقة البحر المتوسط والمكسيك ووسط أمريكا وفلوريدا وكاليفورنيا وغابات استراليا، وأدى تلوث الهواء نتيجة تصاعد أدخنة الحرائق بكميات كبيرة إلى ارتفاع كبير فى الإصابة بالتهابات العين وأمراض الجهاز التنفسى وامراض الدورة الدموية، كما تسبب الارتفاع فى درجة الحرارة إلى انفجار أوبئة الكوليرا وحمى الدنج والملاريا، وهذا لانتشار العديد من الحشرات الناقلة للأمراض بشكل كبير ، وحمى الدنج – لا يوجد مصل للوقاية منها حتى الآن – قد اكتسحت أمريكا اللاتينية عام ١٩٩٥ وضربت شمال الارجنتين وأستراليا وهى تنتشر الآن فى آسيا . وأما الملاريا فتقتل حالياً ٢ مليون شخص سنوياً، وهناك مليار شخص معرضون للإصابة بهذا المرض فقد ظهرت حالات مالاريا فى كاليفورنيا ونيويورك ونيوجرسى وتكساس، وفلوريدا وميتشيجان، وفرچينيا ، وأيضاً فى تورنتو بكندا، هكذا فقد تفشى هواء المرض إلى خارج حدود المناطق الاستوائية التى كان مقصوراً عليها.

– إن التغيرات المناخية المصاحبة لأرتفاع درجة حرارة كوكب الأرض هى المسبب فى اتشار الأمراض والأفات والفيضانات وتدمير المحاصيل وزيادة المجاعات والجفاف وذوبان المناطق الجليدية وشدة العواصف، وارتفاع منسوب البحار،

فالفيضانات شجعت على تكاثر الفطريات والجفاف أدى إلى نهاية أعداد الجراد والقوارض، مما أثر على الإنتاج الزراعىّ، وهكذا دمر نصف الإنتاج العالمىّ الزراعىّ والذى يقدر بحوالى ٢٥٠ مليار دولار بسبب الآفات والاعشاب الضارة ، ويؤكد العلماء بأن درجة حرارة الكون سوف تزيد بمقدار ٣٫٥ درجة مئوية خلال القرن القادم .،. فهل يستطيع التطور والتقدم التكنولوجى تقليل الفاقد من الطاقة وأنبعاث الملوثات المسئولة عن تغيير مناخ الكون وهل سيجد مصل للوقاية لمرض الايدز والامراض التى عادت مرة أخرى تفترس الإنسان مثل السل والكوليرا والملاريا.

فهل ما سبق ذكره هو علامات الساعة؟ هناك ٨٠ مليون أمريكي وكثيراً غيرهم فى جميع أنحاء العالم يعتقدون بهذا ،وقد انتحر عدد كبير من الشبان الأثرياء فى أمريكا وكندا وأوروبا وفى سويسرا بالذات بالموت حرقاً فى مساكنهم استعداداً ليوم القيامة، أكثر هؤلاء الشبان يتمتعون بقدرٍ كبيرٍ من الثقافة والثراء الشيء الذى لا يتفق مع هذه الخرافات. ولكن معتقداتهم أن المسيح مات فى حادث عنف وهم يريدون أن يكونوا ضحايا حوادث عنف ويكونوا شهداءً مثل المسيح ويتعجلون قدومه من خلال العنف والانتحار.

وفى مدينة – دنفر – بولاية كلورادو الأمريكية ظهرت جماعة تدعى – المسيحيون القلقون – مؤسسها أمريكى يدعى (ميللر) وبعض أعضاء هذه الجماعة يعيشون فى القدس وينتظرون يوم القيامة ويخططون لارتكاب حوادث عنفٍ تنتهى بمصرعهم عام ٢٠٠٠م كما توقع زعمهم وهو العام الذى يظهر فيه المسيح وينتهى العالم، وهم يدبرون لنسف المسجد الأقصى لكى تتحقق العودة الثانية للمسيح حيث أنه لا يعود إلا إذا ظهر هيكل سليمان، وهذه ليست الجماعة الوحيدة من اليهود وغير اليهود التى تسيطر عليها تلك التخاريف والاساطير الدينية وتفسير نصوص التوراة حسب معتقداتٍ خاطئة، فليس بتدمير المسجد الأقصى سوف تقوم القيامة ولكن بسبب الانحرافِ والكفرِ والإفساد فى الأرض، إن انحراف اليهود وعنادهم وظلمهم يرجع إلى زمن (موسى) عليه السلام فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وليس بسبب ما يحل بهم من شجنٍ وشدائد، اما فترة الاستقرار التى شهدها التاريخ اليهودى لم تكن إلا فترةٍ عابرةٍ

قصيرةٍ هي التي قامت خلالها الدولة اليهودية على يد شاؤل وخليفته داود وابنه سليمانَ عليهما السلام فيما بين منتصف القرن الحادي عشر والقرن العاشر قبل الميلاد ثم تمزقت الدولة اليهودية بعد نبي اللـه سليمان ودخل بنو إسرائيل في سلسلـةٍ متعاقبـةٍ مـن الصراع والفتن حتى تمّ طردهـم على يد الرومان في عصر الامبواطور – هارديان – الذي دمر بيت المقدس وهيكل سليمان ثم أعاد تعمير المدينة وألغى اسم أورشليم وسمـاها – ايليـا – وحـرم على اليـهـود أن يطأوها بأقدامهم وتجدد دخولهم في حالة الشتات ويتذكرون ذلك بالبكاء عند حائط المبكى .

– وقد أفسد اليهود مرتين كما جاء في سورة الإسراء، والواقع كما يشهد التاريخ الاسلاميّ أن اليهود عادوا إلى الإفساد في الأرض، وقد حدث مثل ذلك في عهد الرسول ﷺ فأخرجهم المسلمون من شبه الجزيرة العربية لمؤمراتهم وكيدهم وعدم الوفاء بالوعود وقد تعرضوا في مراحلٍ كثيرةٍ من تاريخهم لصور من العقاب الإلهي ولكن لم يستوعبوا وقد تعرضوا في مراحلٍ كثيرةٍ من تاريخهم لصور من العقاب الإلهي ولكن لم يستوعبوا الدرس، والعلو الكبير هو الذي يحدث في فلسطين الآن فهو مقدمة اساسية لما يمكن أن يحل بالباغي في النهاية من دمار وخراب فظلمهم للشعب الفلسطينيّ سوف يعود عليهم، وغضب الله يأتي في صورٍ مختلفةٍ وهو على نصر المظلومين قدير وسوف يغرق الصهاينة في براكين غضب الشعوب العربية برغم تحول الدولة الصهيونية إلى ترسانة سلاحٍ نوويٍ وبؤرة توتر تهدد المنطقة بالانفجار ، وفي تقرير لسيدة الاثريين – كالثلسين ماري – ويؤيدها المؤرخو والأثريون أن النشأة الأولى بمدينة القدس كانت على أيدي العرب الذين وصلوا الى موقع القدس عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد لوجود شواهدٍ عديدةٍ على أن حصون المدينة تحمل طابع السكان العرب أي حوالي ألف سنةٍ قبل ظهور العبرانيين فيها ، وقد سكن العبرانيون الأرض المقدسة ولقد قضى اللهُ تعالى لتعنتهم في الكتاب أنهم سيفسدون في الأرض مرتين وأنهم سيعلون في الأرض المقدسة ويسيطرون ويفسدون فيسلط الله عليهم من عباده من يقهرهم ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميراً – انظر سورة الإسراء ٤ – ٥ ، ولقد فتح الخليفة عمر بن الخطاب القدس سنة ١٥ هجرية وتمّ تجديد بناء المسجد الأقصى سنة ٨٦ هجرية وأصبحت القدس ملتقى حجاج المسلمين وفي الحروب الصليبية

تمكن الفرنجة من الاستيلاء على القدس ثم تمّ تحريرها سنة ١١٩٢ ، كذلك فأن أحداث الإسراء والمعراج أعلنت فى مضمونها ان الرسول ﷺ هو خاتم الانبياء ووارث المرسلين قبله وأن دعوته للعاملين وللثقلين فقد التقت فى إسراءه ومعراجه ﷺ السماء بالأرض ومكة بالقدس والمسجد الحرام بالمسجد الأقصى والتقى بالأنبياء جميعا وصلى بهم إماماً فكان هذا إيذناً بعموم رسالته وخلود إمامته وشمول تعاليمه وصلاحيتها لكل زمانٍ ومكانٍ ويصلح بها الكون كله، وقد حددت الآيات الكريمة فى سورتى الاسراء والنجم كل ذلك، ويقول الدكتور (محمد عمارة) : (إن تحول القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام فى السنة الثانية من الهجرة لها معانٍ كبيرةٍ وأبعادٍ عميقة، إن المسجد الحرام هو أول بيتٍ وضع للناس فى الأرض وأول بقعةٍ عبدَ فيها الله سبحانه وتعالى على ظهر هذا الكوكب وتحويل القبلة كان رمزاً لشريعةٍ خاتمة وأمةٍ إسلاميةٍ وارثة لكل مواريث النبوات والرسالات السابقة وتمسك بخيط المجد من طرفيه، وفى الإسراء تمّ الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى وتمّ للإسلام حقيقة هويته وعالمية رسالته، أى أن الرسالة موجهة للكون بأسره وأن كل محاولات الغزو الفكرى والاجتياح الثقافىّ سوف لا يغير من هذا الواقع شيئاً ولا يغير أى بعد من الأبعاد التى تدل عليها هذه الحادثة المحورية من أحداث الدعوة الإسلامية وهى إيذاناً بأن القرآن هو آخر ما أوحى الله تبارك وتعالى على آخر أنبيائه ومرسليه ﷺ وأن الإسلام هو الدين العالمىّ الذى تجتمع فيه المزايا الموجودة فى الأديان السابقة عليه وأن القرآن هو حجة الله البالغة الجامعة لأصول الكتب السماوية ومهيمن عليها يشهد بالصحيح فيها ويكشف الدخيل عليها..) .

— لقد وضعت هذه الرحلة الدعوة والداعية فى محيطهما الصحيح الذى حدده الله تعالى لهما وانطلقت الرحلة بالعدوة من مرحلتها الأولى المحدودة إلى الرسالة العالمية غير المحدودة، فالرسول ﷺ بعد هذه الرحلة أصبح يحمل أمانة الله لكل العالمين دون تفرقة ودون إدعاء أو محاباة كما ان هذه الرحلة حملت إلينا المفهوم الدقيق والمعنى العميق للنبوة والأنبياء وأنهم أشقاء وأن الدين واحد يلتقون حوله ويجتمعون على الدعوة إليه مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه**﴾ . (الشورى ١٣/) .

وقد كان بيت المقدس مسرى الرسول ﷺ ومعراجه وكان مجمع الانبياء الذين بايعوه وناصروه وشهد انتقال الرسالة من بنى إسرائيل إلى بنى اسماعيل - العرب - وعالميتها، ولهذا كان استرداد بيت المقدس وفك أسره واجباً إسلامياً. واجب أكث من بيليون مسلم لأنه أولى القبلتين وثالث الحرمين، والقدس = الطهر زهرة المدائن يسميها علماء اللغة - الفسطاط - أى المدينة الجامعة، المسجد للمسلمين والمعبد لليهود والكنيسة للنصارى والصومعة للرهبان. والتوئمة والتآخى ، وأن للمسلمين مشاعرٍ وعواطفِ بمسرى نبيهم ﷺ وقبلتهم الأولى، وللأحبار والرهبان والشعب المسيح أعز الذكريات وأعلاها عليهم ميلاد السيد المسيح بها ومناسك حجهم وكنائس عبادتهم ودماء شهدائنا وشهدائهم فى سبيل القدس، التى هى أمانة مقدسة فى ضمائر المؤمنين جميعاً الذين يرون كيف تدنس تلك الأرض الطاهرة من قبل الصهاينة والمتطرفين المتعصبين من اليهود ، وبتحليل المفاهيم والاساطير التى تحيط بمدينة القدس وبماضيها وتصبغ بالضبابية مشهدها الراهن وعلى رأسها مفاهيم القداسة والأسطورة والرمز نجد أنه وجب صياغة صورةٍ واضحةً لأصحاب الديانات الثلاثة على السواء للتعايش المشترك فى المدينة المقدسة تتجاوز المطارحات الأيديولوجية المكتسبة بثبات الأسطورة التى تدور رحاها الآن بين اليهود وغيرهم حول ملكية ومستقبل المدينة المقدسة سواء بحسبانها بيت المقدس العربى أو أورشليم اليهودى، وعلى أى حالٍ فأن كل الظواهر تشير الآن إلى أن تطهير القدس من الدنس الصهيونىّ بات قريباً وأن انتقام الله من المتعصبين أصبح على أبواب القدس كما سوف نرى .

يقول الله تعالى : ﴿ **وَقَضينَا إلَى بَنى إسرائلَ فى الكتاب لَتفسدنَّ فى الأَرض مرَّتين ولَتَعلنَّ علُوًا كَبيراً، فإذَا جاءَ وَعدُ أُولاهُمَا بَعَثنَا علَيكُم عباداً لنا أُولى بأسٍ شَديد** .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿.. **فَإذا جَاءَ وَعدُ الآخرة ليَسُوءُوا وجُوهكُم وَليدخُلواْ المَسجد كَمَا دَخلُوهُ أَوَّل مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّروا مَا عَلَوْ تَتبيراً** ﴾ (الإسراء/ ٣ - ٧)، وقد أثبت القرآن الكريم أن المرة الأولى انتهت قبل نزول القرآن بقوله تعالى : ﴿ **وكانَ وعداً مفعولاً** ﴾. وقد تحقق هذا الوعد على أيدى قومٍ أولى بأسٍ شديدٍ، هم الذين جاسوا خلال الديار، ودمروا دولتى إسرائيل ويهوذا وهدموا هيكلهم - قبلتهم - فى أورشليم بعد تخليهم عن التوحيد

وتحولهم إلى الكفر وعبادة الطاغوت وبعد ان علوا علواً كبيراً فقد كانت الدولة التى أسسها داود وسليمان عليهما السلام وعاصمتها القدس وامتد سلطانها من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقصى الأرض حتى شملت اليمن والعراق وما ورائهما حتى قالوا : إن سليمان عليه السلام أحد أربعة حكموا الأرض أو أكثر شعوبها كما هو مشهور فى كتب التفسير والتاريخ. بعد هذا انقسم بنو إسرائيل على أنفسهم ودبَّ فيهم البدع وحب الشهوات والركون إلى الدنيا وإهمال الكتاب، وكانت هذه هى الإفساد الأولى المقرونة بعلوٍ كبيرٍ لبنى إسرائيل فى الأرض فدمرت دولهتم ولم تقم لهم بعد ذلك دولة مستقلة ذات سيادة حول القدس إلا فى عا ١٩٤٨م مما يدل على ان هذه المرة المعاصرة هى الثانية والأخيرة بعد الافسادة الأولى فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد حيث سلط الله تعالى عليهم جميعاً فى دولة الجنوب وعاصمتها أورشليم والتى كان يسكنها أبناء يهوذا، وهو أحد إبناء يعقوب الذى جاء من نسل داود، اما دولة الشمال فكان فيها الأسباط من أبناء يعقوب فصار اسمها إسرائيل سلط الله تعالى عليهم ملك بابل الذى قضى على دوليتهم وهدم الهيكل وأخذ اعداداً منهم غفيرة إلى بابل، وهو الذى حقق الله تعالى به وعده بتدميرهم وتشتيتهم والقضاء على دولتهم فى المرة الأولى. انه نبوخذ نصر البابلى، أو «بختنصر» كما هو معرف فى الكتابات العربية، والذى جاء قول الله تعالى فيه وجنده : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعدُ أُولاَهُما بَعَثْنَا عَلَيكُم عِبَاداً أُوْلِي بَأسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدّيَارِ وَكَانَ وَعداً مَفعُولاً** ﴾ وهكذا يثبت القرآن الكريم أن المرة الأولى قد تمت قبل نزول القرآن بقوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ وَعَداً مَفعُولاً** ﴾. ومن ثَمّ بقيت لهم المرة الثانية فى قوله تعالى : ﴿ **فإِذَا جَاءَ وَعَد الآخرة** ﴾ مما يدل على ان هذه المرة المعاصرة هى الثانية والأخيرة ، يقول الأستاذ الدكتور (فاروق الدسوقى) فى موسوعته أشراط الساعة والقيامة الصغرى على الأبواب ٩٨/١ يقول : اليهود يحكمون الأرض عن طريق الإفساد بشهادة الواقع الخلقى والاقتصادى والسياسىّ والعسكرىّ والدينى للبشرية وواقع الحياة الإنسانية المعاصر يدل بما لا يقبل مجالاً للشك على أن اليهود يعيشون الآن هذا العلو الإفسادى الكبير، فقد وصلوا إلى حكم الأرض كلها، وهو لم يحدث فى التاريخ المكتوب إلا للخلافة الإسلامية ، وهى فى قمة مجدها واتساعها وقوة فى عصر هارون الرشيد رحمه الله تعالى ، الذى كان العالم الإسلامىّ أو دار الإسلام

فى عهده أكثر المعمورة، وما بقى منها من الصين شرقاً وبلاد الروم النصارى غرباً، كانوا يدفعون له الجزية صاغرين، لكن الخلافة الإسلامية تعلو بالمؤمنين فى الأرض على غيرهم بالحق والعدل والإحسان، وليس بالإفساد كما هو حال اليهود فى الأرض فى هذا الزمان ..

أما عن حكم اليهود أو بنى إسرائيل للأرض، فهو ثابتٌ لحكمهم لأمريكا وإحكام القبض عليها سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وأخلاقياً وعسكرياً وثقافياً أيضاً، حتى أصبح الشعب الأمريكى النصرانى مستعمراً ومستذلاً لليهود وهم قلة، ويقول الدكتور إن أشد شعوب الأرض انحطاطاً وتسفلاً وعبودية للشيطان اليهودىّ هو الشعب الأمريكى إنه يكد ويكدح لملأ خزائن اليهود بالذهب، فحياته لليهود ثم هو يحارب ويموت لتحقيق مصالح اليهود الاستراتيجية فى الأرض كلها بعامة، ولأمن إسرائيل وتمنيتها بخاصة فهو يحيا لليهود ويموت لليهود، إن شعباً حياته ومماته لشعب آخر أو لفئة أخرى. هو عبد بكل معنى كلمة العبودية لهذه الفئة. ليس هناك مثقف واحد فى كل بقاع الدنيا ينكر حقيقة حكم اليهود للولايات المتحدة الامريكية، وحيث أن هذه الأخيرة أقوى دولة فى العالم اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً. وقد بدأ حكامها ورؤساؤها وكتابها يعلنون عهد حكم أمريكا للعالم تحت اسم النظام العالمىّ الجديد، فإن حكم اليهود للعالم يكون أمراً ثابتاً ومؤكداً ليس من خلال إسرائيل ولكن من خلال أمريكا .

ويقول الدكتور (الدسوقى) فى ١٠١/١ : «لقد أحكم اليهود بالحرب العالمية الثانية السيطرة على العالم المتقدم صناعياً واقتصادياً، إذ كانت هذه الحرب بمثابة تصفية جيوب المعارضة لهم فى هذا العالم، وذلك من خلال الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الأولى فى العالم منذ الربع الأول من القرن العشرين».

- ويبقى بعد ذلك العالم الإسلامىّ ، لقد كانت سيطرة الصهيونية على هذا العالم من خلال الماسونية وبقوات بريطانيا وفرنسا الاستعمارية قد تمت بسقوط الخلافة العثمانية ثم اكتملت هذه السيطرة لليهود على بلاد العالم الإسلامىّ بجلاء القوات الاستعمارية عنها، ولقد عملت الصهيونية من خلال عملائها الماسونيين الذين يحكمون هذه البلاد على أن تظل هذه الشعوب - إلا القلة البترولية - تحت خط الفقر وذلك بتنفيذ مخططات ماسونية سرية خبيثة تضاعف

الفقـر والجهل والمرض بين شعوب العالم الإسلامىّ، متسترين تحت شعار العلمانية والحضارة والتنمية .. المهم أن أكثر شعوب الأرض - العالم الصليبى والعالم الإسلامى والعالم البوذى والهندى أصبحوا خاضعين لقوى شريرة تتمثل فى مؤسسات وقوى كبرى كالجبال - جبال عسكرية كأمريكا وحلف شمال الأطلنطى وروسيا، وجبال اقتصادية كأمريكا وألمانيا واليابان وجبال بشرية كالصين والهند. وكلها تعادى العالم الإسلامىّ، وتعمل على بقائه مفتتاً، حتى يسهل أكله كالثريد فى القصعة .

- هذه القوى الشريرة التى كالجبال يجلس على قممها اليهود فى صورة حكومة خفية ، فإذا كان العلو الإفسادى الأول لبنى إسرائيل قد دمره الله تعالى بالوعيد الأول على يد نبوخذ نصر البابلى، وإذا كان اليهود والبشر جميعاً يعيشون الآن العلو الإفسادى الثانى لبنى إسرائيل، فإن الوعيد الثانى لهذه الإفسادة الثانية قد آن أوانه وقرب وقته وموعده، وقال تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعدُ الآخِرةِ جِئنَا بِكُم لَفِيفاً** ﴾. (الإسراء/١٠٤) وكلمة لفيفاً تعنى الهجرات الجماعية - أى أن إعادتهم إلى المسجد الأقصى من جهات الأرض الأربع التى تشتتوا فيها لا تكون إلا فى وعد الآخرة، وحدوث الشرط يعقبه تحقيق المشروط وهو دمارهم ونصر المؤمنين . وعلى هذا فإن موعد زلزلة الساعة التى يتغير بها وجه الأورض هو بإذن الله قريب ... فهل أوشك أجل الدنيا على الانتهاء ؟ يقول الله تعالى فى سورة الأنبياء : ﴿ **اقتربَ للناسِ حسابهم وهم فى غفلة معرضُون** ﴾ . ويقول تعالى للرسول ﷺ : ﴿ **وَما يُدرِيكَ لَعَلّ السَّاعةَ تَكُونُ قَرِيباً** ﴾ (الأحزاب/ ٦٣) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **فَهَل يَنظُرُونَ إلاّ السَّاعةَ أَن تَأتِيهُ بَغْتَةً فَقَد جَاءَ أَشرَاطُها** ﴾ (محمد /١٨) وما جاء فى السنة الشريفة عن اشراط الساعة هى نوعان الأول العلامات الصغرى، وهى التى بدأت فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، وهى أكثر من أن تحصى ولكنها وقعت ومستمرة حتى الآن، وهى وصف لفتن ومتغيرات خلقية واجتماعية وتاريخية تصيب أمة الإسلام فى صراعها مع قوى الباطل ، والثانى العلامات الكبرى وهى التى تنذر بقرب انتهاء أجل الدنيا، وقد اتفق العلماء على أن هذه العلامات عشر ولكنه لم يتفقوا على ترتيبها الزمنى

حسب وقوعها ،وكذلك فإن رسول الله ﷺ فى حديثه عن أشراط الساعة يتحدث عن مستقبل البشرية جمعاء وليس عن الأمة الإسلامية وحدها حيث ان الساعة حدث كونى يمس كل البشر بأمر الله تعالى وقدره . يقول ﷺ : «لن تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : الدخان ، والدجال ، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف : خشف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من قبل المشرق تسوق الناس إلى محشرهم» رواه مسلم فى صحيحه من كتاب الفتن وأشراط الساعة. وقد وردت الآيات العشر فى الحديث غير مرتبة حسب ترتيب وقوعها الزمنىّ والتى ستقع به، كما اختلف العلماء حول ترتيب تلك الآيات وخلص الدكتور (فاروق الدسوقى) إلى ترتيبها كالآتى :

أشراط الساعة : وهى صنفان : علامات وآيات والعلامات منهما الكبرى والصغرى، أما الآيات فجميعها من الكبرى وبعض العلماء لم يفرقوا بينها وبين العلامات الكبرى .

العلامات الصغرى

(١) أحداث تاريخية تمت منذ بعث النبى الخاتم ﷺ حتى هذا العصر، (٢) أحوال بشرية سياسية واجتماعية وخلقية تزداد يوما بعد يوم على مستوى البشرية ومستوى الأمة تنتهى بحدوث ٧٢ خصلة وقد حدثت جميعا.

العلامات الكبرى

(١) نار تحشر من المشرق إلى المغرب، (٢) الظلمة ، (٣) الهدة ، (٤) خسف جيش السفيانى، (٥) بيعة المهدى ومجئ الرايات السود من خراسان ، (٦) الملحمة العظمى وفتح قسطنطينية ورومية ، (٧) ريح من اليمن يموت بها كل مؤمنٍ ، (٨) هدم الكعبة ، (٩) رفع القرآن والمصاحف.

الآيـــات

(١) خسف بالمشرق ، (٢) خسف بالمغرب ، (٣) خسف بجزيرة العرب، (٤) الدجال، (٥) نزول المسيح عليه السلام ، (٦) خروج يأجوج ومأجوج ، (٧) طلوع الشمس من مغربها، (٨) الدابة، (٩) الدخان ، (١٠) النار التى

تخرج من قعر عدن .

قال رسول الله ﷺ : «لا تذهب الدنيا حتى تكون رابطة من المسلمين بموضع يقال له : بولان حتى يقاتلون بني الأصفر يجاهدون في سبيل الله لا تأخذهم في الله لومة لائم، حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير، فيهدم حصنها. وكشف الأستار عن زوائد البزار » جـ ٤ ص ١٣٧ - باب ما جاء في الدجال .

أما بنو الأصفر الذين جاء ذكرهم في الحديث الشريف فهم الروم كما ورد في تعريف بعض المصادر وعلامة أهل أوروبا المميزة لهم عن سائر البشر أنهم شقر - شعورهم صفراء ذهبية ووجوهم حمراء. ومن ثم تنطبق تسمية بني الأصفر على أهل أوروبا قاطبةً. لاحظ أن أكثر الشعب الأمريكي منهم ، ويرى الدكتور (فاروق الدستوقي) أن معركة الكويت أو الحرب العالمية الثالثة هي أول سلسلة الملاحم التي تنتهي بالملحمة العظمى وتسبق الزلزال مباشرةفهذا الحدث العسكري هو من العلامات التي تدل على قرب حدوث الآيات، وهو يرى ان حرب الكويت هي بداية الحرب العالمية الثالثة، ويقول عن الحديث الشريف سابق الذكر .

وأما الأدلة على أن صدر الحديث الشريف يتناول حرب الكويت التي وقعت عام ١٩٩١م - ومازالت مستمرة حتى الآن - ١٩٩٩م - فهي قوله ﷺ : تكون رابطة من المسلمين - ينطبق بدقة تامة على جيش العراق في حرب الكويت - وقوله ﷺ : بموضع يقال له بولان - فهو قوي وأوضح دليل على ان النص يتناول حرب الكويت، لأن - بولان - هي موضع قريب من النباج في طريق الحاج من البصرة ويقال - قاع بولان - في أطلس التاريخ الاسلامي ص ٥٥ خريطة ٣٢ - أنظر معجم البلدان جـ ١ ص ٥١١ - والقاع في الخريطة يقع غرب ميناء كاظمة، أي فيما يعرف الآن بصحراء الكويت، وهي التي كان فيها جيش العراق المتواجد في أرض الكويت وحدودها مع السعودية ،وقوله ﷺ حتى يقاتلون بني الأصفر - إشارة إلى الجيش العالمي الذي يقفون أمامه في انتظار بدء القتال - وهم من الامريكان وسائر الدول الغربية الأخرى . وقول ﷺ : يجاهدون في سبيل الله لا تأخذهم في الله لومة لائم، فكل موقعة عسكرية يواجه فيها

المسلمون كافرين مشركين فهى من الجهاد فى سبيل الله تعالى . وقوله ﷺ : حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير - اى ان هذه الفئة التى كانت فى مواجهة بنى الأصفر من المسلمين العراقيين سيكون الكثير منهم فى ملاحم متتابعة آخرها الملحمة العظمى التى يفتح الله تعالى على المسلمين بها قسطنطينية ورومية بقيادة المهدى، والحرب المستمرة منذ عام ١٩٩١م حتى الآن ١٩٩٩م - بين الجيش العراقىّ وجيوش الحلفاء هى من علامات الساعة، لأنها تقع قبل قيام الخلافة الاسلامية المهدوية وقبل خروج الدجال، وهذا الجيل الذى حضر هذه الموقعة سيحضر الملحمة الكبرى، لأن من كان عمره عشرين عاماً أو أكثر يجاهد مع المهدى فى الملحمة الكبرى بعد ذلك بعشرين أو بثلاثين أو حتى بأربعين سنةٍ، أما الزلزال فهو يقع قبل المهدى بين هذه الحرب وبيعة المهدى بأذن الله تعالى .

- وعن ابى ذر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : انه سيكون رجلٌ من بنى أمية بمصر يلى سلطاناً ثم يغلب على سلطانه أو ينزع منه فيفر إلى الروم فيأتى بالروم إلى أهل الإسلام فتلك أول الملاحم ... رواه الطبرنى فى الأوسط ، قوله ﷺ بمصر أى بمصر من الأمصار وليست مصر النيل، وحاكم الكويت وأسرته من عنيزة، التى سلكنها الامويون وعليه فأنهم من بنى أمية. وقد صار حاكم الكويت لاجئاً بلا سلطان بعد الغزو العراقى لبلده فخرج فاراً هارباً، ذهب أمير الكويت إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن والولايات المتحدة الأمريكية طالباً النجدة، ويصدق الحديث الشريف وينطبق تماماً مع احداث حرب الكويت.

- ويقول الدكتور (فاروق الدستوقى) فى كتابه - القيامة الصغرى على الأبوابِ جـ ١ ص ٢٥٩ : أن حرب الكويت أو ملحمة الكويت هى الملحمة الأولى فى سلسلة ملاحم بين الروم - بنى الأصفر - والمسلمين لا زالت مستمرة : ملحمة البوسنة والهرسك وكوسوڤا ضد الروم بعامة بقيادة مجلس الأمن والولايات المتحدة ومن خلفهما الدجال وضد الصرب بخاصة هى ملحمة ثانية - وكذلك اذرزبيجان - وطاجيكستان - والصومال. وهذه الملاحم جميعاً اشعلتها الحكومة الصهيونية الخفية بقيادة الدجال بهدف استئصال المجتمعات الإسلامية أو

حتى التكتلات الإسلامية الشعبية فى أوروبا حتى لا تكون لهم دولاً مستقلةً قد تعود حكوماتها إلى الشريعة فى يوم من الأيام .

فإذا كانت حرب الكويت بين الروم - والمسلمين هى الملحمة الأولى فإنها تكون إذن علامة من علامات الساعة الكبرى التى تحدث مباشرةً قبل الآيات الأولى ، و فى زمن الخسوف الثلاثة أى قبلها بقليل، وتكون كحدث تاريخيٍّ علة - لما بعدها من ملاحمٍ وأحداثٍ، وهذا هو ما ورد بشأنه فى السنة الشريفة، وإذا كان الحصار العالمى للعراق الذى تعيشه البشرية حدثاً عالمياً الآن هو مما يسبق بيعة المهدى مباشرةً فإن هذا يستتبع ويستلزم أن يكون هذا الحصار فى عهد السفيانى الذى يرثه المهدى كما دلت على ذلك أبواب السفيانى والمهدى فى كتب الفتن والملاحم .

ففى حديث لعليٍّ رضى الله عنه قال : «إذا ظهر أمر السفيانّى، لم ينجُ من ذلك البلاء إلا من صبر على الحصار» ، «الفتن لنعيم المروزى حديث ٦٩٩» - وقوله : «إذا شهر أمر السفيانّى - أى أنه سيكون أحد الحكام الذين لا يعرف أحد من العلماء أنه هو السفيانيّ والذى هو من قبيل الفتن».

- فإذا أصبح هذا فإنه يكون دليلاً قوياً على أن الزلزلة العظيمة وشيكة الوقع لأنها معاصرة للسفيانىّ ، إن ظهور المهدى يسبق خروج الدجال، ويسبق إقامة الخلافة الراشدة خروج الدجال، ويدل ظهور المهدى وقيام الخلافة الإسلامية به على أن اليوم الآخر قد بدأ ، فقد قال الرسول ﷺ :«ولم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوله الله ذلك اليوم حتى يبحث فيه رجلاً منى أو من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم ابيه اسم أبى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» ، .اخرجه ابو داود فى السنن ٤ : ١٧ ، والخلاصة أن الحرب العالمية العراقية وما أعقبها من أحداث حرق الآبار والظلمة فوق الكويت مع الشمس الساطعة هى أول أشراط الساعة ومن ثمَّ فهى العلامة الكبرى الأولى وفجر اليوم الآخر وبدء عصر الآيات العشر.

إنَّ غزو الكويت ثم حرب الحلفاء للعراق فى الكويت والعراق، حدثان حشر الناس فى العراق شرقاً إلى الشام غرباً، ثم إشعال نار الآبار شهوراً طويلةً تلك التى توصف بحق أنها أعظم حريق أشعله الإنسان فى تاريخه المكتوب. هذه الحرب

هى أول علامات الساعة، لأنها هى النار التى حشرت الناس من العراق شرقاً إلى الشام غرباً، فعن عبدالله بن عمر بن العاص رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : «تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا يكون لها ما سقط منهم وتخلف تسوقهم سوق الجمل الكسير .. المستدرك ٤ :٥٤٨ ، ويقول الدكتور (الدسوقى) إنّ هذا الحديث الشريف يطابق ما جاء فى سفر اشعياء ٢١ : ١٢ - ١٧ .. كذلك هناك ذكر للحروب التى قامت بين العرب وبين بنى اسرائيل حتى وصلت الاحداث إلى حرب الكويت أو الحرب العالمية الثالثة نجدها فى الاصحاح الخامس من سفر اشعياء.

—و وقد جاء فى سفر آشعياء الإصحاح الثالث عشر وصف لمبنى الأمم المتحدة ووظيفتها المعلنة وأهدافها الخفية، التى تغضب جبار السماوات والأرض باعتبارها أداة الأشرار والمسفدة للأنفراد بحكم البشرية بطريقة مصادمة لسنة الدفع الإلهية، مما يعجّل بانتقام الله تعالى منهم بزلزلة الساعة، ويقول النص : وهى من جهة بابل رآه اشعياء بن أموص .(**أقيموا راية على جبلٍ أقرعٍ . أرفعوا صوتا إليهم، اشيروا باليد ليد خلوا أبواب العتاة** ـ إلى قوله : **رب الجنود يعرض جيشٍ الحرب. يأتون من أرض بعيدة أقصى السماواتِ الرب وأدوات سخطه ليخرّب كل الأرض**). اشعياء ١٣ : ١ ٥٠ .. وقوله (وحى من جهة بابل أى بابل الجديدة - الولايات المتحدة - وبها آرام الجديدة التى هى ذات العماد، وهى ذات العماد، وهى مدينة نيويورك ، وبهذه المدينة جبل أقرع ، وهو مبنى الأمم المتحدة، فهو جبل لأنه مبنى شاهق فى ارتفاع الجبال، وهو أقرع لأنه خالٍ من الزروع والأعشاب، التى تنبت على سفوح الجبال وفوق قممها، وهو أقرع لأنه لا يثمر ما قام من أجله وهو السلام والعدل بل بخلافهما يثمر. وقوله : (ارفعوا صوتا إليهم) هى الشكاوى التى تقدمها الدول إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن ضد المعتدين كما ينص على هذا ميثاقها المعلن.

كما جاء فى سفر أرميا (**ها أنذا عليك أيها الجبل المهلك يقول الرب المهلك كل الأرض، فأمدُّ يدى عليك وأدحرجك على الصخور وأجعلك جبلاً محرقاً. فلا يأخذون منك حجراً لزاويةٍ ولا حجراً لأسسٍ، بل تكون خراباً إلى**

الأبد يقول الرب) . ارميا ٥١ : ٢٥ - ٢٦ .

وفى هذا إشارةٌ وتصريحٌ واضح الدلالةِ على أن هذا الجبل هو الذى يحكم الأرض بالفساد والإفساد، وفيه إشارةٌ قويةٌ إلى الإفساد والعلو الأخير فى كل الأرض اليهودية عن طريق هيئةٍ واحدةٍ، فى مبنى شاهقٍ كالجبال، والتى أصبحت هى الحكومة العالمية، التى لا تستطيع اتخاذ قراراتٍ مصيريةٍ بدون الرجوع إليها . وقد جاء فى سفر اشعياء ٣٥ : ٨ : ويفنى فى هذا الجبل وجه النقاب .. أى سيفنى الله تعالى هذا القناع إشارة إلى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة كمؤسسةٍ تزعم أنها من أجل السلام والسلام ما هو إلا نقاب تتستر خلفه ، وبالزلزال سيحترق هذا النقاب ويفنى (القيامة الصغرى على الأبواب) جـ ١ ص ٣٠٠ .. وعن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: (إذا ظهرت الفاحشة كانت الرجعة، وإذا جار الحكام قلّ المطر، وإذا غدر بأهل الذمة ظهر العدو).

وحيث أن هذا قائمٌ وكائنٌ الآن فلنرتقب وقوع الزلزلة والخسف فهى على وشك الوقوع ،. (انظر الانذارات الستة للزلزلة العظيمة فى رؤيا يوحنا اللاهوتى) الاصحاح ١٦ : ١- ٢١ وتفسيرها فى كتاب القيامة الصغرى على الابواب للدكتور (الدسوقى) ص ٣١٠ - جـ ١ .

فقد جاء خبر الزلزال فى رؤية يوحنا بالجام الذى يسكبه الملاك السابع على الهواء بعد جفاء نهر الفرات كما يلى : **(ثم سكب الملاك السابع جامه على الهواء فخرج صوتٍ عظيمٍ من هيكل السماء من العرش قائلا قد تمّ. فحدثت أصواتٌ ورعودٌ وبرق . وحدثت زلزلةٌ عظميةٌ لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض زلزلة بمقدارها عظيمة هكذا)**، وصارت المدينة العظيم ثلاثة أقسام. ومدن الأمم سقطت. وبابل العظيمة = امريكا وذكرت أمام الله ليعطيها كأس خمر سخط وغضب لقد حقت كلمة العذاب على المجرمين شرار الخلق إذ نزلت بهم الضربات الست، ولم يتوبوا عن أعمالهم ولم يرجعوا لربهم، ومن ثم كانت الضربة السابعة لزاماً بحسب سنة الله عزَّ وجله وبإذنه تعالى فى معاملة هؤلاء الأشرار.

أما ذكر أصوات ورعود وبرق فى الرؤيا فهى تعنى انه نيزك أو كوكب يدخل المجال الجوى ويرتطم جرمه بسطح الأرض وجاء ذكره فى الآثار باسم الهدّة أو

الصوت، وقد جعلت كتب أشراط الساعة بذكر الآثار الدالة على الهدة وآثارها، وهو النجم الثاقب الذى ذكره القرآن الكريم الذى سيرتطم بالأرض، وهو الذى يسبب الصدع الذى سيتحول بعد ذلك عند وقوع الزلازل إلى خسوفٍ، كما ورد فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه الذى جاء فيه قول رسول الله ﷺ: فتنصدع الأرض من قطرٍ إلى قطرٍ، وكثرة الزلازل الواقعة فى الارض الآن منذ بضع سنوات وزيادتها عاماً بعد عامٍ هى مما يدل بوضوح على أن البشرية الآن فى مرحلة الانذار الذى يسبق وقوع الزلزلة العظيمة مباشرة فالله تعالى لن يهدم الأرض على شرارها إلا بعد أن ينذرهم .. وقد تحدث انجيل متى فى الاصحاح ٢٤ : ٧ - عن العذاب الأدنى قبل العذاب الأكبر فيقول : (وتكون مجاعات وأوبئةٌ وزلازلٌ فى أماكنٍ، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع، وقد حدث هذا كله، المجاعات فى أفريقيا والإيدز والزلازل المحلية المتكررة فى جميع القارات، ومن ثم لم يبق بعد أن تمّ ما أطلق عليه المسيح عليه السلام مبتدأ الأوجاع لم يبق إلا الأوجاع وهى الزلزلة والآثار الرهيبة المترتبة عليها). أنظر أيضا انجيل لوقا ٢١ : ١١ - وانجيل مرقس ١٣ : ٨ - يذكر مقدمات الزلزال العظيم والانذار الأخير .

- إن آثار الزلزال العامة هى استئصالٌ كلى لبعض الكافرين الذين أوغلوا فى الشر والطغيان استكباراً فى الأرض، فقول الله عزّ وجلّ : ﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ** ﴾ (الحج/١) . فيه دعوة لتقوى الله عز وجل للنجاة من آثار الزلزالَ المدمرة المَهلكة، فى قول رسول الله ﷺ. (يا أيها الناس أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه) ،.رواه القرطبى فى تفسيره بسنده - جـ ١٩ ص ١٩٠ ، وفى الحديث دعوة إلى عبادة الله وحده وطاعته حتى ينجو المؤمنون من الموت المذكور، ومن ثَمّ يكون أهم نتائج الزلزال الاستئصال لقوى الاستكبار فى الأرض التى خططت ونفذت ما خططوا له من قتل وتشريد للمؤمنين بهدف استئصالهم من الأرض، وهذا ما نصّ عليه سفر اشعيا عليه السلام فى الإصحاح ١٣ بقوله : (**هو ذا يومٌ الرب قادم قاسياً بسخطٍ وحموٍ غضب ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاياها.**

(مواضع الخسف)

أورد الشيخ (حمود التويجرى) في (إتحاف الجماعة فى اشراط الساعة) حديث الخسوف الثلاثة بلفظ - خسف بالمشرق وخسف بالمغرف وخسف بحجاز العرب. فهل سيكون خسف بجزيرة العرب وبأقوام من أمة الإسلام؟ . جاء فى (كشف الصلصلة)للسيوطى ص ٣٧ - أن النبى ﷺ قال : **(سيكون فى أمتى خسفٌ ورجفٌ وقردةٌ وخنازيرٌ)** . كما أورد (السيوطى)فى صحيحه الجامع مرفوعاً وقال عنه (حسن) : «إذا سمعتم بقوم قد خسف بهم ها هنا قريباً فقد أطلت الساعة» ، فإذا كان وقوع الخسف بالجانب الشرقى من جزيرة العرب احتمالاً له ما يقويه من النصوص، فإن ثَمّ احتمالاً آخر له دليل أيضاً، وهو وقوع خسف بحجاز العرب والحجاز هو الجانب الغربىّ من الجزيرة كما هو معلوم ، فإنه قد يكون بالجزيرة خسفان على الأقل : أحدهما على ساحل الخليج والآخر على ساحل البحر الأحمر والله أعلم .

- خسف المشرق يقول (د. الدسوقى) : «ليس لدينا من نصوص الوحىّ فيما قرأناه سواء الوحىّ القديم أو الوحىّ الخاتم ما يدل على الموضع الذى يخسف به فى المشرق. لكن لدينا دلالات النصوص على أن عذاب الزلزلة يبعثه الله تعالى على شرار خلقه، فإذا نظرنا إلى مشرق الأرض وجدنا روسيا واليابان أكثر هذه البلاد شراً بالنظر إلى تاريخهما الحديث وكذلك الهندوس من أهل القارة الهندية. أما الصين فبالرغم من أن التاريخ لم يسجل لها قديماً وحديثاً أى تسلط أو إعتداء على غيرها من الشعوب إلا أن عضوية الصين الدائمة فى مجلس الأمن وامتلاكها حق الاعتراض يجعلها مسئولةً عن كل ما يحدث من مجازر للمسلمين لم تمنعها، لذلك يحتمل ان يكون خسف المشرق العظيم بروسيا أولاً ثم الصين أو اليابان، والله أعلم » .

- خسف المغرب - دلت نصوص الوحىّ القديم فى الاسفار على أن خسف المغرب يكون بالولايات المتحدة الامريكية بعامة ومدينة نيويورك بخاصة فهى تعرف عند أهل الكتاب وشراح التوراة بأسم بابل الجديدة تميزاً بينها وبين بابل العراق وهو أعظم الخسوف وأشد العذاب الذى سيكون من زلزلة الساعة العظيمة، أما الاصحاح الثامن عشر من الرؤيا فيتضمن أدلةً دامغةٍ وقوية وواضحةً على خسف

نيويورك بصفة خاصة وأجزاء أخرى من أمريكا بصفة عامة فقد أفرد الاصحاح كل لتفصيل عبارة واحد واردة فى الإصحاح السابع عشر عن دمار بابل الجديدة مستهلاً بقوله : **«ثم بعد هذا ورأيت ملاكاً آخر نازلاً من السماء له سلطان عظيم واستنارت الأرض من بهائه»** والملاك هو ميكائيل القائم لبنى إسرائيل، إذ كانوا يحبونه فى مقابل كراهية جبريل عليهما السلام فقد جاء فى الرؤيا ٨ : ١٢ : **(أو حدثت حرب فى السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته ولم يقوا فلم يوجد مكانتهم بعد ذلك فى المساء)**..أى سيدمر الله تعالى بميكائيل القائم لهم علوم الكبير فى الأرض.

– وأما سبب قولهم بعداوة جبريل وولاية ميكائيل لهم ودليله فقد وردت رواية عن سؤالهم النبى الخاتم ﷺ عن خسمة أشياء، فلما أجاب عنها بما يعلمون أنه الحق وأرادوا أن يتنصلوا من وعدهم له ﷺ سألوه عن الملاك الذى ينزل فقال لهم: (جبريل عليه السلام) قالوا جبريل ذاك الذى نزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والفطر والنبات لكان، فأنزل الله تعالى : **﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجبريلَ فإنهُ نَزَّلَهُ عَلَىَ قَلبكَ بإذنِ الله مُصَدِقاً لمَا بينَ يَدَيه وَهُدىً وَبشرَى لِلْمُؤمنينَ، مَن كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلائكَتَه وَرُسُلَه وَجبرِيلَ وَمِيكَالَ فَإنَّ الله عَدُوٌّ لِلكَافِرِينَ ﴾** (البقرة/ ٩٧، ٩٨)، تفسير ابن كثير ونصوص الرؤيا تدل على هدم وحرائق نتيحة للزلزلة، وخسف نيويورك يستتبع غمر مياه المحيط لموقعها بعد ابتلاع الأرض لها فلا يبقى ولا يذر ، وهذا ما يثبته نص الرؤيا تماماً عن بابل : **(ورفع ملاك واحد قوى حجراً كرحى عظيمة ورماه فى البحر قائلاً هكذا بدفع بدفع سترمى المدينة العظيمة، ولن توجد فيما بعد)**.

فمدينة – لن توجد فيما بعد – مدينة مخسوب بها والخسف فى العربية سقوط إلى القاع ويبرر سفر الرؤيا هذا الخسف بقوله: **(إذ بسحرك ضلت جميع الأمم)** نشره الفساد والش ر فى كل أرجاء العمورة والتحكم فى الشعوب الضعيفة من مقر مجلس الأمن الذى يخرج القرارات التى تسيل بها دماء تلك الشعوب، فقد جاء فى سفر الرؤيا ١٧ : ١٥ : **(هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة)** – إلى قوله : **(المياه التى رأت حيث الزانية**

جالسة هى شعوب وجموع وأم والسنة..) فما هو الشيء الذى يحمل اسم أنثى ويقوم على شعوب وجموع وأم والسنة سوى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن . فكل رموز الاصحاح تشير بما لا يدع مجالاً للشك أن المقصود هى الولايات المتحدة وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وتلك الرموز تنطبق على الاثنين معا بلا تفريق أو تمييز بينهما، والصهيونية تحكم الأرض الآن من خلال قوة أمريكا وقرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن متسترة بهما ، ويتحدث الإصحاح الواحد والعشرون من سفر حزقيال عن إفساده إسرائيل فى الزمان ، أى الافسادة الثانية والأخيرة ويخاطب رؤساء إسرائيل - وليس ملوكها ، منددا بالحزوب التى أشعلوها والدماء التى سفكوها، والنص يتناول أحداثاً إسرائيلية معاصرة حيث أن حكام إسرائيل القديمة كانوا ملوكاً. وحكام إسرائيل المعاصرة رؤساء - يقول النص : **(وأنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذى جاء يومه فى آخر زمان إثم النهاية، هكذا قال السيد الرب : انزع العمامة، ارفع التاج. هذه لا تلك، ارفع الوضيع، وضع الرفيع، منقلبا منقلبا متقلباً اجعله هذا ايضا ويكون حتى يأتى الذى له احكم فاعطته إياه)** حزقيال ٢١ : ٢٥ - ٢٧ ، يقول الدكتور الدسوقى معلقاً على ما جاء فى هذا الاصحاح : **(هكذا قال السيد الرب . انزع العمامة . ارفع التاج هذه لا تلك هو خير فى صوت الأمر)**، أى سيكون منك ومن زعماء الصهيونية لكى تقوم إسرائيل دولة فى فلسطين حول القدس يجب أن تسقط الخلافة الإسلامية وهذا معنى «انزع العمامة»، وإعلان الأنظمة والحكومات العلمانية الشيوعية والاشتراكية والديقمراطية وأى نظام جاهلى آخر . والتاج رمز الحكومة العلمانية الدنيوية الملكية، والعامة رمز لحكومة الخلافة الاسلامية، التى أسقطتها الحركة الصهيونية مستغلة ضعف الخلافة وإهمال المسلمين لكتابهم وسنة نبيهم ، وقوله: (ارفع الوضيع وضع الرفيع) - هو إشارة إلى ما بهت المحافل الماسونية فى أوطان المسلمين بقيادة الحركة الصهيونية ، وقوله: (هذا لا يكون حتى يأتى الذى له الحكم فاعطه إياه) أى أن هذه الأوضاع لن تتغير حتى يأتى المهدى فيصلحها، ويتولى خلافة الأمة القرشى الهاشمى الفاطمى من ذرية رسول الله ﷺ فهو من خير خلق الله تعالى شرفاً ونسباً وتقوى، .. وقد وردت هذه الأحداث أحاديث الساعة وأشراطها .

جاء فى سفر أرميا ما يلى : (طلع البحر على بابل فتغطت بكثرة أمواجه صارت منها خراباً أرضها ناشفة وقفراً، أرضاً لا يسكن فيها إنسان ولا يعبر فيها أبن آدم بيل فى بابل وأخرج من فمه ما أبتلعه فلا تجرى إليه الشعوب بعد، ويسقط سور بابل أيضاً.) . إلى قوله فى موضع آخر نفس السفر : قولوا أخذت بابل، خزرى بيل ٥٠ : ٢ أرميا ٥١ : ٤١ - ٤٤ ، فقوله فى النص الأول : (طلع البحر على بابل) دليل قوى على أن بابل هذه غير بابل الفرات ، لأن بابل الفرات بعيدة عن البحر وأمواجه وتغطيه اليابسة بكثيرة الأمواج وطلوع البحر عليها هو من نتائج الزلزال وعلى هذا فالكلام هنا عن بابل الجديدة أمريكا. ومن ثمّ فليس لقوله (وأعاقب بيل Bel فى بابل ، وأخرج من فمه ما أبتلعه، سوى معنى واحد وهو بيل Bill كلينتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ودليل على قرب الأجل أى قرب موعد الخسوف والله أعلم) . انظر الآيات ٣٨ - ٤٠ من سورة العنكبوت .

- لقد جاء ذكر أمريكا ومجلس الأمن رمزاً ووصفا فى الوحى القديم. بل بالتصريح والوصف المطابق لها تماماً مع ذكر العلو الكبير لبنى إسرائيل ودور أمريكا فى حكم العالم لحساب اليهود ومخططات الصهونية، ولم يأت ذكر أمريكا فى الرحى الخاتم إلا بالإشارة، والإشارة القرآنية هى مجيىء عاد الثانية فى مقتبل الايام بعد نزول القرآن الكريم، وذلك حين وصف عاد قوم هود عليه السلام بأنها الأولى فدل على مجيىء ثانية فهناك تطابق بين كثير من جوانب الحضارتين : حضارة عاد الأولى والحضارة الغربية المعاصرة بعامة والولايات المتحدة الأمريكية بخاصة، يقول الدكتور (الدستوقى) : لقد أمكننا أن نحكم بأطمئنان أن أمريكا هى عاد الثانية. وأن التطابق القائم يستلزم حسب سنن الله تعالى فى مصائر الأمم أن يكون مصير عاد الثانية - أمريكا - مطابقا لمصير عاد الأولى، يقول الله تعالى ﴿ **فَأَمّا عَادٌ فَاستَكبَرُواْ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ منا قُوةً أَوَلَم يَرَوا أَنّ اللهَ الذى خَلَقَهُم هُوَ أَشَدُ منهم قُوةً وكَانُوا بآياتنا يَجحَدُونَ، فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحاً صَرصَرًا فِي أَيّامٍ نَّحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُم عَذَابَ الخِزى فِى الحَيَاةِ الدُّنيَا وَلَعَذَابُ الأَخِرةِ أَخزَى وَهُم لا يُنصَرُونَ** ﴾ (فصلت/ ١٥ - ١٦).

- وعندما يكون الخسف فى نيويورك وهيئة الأمم المتحدة ستحرر البشرية من

حكم الوحى إلى حين . ومن ثَمّ يدخل السفيانى المقدس وفلسطين ثم يقيم المهدى الخلافة الإسلامية من بعده بإذن الله تعالى . هذا قدر الله الغالب، ويقول رسول الله ﷺ الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر.. رواه أبو داود (كتاب الملاحم) باب فى توافر ملاحم ٤٢٦/٢، وروى أحمد وأبو داود أن النبى ﷺ قال : بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال فى السابعة، فالمهدى يعاصر الدجال بل ويزامنه ويكون الصراع والحرب بينهما، وكذلك المهدى يعاصر المسيح بن مريم عليه السلام ... ويقول ﷺ : تأتيكم بعدى أربع فتن : الأولى يستحل فيها الدماء، والثانية يستحل فيها الدماء والأموال، والثالثة يستحل فيها الدمار والأموال والفروج، والرابعة صماء عمياء مطبقة تمور مور الموج فى البحر، حتى لا يجد الناس منها ملجأ، كنزل العمال الشيخ الهندى برقم ١٠٤٧ .

هذه الفتنة الرابعة بدأت منذ سقوط الخلافة العثمانية ولا زالت مستمرة لم تنته بعد، وهى تنتهى بقيام الخلافة الراشدة. وتكون فتنة الملحمة والدجال ، والخامسة وهى من أكبر إمارات الساعة بل هى أول عصر الإمارات، وقد أشار إليها سفر دانيال باعتبار أنها العلامة على بدء زمن العجائب ومارات الساعة فى جميع الجوانب، جاء فى سفر دانيال ١٢ : ٥ **(إلى متى انتهاء العجائب)**، والعجائب هو خوارق الدجال التى درع عنها عندنا فى السنة بالأحاديث الصحيحة التى تثبت أنه سيجرى عليه يديه إنزال المطر وانبات الزرع وامتلاكه جنة ونار، وإخراجه الكنوز من الاماكن الخربة أى أماكن الآثار وإحياء والد الرجل - بالخدع الشيطانية - فيقولان له أمن به وأتبعه فإنه ربك وشق مؤمن المدينة نصفين ثم إعادته وغير ذلك.

إنّ أسوأ حدث تاريخى فى حياة الأمة الإسلامية بعد موت الرسول ﷺ هو سقوط الخلافة الإسلامية، لقد سقطت الخلافة من قبل متمثلة فى الأموية، ثم سقطت بعد ذلك متمثلة فى العباسية ، لكن الخلافة كانت تعود يوم سقوط الخلافة السابقة ولم يمر يوم على الأمة بدون خليفة الذى هو رمز وأساس لوحدتها، وأما عن سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية فقط سقط السقف على المسلمين من فوقهم عام ١٩٣٢ - ١٩٢٤م - فقد هدم التغير الاجتماعى بناء

الأمة الإسلامية ولم يتمكن المخلصون من إعادة إقامته حتى الآن .

– لقد دامت الخلافة فى الأمة الإسلامية ما دام خلفاؤها وأمراؤها يعدلون ويطبقون شرع الله ويتمسكون بالكتاب والسنة، فإذا فرطوا فيهما زالت منهم الخلافة والإمارة والملك ، ولقد سقطت الخلافة الأموية بعد أن أهلكهم النعيم والترف والظلم والمعاصى، وقامت الخلافة العباسية الذين حكم منهم سبعة وثلاثون خليفة، فلما صعفوا وفسدوا ولم يعودوا صالحين لها، ولم يكن فى قريش من هو صالح لتطبيق شرع الله خرجت الخلافة من قريش قاطبة ومن العرب وصارت إلى العثمانيين الذين حملوا لواء الخلافة قرابة الخمسة قرون، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن المسلمين قاطبة، بأنهم إذا فسدوا جميعاً، ولم تعد لهم قومية واحدة صالحة لحمل لواء الخلافة، بعد فساد الخلافة الأخيرة، فإن الأمر سينزع من أيديهم ويقعوا فى فتنة عظيمة، وهى انحلال عروقهم وتفككهم وسقوط الخلافة ويومئذ يصبحون بلا خلافة وبلا وحدة وبلا رابطة ومن ثم يتسلط عليهم الروم وقد حدث ان استعمر الروم المحدثون – الانجليز والفرنسيون والإيطاليون والأسبان والبلجيك وغيرهم، والعالم الإسلامى منذ أكثر من قرنين من الزمان هى التى بدأ فيها الإعداد لأسقاط الخلافة الإسلامية الرابعة أى الخلافة الإسلامية العثمانية، التى لم تستطع فى أواخر أيامها حماية أوطان الأمة الإسلامية من حملات الروم الحديثة ، ولقد كانت مجتمعات الأمة الإسلامية قبل الإسلام أمما متناحرة متحاربة فأهل الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر كانوا طيلةو قرون طويلة فى حروب متوالية مستمرة من عهد الفراعنة والنمرود ونبو خذنصر والذين من بعدهم فلما جاء الإسلام وضعت الحرب أوزارها بين هذه الشعوب فلم تقع بينهم حروب إلا ما كان من فتن داخلية لأسباب مذهبية، ولم تقم بينهم حروب شعوبية أو قبلية أو عصبية، بل ظلوا جميعاً تحت خلافة واحدة يتحدون ويتعاونون ويتكاتفون ضد الغزاة الكفرة على أى بلد من بلدانهم، وذلك منذ قيام الخلافة الراشدة وحتى سقوط الخلافة العثمانية، أى أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان، وكان ولاة الأمصار والأقاليم يرسلون خراج بلادهم إلى الخلفاء الراشدين بالمدينة، ثم إلى الخليفة الأموى فى دمشق ثم العباسى فى بغداد، ثم العثمانى فى إسطنبول، يعتبر توحد هذه المناطق وما يسكنها من شعوب طيلة هذه القرون إعجازاً

تاريخياً لأهل هذه المنطقة، التى أتسعت وامتدت حتى شملت أقصى غرب أفريقيا وشمالها ووسطها وأكثر أجزاء آسيا .

وقد روى حذيفة حديثاً عن النبى ﷺ يتضمن هذه المراحل التفصيلية، يقول الحديث : **«سيكون بعدى خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ثم يؤمر بعده القحطانى فالذى بعثنى بالحق ما هو بدونه»**. رواه الطبرانى فى كنزل العمال جـ ١ ص ١١ .

- والحديث ينص على عودة الخلافة الراشدة بزعامةو المهدى عليه السلام وبإذن الله تعالى .

لقد كان في سقوط الخلافة الإسلامية إمارة من إمارات الساعة ترتبط بإفساده اليهود الأخيرة وعلوهم الكبير فى الأرض فهم الذين خططوا لها. يقول الدكتور (الدسوقى) : لقد كان اليهود الصهاينة أشبه ما يكونوا بالنفس الخبيثة أو بالشيطان الذى يتقمص الإمبراطورية البريطانية الشاسعة، التى كانت تستعمر ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تقريباً. تقمصوها إقتصادياً وسياسياً وفعلوا هذا مع أمريكا وروسيا من بعد، ومن ثم استخدم الصهاينة إمكانيات بريطانيا العظمى للاستيلاء على فلسطين وإقامة اسرائيل بالإفسادة الأخيرة والعلو الكبير. ومن الشخصيات الهامة الرئيسية، التى لعبت دوراً فى القضاء على الخلافة بأسم بريطانيا فى الظاهر والصالح التاج البريطانى، بينما هو فى الخفاء من الصهاينة ويعمل لصالحها نجمة داود فى الحقيقةو هو (توماس ادوارد لورنس) الشهير بالورنس العرب المولود فى ١٨٨٨ - ١٩٣٥م الذى كان يعمل من جانبه ممثلاً لبريطانيا لإسقاط الخلافة، وكانت خطة لورنس ترتكز إلى إثارة النعرة القومية عند العرب، وتصوير الحكم العثمانى باعتباره مستعمراً غاصباً يجب التحرر منه ولعب الدور الرئيسى فى ثورة العرب القومية تخطيطاً وتنفيذاً .

ويحدد لورنس فى تقريره السرى سنة ١٩١٦م بعنوان «سياسات مكة الأهداف الرئيسية لبريطانيا وللغرب عامة» فيقول : أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها واذا عرفنا كيف نعامل العرب وهم الأقل وعيا للاستقرار من الأتراك فسيبقون فى دوامة من الفوضى السياسية داخل

دويلات صغيرة حاقدة ومتناثرة غير قابلة للتماسك. إلا أنها على استعداد دائم لتشكيل قوة موحدة ضد أية قوة خارجية، وأنظر كتاب لورنس العرب. (زهدى الفائح) ص ٥٢، ولقد حاز لورنس عند أهله على لقب ملك العرب غير المتوج ولقب (أمير مكة) وما ذلك الا لأنه قال (أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية)، وقد فعل. ولقد كانت أهم نتائج الحرب العالمية الأولى هزيمة المانيا الحليف لتركيا حتى يتمكنوا بالمخطط الخارجي والمخطط الداخلى لليهود فى تركيا أن يقضوا على الخلافة ولقد تدخل اليهود فى الحرب حتى كادت أن تكون الهزيمة لبريطانيا مع أن بريطانيا كانت ساعدهم الأيمن فى المخطط ولكنهم أوصوا إلى أن صارت على حافة الهزيمة حتى ينتزعوا منها وعداً بإعطائهم فلسطين فكان وعد بلفور، يقول صاحب كتاب (الحكومة الخفية) : ولما كانت إنجلترا على وشك أن تخسر الحرب قدم لها اليهود مساعدة أمريكا بشرط أن تهبهم فلسطين، ولقد كانت مخططات لورنس للقضاء على الخلافة العثمانية مخططات صهيونية - صليبية فى آن واحد هى لحساب الصهيونية فى النهاية بأموال وجهد ورجال بريطانيين فى البداية، وقد بدأ النفوذ اليهودى والتغلغل الصهيونى فى الدولة العثمانية عام ١٨٩٥م بتيودور هرتزل الذى دفعته الصهيونية العالمية إلى السلطان (عبدالحميد) رحمه الله للحصول على فرمان من الباب العالى يقضى للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين بعد أن فرضت الامبراطورية العثمانية منع الاستيطان اليهودى فى الأرض المقدسة لما ينطوى على هذا الاستيطان من أخطار فقد حاول هرتزل أن يحقق أغراض الصهيونية من خلال عرض مشروع للإصلاح الاقتصادى وسداد الدين الذى عرضه على السلطان، فلما فشلت رحلته الأولى إلى تركيا ورجع خائباً لم ييأس هوتزل ، وأرسل إلى السلطان يقترح عليه برنامج خدمات مالية يقدمه اليهود للدولة العثمانية مقابل برنامج امتيازات الهجرة اليهودية، يقول : (زهدى الفائح)، وعاد هرتزل يسطر عشرات الرسائل إلى السلطان كلها تنصح بالذل والعبودية والرجاء المتوسل وعندما يئس من السلطان لجاء إلى التهديد، وكانت المخططات لإسقاط الخلافة تسير كما رسمها الصهاينة. المصدر السابق ص ٦١ ..

لقد استغلت حركة القومية العربية لضرب العرب أنفسهم بحكام الامبراطورية العثمانية والقضاء على الاثنين معاً فى فلسطين فيدخلها اليهود فارغة

من السكان، ولقد توحد حقد اليهود وحقد أوروبا الصليبية ضد الإسلام فإتحدا للهمل معا لإسقاط الخلافة .. يقول جوستاف لو في كتابه (حضارة العرب) «الحق أن أتباع محمد ﷺ ظلوا أشد من عرفته أوروبا من الأعداء أرهابا لعدة قرون، وهم عندما كانوا لا يرعوبننا فأسلحتهم كما فى زمن شارل مارتل والحروب الصليبية أو يهددون أوروبا بعد فتح القسطنطينية كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة والحقيقية أننا لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس» ، وإذا كان الغرب قد ازاح عن كيانه خطر الإسلام إلا أنه ما زال يعيش برانويا ألف سنة من السيطرة الإسلامية.

«مخططات الإفساد الخبيثة»

لقد تحقق قول نبى الله اشعياء عليه السلام فى من يطلقون على أنفسهم حكماء صهيون فقد جاء فى الإصحاح ٥: ٢٠- ٢٣ من سفره: **«ويل للقائلين للشر خيراً، وللخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً، الجاعلين المر حلواً والحلو مراً. ويل للحكماء فى أعين أنفسهم والفهماء عندك»**.

لقد عمد الصهاينة بمخططاتهم الخبيثة إلى قلب كل المقومات الخلقية فى الحياة والسياسة والاقتصاد رأساً على عقب، فأحلوا الحرام وحرموا الحلال وجعلوا النور وهو الايمان بالله تعالى ظلاماً وجعلوا الظلام وهو الالحاد والكفر نوراً، وهدموا قيمة العفة بالقضاء على الحياء الفطرى بالدعوة إلى السفور والتبرج والانحلال، فقد جاء فى البروتوكول الرابع من بروتوكولات حكماء صهيون: من المحتم علينا أن ننسف الدين كله لنمزق من أذهان الغويم المبدأ القائل بأن هناك إلهاً رباً، وروحاً ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية، ولكى لا نعطى للغوييم من التفكير والرؤية، كلمة غوييم أو جوييم تعنى عند اليهود الكافرين يطلقونها على كل من ليس يهودياً كما أن المسلمين يطلقون على كل الذين ليسوا مسلمين كافرين.

- وجاء فى البروتوكول السابع: وفى أوروبا كلها، كما فى غير بلاد أوروبا أيضاً علينا أن نخلق الهزات العنيفة، والانشقاقات وآثارة الضغائن والأحقاد، ويقول البروتوكول الثالث عشر: ولكى تبقى الجماهير فى ضلال، لا تدرى ما ورائها وما أمامها، ولا ما يراد بها فأننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل

المباهج والمسليات وضرورة أشكال الرياضة واللهو إلى القول: وتنصرف عما هيأناه لها. فنمضي به إلى حيث نريد، أي طغيان الشهوة الجنسية والإباحية واللهو سوف يصرفون الناس عن التنوير والتقدم، فقد جاء في نفس البروتوكول: وفي خلال القرون التي تنعت بقرون النور والتقدم، وضعنا في أيدي الناس ضروربا من مادة الآداب المنشورة والمطبوعة هي غاية في التفاهة والقذارة والغثاثة..

ولكي يتحقق هذا المخطط الذي يقود الصهيونية في إفسادتها الكبرى وإتمام الفتنة الكبرى في الأرض سيطرت الصهيونية على أكبر الأجهزة والمؤسسات الاعلامية مقروءة ومسموعة ومرئية واحتكرت أعظم المؤسسات والشركات والمصانع الاقتصادية للأسلحة والغذاء والكساء وكل الضرورات البشرية.

جاء في كتاب (حكومة العالم الخفية) ص٤٧ وما بعدها من عائلة (روتشيلد) التي سيطرت على اقتصاد أوروبا ثم اقتصاد أمريكا فيما بعد يقول الكتاب: بدأ عصر الروتشيلدين سنة ١٨٢٠ وفي منتصف القرن أصبح معروفاً أن قوة الروتشيلدين هي الوحيدة في أوروبا. ولما حضرت ميشيل الوفاة دعا جميع أبنائه إلى فرانكفورت وبعدما قرأ تلمود الشيطان قال لهم (تذكروا يا أبنائي أن الأرض جميعها ينبغي أن تكون ملكاً لنا نحن اليهود وأن غير اليهود حشرات يجب ألا يملكون شيئاً. وجعلهم يقسمون أمامه على أن لا ينفرد أحدهما بعمل دون الآخر، وعلى أن يعملوا مترابطين مجتمعين، ويذكر الكاتب كيف علم ميشيل أطفاله جميع الحيل الشيطانية وقسم العالم بينهم أي بين أبنائه الخمس فذهبوا إلى المانيا والنمسا وبريطانيا وايطاليا وفرنسا وأعطى أحفاده فيما بعد الولايات المتحدة، ثم يقول عن (ميشيل روتشيلد) أنه كون أمبراطورية للربا وتجارة الذهب استمرت أكثر من امبراطوريات تشارلمان ونابليون الأول (والرومانوفيين) ونقرأ عبر كتاب (حكومة العالم الخفية) كيف سيطرت هذه العائلة على أوروبا ومن بعدها أمريكا اقتصادياً وسياسياً وإعلامياً وأنهم كانوا من وراء هزيمة نابليون في واترلو، والمانيا في الحرب العالمية الثانية، وانهاء بورصة لندن، وأخيراً السيطرة العالمية لهذه العائلة، وهذه عائلة واحدة من عائلات كثيرة حول العالم من الصهاينة الذين مكنهم الشيطان من اقتصاد العالم لتثمر المخططات الخبيثة ذات الجذور الفكرية والأيديولوجية التي قام بغرسها أساتذة جامعات يهود يعملون في

منظمات تأتمر بأمر الصهيونية العالمية لنشر الإلحاد والعلمانية فى نفوس وعقول غير اليهود ليعطى لليهود التمهيد المطلوب لقيادتهم حيث يريدون، ومن ثم تثمر المخططات الصهيونية الخبيثة فى الجانبين الاقتصادى والمعنوى تتم على يد يهود يحتكرون كراسى الاستاذية فى الجامعات حول العالم ورأسمالية صهيونية لتخريب العالم وإفساده بما لديهم من المنظمات السرية الماسونية، ثماراً تبادلية تؤدى فى النهاية إلى تحقيق الأهداف عن طريق الاقتصاد أو السياسة أو إثارة الثورات أو إشعال نار الحروب، فالحربين العالميتين الأولى والثانية كانتا بتدبيرهم وهم الذين خرجوا منها بمكاسب سياسية واقتصادية زادت من إحكام سيطرتهم على العالم، فنقرأ فى المخطط السادس من بروتوكولات حكماء صهيون كيف نظموا احتكار ثروات الجوييم ودبروا النكبات للحكومات واثقلوا الناس بالدين ليفتقروا ليكونوا خاضعين لهم. أنظر كتاب الاستاذ (عجاج نويهص) بروتوكولات حكماء صهيون.

– لقد كانت القيم الخلقية السائدة فى الغرب قبل الحرب العالمية الثانية تتضمن قيمة العفة وكانت أكثر النساء شبه محتشمات، وكان الزنا فى العرف الاجتماعى والدينى جريمة، وكانت الصهيونية تخطط من قبل الحرب لإشاعة الفاحشة والرذيلة تحت ستار الحرية الشخصية والعلم ومدعمة بأفكار خبيثة من نظرية سيجموند فرويد عالم النفس الشهير، ثم جاءت سنوات الحرب لتترك من الآثار الاقتصادية والنفسية والدينية فى نفوس الشعوب الأوروبية ما جعلها تستجيب لدعاة السوء لتنشر الفاحشة فى القواعد العريضة لتلك الشعوب، وبدأت برلمانات أوروبا وأمريكا تلغى عقوبات الزنا والشذوذ الجنسى لتفسح المجال للانحلال حتى يصبح الزنا هو القاعدة والزواج هو الاستثناء، ووصل الحال إلى تدريس الزنا كمادة من المواد المقررة فى المدارس والجامعات التى تقر الممارسة العملية بين الطلبة والطالبات بزعم التطبيق العملى؟!.. أما نتيجة الدراسات الاحصائية عن الزنا بين المتزوجين فى العالم الغربى فحدث ولا حرج!.. ولا شك أن موعد ظهور الدجال قد أقترب، فقد جاء فى السنة النبوية الشريفة بأن أتباعه من أبناء الزنا.

– إنَّ أكثر شعوب الأرض أصبحت خاضعة لقوى شريرة تتمثل فى مؤسسات اقتصادية وإعلامية (ونظريات علمية) تجلس على قممها الصهيونية التى تهدف

إلى إهلاك الحرث والنسل وإفساد - الجوييم - فإذا كان العلو الإفسادى الأول لبنى أسرائيل قد دمره الله تعالى بالوعيد الأول على يد نبوخذ نصر البابلى، وإذا كان اليهود والبشر جميعاً يعيشون الآن العلو الإفسادى الثانى لبنى إسرائيل، فإن الوعيد الثانى لهذه الإفسادة الثانية قد آن أوانه وقرب وقته وموعده.. قال تعالى: ﴿ فإذَا جَاءَ وَعْدُ الآخرةِ جِئْنَا بِكُمْ لفيفاً﴾ (الإسراء/١٠٤) أى أن إعادتهم إلى المسجد الأقصى من جَهَاتَ الأَرض الأَربع التى تشتتوا فيها، لا تكون إلا فى وعد الآخرة، وحدوث الشرط يعقبه تحقيق المشروط وهو دمارهم، وهذا الوعد بدأ باعلان دولة إسرائيل وهذا فى حد ذاته إعلان بالوعيد لقرب انتقام الله عز وجل من الذين اتبعوا بروتوكولات حكماء صهيون الذين خططوا لهذه الإفسادة منذ عشرات بل مئات السنين.

وواجب مرة أخرى أن ننوه بأننا حينما نتحدث عن اليهود فلا نقصد الإساءة إلى عقيدتهم الدينية حاشى لله فلنا معهم قاسم مشترك وهو التوحيد والسامية ونحن جميعاً أحفاد أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام ولكننا نتوجه باللوم والتحذير بالوعد الالهى بالويل والثبور وعظائم الأمور للذين خططوا وحرفوا لهم عقيدتهم بحجة أنهم شعب الله المختار ولم يختار الله تعالى غيرهم؟!، فاعثوا فى الأرض فساد بمخططات شيطانية لإفساد البشرية، وكذلك ننبه بأن ما سبق ذكره عن قيام الساعة ليس من قبيل الاساطير أو الاجتهاد والتخمين عن نهاية التاريخ أو النزعة ، التى تقول بأن فى نهاية كل ألف عام يشهد التاريخ الانسانى حدثاً هاماً يحول مجراه، وأن نهاية التاريخ كله سيكون فى نهاية ألف معينة. والحقيقة أن الاساطير عن نهاية التاريخ فى نهاية الألف الأولى - نهاية القرن الميلادى العاشر - كانت منتشرة فى أوروبا كلها انتشاراً مروعاً أدى إلى خراب مدن بأكملها ومناطق شاسعة. فقد هجر الناس أعمالهم وتفرغوا إما للعبادة فقط، أو للاستمتاع بملاذ الحياة فى فوضى مروعة. وبظهور أحد المذنبات فى السماء آنذاك راجت اسطورة تقول أن المذنب علامة على خراب الأرض أو قيام القيامة.. والواقع أن النزعة الألفية - Millenarism - بدأت مع تطور العقائد اليهودية فى القرن السادس قبل الميلاد، مع وقوع اليهود أسرى للملوك البابليين، ولكنه ظهر بعد ستمائة عام فقط فكان هذا من اسباب رفض اليهود الاعتراف بأنه هو المسيح المخلص المقصود فى التوراة.. ومن أشهر من تحدثوا عن - نهاية التاريخ

فى الألف الثانية للميلاد - العراف الطبيب الفرنسى - اليهودى الأصل - (نوسترا داموش) وإن كان قد أشار إلى أن القيامة لن تقوم مع نهاية تاريخ الحضارة الحالية وقال أن حضارة أخرى ستبدأ فى القرن الأول من الألفية الثالثة والتى ينتهى بها التاريخ وتقوم القيامة، وهناك كتاب مسلمون رددوا مثل هذا القول مثل ابن الوردى، وابن سيرين مفسر الأحلام الشهير، وردد ابن سينا نفسه بعض هذه الأفكار التى كان يعتقد أنها كانت ذات أصل فارسى أو هندى، ولكن المؤرخ وعالم الاجتماع العظيم (عبد الرحمن بن خلدون) هو الذى قال بأن الحضارات تمر بدورات متكررة، ولكن لا علاقة لها باكتمال عدد معين من السنين، وأن ما ذكرنا، عن قيام الساعة على الصفحات السابقة لا علاقة لها بالأساطير ولا العرافين ولكنها تنبؤات بدأت فى القرن السادس قبل الميلاد مع نبى الله دانيل، ويوحنا اللاهوتى عام ٩٣ الميلادى، والسنة النبوية الشريفة، تنبأت حدثت لكل تفاصيلها، ونرجو من القارئ الكريم أن يرجع إلى موسوعة الاستاذ الدكتور (فاروق الدسوقى) القيامة الصغير على الابواب - التى تناولت هذا الموضوع من كل جوانبه، وقد بذل الدكتور (الدسوقى) مجهوداً كبيراً فى كشف النقاب عن الكثير من تنبؤات الكتاب المقدس وما جاء فى سفر دانيل ورؤيا يوحنا اللاهوتى فى هذا الصدد إلى جانب ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن علامات الساعة، ونعتقد أن (د. الدسوقى) هو أول باحث عربى مسلم يتعرض لتنبؤات يوم القيامة فى الكتاب المقدس بهذا القدر والتوسع والتعمق فى الكثير من الأسفار، ونرى أنه قد أصاب فى الكثير من تفسيراته ولكنه حاول أن يطبق بعض الرموز التى جاءت فى سفر دانيل ورؤيا يوحنا ويقارنها بما جاء فى القرآن والسنة متفق بعضها وحلل ما لم يتفق إلى التحريف والتبديل فى التوراة، والواقع أن ما جاء فى التوراة فى هذا الصدد هو خاص بأهل الكتاب ويتفق مع عقيدتهم ومعتقداتهم وتعاليم ديانتهم، فإذا لم تتفق هذه الرموز مع ما جاء فى اشتراط الساعة فى القرآن والسنة فلا يجب أن نقول أنها موضوعة وكاذبة ولكن يجب علينا أن نرجعها إلى معتقداتهم وفقه دينهم وشرائعهم، انظر الآية وما جاء فى القرآن والسنة عن أشراط الساعة هو خاص بنا مع كل ما جاء فيها من الرموز.

يقول (د. الدسوقى) فى موسوعته جـ١٥٦/١ : «حقا إن الصحيح من

الكتاب المقدس - التوراة والأسفار والانجيل - هو كتابنا نحن المسلمين، وليس كتاب من يخالفنا، أما المحرف فى هذه الاسفار فهو ما يخصهم ونحن المسلمين برآء منه. وذلك لموافقة الصحيح فيه لما عندنا». ويذكر الدكتور فى نفس الجزء ص ٣٩١ حديث للرسول (ﷺ) يتفق مع ما جاء فى انجيل مرقس وانجيل لوقا على لسان السيد المسيح فيقول: **«أليس ما فى الحديث هو ما فى الإنجيل مما يدل على أن كليهما قد خرج من مشكاة واحدة؟!..»**.. فهل يجوز لنا أن نأخذ من كتابهم الطيب ونترك لهم الخبيث. نسلبهم الحق فى كتابهم وننسبه إلى أنفسنا ونترك لهم الباطل ليدخلوا به النار؟!.. ولكن العدل أن نقتسم الحق. والعدل يقتضى منا أن ننبههم إلى الباطل وندعو الله عز وجل أن يتجاوز عن سيئاتنا جميعاً ويدخلنا برحمته فى عباده الصالحين.

ويقول الدكتور فى موسوعته (القيامة الصغير على الابواب) جـ١ الصفحات ١٨٠- ٣٢٦- ٤١٢- ما يلى: «وعن الوحش الذى يحكم الأرض ويتهيأ للخروج والظهور هذا الوحش أو الحيوان الرابع عند دانيل هو التنين فى رؤيا يوحنا - اللاهوتى - وهذا وذاك رمز للصهيونية والمسيح الدجال.. والوحش هو القوى العظمى الغاشمة الظالمة المتمثلة فى دول مجلس الأمن الدائمة ومعها الدول الصناعية والنبى الكذاب هو المسيح الدجال الذى خطط ودبر لهذا الفساد كله وهو الذى يرأس حكومة الصهيونية الخفية، واليهود هم الذين رمزوا إلى حركتهم الإفسادية فى العصر الحديث بالتنين أو الأفعى اليهودية، التى تلتف حول العالم. والتنين حيوان أسطورى له رأس أفعى وجسد أفعى، ولكن له أرجل كأرجل التمساح وله أنياب ونار تخرج من فمه، وهذا التنين فى سفر دانيل هو الذى كان فى رأسه عشرة قرون، ثم خرج بدلاً من ثلاثة منها - إيطاليا واليابان والمانيا - قرن صغير هو إسرائيل»، وهذا هو تفسير (د. الدسوقى) أما تفسير السبتيين وهو الأقرب إلى الحقيقة والواقع من وجهة نظرنا، فإن الوحش يرمز فى سفر دانيال إلى الحضارة الرومانية وفى رؤيا يوحنا يرمز إلى حضارة العصر الحديث بقيادة الولايات المتحدة، أى تنين عصرنا هذا هى أمريكا، أما إسرائيل فهى السرطان الذى تمكن من جسد هذا التنين وسخره لتنفيذ المخطط الإفسادى لها. أما القرن الصغير فهو مؤسسة الفاتيكان التى بدأت نشاطها فى القرن الثالث الميلادى، أما النبى الكذاب فهو مدير هذه المؤسسة، أى بابا الفاتيكان، أن النبى

الكذاب أو المسيح الدجال هو البابا الذى يأتى بصفاته، التى جاءت فى السنة النبوية فى آخر الأيام، وتشير الاحاديث النبوية أنه كان موجود فى عصر النبى (ﷺ) وفى لرؤيا «كان وليس الآن مع أنه كائن».. وفى صحة ٤١٠ جـ١ - يحاول (الدكتور الدسوقى(تسخير الإصحاح ١٢ من سفر الرؤيا لصالح الصحوة الإسلامية المعاصرة فيقول: جاء فى الإصحاح ١٢ :١ من الرؤيا: «وظهرت آية عظيمة فى السماء: امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكباً، وهى حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد». هذه المرأة هى الأمة الاسلامية فى أوائل القرن الخامس عشر الهجرى وأوائل القرن العشرين حيث ظهرت الصحوة الاسلامية والحركات التجديدية من قبل وهى فى حالة مخاض، لأن الشمس نور والإسلام نور وكل الأديان المخالفة جاهلية وظلام وظلمات؟! والقمر كذلك رمز الأمة الاسلامية حيث هى الأمة الوحيدة فى الأرض التى تعتمد على الأهلة لمعرفة مواقيت الشعائر من صيام وحج، حتى قيل بحق أمة الهلال، أما الإكليل من أثنى عشر كوكباً على رأسها فهم الخلفاء الاثنا عشر الراشدون الذين نبأ عنهم الرسول (ﷺ) وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأربعة وآخرهم خليفة العهد المهدى الذى يرفع الراية للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بعد أن يصلى المسيح خلفه صلاة الصبح، ثم يخرجان لملاقاة الدجال والقضاء عليه وعلى أعوانه.

- والواقع أن الإصحاح يتحدث عن الصراع بين الخير والشر والمرأة تركز إلى الحقيقة، ويمكن أن ينطبق على حالنا وحالهم ولا يصح أن نسلب الاصحاح منهم.

ويقول (الدكتور الدسوقى) تعليقاً على ما جاء فى الإصحاح ١٢ : ١٠ من سفر الرؤيا: «وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحيوا حياتهم حتى الموت» الخرف هو الأمة الإسلامية أو هو رمز لشهداء الأمة الإسلامية الذين ضحوا ويضحون بأنفسهم من إجل إعلاء كلمة الله عز وجل.. جـ١ ص٤١٧- وفى صفحة ٤٢٨ يقول: (هؤلاء سيحاربون الخروف والخروف يغلبهم) أى كل اعضاء مجلس الأمن ومعهم أعضاء الأمم ستخرج من بين أيديهم قرارات تدمير وإبادة للمسلمين المخلصين المجاهدين، والخروف هو رمز أمة الاسلام المسالمة المترضية للذبح فى كل مكان فى الأرض.

– وردنا على هذا هو أن الكتاب المقدس يحتوى على ثلاثمائة من التنبؤات عن السيد المسيح عليه السلام وعن ميلاده وبشارته ومصيره من أول الاسفار – سفر التكوين إلى آخرها – سفر الرؤيا – وكلها ترمز إلى الضحية – الخروف – أى المسيح عليه السلام وبشارته الحب والسلام والمسالمة. فلما قوبلت البشارة بعكس ما جاءت به نجى الله تعالى الضحية – الخروف – من يد الذين مكروا بالمسيح ورفعه إليه، ولم تنتشر المسيحية إلا بمكر – تدبير – ودهاء بولس الذى هادن الوثنيين وتحمل عنهم الأمانةفى سبيل نشر الرسالة، ولم يكن بولس من المشركين أو الوثنيين فقد ولد يهودياً موحداً عالماً بكتاب الله، وكان يتحدث إلى الوثنيين بلسانهم لكى يجذبهم إلى العقيدة الجديدة وكان اجتهاده بدون وحى فأصاب وأخطأ ولم تكف النية الحسنة فتركت الوثنية بعض آثارها فى الديانة المسيحية. لذلك كان منهج الاسلام – لا مهادنة ولا أنصاف حلول ولا سلام مع من يعادى الرسالة الخاتمة – والحب والسلم والسلام وإن كانت من دعائم الاسلام أيضاً إلا أنه كتب على هذه الأمة الجهاد والقتال فى سبيل إعلاء كلمة الله فى الأرض والتصدى للمتربصين به والذين ناصبوا الرسالة المحمدية العداء منذ أن بدأت.

فهل لخروفٍ أن ينتزع الحق من أنيابْ الذئاب؟.

– ويقول (الدكتور الدسوقى) عن قيادة السيد المسيح لأمة الإسلام: فهلاك الدجال لا يكون إلا بعد نزول سيدنا عيسى عليه السلام من السماء وعلى يديه وبقيادته لأمة الإسلام. قال دانيل موضحاً هذه الحقيقة: «كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه». ابن انسان هو المسيح عليه السلام، وقد ورد ذكره فى الانجيل أكثر من سبعينِ مرة باسم ابن انسان. قول دانيل بعد هذا – فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً – زى المسيح عليه السلام إشارة إلى حكم الأرض بالأسلام بعد فناء يأجوج ومأجوج. أى سيدخل كل البشر فى دين الله أفواجاً ويسلمون على يد المسيح عليه السلام ويخلص البشرية بمنهج القرآن، ومن ثم كان لقبه فى القرآن والانجيل – المسيح – أى المخلص للإنسانية من الإفسادة الأخيرة التى تتم على يد قومه هو أى بنى إسرائيل.

– والمدة التي سيحكم فيها المسيح عليه السلام – كما وردت في السنة – أربعون سنة حسب بعض الروايات، وخمس عشرة سنة حسب روايات أخرى، لكن أهل الإنجيل المحرف يقولون أنها ألف سنة، وهذا كذب وتحريف من النصارى. بعد هذه المدة سيموت المسيح عليه السلام ويدفن بجوار الرسول (ﷺ) وأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

أما عبارة – سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض – فهي على ما يبدو – والله تعالى أعلم من العبارات التي أضافها النصارى المحرفون، حتى تتناسب مع قولهم أنه يحكم ألف عام، أو حتى تتوافق مع قولهم أنه ابن الله أو هو الاله، وهو من الباطل المتناقض مع حقيقة قيام الساعة وانتهاء الدنيا، هذه الحقيقة التي يقر بها النصارى والتي يسلمون معها بأن نزول المسيح دليل على قرب حدوثها، فكيف يكون سلطانه أبدياً لا يزول والساعة تقوم بعد نزوله بقليل بقليل؟.. جـ ١ ص١٦٣..

وردنا على هذا، نقول وبالله التوفيق.

يقول الله تعالى في (سورة العنكبوت الآية/١٤): ﴿ **وَلَقَد أرسَلنَا نُوحاً إلى قَومِه فَلَبِثَ فِيهِم ألفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمسِينَ عاماً فأخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُم ظَالِمونَ**﴾. وفي نفس (السورة الآيات/ ١٩ و٢٠) يقول سبحانه وتعالى ﴿**أَوَلَمْ يروا كَيفَ يُبدئ اللهُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ إنَّ ذَلكَ عَلَى اللّه يَسيرٌ ، قُل سِيرُوا في الأرضِ فَانظُروا كَيفَ بَدأَ الخَلقَ ثُمَّ اللهُ يُنشئُ النَّشأَةَ الآخِرَةَ إنَّ اللهَ عَلى كُلِ شَيءٍ قَديرٌ**﴾..

ويقول الله عز وجل في (سورة السجدة /الآية ٥): ﴿**يُدَبِّرُ الأمرَ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأرضِ ثُمَّ يَعرُجُ إليهِ في يومٍ كَانَ مِقدَارُهُ ألفَ سَنَةٍ مما تَعُدُّونَ**﴾..

وجاء في الكتاب المقدس سفر التكوين الإصحاح الخامس، أن آدم عليه السلام عاش ٩٣٠ سنة– وابنه الثالث شيث ولد لآدم وآدم عمره ١٣٠ سنة – وعاش شيث ١٠٥ سنين وولد أنوس وعاش شيث بعدما ولد أنوس ٨٠٧ سنين، فكانت كل أيان شيث ٩١٢– وعاش أنوس تسعين سنة وولد قينان، وعاش بعدها ٨١٥ سنة، فكانت كل أيام انوس ٩٠٥ سنين – وعاش قينان سبعين سنة

وولد مهللئيل، وعاش بعدها ٨٤٠ سنة مجموع أيامه ٩٢٠ سنة – وولد لمهللئيل يارد وعمره ٦٥ سنة وعاش بعدها ٨٣٠ سنة، مجموع ايامه ٨٩٥ سنة– وولد ليارد اختوخ – ادريس وكان عمرة ١٦٢ سنة وعاش بعدها ٨٠٠ سنة، مجموع أيامه ٩٦٢ سنة – وعاش اخنوخ – أدريس– خمسا وستين سنة وولد متوشالح. وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح ثلثمائة سنة وولد بنين وبنات فكانت كل أيام أخنوخ ثلثمائة وخمساً وستين سنة. وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه «لاحظ هنا أنه لم يقل ومات مثلما جاء في الفقرات السابقة. تصديقاً لما جاء في القرآن الكريم: **﴿ وَاذكُر فِي الكِتَابِ إدرِيسَ إنَّهُ كَانَ صِدّيقاً نَّبياً وَرَفَعنَاهُ مَكَانَاً علياً ﴾** (سورة مريم الآية ٥٧) .. وعاش متوشالح ١٨٧ سنة وولد لامك. وكانت كل أيام متوشالح ٩٦٩ سنة ومات – .. وعاش لامك ١٨٢ سنة وولدا ابنا ودعا أسمه نوحاً. قائلاً هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض التى لعنها الرب. وكانت كل أيام لامك ٧٧٧ سنة ومات– .. وكان نوح ابن خمس مئة سنة وولد نوح ساماً وحاماً ويافث. وتبدأ رسالة نوح عليه السلام ويصور لنا الله عز وجل سبب هلاك قومه فى الكتاب المقدس فى سفر التكوين الإصحاح السادس فيقول تعالى: **«وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ان أبناء الله المؤمنون رأوا بنات الناس – غير المؤمنات – أنهن حسنات، فاتخذوا لانفسهم نساء من كل ما أختاروا. فقال الرب لا يدين روحى فى الانسان إلى الأبد. لزيغانه هو بشر وتكون ايامه مئة وعشرين سنة»**.. فقد كانت ذرية هذا الزواج من الجبابرة كثر الشر فى أيامهم فحق عليهم الهلاك كما تذكر التوراة.. ويحدث الطوفان ويستقر نوح على الأرض التى أختارها الله تعالى له وباركه وبنيه فيها وجاء فى الفقرة ٢٩ من الإصحاح التاسع: **«وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمئة وخمسين سنة ومات فكانت كل أيام نوح ٩٥٠ سنة»**.

فهل من المعقول عقلياً أو علمياً أن يعيش انسان ألف عام؟. وهل عثر العلماء على كائن ما كان عمر الأرض كل هذه المدة؟. بالطبع كلا.. ولكن حينما يكون القائل هو الله عز وجل فى التوراة والانجيل والقرآن فيجب أن نقول سمعنا وآمنا ونتفكر كيف يكون ذلك؟.

– ونقول والله تعالى أعلم – أن الذى يعمر المدة المذكورة لآدم وأبنائه هى

الرسالة والمنهج الذى جاءوا به فهم الذين اختارهم الله وأختصهم بالرسالة إلى ذويهم حيث يذكر الكتاب المقدس الأسم ثم يقول: وولد بنين وبنات ثم يذكر الاسم الآخر، فكان آدم عليه السلام أول الأنبياء لأبنائه، فبعد أن مات عاش منهجه ورسالته ٩٣٠ سنة، ثم بدأ ابنه الثالث برسالة جديدة ووحى جديد ودستور جديد يلام عصره بعد ٨٠٠ سنة من موت آدم، وليس بالضرورة أن يكون - شيث - هو الابن الثالث لآدم عليه السلام ولكنه والله أعلم النبى الثانى من ذرية آدم وبه كانت بداية رسالة جديدة، ونلاحظ أنه لم يذكر تاريخ وفاة الابن الأول لآدم - قايين - ولا عدد السنين التى عاشها وهذا دليل على صحة ما نقول حيث أن قايين ارتكب جريمة قتل أخيه هابيل. ولا يختار الله لرسالته غير الصالحين. وبناء على هذا يكون ادم عليه السلام قد عاش ١٣٠ سنة فقط. ونقيس على هذا المفهوم شجرة الانساب التى سبق ذكرها. الدليل الثانى - جاء فى الإصحاح ٥ : ٣٢ ما يلى: وكان نوح ابن خمسمائة سنة وولد نوح ساماً وحاماً ويافث، وفى الإصحاح ٩ : ٢٩ جاء ما يلى: وعاش نوح بعد الطوفان ٣٥٠ سنة- والذى نراه والله أعلم أن نوح عليه السلام كان ابن ١٥٠ سنة حينما مات فعاش منهجه وتعاليم رسالته ٣٥٠ سنة مضاف إليها ١٥٠ سنة سنين عمره فتكون ٥٠٠ سنة حينما ولد - ظهر - أول الانبياء من بعد نوح وكان يافث حيث بدأت شجرة انساب نوح به فى الإصحاح العاشر. والدليل الثالث - جاء فى الاصحاح ٦ : ٤ ما يلى: فقال الرب لا يدين روحى فى الانسان إلى الابد لزيغانه، هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة». وكان هذا بسبب أن تزوج المؤمنون بغير المؤمنات.. وفى الإصحاح ١١ : ١٢ جاء ما يلى. وعاش سام بعدما ولد ارفكشاد خمسمائة سنة». وكانت كل أيام سام ٦٠٠ سنة حيث أن ولد له ارفكشاد وهو ابن ١٠٠ سنة. وارفكشاد عاش ٤٣٨ سنة، وهكذا حتى الحفيد الثامن لسام عاشوا كلهم لاعمار مماثلة، ويرى الباحثون أن هذا من تناقضات التوراة حيث أن الله تعالى قضى أمراً - بقصف - عمر الإنسان إلى ١٢٠ سنة ثم يذكر ان سام وسلالته عاشت مئات السنين. ولكن هذا دليلنا على أن السنين هى عمر تعاقب الرسالات وليس عمر الانبياء أنفسهم والله أعلم. فأبناء وأحفاد نوح عليه السلام حملوا راية منهج أبيهم لمدة ثلاثة قرون حتى ظهور سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بصحف كتاب ومنهج جديد، وهكذا - فقد

حمل إسماعيل ويعقوب وإسحاق منهج أبيهم إبراهيم حتى أتى موسى بالتوراة، انظر (سورة الصافات الآية/ ٧٧).

- وبناءً على ما سبق ذكره نفهم ما جاء في سفر الرؤيا الإصحاح ٢٠: ٥- يقول يوحنا: «**ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة. هذه هي القيامة الأولى. مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم بل سيكونون كهنة الله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة. ثم متى تمت الألف السنة يحل الشيطان من سجنه، ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض** إلى القول في الفقرة ١٣: **ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وأنفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم.** إلى القول في آخر الإصحاح: **وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طرح في بحيرة النار**».

لقد جاءت روايتان في السنة عن مدة حكم المسيح عند عودته الأولى تقول أنه سيحكم بمنهج القرآن والشريعة الإسلامية لمدة ١٥ سنة، والثانية تقول أنه سيحكم لمدة ٤٠ سنة. ونرى أن أي الاجلين صحيح. فمدة البشارة الأولى كانت ثلاث سنوات يضاف إليها ١٥ أو ٤٠ سنة ثم تكون نهايته ونهاية البشر جميعاً بعد أن يترك قلة قليلة التي بها تكون البداية الجديدة والتي تكون قائمة على المنهج الذي تركه المسيح منهج التوحيد الخالص لله عز وجل- أنظر (الآية ١٩ من سورة العنكبوت)، والرؤيا أعلاه ٢٠: ٥، وصفحة ٢٨٨ وما بها من كتابنا (الحقيقة المطلقة).

- وبهذا تكون المدة الأولى لبشارة السيد المسيح عليه السلام ٣ سنوات + ١٥ أو ٤٠ سنة بعد العودة الثانية + ٣٣ سنة سنين عمره قبل صعوده إلى السماء + ١٠٠٠ سنة مدة البشارة الثانية، التي تكون منهج تيسير عليه البداية الجديدة حتى يحل الملعون من سجنه ليضل الأمم من جديد وتعود الكرّة مرة أخرى، وبهذا تكون مجموع أيام المسيح ١٠٥١ أو ١٠٧٦ سنة كما كانت أيام آدم عليه السلام ٩٣٠ وأيام نوح عليه السلام ٩٥٠ سنة وهكذا، والله أعلم.

وقد أخرج الإمامان أحمد وأبو داود أن النبى (ﷺ) قال: ما من أحد يُسلم على إلا رد الله إلى روحى حتى أرد عليه السلام - فدل هذا على أن النبى (ﷺ) حي وموجود فى كل مكان وزمان حياة ووجود بقانون آخر وبصفات أخرى، ومقومات أخرى لا يعلمها إلا الله، ودليل آخر لو لم يكن النبى (ﷺ) موجوداً فى كل مكان وزمان لكان الأمر بالسلام عليه عبثاً، إذ كيف يأمرنا الله تعالى بأن نسلم على غير موجود؟ وكيف يرد علينا السلام إنسان غير موجود؟ ودليل ثالث فى المسجد الأقصى أم النبى (ﷺ) الانبياء جميعاً فى الصلاة ليلة الاسراء، وكان النبى (ﷺ) حينئذ حياً بقانون الاحياء وكان الأنبياء جميعاً أحياء بقانون الاموات فهم أحياء ولا يعقل أن يؤم النبى (ﷺ) فى الصلاة أمواتاً.. وبذلك نعتقد تماماً أن آدم ونوحاً والأنبياء جميعاً والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، (الدكتور أحمد شوقى) الاهرام فى ١٩٩٩/٩/٣٠، وعلى هذا فإن أكبر المعمرين هو الرسول (ﷺ) فنحن نعيش الرسالة المحمدية ومحمد (ﷺ) يعيش فينا وبيننا منذ ١٤٢٠ سنة وإلى قيام الساعة. ولا عجب فهو صاحب الرسالة الخاتمة صلى الله عليه وسلم.

وبعد، فأن فى القرآن الكريم الكثير مما يؤكد أن الحياة تتكرر مرة بعد أخرى، وتكون - القيامة - وبعد كل نهاية تتبعها بداية جديدة وكأنها بداية الخلق، وهذه الحقيقة جاءت على لسان الانبياء عبر أسفار التوراة مرات عديدة تفصيلاً وتلميحاً. فالتقويم العبرى يحدد بأن عام ٥٧٦٠ - ١٩٩٩ - هو بداية خلق العالم وظهور الإنسان على الأرض، أى حوالى ٣٨ قرناً قبل المسيح، ويظهر نوح عليه السلام فى شجرة الإنسان عام ١٠٥٦ بعد آدم عليه السلام، وقد وقع الطوفان كما تذكر التوراة فى القرن ٢١ أو ٢٢ قبل الميلاد، ويولد ابراهيم عليه السلام بعد الطوفان بثلاثة قرون ليجد الإنسانية قد أعادت تكوين نفسها فى مجتمعات وأقيمت حضارات فى ١٩ أو ٢٠ جيلاً فقط؟. فلا يمكن أن تنشأ حضارات بالغة التقدم فى هذه الفترة الوجيزة بعد التدمير الشامل الذى أطاح بالانسان وجميع الكائنات فى عصر حقيقة تقع فى صميم نطاق العلم فقد أثبتت علوم الآثار والبجولوجيا أن الحضور الإنسانى على كوكب الأرض يرجع تاريخه إلى ملايين السنين. فهل البشر - بنى آدم - ما زالوا ينتظرون قيام الساعة - يوم القيامة - ليبعثهم الله

للحساب الذى وعدوا به؟. والواقع أن الكتب المقدسة تذكر لنا حقيقة هامة وهى أن الله عز وجل يبدأ الخلق ثم يعيده، هذه حقيقة مطلقة تثبتها علوم الجيولوجيا وتؤكدها المكتشفات المستمرة التى لا تنقطع للبقايا الانسانية والحيوانية والنباتية.. وعلى هذا يكون التاريخ العبرى لبداية الخلق هو فى الحقيقة بداية صفحة جديدة طويت قبلها الانسانية برمتها إلا قليلاً منها لاستمرار الحياة على الأرض. لقد حدث الطوفان ثم بدأت الحياة بنوح عليه السلام وهذا ما يثبته العلم الحديث. فقد توصل عالما الفيزياء الجغرافية - ولتر بيتمان - ووليام ريان - إلى أن طوفاناً مدمراً وقع قبل ٧٦٠٠ سنة بمنطقة البحر الأسود، هذا الطوفان الذى نعرفه بلسم طوفان نوح عليه السلام ، وأثبت العلماء أن حدثاً خطيراً وقع فى تلك الحقبة أدى إلى تغير ملامح كل شئ - فقد تدفقت مياه البحر المتوسط المالحة لتصب فى البحر الأسود عبر وادٍ ضيق كان موجوداً فى ذلك العصر ويعرف بـ «وادى البوسفور» وقد تدفقت هذه الكميات الهائلة من المياه فى صورة أمواج غاضبة شاهقة الارتفاع بسرعة ٨٠ ك.م فى الساعة عبر هذا الوادى وبقوة تعادل ٢٠٠ مرة قوة شلالات نياجرا فى الولايات المتحدة وأدى ذلك إلى تحول البحر الأسود إلى بحر من الموت يفيض على شطآنه دافعاً الناس أمامه فى صورة الطوفان.. وأما عالما الجيولوجيا النمساويان - الكسندر وايث تولمان - فيقترحان تفسيراً أكثر شمولاً للكارثة فى كتاب بعنوان (نعم كان هناك طوفان كبير) جاء فيه: أن ذلك الحدث الضخم وقع نتيجة لسقوط مذهب ضخم منذ ٩٥٠٠ سنة على الأرض وارتبط بآثار أخرى مدمرة. ويستشهد العالمان فى تفسيرهما بوجود ١٥٠ فوهة بركانية تنتشر على سطح الأرض وفوهات كثيرة مثلها يمكن رؤيتها على سطح القمر والكواكب الأخرى. وتقول النظرية أن المذنب تحطم إلى سبعة أجزاء فى مرحلته الأخيرة وأنه ضرب مناطق منفصلة وبعيدة كل البعد عن بعضها فى العالم ليحدث سلسلة متتابعة من الكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل. وأضافا أن هذا المذنيب يمثل فى تأثيره مذنب - شويميكر ليناى ٩- الذى ضرب كوكب المشترى فى مارس ١٩٩٣.

وعلى هذا تكون حضارتنا هى فصل من فصول تاريخ طويل يطول الأزل، هذه حقيقة معطيات جوهرية مستقاة من واقع علمى وتاريخى يعطى سنداً قوياً على صحة وصدق الكتب السماوية والهيمنة الالهية.. يقول الله تعالى فى سورة

(الكهف الآية/ ٥٩) : ﴿وَتلكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهم لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لمَهْلكهم مَّوعدًا﴾.. إلا أنه يحلو لبعض المفكرين أن يرجع نهوض وسقوط وهلاك الحضارات إلى عوامل مادية وليس إلى مخطط إلهى مرسوم ومحكم، وقد يكون ما يحدث الآن فى تركيا من زلازل متتابعة كان أقواها زلزال شهر أغسطس الماضى عام ١٩٩٩ والذى راح ضحيته أكثر من ١٢ ألف شخص هو انذار للضربة الكبرى المرتقبة فقد تنبأ العلماء بأن مناطق كثيرة من تركيا مهددة بالدمار الشامل خاصة مدينة اسطنبول وفى أقل من شهر من زلزال تركيا وقع زلزال هو الأقوى من نوعه فى جزيرة تايوان حيث بلغ قوته ٧,٨ فى مقياس رختر راح ضحيته أكثر من ٢٠٠٠ شخص وكانت توابعه تعد بالمئات، وفى نفس الشهر شهر سبتمبر تسبب إعصار - فلوريدا - فى أن تشهد الولايات المتحدة أكبر عملية فرار فى تاريخها حتى الآن حيث ارتفع عدد النازحين من المناطق المنكوبة التى ضربها الإعصار فى ولايات ساوث ونورث كارولينا وفيرجينيا إلى أكثر من ٣,٥ مليون شخص، وقد وصف الرئيس بيل كلينتون هذا الاعصار المدمر بأنه يشبه الكوارث التى تنبأت بها التوراة، فهل يتعظ ؟!.. أنظر سورة الأحقاف.

«العولمة: موضوع الساعة»

وإنَّ الحديث عن نهاية مرتقبة لحضارتنا يجذبنا إلى النظر فى ما يدور فى فكر مفكرين هذا العصر، فنجد فى عام ١٩٩٣ أن ينشر صموئيل هنتنجتون - الاستاذ فى جامعة هارفارد - فى مجلة الشئون الخارجية الأمريكية - نشر بحثاً نال شهرة واسعة وأثار جدلاً واسعاً داخل وخارج الولايات المتحدة - يحمل البحث عنوان - صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمى - وكتب فى هذا البحث فى إطار الحديث عن العولمة - وأنتصار الرأسمالية - وأعتبارها النموذج المنشود لحضارة عالمية جديدة - خاصة بعد سقوط الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفيتى فقد أخفقت الثورة البلشيفية أى ثورة العمال والفلاحين لصالح الطبقات المقهورة (ديكتاتورية الطبقة العمالية - البروليتاريا) واستبدل بنظام ديكتاتورى جديدة - الليبراليا - التى تسود العالم الآن والتى تتشكل على مستوى العالم فيما يسمى بالنظام العالمى الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا البحث دفع الباحث الأمريكى يابانى الأصل (نوكوياما)

إلى اعتبار ما يحدث هو – نهاية التاريخ – على أساس أن الحضارة الغربية قد أنتصرت على غيرها من الحضارات والأيديولوجيات وأنها الحضارة الوحيدة القائمة الآن، وفي هذا الاطار طرح هنتنجتون نظرية صدام الحضارات التى تتلخص فى القول: «أن المستقبل سيتحدد من خلال ما يدور فى الحضارات من صراعات تتمثل فى فئات ثلاث عريضة (الحروب الدينية – الصراعات العرقية – والصراعات الثقافية) .أى العداء التاريخي.، وبخصوص موقع الأسلام بين الحضارات المتصارعة يؤكد Huntington – أن الإسلام سوف يكون فى مقدمة هذه الحضارات وسوف يصطدم لا محالة بالحضارة الغربية، ويقول أنه من الواضح وجود انبعاث إسلامي يفرض وجوده على الساحة الدولية، وهكذا نجد أن مفكرى النظام العالمى الجديد يقولون بحتمية صدام الحضارات كعنصر أساسى من عناصر العلاقات بين (الأنا – والآخر)، وهذه النظرية تصنع القيم الدينية كأحد العناصر الأساسية فى عملية صراع الحضارات واختلاف بين عقائد دينية أساساً ، وهى ترفض بالطبع فكرة التفاعل والحوار بين الأديان وتفرض سيادة الأنماط الثقافية على أساس عرقى ويتم التفتيت العنصرى للشعوب مع وجود الغطاء الدينى والامتداد الأسطورى كإطار لفرض فكرة الهيمنة الثقافية على أساس عنصرى وصولاً إلى تهميش (الآخر) وإخراجه من دائرة قوة التأثير الفعال، فالعولمة تهدف إلى تفكيك التراث الداخلى لكل أمة والذى يعبر عن خصوصيتها ويتضمن بطاقة هويتها ويجعل التبعية كأنها شيء قدر عليه أن تقبله، فهناك حضارة وحيدة تنفى وجود التنوع فى المنظومة الحضارية العالمية وتحمل ثقافتها عداوة للإسلام رافضة للآخر منتقصة من حقوقه، وما نقرأه فى الاعلام الغربى عن حوار الحضارات والعولمة هو فى الواقع أوهام، فالحديث عن التسامح وأحترام الآخر ورأى الآخر وثقافة السلام والاعتماد المتبادل هو حديث عن أشياء مجردة ولا نغوص فى المعطيات التى توجد فى الواقع. والحقيقة أننا نعيش عالمين عالم يريد أن يهيمن على عالم آخر ويستخدم وسائل وآليات وشعارات ومفاهيم فكرية عائمة وغائمة، وعندما ندرس شعارات الغرب ومجتمعه المتقدم الذى يملك القوة بمعناها المادى الذى انحسر عنه مفاهيم القيم الدينية، نجده يريد السيطرة على العالم الآخر وأن يطغى فى جميع الجوانب من خلال هذه الشعارات.

لقد قال الرئيس الأمريكى السابق (جورج بوش) عندما دخل فى حرب تحرير الكويت: نحن أمة مختارة وقدرنا أن نكون حراس الأمن العالمى!!، وهذا ما يخول لهم ضرب وحصار والتصرف كما يشاءون فى البلاد العربية الاسلامية لأنهم مختارون!. أن مبادئهم لا تنطبق على الجميع وحقوق الانسان هى حق لهم وحدهم وليس للآخرين حقوق، لهم الوصاية وعلينا الطاعة.

إنَّ الاسلام يمثل لعالمنا العربى درعاً واقياً بحضارته ونظامه القيم فى مواجهة الذوبان فى نظام العالم الجديد أو العولمة، وشعور الغرب بخطر الإسلام ليس نابعاً من كون الإسلام دين تعصب يرفض التعامل مع الآخر أو التفاعل معه، وأنما الاسلام يرفض القهر والظلم الذى يعد النتاج الطبيعى للحضارة الغربية الموعودة. وهذا ما يؤكده (روبرت كابلان) الخبير الأمريكى لشئون العالم الثالث حيث يقول: (أن الإسلام بسبب تأييده المطلق للمظلومين والمقهورين يعد أكثر الديانات جاذبية، فهذا الدين المطرد الانتشار على المستوى العالمى هو الديانة الوحيدة المستعدة للمنازلة والكفاح.. هذا هو مكمن الخطر الذى يشعر به الغرب من الاسلام خاصة الولايات المتحدة الأمريكية حاملة لواء الدعوة للحضارة الغربية الموعودة، لا من أجل رفاهية الشعوب. وأنما لمزيد من القهر والظلم والهيمنة على مستقبل العالم، أن المسلمين لم يأخذوا موقف العداء من الغرب إلا بعد أن استبيحت ديارهم وانتهكت أعراضهم وسلبت خيراتهم ومواردهم أبان الهجمة الاستعمارية الشرسة التى قادها الغرب ضد المسلمين على مدار قرنين من الزمان والتى ما زالت بقاياها ماثلة للعيان من ضرب وسيطرة وهيمنة، وتحاول الولايات المتحدة إثارة الفزع لدى الدول الأوروبية من الحضارة الإسلامية وإثارة الاحقاد الدينية التى كانت بين الطرفين فى الماضى بفعل الحروب الصليبية لكى تضمن إبعاد أوروبا عن المنافسة الكونية فى المستقبل ويتحقق لها فى النهاية السيطرة على مقدرات المعمورة فى كل المستويات والمجالات.

إنَّ الصراع الحقيقى والصدام الذى سوف يشهده العالم فى المستقبل سوف يكون صراع وصدام طبقات داخل المجتمع الغربى نفسه وليس مع العرب والمسلمين أو غيرهم كما جاء فى كتاب – فخ العولمة عام ١٩٩٦م – فقد

سادت البطالة فى الدول الغربية وأصبحت قضية قابلة للنمو المتزايد، فقد خلفت العولمة مشكلتين كبيرتين زيادة معدلات البطالة بعد الاستغناء عن ملايين العاملين بسبب التطور المهول فى أتجاه الميكنة، ثم الاغراق والزيادة الرهيبة فى العرض عن الطلب والانتاج عن الأستهلاك، والعولمة لن تتكفل بحل تلك الأزمة لأن العالم كما قال برناردشو مثل رأسى الصلعاء ولحيتى الكثيفة غزارة فى الانتاج وسوء فى التوزيع. اتساع رهيب بين الاغنياء والفقراء. وتظهر سقطات ونكسات العولمة كما حدث مع معظم التطورات الكبرى فى تاريخ البشرية حيث يتسبب هذا النظام العالمى الجديد فى هلاك ابناء دول الجنوب يومياً بما يقارب ضحايا هيروشيما بسبب الجوع وسوء التغذية، ولقد أتسعت دائرة المحرومين فى الدول الغربية وبدأت تغيب عن الافق دولة الرفاه التى ينعم بها الغرب.. هذا ما تؤكده الإحصائيات المرعبة التى تقول بعضها على سبيل المثال أن ٣٥٨ مليارديراً فى العالم يتحكمون فى أقتصاد العالم، وأن هناك تخطيطاً عالمياً من قبل قادة العالم الصناعى على أن يحمل المستقبل فى ظل الحضارة الغربية الجديدة شعار – مجتمع الخمس الثرى وأربعة الاخماس الفقراء.. وهذا هو سبب التوترات الاجتماعية المتصاعدة فى مختلف أصقاع المعمورة مثل العداء للأجانب فى البلدان الصناعية المتقدمة وتهميش الفئات المستضعفة ونمو الجريمة والعنف وأنتشار المخدرات وغيرها من الآثار والتداعيات، وهذا لا يعنى أننا نعيش نهاية التاريخ بمعنى أنتصار الرأسمالية – كما يدعى (فوكوياما) – بل إنها نهاية مرحلة أو تاريخ مرحلة كان العالم ينشد فيها التقدم والرخاء للجميع على أسس أخلاقية، وبداية مرحلة تاريخية قوامها الأثراء للقلة والتهميش للأغلبية من خلال وسائل لا أخلاقية، وعلى حد تعبير – مارتن وشومان – صار التفاوت الطبقى والتدهور الاقتصادى والتدمير البيئى والأنحطاط الثقافى هى الأمور التى تطبع الحياة اليومية للغالبية العظمى من البشر. وهذا كله سوف يشكل فى المستقبل وفى أى لحظة قنبلة موقوتة قابلة للأنفجار كما جاء فى كتاب (فخ العولمة) لـ هانس بيتر مارتين وهارلد شومان – جاء فيه: (أن الترف غدا أمراً شائعاً فى كل مجتمعات العالم ولم يعد يتوارى عن الانظار، ويسائلنا ماذا لو حدث أن هاج الجياع وماجوا فى كل جهة من حول – الالفاتيل – وهو جيتو الاغنياء= ضيعة خاصة تحيطها الاسوار بأضواء كاشفة وأجهزة اليكترونية تفشى سر كل حركة. تجد هذه

المعسكرات فى الولايات المتحدة فى كاليفورنيا فى ضاحية بيفرلى هيلز وغيرها، وفى المناطق الساحلية فى فرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال وأيضاً فى نيودلهى وسنغافورة واستراليا وجنوب افريقيا والبرازيل، وهذا دليل على بلوغ حضارتنا مدى شيخوختها والدور المدمر الذى لعبته الرأسمالية فى ظلمها وجشعها فتتوارى فى هذه المعسكرات خوفاً من بطش الجياع وهم لا يعلمون أن ظاهرة الترف هذه دليل على أقتراب فناء البشرية على حد قول (ابن خلدن) وكما جاء فى القرآن الكريم. أنظر(الآيات ١٦ – ١٧ من سورة الاسراء).

وبرغم هذا فالعالم كله يعرف سيمفونية واحدة أسمها (لعولمة)ويضرب على أوتار حرية التجارة وفتح الحدود والأسواق وتدفق المعلومات والتكنولوجيا فى جميع الاتجاهات، فقد استهدفت اتفاقية (الجات) إذابة وإسقاط الحدود الاقتصادية وتحرير التجارة، ثم منظمة التجارة العالمية ، التى ترعى كل ذلك وتضم (١٣٤) دولة معظمها من الدول النامية. ويرى البعض وجود نوايا خبيثة وراء حماس الدول الكبرى لفكرة العولمة، التى وصفت بأنها مؤامرة كبرى تحاول الدول ذات الاقتصاديات الكبرى الزج بالدول الصغرى بين حبائلها فيزداد الغنى ثراء والفقير شقاء.. والصورة واضحة فى انعدام العدالة فى الاستفادة من العولمة بين الدول الفقيرة فى مجال الاقتصاد والاتصالات والمعلومات والمعاملات المالية والتجارية. كذلك هذه الهيمنة تكرس النفوذ الغربى على مصادر الأخبار والمعلومات وفق ما يترأى للقائمين على الأعلام الغربى لتسويق المبادئ والافكار والسلوكيات الغربية الأمريكية إلى الدول النامية بهدف دفعها إلى أن تتحول إلى أسلوب الحياة الغربية والأمريكية من خلال أساليب الأبهار المختلفة، وهذا الاعجاب سوف يؤدى بالضرورة إلى تأييد تلك الشعوب للمواقف الغربية الأمريكية، كما تؤدى هذه الهيمنة الاعلامية إلى تسويق منتجات الدول الغربية من خلال نشر الثقافة الاستهلاكية وتشجيع الدول النامية على تقليد المجتمعات الصناعية الغربية فى السلوك الاستهلاكى.

هذه هى الاستراتيجية العليا للنظام العالمى الجديد والتى تهدف إلى توفير الرفاهية والرخاء والعيش الكريم لشعوبها بوسائل مشروعة وغير مشروعة وبمفاهيم فكرية تتعارض مع أخلاقيات الغالبية العظمى لتلك الشعوب فى الغرب. حيث أن

الذين تنحسر عنهم مفاهيم القيم السليمة والأخلاق الحميدة هم الذين يملكون رؤوس الأموال فى تلك الدول وهم كما ذكرنا أقلية.

فبرغم أن أمريكا تمثل رأس الامبريالية العالمية، أو الشيطان الأكبر، أو مركز العولمة والهيمنة. إلا أن المجتمع الأمريكى هو مجتمع أقرب إلى المحافظة بطبيعته، وأنه من أكثر المجتمعات الغربية حرصاً على أخلاق الأسرة والتقاليد الاجتماعية والقيم الدينية. فكما نرى فى أجهزة الاعلام المرئى برامجاً إنحلالية نجد فيها أيضاً برامجاً دينية كثيرة وبرامجاً ترفيهية هدافة. وبرنامج - أوبرا - خير شاهد على ما نقول فالأعلامية الموهبة التى تقدم هذا البرنامج تبث الاخلاق الجيدة وتقوم بالأعمال الخيرة على كل المستويات من خلال البرنامج اليومى التى تقدمه، فليس كل المجتمعات الغربية تسودها التحرر الاجتماعى والانعتاق من التقاليد الدينية، ومن الظلم رسم صورة انحلالية للغرب فى مجمله فالالتزام بالقيم الدينية والروحية والأسرية والتقاليد الاجتماعية هى السمة السائدة فى تلك المجتمعات، وكذلك التسامح مع (الأنا - والاخر) تنتشر عندهم وتتقلص عندنا وتضيق مساحته، فالميل إلى الأختزال والتنميط مثله مثل التسامح لا يتجزأ.

إنَّ بعض الناس تحول عدائهم للغرب أو - للآخر - إلى مرض فإذا بهم يخلعون عليه كل صفات الشياطين وينسبون إلى - الأنا - كل الفضائل. والغريب أنهم يعرفون أن الاسلام ينهى عن ذلك بأعتبارها عصبية جاهلية يأثم عليها صاحبها كما قال الرسول (ﷺ): من كان فى قلبه حبة خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية، وأوضح الإمام على بن الحسين مدى فساد هذه العصبية بقوله: العصبية التى يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين.. وتظهر هذه العصبية المقيتة فى نظرة قسم يعتد به من الاسلاميين ينظرون إلى العالم من ثقب الصراع التاريخى مع الغرب ويميلون إلى أختزال الغرب فى كتلة صماء لا تنوع فيها ولا يرون فيه عالماً رحباً متعدداً وليس كله معادياً للإسلام، وهذا هو ما لا يريد أن يدركه بعض الاسلاميين الذين يروجون للصورة النمطية ويشنون حرباً كلامية لا هوادة فيها ضد الآخر الغربى دون تمييز مخالفين المنهاج الإسلامى الذى ينهى عن أن يكون شنآن قوم دافعاً إلى عدم العدل وبالتالى إلى عدم التسامح ورسم صورة نمطية مشينة للآخر يتحول

إلى سلوك يعم الجميع ويؤدى إلى نشوب - حرب الكل ضد الكل - وتنشأ أجواء تسودها الأتهامات المتبادلة وينحسر فيها التسامح وتقليصه مع الآخر، وفى الاسلام قاعدة ذهبية هى التسوية بين الناس فالجميع أمام شرع الله سواء.. يقول الله تعالى فى(سورة الحجرات الآية /١٣) : ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

إنّ الدعوة الانسانية التى يجب أن يتم التعامل بها مع الآخر والتى يدعونا إليها الاسلام تقتضى القبول والترحيب والتعامل مع الآخر، فالموقف من الآخر فى المنظور الإسلامى ليس موقفاً عدائياً جامداً من المنتمين لدين مخالف أو جنس أو حضارة مغايرة، وإنما يحكم العلاقة مع الآخر قول الله تعالى: (**لا إكراه فى الدين**). والغاية المثلى تجاه هو هدايته. كما يقول الرسول (ﷺ) : «**لأن يهدى الله بك رجلاً خير لك من الأرض وما عليها**». وقوله (ﷺ) : «**ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية**».. والذين يذهبون إلى حتمية المواجهة بين الاسلام والغرب يستندون فى دعواهم إلى ارث المواجهة التاريخية بين الطرفين وليس إلى مبررات معقولة من الواقع، وهم يدفعون الاسلام إلى الاعتراك مع غير الواقع، فالجانب المسيحى فى الغرب يبعث الوفود تلو الوفود إلى المناطق التى أصابها الغزو الصليبى لتقديم الأعتذارات عن الاخطاء التى أرتكبها مسيحو العصور الوسطى بأسم الصليب. فغرب ما قبل النهضة ليس هو نفسه غرب ما بعد النهضة، إذن نحن لسنا أمام غرب صليبى ولسنا أيضاً أمام غرب ملحد يعاند فى إلحاده. وإنما نحن أمام غرب أفتقد اليقين من الناحية العقائدية ويحيا فى سيولة فكرية. وحالة إنعدام اليقين العقائدى التى يعانى منها الغرب الآن تفجر القلق المصيرى فى النفوس الانسانية الغربية ذاتها وتدفعها لألتماس الحقائق من الرؤى البديلة وهى الفرصة المهيئة للعقيدة الإسلامية التى تمتلك القدرة على تقديم الاجابات المقنعة لتلك العقول لو استطعنا تقديم الإسلام لها بالطريقة الواعية التى تتناسب مع تقدم العصر فقد قال - توينبى -: أن الصلات الحضارية التى تجمع الاسلام والغرب أقوى منها بين أى منهما والحضارات الأخرى. والمهم من جهتنا نحن أن نكون فى حالة تميز دائم بين الثابت والمتغير فى علاقتنا مع الآخر الغربى ونعمل دائماً على تزكية عوامل الوفاق على عوامل المواجهة.

- ونحن نعلم مَنْ هم الذين يريدون إشعال نار الفتنة ويروجون بأن الإسلام

بات يمثل الخطر الرئيسى على الغرب بعد اندثار الشيوعية ويتجاهلون أن الإسلام دين ونظام حياة وليس نظرية وضعية كالشيوعية التى كانت كياناً صناعياً حمل فى طياته بذور فنائه، ويغفلون أسمى عبر التاريخ الا وهى إن التفاعل فيما بين الثقافات كلها أخذ وعطاء يثريها ويرتقى بها ويزيدها حيوية وازدهار.. أن الحوار بين رجال الدين يهود ومسيحين ومسلمين ضرورة هامة لوضع قاعدة عامة وأساسية لبناء جسور التفاهم الحقيقى بين الأديان حيث أن هذا الحوار سيؤدى إلى تحطيم المفاهيم الخاطئة المغرضة عن الاسلام وحضارته والاشتباه فى تعاليمه، ولا مفر من الحوار إذا أردنا لهذا العالم أن يعيش فى سلام لأن البديل هو الصراع والنزاع والحروب.. ولقد بين لنا القرآن الكريم أن الاختلافات بين الأمم والشعوب هى حقيقة واقعة لا ينبغى أن تكون دافعاً للنزاع والشقاق وأنما يجب أن تكون منطلقاً للتعارف والتألف والتعاون (أنظر الآية ١٣) من سورة الحجرات.. كما دعا الاسلام أهل الأديان السماوية إلى الحوار والاتفاق على أسس مشتركة. أنظر الآية ٦٤ من سورة آل عمران.. يقول الدكتور محمود زقزوق: لقد كان هناك حوار صامت - إذ صح التعبير - بين الحضارات الاسلامية والغربية منذ قرون عديدة فقد ترجم المسلمون علوم اليونان وغير اليونان إلى العربية وأضافوا إليها وأبدعوا فى كثير من المجالات، وكذلك فعل الأوربيون ترجموا علوم المسلمين وأستفادوا وبنوا حضارتهم بعد أن أضافوا وأبدعوا ووصلوا إلى ما نشهده الآن من منجزات حضارية رائعة، ونحن نستفيد من هذه الحضارة الحديثة بصرف النظر عن بعض الظواهر السلبية المصاحبة لها.. فهناك إذن جذور حضارية مشتركة تشكل بعداً مهماً فى أى حوار يتم بين الحضارتين الاسلامية والغربية وينبغى النظر إلى المستقبل فى تحرر تام من كل أثقال الماضى ويحتاج منا إلى شحن الذات لتدعيم إرادتنا والثقة بأنفسنا حتى لا ننسى ما قدمته حضارتنا للبشرية.. ومن الظواهر السلبية فى ظل أطروحات العولمة التى تلغى الخصوصية وتسعى للهيمنة والتسطيح والتنميط بأسم الكونية أو العولمة هى الحرية الدينية، ففى التقرير الامريكى فى حق الحرية الدينية وفقاً للفهم المعبر عنه فى القانون، وليس وفقاً للتوافق الاجتماعى العام فى المجتمع هو أحد جوانب الصدام الخفى معه حيث أنه يتعلق بنشر وعولمة رؤية أمريكية بحتة بشأن الدين وفرضها على الآخرين الذين هم باقى دول العالم وهذا يثير إشكالية العلاقة بين الدين المقدس، والبشرى غير المقدس، ففى

المجتمعات صاحبة الديانات السماوية- اليهودية، والمسحية، والاسلام- لا يمكن لهـا أن تتنازل عن قدسية هذه الأديان المنزلة بالوحى لصالح الإبداعات البشرية وإفساح امجال أمام عبادات غير منزلة أو شيوع انحرافات فى ممارسة العقيدة تحت أى مسمى فهذا له مردود سلبى سيئ فى المجتمع المتمسك بعقيدته. وتسعى السياسة الأمريكية أن تجعل المجتمعات الأخرى فى موقفها من الأديان يماثل ما هو حدث فى المجتمع الأمريكى، ومحاولة التنميط فى السلوك الاجتماعى عبر دول العالم كله إزاء الأديان هو أمر يبدو كأنه ضرب من ضروب الدونكشوتية - ومحاربة طواحين الهواء، فعلاقة أى مجتمع بالدين لا تصوغها قرارات أو ضغوط أياً كانت، وأنما تشكلها القناعات والقلوب. أما القانون الأمريكى فيبيح لنفسه التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى دون استثناء؟!... ونحن إذ نرفض هذا النوع من الهيمنة لا يعنى أن نرفض - الآخر - وأن موقف الثقافة القومية من الآخر لا ينبغى أن يكون موقف الانصهار فيه والذوبان أمامه. ولا موقف الانقطاع عنه ونفيه وإنكاره وإنما بالضرورة يكون موقف الحوار والتفهم وعلاقة تسامح لا علاقة تهويل وتهويم أو تهوين، فلعل التغاير والتفاعل مع الغير هو الذى يثرى الذات ويفتح أمامها أفاقاً جديدة يسدها ويعلقها العكوف على الذات - أى على الثقافة القومية المغلقة داخل أسوارها الضيقة.. ولبناء جسور التفاهم مع - الآخر - يجب أن يخرج الطوفان من دائرة صراعات الماضى التى أصبحت - متخفية - إلى البحث فى بناء المستقبل فى مصارحة تامة من أجل إزالة العوائق التى تسبب سوء الفهم والافكار الخاطئة والعقد القديمة والعمل على إزالتها حتى يمكن بناء جسور من الثقة المتبادلة والفهم المشترك والاحترام المتبادل.. فبالحوار والاصرار عليه يمكن تحقيق المعجزات وتصحيح التصورات الخاطئة عن كل طرف لدى الطرف الآخر فى كل المجالات وأحترام الخصوصيات الحضارية والدينية لكل طرف وهذا يعنى البعد تماماً عن أية نزعة فوقية تحاول أن تملى تصورات معينة لطرف على الطرف الآخر، أن الحوار بين الثقافات والحضارات وبين الأديان والتعايش بين الأفراد والجماعات وبين الشعوب والمؤسسات والمنظمات هو الوسيلة المثلى لتحقيق التوازن فى الحياة الانسانية وهو موضوع الاجماع من البشر على اختلاف ثقافتهم وتباين حضارتهم ومعتقداتهم..

إنَّ العالم الإسلامى مدعو اليوم إلى أن يمد أسباب الاتصال والتعارف

بالمدلول القرآنى الرحب العميق والتعاون والحوار إلى أبعد مدى لتشكل شعوب العالم وأممه كافة، وهذا هو أختيار الحكماء والعقلاء فى هذا العالم، أن السنن ومنها ما يتعلق بالكون مثل سنة الأختلاف فالقرآن الكريم يتحدث عن الاختلاف بين البشر وبين المخلوقات ليؤكد أن الاختلاف سنة إلهية وأن التنوع الموجود فى الكون مقصود، وعدم فهمنا للسنن وراء كثير من الحيرة التى تنتابنا فى تفسير بعض الأمور فالسنن وعى وسعى والله لا يجابى أحداً على حساب سننه سواء كان مسلماً أو كافراً فيقول ابن تيمية: أن الدولة العادلة تدوم مع الكفر والدولة الظالمة تزول مع الايمان.. وكانت دعوة (الشيخ أمين الخولى) فى حركة التفسير الحديث هى دراسة النص القرآنى على أنه المقصد الأسمى باعتبار أن كل المقاصد الرفيعة التى يمكن استلهام النص فيها إنما تكون بعد الفهم الواضح الصحيح للنص المقدس وتحليل الاعجاز بحيث تلمس أعماق النفس البشرية.

يقول (الدكتور عبد المعطى بيومى) : «أن الذين يسبغون القداسة على الفقه بأعتباره ديناً يضعون الدين فى قمقمة الجمود ومعطن التقليد ويسهمون فى عزل الدين عن الحياة ووقفه عن توجيهها ولذلك ذم القرآن الكريم هؤلاء الذين يرفعون شعار – أنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون» ، وقديماً قال أئمة الأصول: أن النصوص تتناهى والوقائع لا تتناهى فلابد من الاجتهاد لأستحداث الأحكام للوقائع من النصوص والمقلدون الجامدون يقتلون الدين كما تقتل الدابة صاحبها، ولذلك قال الأمام (القرافى) : «الجمود على المنقولات أبداً ضلال فى الدين، ويقول الدكتور (أحمد عكاشة)رئيس الجمعية العالمية للطب النفسى عن السلفيين: السلفية ضد أتجاه حركة الكون، فالله عز وجل عدل ورحمة ومرونة. أما أن نسير مسرى الأسلاف فهذا ضد ديناميكية الحياة. فسماحة الأديان السماوية أدت وتؤدى إلى تكيفها مع تطور المجتمعات والتقدم العلمى فتغيرت شكليات وتطورت أساليب سلفية وبقى الجوهر فى الأديان.. ويقول الدكتور (طه الدمياطى) فى الذين يلعنون من على غير دينهم فيقول: «اللعن الذى يصدر عن الإنسان، اللعن هو الحكم بالطرد من رحمة الله، وهذا ليس من حقوق المخلوقين أن يفعلوه وإنما الادخال فى رحمة الله أو الاخراج منها أنما هو حق الله وحده مرهون بإرادته وقدرته ومن يتعدى على حق ربه ويدعيه لنفسه لا يكون له جزاء إلا النار، ونذكر هذا القول السديد للأستاذ الأزهرى لما سمعنا بالأمس

من عالم أزهرى آخر يقول فى سياق محاضرته أمام جمع غزير من المسلمين: عشم حنا فى الجنة؟!.. وهذا قول يثير التعصب والفتنه يصدر من عالم جليل، فدار فى رأسى ما لَمّ بنا من فتن بسبب ربط الحق بالباطل والزيغ عما جاء فى القرآن والسنة فانقسمت الآراء وتشعبت. لقد كانت أعظم فتنة أصابت المسلمين هى تفرقهم إلى طوائف وأنقسامهم إلى سنة وشيعة، وهذا الانقسام لم يكن الخلاف فيه حول الولاء للإمام على رضى الله عنه أول آل البيت رضى الله عنهم فذلك من المسلمات عند كل مسلم، ولم يكن بسبب أعتقاد الشيعة الجعفرية أن علياً أولى بالخلافة من غيره، فهذه عقيدة الشيعة الزيدية، ولم يترتب على ذلك شقاق بينهم وبين أهل السنة والجماعة. أنما كانت الفرقة والانقسام بسبب ما يقال عن تحريف القرآن الكريم وعن العصمة التى تخول غير النبى صلاحية تخصيص عموم القرآن وتقييد مطلقه ونسخ بعض أحكامه. وكذا تخولهم رد الأحاديث النبوية التى ردها الصحابة رضى الله عنهم.. ومما يشعل نار الفرقة والصراع ما قيل أن أئمة الشيعة قد نزل الوحى من الله تعالى بخلافتهم بعد النبى (ﷺ) وأن الصحابة قد خانوا ذلك، لذلك وجب على المتلقى أن يكون على وعى وعلم حتى لا ينزلق إلى مناطق التطرف فعندما ربط بعض المسلمين بين القيم الدينية والأئمة ظهرت طوائف زاغت عن الدين وشايعت أئمتها ومنحتهم العصمة، فتفشت فيهم العبادة الشخصية وأقتربوا من الشرك حتى لامسوا أطرافه. وعندما ربط أخرون بين القيم الدينية والأولياء فأسقطوا التكاليف عنهم وجعلوا من أوليائهم طواغيت دينية فى حياتهم وبعد مماتهم، منحوهم مرتبة فوق مرتبة الإنبياء وانحرفوا عن الإسلام وسقطوا فى مستنقع الفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود وتاهوا فى شعاب الضلال، وعندما ربط العرب فى القرن العشرين بين القيم الفكرية والزعماء أنتشرت الطواغيت السياسية، وهذه القيم تسقط بسقوط الزعماء وتفنى بموتهم، وعودة إلى ما ساقنا إلى هذا الحديث فنقول أن التكفير لم يكن لدى السلف الصالح وليس غاية شرعية كما يشيع البعض فهناك هامشاً بين بنى البشر على أختلاف توجههم يمكنهم الالتقاء فيه والتآزر من خلاله والعلم والاستنارة كفيلان بطرد الزبد فيذهب جفاء.. لقد كان وفد نصارى نجران فى زيارة للرسول (ﷺ) فى مسجده فحينما حان وقت صلاتهم فصلوا فى ناحية من المسجد فى اتجاه المشرق متوجهين إلى بيت المقدس

ولم يمنعهم الرسول من الصلاة فى مسجده وقال: دعوهم - وكتب لهم (ﷺ) كتاباً ورد فيه: «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد على أموالهم وأنفسهم وأراضيهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعبادتهم، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته. الخ ...». فسيرة المصطفى (ﷺ) وأصحابه مع أهل الكتاب الذين بقوا على حفظ العهد والمواثيق التى قامت على حسن الصلة والاحترام المتبادل بين مسلمين ومسيحيين. أنظر (الآيات ٨٩ و٩٣ النحل - يونس ٤٧ - الرعد ٧- الاسراء ٧١ - الحج ٣٤، ٦٧، ٦٩- الجاثية ٢٨) ، وعلى هذا وجب توضيح المرجعية من خلال تجديد عقيدة الأمة وتنقيتها من التحريف والانحراف الذى أصابها والعودة للدور الحضارى الفاعل للإسلام نحو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان الحق وإعادة ترتيب البيت الإسلامى وأحترام الآخر وعقيدته وبدون ذلك لا يتحقق المشروع الحضارى الإسلامى والثوابت العقيدية.

وفى كتاب (الإسلام وتحديات العصر) لإقبال بركة - حاورت فيه نخبة من العلماء والمفكرين المعنيين بقضايا الاسلام وطرق تجديده وكيفية مواجهة تحديات العصر، فيؤكد الدكتور (مصطفى محمود) فى حواره أن الزعم بأنه لا اجتهاد مع نص - شعار خاطئ - أما أحمد حسن الباقورى فقد شرح كيف أن باب الاجتهاد مفتوح حتى قيام الساعة ، ووقف (زكى نجيب محمود) موقفاً وسطاً بين العقل والنقل فى حين أكد (عبد الرزاق نوفل) أن رفض الاجتهاد مخالفة لأحكام القرآن الكريم ، أما أحمد كمال أبو المجد فقد بين أهمية الحاجة إلى إجتهاد جديد وفقه جديد.

«خاتمة - القدس»

القدس = عند اليهود جبل الهيكل وهيكل سليمان الذى دمر مرتين فى ذات الموقع وبنيت عليه قبة الصخرة. هدف اليهود إعادة بناء الهيكل فى موضعه، وتمثل مدينة القدس عند المسيحيين فى كل أرجاء الدنيا أو الكرة الأرضية الركائز الدينية حيث يوجد بها القبر المقدس وكنيسة القيامة وبها طريق الآلام الذى سار فيه السيد المسيح حاملاً صليبه. بنى كنيسة القيامة الامبراطور (قسطنطين) عام ٣٣٥م حيث اكتشفت والدته الامبراطورة (هيلانة) مكان قبر المسيح عليه السلام ، وهذه الكنيسة لهى أغلى وأعظم الآثار المسيحية. ويوجد

بالقدس جبل الزيتون الذى كان يخطب عليه السيد المسيح وجبل صهيون الذى دفنت فيه السيدة العذراء والدته فى المكان المجاور لقاعة العشاء الأخير، وتشكل مدينة القدس أمانى وتطلعات المسلمين حيث عرج بالرسول (ﷺ) من قمة الصخرة (قمة جبل موريا) الذى بنى الخليفة الوليد بن عبد الملك عليها المسجد الأقصى عام ٧٠٩م وقبلة المسلمين الأولى، ويرى العلماء أن أحد أسباب أختيار الله عز وجل لبيت المقدس قبلة للمسلمين فى صلاتهم فى أول الأمر هو لربط الإسلام والديانات الأخرى ومدللاً على عالمية الاسلام واحتوائه لكل الرسالات السابقة. ولكن تعلق قلب الرسول (ﷺ) بالبيت الحرام جعل الله تعالى أن يأمره بالتوجه إلى البيت العتيق عطاء من الله تعالى لرسوله وتكريماً له ولأمته وليس بعد التكريم عطاء.. وكل هذه الأماكن جزء من الوجدان العقائدى للديانتين الإسلامية والمسيحية تسيطر إسرائيل على هذه المقدسات بالاحتلال العسكرى والحكم الاستفزازى والغطرسة والعنجهية الكاذبة مدعية أن المدينة المقدسة هى العاصمة الابدية لها وتحاول تهويدها، وأن الصراع على القدس يختلف عن أى صراع آخر حول العالم لسبب واضح: «أن نصف العالم من يهود ومسيحيين ومسلمين يعتقدون فى نبوءة الأيام الفاصلة والنهائية للعالم كما نعرفه اليوم انتظاراً للوعد المنتظر كلاً حسب رؤيته وتعاليم دينه. والجميع يعتقدون بأن العالم سينتهى عند هذه البقعة – القدس – ثم يبدأ منها مرة أخرى، وقد تحالف المتطرفون اليهود أعضاء حركة – بناء الهيكل الثالث – مع فئة من طائفة الانجيليين المسيحيين على أنه يجب هدم الحرم الشريف لإعادة بناء الهيكل ليعود المسيح ويجلس على عرش سليمان حسب رؤية اليهود، والانجيليون يرون أن الهيكل يجب أن يهدم للمرة الثالثة لكى تتحقق النبوءة ويعود المسيح، ومن المنتظر أن يحدث عنف دينى مع بزوغ الألفية الثالثة ومن المنتظر أن يقوموا بأعمال تخريب فى المواقع المقدسة فى المدينة المقدسة. فهدف المتطرفين الأساسى هو هدم وإزالة المسجد الأقصى فإقامة الهيكل هى ذروة أمانيهم، وهم يدعون الله ثلاث مراتٍ كل يوم فى صلاتهم ويوم السبت لإعادة بناء الهيكل ويقولون: بيبان هامبكْداس – أى سنعيد بناء الهيكل، ونحن ندق ناقوس الخطر بصوت عالٍ ليسمع من أغلق أذنيه ونعيد العقل للغافلين لأن هدم المسجد الأقصى هى بداية نهايتهم، وأن التطرف نقمة على صاحبه يسوقه إلى هلاكه لا محال، ويحضرنا

هنا ما حدث فى مصر منذ ألف عام على يد أبى المتطرفين الحاكم (بأمر الله) الخليفة الفاطمى، كان طاغيةً جباراً لم يشهد التاريخ له نظيراً. أفدح أفعاله وأشدها هولاً هو عزمه على نقل مناسك الحج إلى مصر ونقل رفات الرسول (ﷺ) وصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من المدينة المنورة إلى القاهرة لتكون هى العاصمة الروحية للمسلمين بدلاً من البلد الحرام وكان هذا ارهاصاً ومؤشراً على حالة الخلل العقلى ، التى أصابت الحاكم بأمر الله والتى انتهت به إلى تأليه ذاته واعتقاده بأن روح الله تجسدت فيه وهى العقيدة التى ابتدعها فلاسفة الفرس الاسماعيليون وصادفت هوى عند الحاكم بأمر الله وأسفرت عن ظهور الديانة الدرزية التى تعتقد فى الوهية الحاكم بأمر الله ورجعته، وكانت الإمامة الفاطمية فى عصر الحاكم بأمر الله تتشح برداء القدسية ألرهيبة وكانت تغوص فى معترك من الإلحاد المغرق وكان الحاكم هو روح هذا التطور فى توجيه الدعوة الإلحادية من نظم ومراتب من خلال - دار الحكمة ، التى انشأتها الدعوة الفاطمية لتكون مركزاً لتلقين أغرب دعوة إلحادية وأروع النظم البشرية التى عرفها التاريخ، وكان الدعاة ينادون بالتناسخ فى الاديان والشرائع وبالحلول ويزعمون أن الحاكم ليس بشراً وإنما هو رمز حل فيه الإله وهو يدور رخص فى أحكام الشريعة فأباح نكاح المحارم وأسقط جميع التكاليف فى الصلاة والصوم وغيرها فالخالق عند الاسماعيلية هو العقل الكلى والنفس الكلية ويقابله فى العالم الأرضى الإمام أو الحاكم بأمر الله على نحو ما ذكر الفلاسفة الأقدمون تماماً هذه الأقاويل القديمة بالصبغة الإسلامية لهدم الإسلام من داخله تمهيداً لإقامة الدعوة الإسماعيلية التى تستمد أصولها من مذاهب وتيارات فلسفية مناقضة للإسلام.
وبدأ الشعب المصرى يثور ويتحفز للفتك بالدعاة الملاحدة وسخطت عليهم عامة الشعب المصرى وطاردتهم أينما ذهبوا فمزقتهم تمزيقاً وقتلتهم أشنع قتل، أما أهل المدينة المنورة فقد علموا بالأمر فقتلوا ومثلوا بمن حاولوا حفر السردات أسفل الدور المجاورة لمنزل سول الله ﷺ ، وقصة نقل الحة تجدها فى كتاب (الدولة الفاطمية فى مصر) للدكتور (أيمن فؤاد) تبعاً لزواية أوردها الجغرافى الاندلسى (أبوعبيد البكرى) المتوفى فى عام ٤٨٧ هجرية عن هذا المشروع الفاشل فى عام ٣٩٠ هجرية - ١٠٠ ميلادية.

- وعودة إلى ما ساقنا إلى هذا الحديث فنقول: هل يتعقد اليهود أنهم

بالصهيونية والماسونية والأعمال التخريبية أنهم بالغوا مآربهم وتنفيذ مشروعهم الصهيوني واحتلال أرض غيرهم ثم يتحدثون عن السلام؟ إن السلام الذى تتحدث عنه إسرائيل هو سلام لها وحدها وليس السلام الذى يعيد الحقوق المغتصبة. سلام يضمن لها السيطرة على قمم الجبال ومصادر المياه والقدس الكبرى، وجبال نابلس التى تمدّ إسرائيل بالمياه العذبة ومخزون المياه فى الخليل وبقاء القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، ومن العجيب أن أرض فلسطين محرمة على الإسرائيليين بنص التوراة فى سفر التثنية ٢ : ٤ حيث تقول: (أن الرب لن يعطى الإسرائيليين ولا وطأة قدم من أرض عيسو أى أرض كنعان – فلسطين– وعلى ذلك فأن الإسرائيليين فى فلسطين ووجودهم فيها محرم بنص دستورهم الذى حرم أرض كنعان على أحفاد إسرائيل – يعقوب – الأب الأول لهم وجعلها حلالاً لأحفاد عيسو الذى أستقر فى الأرض ولم يرحل عنها إلى مصر كما فعل يعقوب، ولم ينفذ يسوع خليفة موسى وصية التوراة.

وقد جاء فى كتاب (الله والإنسان فى إسرائيل المبكرة) لهوثر – الذى تدرس كتبه فى أكبر جامعات العالم : أن العرب الكنعانيين يقيمون فى القدس منذ عام ٣٠٠٠ ق.م وأن نبى الله داود هو أول من أدخل اليهود القدس عام ١٠٠٠ ق.م، ودام حكمهم حتى عام ٩٣٠ ق.م أى ٧٠ عام فقط – وسرعان ما دمرت هذه الدولة على يد الأشوريين ولم تقم لها قائمة بعدها – ورتعرضوا بعد ذلك لعدة تدميرات من الرومان كان أخرها عام ١٤٤ على يد هدريان الذى أبادهم تماماً بالتنكيل والحرق وفر الباقون خارج البلاد حتى لم يعد أثر لليهود أو الهيكل .. يقول (وولت ديورنت) فى قصة الحضارة : (أنه لم يبقى من الهيكل شيء على الأطلاق فى هذه الفترة، ثم جاء الإسلام ودخل المسملون فلسطين وحرروهخا من الرومان سنة ٦٣٦م ولم يكن بها أحد من اليهود. ويذكر ديورنت فى موسعته أن الهيكل لم يكن بالقدس بل فى الجنوب الشرقى منها، ومن خلال تعقب تطورات التاريخ الحقيقى الذى تكشف عنه علوم الانثروبولوجيا والآثار وليس ما تشى به الآداب العبرية، فنجد أنه قد تعاقب على فلسطين القديمة عدة حضارات، وأن إسرائيل القديمة لم تكن سوى خيط رفيع فى نسيج التاريخ الفلسطينى الغنى. أما الآداب العبرية والدراسات التوراتية فهى متورطة فى عملية تجريد الفلسطنيين من ماضيهم فى شبكة متداخلة هى فى الحقيقة عملية لتزيف

الحقائق لا تدرس فى كليات الدين واللاهوت فحسب ولكن تدرس فى الجامعات الإسرائيلية والأمريكية والأوروبية أيضاً . والهدف النهائى للمشروع الصهيونى هو تهميش الكيان الفلسطينى بحيث لا يكون له حق فى أرض الميعاد؟! . وعلى هذا فإن حائط المبكرى ليس سوى ذريعة لتدعيم مزاعم اليهود وغطاء لاغتصاب فلسطين ومبرر لأستثارة مشاعرهم .

إن الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف هو حائط البراق وليس حائط المبكى حيث ربط الرسول ﷺ الدابة قرب الباب ودخل المسجد حيث صلى بالأنبياء. أما بالنسبة للمسجدين المعروفين الآن باسم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة فقد تم بناؤهما خلال الحكم الأموى عام ٦٥ هجرية. وقد جاء فى كتاب قصص الأنبياء (لأبن كثير) أن ما يقرب من ٣٠ من الأنبياء قتل بيد اليهود فى موقع مسجد الصخر.. أن هناك مخططات لتهويد القدس ويعلنون بكل جرأة وسفه وبجاحة أنهم سيبنون الهيكل ويطردون العرب بعد هدم المسجد الأقصى وإثارة الفتن بمخطط صهيونى مدروس مجزرة ضد المسلمين فى المسجد الأقصى لتشكل الشرارة الأولى للفتنة، وهناك عشرين منظمة متطرفة تسعى لأشعال هذه الفتنة أننا نقولها عالية مدوية أن القدس هى الخط الأحمر الذى لا يمكن اجتيازه. وإذا أشتعلت الفتنة لأحد سيكون بمنأى عن جحيمها وشرها وسوف تشتعل المنطقة بأسرها، أن الأمر جد خطير ويتوجب على العرب والمسلمين والمسيحيين معاصرة وإحباط المخططات والمؤامرات الصهيونية فزهرة المدائن يجب أن تبقى دائماً ملكاً للأديان الثلاثة لأداء شعائرهم الدينية، ونذكر أئمة اليهود الذين يهدون بأمر الله ويؤمنون بآياته أن القرى لا تهلك إلا بكثرة المظالم. ولينظروا إلى قول الله تعالى فيهم فى (الآيات ١٥٣ إلى ١٦٢ من سورة النساء. والآية ١٣ من سورة المائدة).

– وأخيراً وكما بدأنا هذا الكتاب بإذن الله نختمه، لقد جاء فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٤ وفى باب اسألوا الفقيه – يسأل: هل دخول الجنة موقوف على عقيدة الإسلام دون نظر لسلوكيات المسلم؟. وهل غير المسلمين محرومون من الجنة لخلافهم العقائدى دون اعتبار لسلوكهم الحسن؟. وكان رد الفقية (محمد المسير) كالآتى: كل أصحاب العقائد (الوثنية – اليهودية –

النصرانية - والإسلامية) يؤمنون بأن مخالفيهم على باطل وكفر، إلى قوله: (وعقيدة الاسلام تبنى على أصول حددها القرآن الكريم، البقرة ٢٨٥- فمن خالف هذه العقيدة فهو على باطل) إلى قوله: أن أمور الدين وحقائق الوحى الالهى لا تخضع لأهواء البشر وميزان الله هو القسط والعدل المطلق ، وأن اختلاف العقائد لا يؤدى إلى النفور والشقاق بل يحتم التعارف والتعاون بحكم الاخوة الانسانية المشتركة. (الحجرات ١٣) ونحن لا نختلف مع فضيلته فاليهودى والمسيحى المؤمن يؤمن بالله وملائكته وكتابه والرسل المذكورة فيه، والله عز وجل سوف يحكم بينهم بعدله فيما اختلفوا فيه وفيما خفى عليهم وما أنطوت عليه قلوبهم، وما أردنا أن نؤكده فى كتابنا هذا هو أن التعددية والتنوع سنة إلهية ماضية لا تبديل لها ولا تحويل وأنها قانون حاكم لكل شئ فى الوجود.. يقول (محمد الشرقاوى) استاذ مقارنة الأديان بكلية العلوم عن تعدد الملل وعن قول الله تعالى: ﴿**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة**﴾، يقول: وإنا لم نجد من واقع دراستنا لأديان العالم وعقائده نصاً دينياً فى أى ملة أخرى أكثر حسماً وأنبل تسامحاً من هذه الآية الكريمة، ويقورل: إذا كنا نفهم أن الاسلام - هو إسلام الوجه لله تعالى فإن معنى الاسلام فى قوله عز وجل: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام. ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾ - هو أى الاسلام - ما أنزله الله تعالى على رسله جميعاً من لدن آدم إلى محمد (ﷺ) دونما تبديل أو تغير - أى أن الله عز وجل خلق الانسان وجعل له ديناً سماه - إسلام - وما يطلق على العقائد الدينية من أسماء فهى من عند أصحابها - المؤلف - ويقول الاستاذ الشرقاوى: وكيف يستفيد الانسان من المنحة الالهية المتمثلة فى حرية أختيار الديانة ما لم تكن الأديان فى الواقع متعددة ومتنوعة. أما القبول وعدم القبول فإنه يتعلق بالله، بعد أن ابان للناس الرشد من الغى، أن كثيراً من الكتاب فى الغرب يتهمون الإسلام بالتعصب والانغلاق على الذات ورفض التعددية الدينية وضيق حوصلته تجاه الآخرين ورفضهم ونفيهم يفعلون ذلك بهدف الإساءة إلى الإسلام أمام المجتمع الغربى وإظهاره بأنه العدو المشترك للجميع. وفى الخطاب الاعلامى العام نجد الدس والتشعب على الإسلام والمسلمين والتحريض ضدهم. ويقوم بعض المستشرقون والمبشرون والإعلاميون بتشكيل وإبراز ملامح وصورة الإسلام فى عقل المواطن الغربى ووجدانه بطريقة مزيفة لا صلة لها

بالحقيقة والواقع، صورة بشعة كالحة السواد بغية تحصينه ضد الاسلام- العدو الأخضر ،كما يطلقون عليه، أنه أمتداد للإعلام الذى بدأ مع الحروب الصليبية، فعندما نزل المسلمون إلى اسبانيا حاملين راية الاسلام فى ٧١١م كانت حركات التبشير المسيحى فى ربوع أوروبا المختلفة تبذل جهودها لإخراج أهلها من ديانتهم وإدخالهم فى المسيحية بوسائل الاقناع تارة والقهر تارة أخرى، وقد قتل آلاف السكسون لرفضهم اعتناق المسيحية، وكانت المسيحية الغربية تعتبر نفسها فى حرب حقيقة دموية مع رافضى المسيحية فى ربوعها مع الاسلام الذى ظهر فجأة على مسرح الاحداث. وكانت الحرب الإعلامية ضد الاسلام أكثر ضراوة - منها تشويه صورة الاسلام والمسلمين والادعاء بأن جيوش المسلمين اكتسحت تلك البلاد وأستولت عليها بقوة السيف وأذلت أهلها ونهبت أموالهم وثرواتهم. ويصورون الحرب الصليبية على أنها كانت حروب الهدف منها تحرير بيت المقدس من أيدى - الكفار - المسلمين؟! الذين كانوا حسب إدعائهم يسيئون معاملة الحجاج المسيحيين، وما زالت هذه الحرب الإعلامية دائرة فى الخفاء والعلانية منذ العصور الوسطى، وتلزم المناهج الدراسية فى الغرب الصمت على ما حديث حينما انتزعت القدس من أيدى المسلمين عام ١٠٩٩ حتى تحريرها على يد صلاح الدين عام ١١٨٧- إغفال متعمد لإخفاء الحقائق التاريخية بقصد تشويه صورة الاسلام عن طريق تضخيم السلوكيات المنحرفة لبعض المسلمين.. ومهمتنا هى ازاحة أركان الزيف عن الإسلام الذى ترسخ فى الوجدان الغربى وشكل مناخاً فكرياً عاماً يصعب الفكاك منه. مهمتنا نشر معانى التعددية الدينية والحضارية وتقبل الآخر وبذل الجهد من قبل علماء الإسلام والمفكرين المعتدلين من أجل تصحيح المفاهيم ومواجهة الادعاءات والأكاذيب وعدم ترك الساحة للتيارات المتطرفة، لا ينبغى أن تكون علاقتنا مع الآخر علاقة ارتياب متبادل بل علاقة أستقاء الحقائق والحوار الجاد والتفاهم المتبادل. وليس المقصود من الحوار أن يتنازل أحد عن دينه ولكن لكى يجلى صورة الاسلام الناصعة التى شوهتها الحملات المغرضة ويمهد السبيل أمام الآخرين للتعرف على الإسلام واكتشاف كنوزه، فديننا هو دين الحوار والجدال بالحسنى وهو كما وصفه (كوفى عنان) الأمين العام للأمم المتحدة - بأنه ليس فقط واحداً من أعظم الأديان فى العالم، بل أنه كان أيضاً على مر التاريخ نبراساً هادياً لأكثر من حضارة عظيمة.. أذن

فالحوار يجب أن يقوم على القيم والقواسم المشتركة والاحترام والاعتراف المتبادل للتعايش مع الآخرين فى سلام كل أنسان قادر على اتباع تقاليده دون أن يحاربه أحد فى تفكيره المستقل كما أراد الله تعالى. وهذا النوع من الحوار يحتاج إلى عمق معرفى وخطاب عصرى لتصحيح أثر الموروث التاريخى وتضيق شقة الخلاف عندنا وعند الآخر.. ونرى أنه من الممكن مقارنة الاديان بنزاهة حقيقة، حيث أن الحجج المختلفة والحجج المعاندة والدفاعات التى تنشأ على تفسير النصوص وميل طرف إلى تسفيه ما لدى الطرف الآخر هى تأكيدات أغلبها زائفة، أما الحقائق المؤكدة فهى ما قاله لنا الله عز وجل أن الحكم له وحده ولم يأمرنا سبحانه وتعالى بالحكم على الناس والآيات التى تحمل هذا المعنى فى القرآن الكريم كثيرة جداً أما نحن فعلينا أن ننخرط فى حوارنا مع الآخر على التكيف والتعايش السلمى والبعد عن التحيز والنزوات العصبية والانفعالية. لقد أصدر الله تعالى أوامره إلى المسلمين أن يتعاملوا مع أهل الكتاب معاملة كريمة، كما كفل الاسلام حرية العقيدة لغيره من الخلق (انظر سورة يونس ٩٩ - والبقرة ٢٥٦) ونحن لا نختلف مع ديانة التوحيد اليهودية. ولكننا نختلف مع صهيونيتهم؟. وقد أنكر القرآن الكريم ألوهية المسيح وأنكر الصلب والفداء إلا أنه صرح فى نصوصه بأن النصرانية أقرب الأديان مودة إلى الاسلام- أنظر سورة المائدة ٨٢- ونلاحظ أن الآيات فى القرآن الكريم تتحدث عن العقيدة المسيحية كعقيدة قائمة وليس كعقيدة نسخت كما يعتقد البعض وتأمرنا بمبادلتهم المودة. انظر كتاب - أنبياء الله - للاستاذ أحمد بهجت ص٣٦٦- أن الدعاة إلى الله ليسوا جلادين منتدبين لتطبيق حكم الشريعة، وأنما يجيىء الدعاة إلى الله أساساً رحمة بالناس والحساب على الله، أن الفضائل هى تمام الدين وصلاح الدنيا والآخرة ولا تجد هذه المعانى الراقية إلا فى التوجيهات الإلهية والسنة النبوية التى تأمرنا باحترام ما عليه الآخر ولا تلزمه بتغيير عقيدته، واحترام كل إنسان وحقه فى أن يؤمن بالدين الذى يهتدى إليه قلبه ويرتضيه عقله وترتاح إليه روحه. والله عز وجل هو الذى يختار ويرتضى للناس أديانهم (أنظر الآية ٥٥ من سورة النور) وهو سبحانه وتعالى يعلمنا بأن البشرية جميعاً سبيكة واحدة لا تتجزأ فالجميع ابناء آدم لا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، فمن الناس من يعتبروا أنفسهم مركز الكون هم الثقافة وغيرهم الهمجية. هم الايمان وغيرهم الجاهلية ويزعمون أنهم وحدهم على الحق والدرب

سائرون ومن دونهم مبطلون ومخطئون غالوا فى دينهم فتعصموا وانحازوا فضلوا وأضلوا وجانبهم الصواب وتناسوا المنهج الذى يقول: رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب. بهذا المنهج يكون الحوار الهادئ وبه نصل إلى لب الحقيقة وجوهره وبه نحمى صواب الآراء التى توزن بميزان العقل السليم والمنطق القويم والوجدان الغيور على الحق وبه نحى قلوبنا التى رانت عليها تراكمات العصبية ذلك أن القلوب هى مرآة تجليات الحق حين تصقل بأنوار الإيمان، ومن منطلق هذا المنهج وضعنا هذا الكتاب ولا نزعم أنه الحق الذى لا يأتيه الباطل من أمامه أو ورائه ولكن اتبعنا ما هدانا إليه تفكيرنا المحدود ومثلنا الأعلى الذى أتبعنا هو ما عبر عنه الائمة الأجلاء رضوان الله وسلامه عليهم- حيث يقول إمامنا (الشافعى) فى هذا الشأن: ما نظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ،وما كلمت أحداً أنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانه أو لسانى، وحينما سئل أبى حنيفة رضوان الله وسلامه عليه. هل هذا الذى تفتى به هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من ورائه أو أمامه؟ فأجاب: (والله لا أدرى لعله الباطل الذى لا يأتيه الحق من أمامه أو ورائه)، ويقول (ابى حنيفة) أيضاً: (قولنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأفضل منه كان أولى بالاتباع منا). أما الإمام (مالك بن أنس) رضوان الله عليه فيقول: (ينبغى أن يورث العالم جلسائه قول - لا أدرى - فإن العالم إذا أخطأ قول لا أدرى يقصد إذا أفتقده - أصيبت مقاتله)، ويقول الإمام مالك أيضاً: (كل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا المقام المعصوم (ﷺ)) .

ويقول العارف بالله (محى الدين بن عربى) : (لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى إذا لم يكن دينى على دينه، وأنى وقد صار قلبى قابلاً كل صورة كمرعى لغزلان ودير لرهبان ومسجد لعبادة وكعبة لطائف وألواح توراة ومصحف وقرآن) فكل أنبياء الله ورسله نهوا عن البغضاء والغل والحسد بين الناس فجوهر الاديان فى الأصل هو الحب الذى يجمع بين الناس بدون تفرقه ولا تحيز وأنقاذ البشرية وليست التعمية والصراع بينهم وصلاح أمرهم.. أن الاسلام نادى بمبادئ سامية أولها الحب والسلام مع الأديان الأخرى وأمرنا الرسول (ﷺ) بإنزال الناس منازلهم وفى ذلك احترام الغير مهما تكن عقيدته، والفقه الحق ليس التشدد وإنما هو وضع النصوص فى موضعها الصحيح وفى إطار الاهداف والمقاصد

الكليـة وليس الدوران فى فلك نص يكفـر ويجـرم ويسـد على الناس رحـمـة الله ويحصرهم فى إطر ضيقة تجاوزتها شريعتنا السمحاء حتى يمكننا السير فى الاتجاه السليم لتحقيق غاية الإسلام – الوسطية – وهى من الثوابت الاسلامية فرحمة الله تتسع لك ولغيرك لك وللآخر، والحقيـقـة المطلقة ليست مقصورة عليك وحدك ولكن للأخر حقيقة مصدرها هو مصدرك.

وأخيراً نسأل المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن يتقبله منى وأن يجعله نوراً يسعى بين يدىّ فى الدنيا والآخرة فهو عمل قصدت من ورائه فهم القرآن والسنة والفقه والشريعة فهماً مستنيراً بعيداً عن التعصب متمسكاً بمبدأ البحث الذى يَحضُّ عليه ديننا الحنيف ومقراً بالحق فى الاختلاف فى العقيدة والرأى إنه نعم المولى ونعم النصير.

منصور الحلو

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة

الموضــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
* العولمة "Globalistion"	٣٤٠
* الدعوة والدعاة مرة أخرى	٣٤٣
* اليهود ولاهوت موت الإله	٣٥٨
* علامات الساعة	٣٨١
* سفر دانيل	٣٨٦
* رؤيا يوحنا اللاهوتى	٣٩٠
* التوراة رؤيا يوحنا والتوحيد	٤٠٢
* صحوة ضمير	٤١٢
* علم الساعة	٤١٧
* العلامات الصغرى	٤٢٨
* العلامات الكبرى	٤٢٨
* الآيات	٤٢٨
* مواضع الخسف	٤٣٥
* مخططات الإفساد الخبيثة	٤٤٣
* العولمة: موضوع الساعة	٤٥٧
* خاتمة – القدس	٤٦٨
الفهرس	٤٧٩

انتهيت من كتابة هذا الكتاب قبل أحداث ١١ سبتمبر بعام كامل فى مدينة سيدنى بأستراليا التى هاجرت إليها منذ ٣٧ عام. يعيش فى استراليا أكثر من ٦٥ جنسية مختلفة الأديان والأعراق فى تناغم تام من بينها الجالية الإسلامية التى خرجت من هذا التناغم لتعيش فى نشاز وعزلة بعد هذه الأحداث، ليس فى استراليا وحدها ولكن فى العالم الغربى بأسره، وتحققت رؤيتى بأن الحوار بين الحضارة الغربية وأهل الكتاب والمسلمين فى ظل الظروف الراهنة أصبح ضرورة ملحة. حيث أن قضية التحدى بين الإسلام والغرب والعلاقة معه يغلفها سوء فهم وضباب كثيف ولابد لنا فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا توظيف كل أدواتنا لتقديم الإسلام فى صورته الصحيحة ومصارحة أنفسنا والتعرف على أوجه القصور لتصحيح مسارنا ونقد ذاتنا.. إن أجهزة الإعلام الغربية تلحق بالإسلام كل نقيصة وتشوه فيه كل حقيقة وترمى أتباعه بالتعصب والتطرف والإرهاب. وأهل الكتاب يرفضون الإعتراف بالإسلام ويصنفونه على هامش الديانات والثقافات الوصفيه والإساءة إليه. وهذا يفرض علينا تعزيز الحوار لاتقليصه ونتقى نحن الله فيهم وإن لم يتقوا هم الله فينا. إن سماحة الإسلام هى دعامة أساسية فى الحوار مع الآخرين والمنهج الأمثل فى الدعوة إلى الله والتنوير.. إن التجديد فى الخطاب الدينى مع الآخر مطلب لابد منه مع قبول وتقبل حضارته ومعتقداته وشرح المنظومة الإسلامية وعظمتها وشمو
وليعلم الجميع أن الله عز وجل لم ينشىء مشاريع دينية فاشلة ولكن نحن ف
المقصد الإلهى من الأديان....



منصور الحلو